بسم الله الرحمن الرحيم

و لما كان آخر هذه القصص فى الحقيقة إبطال كل ما خالف[1] الإسلام الذى هو معنى "ان الدين عند الله الاسلام[2]" - و ما بعد ذلك إنما جرّه[3] - ختم الآية بدعوى أن المخالفين من الخاسرين، و ختم ذلك[4] بأن من مات على الكفر لا يقبل إنفاقه للانقاذ[5] مما يلحقه من الشدائد، لا بدفع[6] لقاهر و لا بتقوية[7] لناصر، فتشوفت النفس إلى الوقت الذى يفيد فيه الإنفاق و أى وجوهه أنفع، فأرشد إلى[8] ذلك و إلى أن الأحب منه أجدر[9] بالقبول، رجوعا إلى ما قرره سبحانه و تعالى قبل آية[10] الشهادة بالوحدانية من صفة عباده المنفقين و المستغفرين بالأسحار على وجه أبلغ بقوله: ﴿ لن تنالوا البر ﴾ و هو كمال الخير ﴿ حتى تنفقوا ﴾ أى فى وجوه الخير ﴿ مما تحبون ط ﴾ أى من كل ما تقتضون[11]، كما ترك إسرائيل عليه الصلاة و السلام أحب الطعام إليه لله سبحانه و تعالى. ١٠

---

(١) فى ظ: يخالف (٢) سورة ٣ آية ١٩ (٣) فى مد: جزه كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بذلك (٥) فى ظ: للانفاذ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يدفع (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يتقويه (٨) زيد فى ظ: سياق (٩) فى ظ: احذر (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ابدا (١١) فى ظ: تعتنون، و فى مد: تفتنون.

و لما كان التقدير : فان أنفقتم منه علمه[1] الله سبحانه و تعالى فأنالكم[2] به البر ، و إن تيممتم الخبيث الذى تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا ، و كان كل من المحبة و الكراهة أمرا خفيا ، قال سبحانه و تعالى مرغبا مرهبا : ﴿ و ما تنفقوا من شيء ﴾ أى من المحبوب[3] و غيره ﴿ فان الله ﴾

٥ أى الذى له الإحاطة الكاملة . و قدم[4] الجار اهتماما به إظهارا لأنه يعلمه من جميع وجوهه كما تقول[5] لمن [سألك - [6]] هل[7] تعلم كذا : لا أعلم إلا هو ، فقال : ﴿ به عليم ﴾ فهذا كما ترى احتباك .

/٣٩٨

و لما أخبر بذلك بين أنه كان ديدن أهل الكمال على وجه يقرر به ما مضى من الإخبار بعظيم اجتراء أهل الكتاب على الكذب بأمر

١٠ حسّي فقال تعالى : ﴿ كل الطعام ﴾ أى من الشحوم مطلقا[8] و غيرها ﴿ كان حلا لبنى اسرآءيل ﴾ [أى - [9]] أكله - كما كان حلا لمن قبلهم على أصل[10] الإباحة ﴿ الا ما حرم اسرآءيل ﴾ تبررا و تطوعا ﴿ على نفسه ﴾ و خصه بالذكر استجلابا لبنيه [[11] - إلى[12] ما يرفعهم بعد اجتذابهم للمؤمنين إلى ما يضرهم و لا ينفعهم . و لما كانو [13] بما أغرقوا[13]

١٥ فيه[14] من الكذب ربما قالوا : إنما حرم ذلك اتباعا لحكم التوراة قال :]

---

(١) فى ظ : علم (٢) فى ظ : فاتالكم (٣) فى ظ : المحبوب (٤) فى ظ : قدم تم . (٥) فى ظ : يقول (٦) زيد من ظ ، و زيد فى مد موضعه : قال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٨) سقط من مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : اهل (١١) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (١٢) فى مد : الا (١٣-١٣) فى ظ : لما عرفوا (١٤) ليس فى ظ .

﴿[1]من قبل[1]﴾ [[2]- و أثبت الجار لأن تحريمـــه كان فى بعض ذلك الزمان، لا مستغرقا له. و عبر بالمضارع لأنه أدل على التجدد فقال:] ﴿[3]ان تنزل التورىٰة ط[3]﴾ [[2]- و كان قد ترك لحوم الإبل و ألبانها و كانت أحب الأطعمة إليه لله و إيثارا لعباده - كما تقدم ذلك فى البقرة عند "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به[4]"]. ٥

و لما كانت هذه الآية إلزاما لليهود باعتقاد النسخ الذى طعنوا به فى هذا الدين فى أمر القبلة، و كانوا ينكرونه ليصير عذرا لهم فى التخلف عن اتباع النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم، فكانوا يقولون: لم تزل الشحوم و ما ذكر معها حراما على من قبلنا كما كانت حراما علينا، فأمر بجوابهم بأن قال: ﴿قل﴾ أى لليهود ﴿فأتوا بالتورىٰة فاتلوها﴾ ١٠ أى لتدل لكم ﴿ان كنتم صٰدقين ه﴾ فيما ادعيتموه، فلم يأتوا بها فبان كذبهم فافتضحوا فضيحة لا مثل لها فى الدنيا ﴿فمن﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه [من -[5]] ﴿افترى﴾ أى تعمد ﴿على الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿الكذب﴾ أى فى أمر المطاعم أو[6] غيرها. و لما كان المراد النهى عن إيقاع الكذب فى أى زمن كان، لا عن إيقاعه فى جميع الزمان ١٥ الذى بعد نزول الآية أثبت الجار فقال: ﴿من بعد ذٰلك﴾ أى البيان العظيم الظاهر جدا ﴿فاولٰٓئك﴾ أى الأباعد الأباغض[7] ﴿هم﴾ خاصة

(١-١) تأخر فى الأصل عن «بأن قال» (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.
(٣-٣) تأخر فى الأصل عن قوله تعالى "من قبل" (٤) سورة ٢ آية ٨٩.
(٥) زيد من ظ (٦) فى مد «و» (٧) فى ظ: الاباعز - كذا.

لتعمدهم الكذب على من هو محيط بهم و لا تخفى[1] عليه خافية ﴿ الظّٰلمون ﴾ أى المتناهو[2] الظلم بالمشى على خلاف الدليل فعل من يمشى[3] فى الظلام ، فهو لا يضع شيئا فى موضعه ، و ذلك بتعرضهم إلى أن يهتكهم التام العلم و يعذبهم الشامل القدرة .

٥ و لما اتضح كذبهم و افتضح تدليسهم[4] - لأنه لما استدل عليهم بكتابهم فلم يأتوا به صار ظاهرا كالشمس ، لا شك فيه و لا لبس ، و لم يزدهم ذلك إلا تماديا فى الكذب - أمر سبحانه و تعالى نبيه[5] صلى الله عليه و سلم بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لأهل الكتاب الذين أنكروا النسخ فأقمت عليهم الحجة من كتابهم ﴿ صدق الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى

١٠ له الكمال كله فى جميع ما أخبر، و تخبر[6] به عن ملة إبراهيم و غيره من بنيه أسلافكم ، و تبين أنه ليس على دينكم هو و لا أحد ممن[7] قبل موسى عليه الصلاة و السلام ، لأنكم لو كنتم صادقين لآتيتم بالتوراة ، نافيا بذلك أن يكون تأخرهم عن الإتيان بها لعلة يعتلون[8] بها غير ذلك ، و إذ قد تبين صدقه تعالى فى جميع ما قال وجب اتباعه فى كل ما يأمر به ، و أعظمه

١٥ ملة إبراهيم فانها الجامعة للمحاسن .

و لما ثبت ذلك بهذا الدليل المحكم لزم قطعا أنه ما كان يهوديا

---

(١) فى ظ : لا يخفى ، و فى مد : لا تخفى - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : المتباهر ، و فى ظ : المتناهون (٣) فى ظ : تمشى ، و فى مد : تمشى - كذا (٤) فى ظ : تدلسهم (٥) فى ظ : بنبيه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخبر (٧) فى ظ : من (٨) فى ظ : يقبلون .

و لا نصرانيا و لا مشركا، و قد أقروا بأن ملته هي الحق و أنهم أتباعه، فتسبب عن ذلك وجوب اتباعه فيما أخبر الله سبحانه و تعالى به فبان كالشمس صدقه، [لا - [1]] فيما افتروه لهم من الكذب، فقال سبحانه و تعالى: ﴿ فاتبعوا ملة ابرٰهيم ﴾ و هي الإسلام أي الانقياد للدليل[2]، و هو معنى قوله: ﴿ حنيفا ط ﴾ أي تابعا للحجة إذا تحررت، غير متقيد ٥ بمألوف. و لما كان صلى الله عليه و سلم مفطورا على الإسلام فلم يكن في جبلته شيء من العوج[3] فلم يكن له دين غير الإسلام نفي الكون فقال: ﴿ و ما كان من المشركين ه ﴾ أي بعزير[4] و لا غيره من الأكابر كالأحبار الذين تقلدونهم[5] مع علمكم بأنهم يدعون إلى ضد ما دعا إليه سبحانه و تعالى. ١٠

و لما ألزمهم سبحانه و تعالى بالدليل الذي دل على النسخ أنهم على غير ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و أوجب عليهم اتباعها بعد بيان أنها هي ما عليه محمد صلى الله عليه و سلم و أتباعه، أخبر عن البيت الذي يحول[6] إليه التوجه[7] في الصلاة، فعابوه على [أهل - [1]] الإسلام أنه أعظم[8] شعائر إبراهيم عليه الصلاة و السلام التي[9] كفروا بتركها، ١٥ و لذلك أبلغ في تأكيده[10] فقال سبحانه و تعالى: ﴿ ان اول بيت ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: الى الدليل (٣) من مد، و في الأصل: الفرج، و في ظ: القدح (٤) في ظ: بعزيز (٥) في ظ: تقلدوهم (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: التوبة (٨) من ظ و مد، و في الأصل: اعلم (٩) من ظ و مد، و في الأصل: الذي (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: تاكيدها.

/٣٩٩ أى من البيوت الجامعة / للعبادة ﴿ وضع للناس ﴾ أى على العموم متعبدا
واجبا عليهم قصده و حجه بما أمرهم به على لسان موسى عليه الصلاة
و السلام، و استقباله فى الصلاة بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم
فى ذلك، و لعل [بناء -[1]] 'وضع' للفعول إشارة إلى أن وضعه كان
٥ قبل إبراهيم عليه الصلاة و السلام ﴿ للذى ببكة ﴾ أى البلدة التى تدق
أعناق الجبابرة، و يزدحم[2] الناس فيها ازدحاما[3] لا يكون فى غيرها
مثله و لا قريب منه، فلا بد أن[4] يدق هذا النبى الذى أظهرته منها
الأعناق من كل من ناواه، و يزدحم الناس على الدخول فى دينه
ازدحاما لم يعهد مثله، فان فاتكم ذلك خبتم[5] فى الدارين غاية الخيبة
١٠ و دام ذلكم و صغاركم؛ حال كونه ﴿ مبركا ﴾ أى عظيم الثبات كثير
الخيرات فى الدين و الدنيا ﴿ و هدى للعلمين ﴾ ﴾ أى من بنى إسرائيل
و من قبلهم و من بعدهم، فعاب[6] عليهم سبحانه و تعالى فى هذه الآية
فعلهم [7]من النسخ[7] ما أنكروه على مولاهم، و ذلك نسخهم لما شرعه
من حجه[8] من عند أنفسهم تحريفا[9] منهم مثالا لما قدم من[10] الإخبار به
١٥ عن كذبهم، و هذا أمر شهير يسجل[11] عليهم بالمخالفة و يثبت[12] للمؤمنين

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : من زحم (٣) فى ظ : ازواجا (٤) زيد بعده فى الأصل : يكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : خفيتم (٦) من ظ و مد. و فى الأصل : فتاب (٧-٧) سقط من ظ.
(٨) من مد، و فى الأصل و ظ : حجة (٩) فى ظ : تخويفا (١٠) سقط من ظ و مد (١١) من مد، و فى الأصل و ظ : يسحل (١٢) فى ظ : ثبت.

الموافقة

المؤالفة ، فان حج البيت الحرام و تعظيمه من أعظم ما شرعه إبراهيم
عليه الصلاة و السلام - كما هو مبين [في - [1]] السير و غيرها و هم
عالمون بذلك ، و قد حجه أنبياؤهم عليهم الصلاة و السلام و أسلافهم
إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و غيرهم من الأنبياء عليهم
الصلاة و السلام و أتباعهم - كما روى من غير طريق عن[2] النبي صلى الله ٥
عليه و سلم حتى أن في بعض الطرق [أنه كان - [1]] مع موسى عليه
الصلاة في حجة إليه سبعون ألفا من بني إسرائيل ، و من المحال عادة
أن يخفى ذلك عليهم ، و من الأمر الواضح أنهم قد تركوا هذه الشريعة
العظيمة أصلا و رأسا ، فكيف يصح لهم دعوى أنهم[3] على دين إبراهيم
عليه الصلاة و السلام مع انسلاخهم[4] من معظم شرائعه ! ثم فسر ١٠
الهدى بقوله : ﴿ فيه ا۬يٰت بيّنٰت ﴾ و قوله : ﴿ مقام ابرٰهيم ﴾ - أي
أثر قدمه عليه الصلاة و السلام في الحجر حيث قام لتغسل[5] كنته[6] رأسه
الشريف - أعربه[7] أبو حيان بدلا أو عطف بيان من الموصول
الذي هو خبر "ان" في قوله "للذي ببكة" فكأنه قيل : إن أول بيت
وضع للناس لمقام[8] إبراهيم ، و أعربه غيره[9] بدل بعض من قوله "ا۬يٰت" ١٥
و هو وحده آيات لعظمه[10] و لتعدد ما فيه من تأثير القدم ، و حفظه

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لأنهم (٤) في ظ : أسلامهم (٥) من مد ، و في الأصل : يغسل ، و في ظ : ليغتسل (٦) في مد : كنه - كذا (٧) في ظ : اعزبه (٨) في ظ : كمقام (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : تونه (١٠) في ظ : لتعظمه .

إلى هذا الزمان مع كونه منقولا، و تذكيره[١] بجميع قضايا إبراهيم [و إسماعيل - [٢]] عليهما الصلاة و السلام .

و لما كان أمن أهله فى بلاد النهب و الغارات التى ليس بها حاكم يفزع إليه و لا رئيس يعول[٣] فى ذلك عليه من أدل الآيات قال سبحانه

٥ و تعالى: ﴿ و من دخله ﴾ أى[٤] فضلا عن[٥] أهله ﴿ كان امنا ط ﴾ أى عريقا[٦] فى الأمن، [٧]أو فأمنوه[٧] بأمان الله، و تحويـــل العبارة عن «و أمن داخله[٨]» لأن هذا أدل على المراد[٩] من تمكن الأمن، و فيه بشارة بدخول الجنة .

و لما أوضح سبحانـــه و تعالى براءتهم من[١٠] إبراهيم عليه الصلاة

١٠ و السلام لمخالفتهم إياه بعد دعواهم[١١] بهتانا أنه على دينهم، و كانت[١٢] المخالفة فى الواجب أدل قال سبحانـــه و تعالى: ﴿ و لله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ﴿ على الناس ﴾ أى عامة، فأظهر فى موضع الإضمار دلالة على الإحاطة و الشمول - كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى عن الأستاذ أبى الحسن الحرالى فى "استطعما[١٣] اهلها[١٤]" فى الكهف[١٥]،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تدبيره (٢) زيد من ظ و مد (٣) تأخر فى الأصل عن «فى ذلك» (٤) زيد بعده فى ظ: على (٥) فى ظ: على (٦) فى ظ: غريقا (٧-٧) من مد، و فى الأصل: اذ يامنوا، و فى ظ: ان يامنوه (٨) فى ظ: دخله (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: فى . (١١) من ظ و مـد، و فى الأصل: دعواه (١٢) فى ظ: فكانت (١٣) فى ظ: استعظا، و فى مد: استعطعها (١٤) آية ٧٧ (١٥) سورة ١٨ .

و ذلك لئلا يدعى خصوصة بالعرب أو غيرهم ﴿ حج البيت ﴾ أى زيارته زيارة[1] عظيمة، و أظهر أيضا تنصيصا عليه و تنويها بذكره تفخيما لقدره، و عبر هنا بالبيت لأنه فى الزيارة، و عادة العرب زيارة معاهد الأحباب و أطلالهم[2] و أماكنهم[3] و حلالهم[4]، و أعظم ما يعبر به عن الزيارة عندهم الحج، ثم مَن بالتخفيف[5] بقوله مبدلا من 'الناس' تأكيدا ٥ بالإيضاح / بعد الإبهام و حملا على الشكر بالتخفيف بعد التشديد و غير /٤٠٠ ذلك من البلاغة: ﴿ من استطاع ﴾ أى منهم ﴿ اليه سبيلا ﴾ فمن حجه كان مؤمنا.

و لما كان من الواضح أن التقدير: و من لم يحجه مع الاستطاعة كفر بالنعمة إن كان معترفا بالوجوب، و بالمروق من الدين إن جحد، ١٠ عطف عليه[6] قوله: ﴿ و من كفر ﴾ أى بالنعمة أو بالدين ﴿ فان الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ غنى ﴾ و لما كان غناه مطلقا [7]دل عليه[7] بقوله موضع 'عنه': ﴿ عن العٰلمين ۝ ﴾ أى طائعهم و عاصيهم، صامتهم و ناطقهم، رطبهم و يابسهم، فوضح بهذه الآية و ما شاكلها أنهم ليسوا على دينه كما وضح بما تقدم أنه ليس على دينهم، فثبتت بذلك براءته منهم، ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بزيارة (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: اظلالهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: و امكانهم - مكررا (٤) من مد، وفى الأصل وظ: خلالهم - كذا بالخاء المعجمة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالتخفيف - كذا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٧-٧) سقط من ظ.

و الآية[١] من الاحتباك لأن إثبات فرضه أولا يدل على كفر من[٢] أباه، و إثبات[٢] "و من كفر" ثانيا يدل على[٣] إيمان من حجه[٣].

و لما أتم سبحانه و عز شأنه البراهين و أحكم الدلائل عقلا و سمعا، و لم يبق لمتعنت[٤] شبهة، و لم يبادروا الإذعان[٥]، بل زادوا فى الطغيان،
٥ و كادوا أن يوقعوا[٦] الضراب و الطعان بين أهل الإيمان؛ أعرض سبحانه و تعالى عن خطابهم إيذانا بشديد الغضب و رابع الانتقام فقال سبحانه و تعالى مخاطبا لرسوله الذى يكون قتلهم على يده: ﴿قل﴾ و أثبت أداة دالة على بعدهم عن الحضرة القدسية فقال: ﴿يٰأهل الكتٰب﴾ أى من الفريقين ﴿لم تكفرون﴾ أى توقعون الكفر ﴿بأيٰت الله قلے﴾
١٠ أى و هى[٧] - لكونه الحائز[٨] بجميع الكمال - البينات نقلا و عقلا الدالة على أنكم على الباطل لما وضح من أنكم على غير ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

و لما كان كفرهم ظاهرا ذكر شهادته تعالى فقال مهددا[٩]: ﴿والله﴾ أى و الحال أن الله الذى هو محيط بكل شىء قدرة و علما فلا إلٰه غيره
١٥ و قد أشركتم به ﴿شهيد على﴾ كل ﴿ما تعملون ه﴾ أى لكونه يعلم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بل آية (٢ - ٢) فى ظ: اتاه او انبات - كذا. (٣ - ٣) فى ظ: ايمانه و من حجه - كذا (٤) فى الأصل و مد: لمنعت، و فى ظ: منعت (٥) فى مد: للاذعان (٦) فى ظ: يرفعوا (٧) فى ظ: و هو (٨) من مد، و فى الأصل: ايجاز، و فى ظ: الجائز (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: موكدا.

سبحانه

سبحانه السر و أخفى[١] . إن حرفتم و أسررتم . ثم استأنف[٢] إيذانا بالاستقلال[٣] تقريعا[٤] آخر لزيادتهم على الكفر التكفير فقال: ﴿ قل يآهل الكتب ﴾ أي المدعين[٥] للعلم و اتباع الوحي، كرر هذا الوصف لأنه مع أنه أبعد في التقريع[٦] أقرب إلى التلطف في صرفهم عن ضلالهم ﴿ لم تصدون ﴾ أي بعد كفركم ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي الملك الذي له ٥ القهر و العز و العظمة و الاختصاص بجميع صفات الكمال، و سبيله دينه الذي جاء به نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و قدمه اهتماما به[٧]. ثم ذكر المفعول فقال: ﴿ من آمن ﴾ حال كونكم ﴿ تبغونها ﴾ أي السبيل ﴿ عوجا ﴾ أي بليكم[٨] ألسنتكم و افترائكم على الله، و لم يفعل سبحانه و تعالى إذ أعرض عنهم في هذه الآية ما فعل [من قبل -[٩]] إذ ١٠ أقبل عليهم بلذيذ خطابه تعالى جده و تعاظم مجده[١٠] إذ قال[١٠] "يآهل الكتب لم تحاجون في ابرٰهيم"، "يآهل الكتب لم تكفرون" و[١١] الآية التي بعدها بغير واسطة . و قال أبو البقاء في إعرابه: إن 'تبغون' يجوز[١٢] أن يكون مستأنفا و أن يكون حالا من الضمير في 'تصدون' أو من 'السبيل'،

---

(١) في مد: الاخفى (٢) من مد، و في الأصل و ظ: استئناف (٣) من ظ و مد، و في الأصل: للاشتغال (٤) في ظ: تقريعا، و في مد: تعريعا - كذا. (٥) في ظ: المذعنين (٦) في الأصل: الوصف لتقريع، و في ظ: التفريع، و في مد: لعريع - كذا (٧) في ظ: له (٨) من ظ و مد، و في الأصل: بغيكم (٩) زيد من ظ و مد (١٠ - ١٠) في ظ: اذا قالوا (١١) سقطت الواو من ظ و مد (١٢) في الأصل: بجواز، و في ظ و مد: يجوز - كذا.

لأن فيها ضميرين راجعين إليهما، فلذلك يصح[1] أن يجعل حالا من كل واحد منهما، و 'عوجا' حال - انتهى. و قال صاحب القاموس فى بنات[2] الواو: بغا الشيء بغوا: نظر إليه كيف هو، و قال فى بنات[3] الياء: [4]بغيته أبغيه[4]: طلبته، فالظاهر أن جعل 'عوجا' حالا - كما قال أبو البقاء - ٥ أصوب[5] من جعله مفعولا - كما قال فى الكشاف. و يكون 'تبغون'[6] إما يائيا[7] فيكون معناه: تريدونها معوجة أو ذات عوج، فان 'طلب' بمعنى: أراد؛ و إما أن يكون واويا بمعنى: ترونها ذات عوج، أى[8] تجعلونها فى نظركم يعنى: تتكلفون[9] وصفها[10] بالعوج مع علمكم باستقامتها، لكن قوله صلى الله عليه و سلم فى الصحيح «ابغنى أحجارا أستنفض[11] بهن» ١٠ يؤيد قول صاحب الكشاف.

و لما ذكر صدهم و إرادتهم العوج الذى لا يرضاه ذو عقل قال موبخا: ﴿و انتم شهدآء﴾ أى باستقامتها بشهادتكم[12] باستقامة[13] دين إبراهيم مع قيام أدلة السمع و العقل أنها دينه و أن النبى و المؤمنين أولى الناس به

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يصح (٢) من ظ، و فى الأصل: ثبات، و لا يتضح فى مد (٣) فى ظ: ثبات (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بغيه ابغيته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اضرب (٦) فى الأصول: يبغون. (٧) فى الأصل: باينا، و فى ظ: بيانا، و فى مد: بايبا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٩) فى الأصول: يتكلفون (١٠) فى ظ: و عيبها - كذا (١١) من صحيح البخارى - باب الاستنجاء بالحجارة، و فى الأصل: استقصر، و فى ظ: استقضى، و فى مد: استقض - كذا (١٢) سقط من ظ (١٣) فى ظ: باستقامتكم.

لانقيادهم للأدلة . و لما كان الشهيد قد يغفل، و كانوا يخفون مكرهم في صدهم، هددهم[1] / باحاطة علمه فقال: ﴿ و ما الله ﴾ أي الذي تقدم أنه شهيد عليكم و له صفات الكمال كلها ﴿ بغافل ﴾ أي أصلا[2] ﴿ عما تعملون ﴾ .

/٤٠١

و لما تم إيذانه بالسخط على أعدائه و أبلغ في إنذارهم عظيم انتقامه ٥ إن داموا على إضلالهم[3]، أقبل بالبشر على أحبائه، مواجها لهم بلذيذ خطابه وصفي غنائه، محذرا لهم الاغترار[4] بالمضلين، و منبها و مرشدا و مذكرا و دالا على ما ختم به ما قبلها من إحاطة علمه بدقيق مكر اليهود، فقال سبحانه و تعالى: ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ أي بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ ان تطيعوا فريقا ﴾ أي[5] بهذا اللفظ لما كان المحذر منه ١٠ الافتراق و المقاطعة الذي[6] يأتي عيب[7] أهل الكتاب به ﴿ من الذين اوتوا الكتب ﴾ أي القاطعين بين الأحباب مثل شأس[8] بن قيس الذي مكر بكم إلى أن أوقع[9] الحرب بينكم، فلولا النبي الذي رحمكم[10] به ربكم لعدتم إلى شر ما كنتم فيه ﴿ يردوكم ﴾ و زاد في تقبيح هذا الحال بقوله مشيرا باسقاط الجار إلى الاستغراق زمان البعد: ﴿ بعد ايمانكم كٰفرين ﴾ ١٥

(١) من ظ و مد، و في الأصل: يمددهم (٢) من ظ و مد، و في الأصل: اضلا (٣) في ظ: ضلالهم (٤) في ظ: الاعتذار (٥) في ظ: اي (٦) في ظ: التي (٧) من ظ و مد، و في الأصل: غيب (٨) في ظ: ساس (٩) في ظ: وقع بكم (١٠) العبارة من «إلى أن» إلى هنا تكررت في الأصل .

أي غريقين في صفة[1] الكفر، [2]فيا لها[2] من صفقة[3] ما أخسرها و طريقة ما أجورها!

و لما حذرهم منهم عظم[4] عليهم طاعتهم بالإنكار و التعجيب[5] من ذلك[4] [مع -[6]] ما هم عليه بعد اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم
٥ من الأحوال الشريفة فقال - عاطفا على ما تقديره: فكيف تطيعونهم و أنتم تعلمون عداوتهم -: ﴿و كيف تكفرون﴾ أي يقع منكم ذلك في وقت من الأوقات على حال من الأحوال ﴿و انتم تتلى﴾ أي تواصل بالقراءة ﴿عليكم ايٰت الله﴾ أي علامات الملك الأعظم البينات ﴿و فيكم رسوله﴾ الهادي من الضلالة المنقذ من الجهالة، فتكونون[7] قد جمعتم[8]
١٠ إلى موافقة العدو[9] مخالفةَ الولي [10]و أنتم بعينه و فيكم أمينه[11] ﴿و من﴾ أي و الحال أنه من[12] ﴿يعتصم﴾ أي [13]يجهد نفسه[13] في ربط أموره ﴿بالله﴾ المحيط بكل شيء علما و قدرة في جميع [14]أحواله كائنا من كان[14]. و لما

(١) من ظ و مد، و في الأصل: صفقة (٢-٢) في ظ: فنالها (٣) زيد بعده في ظ: خاسرتها (٤) سقط من ظ (٥) في مد: التعجب (٦) زيد من مد (٧) في ظ: فتكون (٨) من ظ و مد، و في الأصل: جمعتهم (٩) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (١٠) العبارة من هنا إلى «كائنا من كان» تأخرت في الأصل عن «السبب فقال»، و الترتيب من ظ و مد (١١) العبارة من «و أنتم بعينه» إلى هنا تأخرت في الأصل عن «كائنا من كان»، و الترتيب من ظ و مد (١٢) سقط من ظ و مد (١٣-١٣) في ظ: يجتهد بنفسه، و في مد: يجهد بنفسه (١٤-١٤) سقط من ظ.

كان من قصر نفسه على من له الكمال كله متوقعا للفلاح عبر بأداة التوقع مقرونة بفاء السبب فقال: ﴿ فقد هدى ﴾ و عبر بالمجهول على طريقة كلام القادرين ﴿ الى صراط مستقيم ۝ ﴾.

و لما انقضى هذا التحذير من أهل الكتاب و التعجيب و الترغيب، أمر بما يثمر ذلك من رضاه فقال[1]: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى ادعوا ٥ ذلك بألسنتهم ﴿ اتقوا الله ﴾ أى صدقوا دعواكم بتقوى ذى الجلال و الإكرام ﴿ حق تقته ﴾ فأديموا الانقياد له بدوام مراقبته و لا تقطعوا أمرا دونه ﴿ و لا تموتن ﴾ على حالة من الحالات ﴿ الا و انتم مسلمون ۝ ﴾ أى منقادون أتم الانقياد[2]، و نقل عن العارف أبى الحسن الشاذلى أن هذه الآية فى أصل الدين و هو التوحيد، و[3] قوله سبحانه و تعالى "فاتقوا الله ١٠ ما[4] استطعتم[5]" فى فروعه.

و لما كان عزم الإنسان فاترا و عقله[6] قاصرا، دلهم[7] - بعد أن أوقفتهم[8] التقوى - على الأصل لجميع الخيرات المتكفل بالحفظ من جميع الزلات فقال: ﴿ و اعتصموا ﴾ أى كلفوا أنفسكم الارتباط الشديد و الانضباط العظيم ﴿ بحبل الله ﴾ أى [طريق دين -[9]] الملك الذى ١٥ لا كفوء له التى نهجها[10] لكم و مهدها[11]، و أصل الحبل السبب الذى يوصل به

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: انقياد (٣) زيد بعده فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ: بما (٥) سورة ٦٤ آية ١٦. (٦) فى ظ: فعله (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و لهم (٨) فى ظ: او تعتم. (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ: منحها (١١) العبارة من «الملك الذى» إلى هنا تأخرت فى الأصل عن «أكده بقوله»، و الترتيب من ظ و مد.

إلى البغية و الحاجة ، و [كل -[1]] من يمشى على طريق دقيق يخاف[2] أن تزلق[3] رجله عنـه[4] إذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن الخوف ، و لا يخفى دقة الصراط بما ورد به النقل الصحيح ، و هذا الدين[5] مثاله ، فصعوبته و شدته على النفوس بما لها من النوازع ٥ و الحظوظ مثال دقته ، فمن قهر نفسه و حفظها على التمسك به حفظ عن السقوط عما هو مثاله .

و لما أفهم كل من الضمير و الحبل و الاسم[6] الجامع إحاطة الأمر بالكل أكده بقوله : ﴿ جميعا ﴾ لا تدعوا أحدا منكم يشذ[7] عنها ، بل كلما عثرتم[8] على أحد فارقها و لو قيد شبر فردوه إليها و لا تناظروه ١٠ و لا تهملوا أمره ، و لا تغفلوا عنه فيختل[9] النظام ، و تتعبوا[10] على الدوام ، بل لا تزالوا[11] كالرابط ربطا[12] شديدا حزمة[13] نبل[14] بحبل ، لا يدع واحدة منها تنفرد[15] عن الأخرى ، ثم أكد ذلك[16] بقوله : / ﴿ و لا تفرقوا ﴾ ثم ذكرهم[16] نعمة الاجتماع ، لأن[17] ذلك باعث على شكرها ، و هو باعث

٤٠٢ /

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) فى ظ : يزلف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٥) فى ظ : الـذى (٦) زيدت الواو بعـده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى الأصل و مد : يشبه ، و فى ظ : يسند . (٨) من مد ، و فى الأصل : اغترتم ، و فى ظ : عرتم - كذا (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : مثل - كذا (١٠) فى ظ : منتعوا - كذا (١١) فى ظ : لا يزالوا . (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : خزمه (١٤) من مد ، و فى الأصل : قبل ، و فى ظ : يقل - كذا (١٥) فى ظ : منفرد (١٦) فى ظ : ذكر (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان .

على إدامة الاعتصام و التقوى، و بدأ منها بالدنيوية لأنها أس الأخروية فقال: ﴿و اذكروا نعمت الله﴾ الذى له الكمال كله ﴿عليكم﴾ يا من اعتصم[1] بعصام الدين! ﴿اذ كنتم اعدآء﴾ متنافرين أشد تنافر ﴿فالف بين قلوبكم﴾ بالجمع على هذا الصراط القويم و المنهج العظيم ﴿فاصبحتم بنعمته اخوانا ج﴾ قد نزع ما فى قلوبكم من الإحن[2]، و أزال[3] ٥ تلك[4] الفتن و المحن.

و لما ذكر النعمة التى أنقذتهم من هلاك الدنيا[5] ثنى بما تبع[6] ذلك من نعمة الدين التى عصمت من الهلاك الأبدى فقال: ﴿و كنتم على شفا﴾ أى حرف و طرف ﴿حفرة من النار﴾ بما كنتم فيه من الجاهلية ﴿فانقذكم منها ط﴾. ١٠

و لما تم هذا البيان على هذا الأسلوب الغريب نبه على ذلك بقوله - جوابا لمن يقول: لله در[7] هذا البيان! ما أغربه من بيان! -: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا البيان البعيد المنال[8] البديع[9] المثال ﴿يبين الله﴾ المحيط علمه الشاملة[10] قدرته [بعظمته -[11]] ﴿لكم ايٰته﴾ و عظم الأمر

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اعتقم (٢) من مد، و فى الأصل: الاجل، و فى ظ: الآخر (٣) فى ظ: ازالة، و فى مد: زال (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٥) زيد بعده فى ظ: ثم (٦) فى مد: يتبع (٧) فى ظ: رد. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المثال (٩) فى ظ: البعيد (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: الشامل (١١) زيد من ظ و مد.

بتخصيصهم به[١] و إضافة الآى إليه . [٢]و لما كان السياق لبيان دقائق الكفار فى إرادة إضلالهم ختم الآية بقوله[٢] : ﴿ لعلكم تهتدون ۝ ﴾ أى ليكون[٣] حالكم عند من ينظركم حال من ترجى[٤] و تتوقع هدايته ، هذا الترجى حالكم فيما بينكم ، و أما هو سبحانه و تعالى فقد أحاط علمه ٥ بالسعيد و الشقى ، ثم الأمر إليه ، فمن شاء هداه ، و من أراد أرداه[٥] .

و لما عاب[٦] سبحانه و تعالى الكفار بالضلال[٧] ثم بالإضلال أمر المؤمنين بالهدى فى أنفسهم ، و أتبعه الأمر بهداية الغير بالاجتماع[٨] ، و كان الأمر بالاجتماع المؤكد بالنهى عن التفرق ربما أفهم الوجوب لتفرد[٩] الجميع فى كل جزئية من جزئيات العبادة فى كل وقت على سبيل ١٠ الاجتماع مع الإعراض عن كل عائق عن ذلك سواء كان وسيلة أو لا بالنسبة إلى كل فرد فرد ، أتبعه بقوله - منبها على الرضى بايقاع ذلك فى الجملة سواء كان بالبعض أو الكل كما هو شأن فروض الكفايات - : ﴿ و لتكن منكم امة ﴾ أى جماعة تصلح لأن يقصدها غيرها ، و يكون بعضها قاصدا بعضا[١٠] ، حتى تكون[١١] أشد شىء ائتلافا[١٢] و اجتماعا فى

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقطت من ظ (٣) فى مد ، لتكون (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يرجى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اراده (٦) فى ظ : غاب (٧) فى ظ : بالضلالة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاجماع . (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : لتجرد (١٠) فى ظ : بعضها (١١) فى ظ : يكون (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايتلافا - كذا .

كل

كل وقت من الأوقات على البدل ﴿ يدعون ﴾ مجددين لذلك فى كل وقت ﴿ الى الخير ﴾ أى بالجهاد و التعليم [و الوعظ و التذكير - [1]] .

و لما عم كل خير خص ليكون المخصوص مأمورا به مرتين [2] دلالة على جليل أمره و عليّ قدره فقال : ﴿ و يامرون بالمعروف ﴾ أى من الدين [3] ﴿ و ينهون عن المنكر ط ﴾ فيه بحيث لا يخلو وقت من الأوقات ٥ عن قوم قائمين بذلك ، و هو تنبيه لهم على أن يلازموا [4] ما فعله الرسول صلى الله عليه و سلم و من معه من أصحابه رضى الله تعالى عنهم من أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر [حين - [5]] استفزهم الشيطان بمكر شأس ابن قيس فى التذكير [6] بالأحقاد و الأضغان و الأنكاد [6] ، و إعلام بأن الذكرى تنفع المؤمنين . ١٠

و لما كان هذا السياق مفهما لأن التقدير : فانهم ينالون بذلك خيرا كثيرا ، و لهم نعيم مقيم؛ عطف عليه مرغبا: ﴿ و اولّئك ﴾ أى العالو الرتبة العظيمو النفع ﴿ هم المفلحون ۝ ﴾ حق الإفلاح ، فبين سبحانه و تعالى أن الاجتماع المأمور به إنما هو بالقلوب [7] الجاعلة لهم كالجسد الواحد ، و لا يضر فيه صرف بعض الأوقات إلى المعاش [8] و تنعيم البدن ببعض ١٥ المباحات ، و إن كان الأكمل صرف الكل بالنية إلى العبادة .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بين (٣) فى ظ : الذين .
(٤) فى ظ : لا يلازموا (٥) زيد من مد ، و فى ظ موضعه : خيرا - كذا .
(٦-٦) فى ظ : بالاخفا و اضغان و الافكاف ، و فى مد : بالاحقاد و اضغان و الانكاد - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القلوب (٨) فى مد : المعائش .

و لما أمر بذلك أكده بالنهى عما يضاده معرضا بمن نزلت هذه الآيات فيهم من أهل الكتاب مبكتا لهم [بضلالهم - [1]] و اختلافهم فى دينهم على أنبيائهم فقال: ﴿ و لا تكونوا كالذين تفرقوا ﴾ بما ابتدعوه فى أصول دينهم و بما ارتكبوه من المعاصى، فقادهم[2] ذلك و لا بد إلى التخاذل و التواكل و المداهنة[3] التى قصدوا بها المسالمة فجرتهم[4] إلى المصارمة[5]. و لما كان التفرق ربما كان بالأبدان فقط مع الاتفاق[6] فى الآراء[7] بين أن الأمر ليس كذلك فقال: ﴿ واختلفوا ﴾ بما أثمر لهم الحقد الحامل على الاتصاف بحالة[8] من[9] يظن أنهم / جميع و قلوبهم شتى.

/٤٠٣

و لما ذمهم بالاختلاف الذى دل العقل على ذمه[10] زاد فى تقبيحه بأنهم خالفوا فيه بعد نهى العقل واضح النقل فقال: ﴿ من ﴾ أى و ابتدأ اختلافهم من الزمان الذى هو من[11] ﴿ بعد ما جآءهم ﴾ و عظمه باعرائه عن التأنيث ﴿ البينٰت ﴾ أى بما يجمعهم و يعليهم و يرفعهم و يوجب اتفاقهم[12] و ينفعهم، فأرداهم ذلك الافتراق و أهلكهم.

و لما كان التقدير: فأولئك قد تعجلوا الهلاك فى الدنيا فهم الخائبون[13]،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: نفادهم (٣) من مد، و فى الأصل: لمداهنة، و فى ظ: المناهه - كذا (٤) فى ظ: لجرتهم (٥) فى ظ: المضارمة (٦) فى ظ: الانفاق (٧) فى ظ: الآوا - كذا (٨) فى ظ: بحاله. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ذمة (١١) سقط من ظ (١٢) من مد، و فى الأصل: انفاقهم، و فى ظ: نفاقهم (١٣) من مد، و فى الأصل: الخايضون، و فى ظ موضعه: يفهم على وجه لزومها لهم فى الدنيا والأخرة، و سيأتى قبل قوله تعالى "هم فيها خلدون".

عطف عليه[1] قوله : ﴿ [2] و اولٓئك ﴾ [أى - [3]] [4] البعداء البغضاء[4] ﴿ لهم عذاب عظيم ﴾ أى فى الدار الآخرة بعد عذاب الدنيا [5] باختلافهم منابذين [6] لما من[6] شأنه الجمع ، و الآية من الاحتباك : إثبات " المفلحون " أولا يدل على " الخسرون " ثانيا ، و العذاب[7] العظيم ثانيا يدل على النعيم المقيم أولا . ٥

و لما قدم [ما - [3]] لأهل الكتاب المقدمين على الكفر[8] على علم يوم القيامة فى قوله " ان الذين يشترون بعهد الله و ايمانهم[9] " و ختم [10] تلك الآية[10] بأنهم[11] لهم عذاب أليم و استمر حتى ختم هذه الآية[12] بأنه مع[13] ذلك عظيم؛ بين ذلك اليوم بقوله - بادئا بما هو أنكى لهم من تنعيم أضدادهم - : ﴿ يوم تبيض وجوه ﴾ أى بما [14] لها من المآثر[14] الحسنة ﴿ و تسود ١٠ وجوه ﴾ بما عليها من الجرائر[15] السيئة ﴿ فاما الذين اسودت وجوههم ﴾

---

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها . (٢) العبارة من هنا إلى « عذاب الدنيا » تقدمت فى الأصل على « و لما كان » (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) فى ظ و مد : البغضاء البعداء . (٥) العبارة من هنا إلى « النعيم المقيم أولا » وقعت فى الأصل بعد « الافتراق و أهلكهم » (٦-٦) فى ظ : لمن (٧) فى ظ : فالعذاب (٨) فى ظ : الكفرة . (٩) سورة ٣ آية ٧٧ (١٠-١٠) فى ظ : ذلك الامة ، و فى مد : تلك الامة . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان (١٢) سقط من مد (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (١٤ - ١٤) فى ظ : لنا من اثر (١٥) من مد ، و فى الأصل : الجاير ، و فى ظ : الجوائز - كذا .

بدأ بهم لأن [١] النشر المشوش أفصح [١] ، و لأن المقام للترهيب و زيادة النكاية لأهله ، فيقال [٢] لهم توبيخا و تقريعا [٣] : ﴿ أكفرتم ﴾ يا سود الوجوه و عبيد الشهوات ! ﴿ بعد ايمانكم ﴾ بما جبلتم عليه من الفطر [٤] السليمة و مكنتم [٥] به من العقول المستقيمة من النظر فى الدلائل ،
٥ ثم بما [٦] أخذ عليكم أنبياؤكم من العهود ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الأليم العظيم ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ و أنتم تعلمون ، فانكم فى لعنة الله ما كثون [٧] ﴿ و اما الذين ابيضت وجوههم ﴾ إشراقا و بهاء لأنهم آمنوا فأمنوا من العذاب ﴿ ففى رحمة الله ﴾ أى ثمرة [٨] فعل ذى [٨] الجلال و الإكرام الذى [٩] هو فعل الراحم ، لا فى غير رحمته . ثم أجاب عن سؤال من
١٠ كأنه قال : هل تزول عنهم كما هو حال النعم [١٠] فى الدنيا ؟ بقوله - على وجه يفهم لزومها لهم فى الدنيا و الآخرة - : ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ فيها خلدون ﴾ فلذا [١١] كانوا يؤمنون ، فالآية من الاحتباك : إثبات الكفر أولا دل على إرادة الإيمان ثانيا ، و إثبات الرحمة ثانيا دل على حذف اللعنة أولا .

(١-١) من مد ، و فى الأصل : النسر المسوس افضح ، و فى ظ : السو المسوس افضح - كذا (٢) فى ظ : نقال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقريحا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفطرة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و مكبتم . (٦) فى ظ : بها (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ماكنون (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذى فعل (٩) سقط من ظ (١٠) فى مد : النعيم (١١) فى ظ : فكذا .

و لما

و لما حازت هذه الآيات[1] من التهذيب و إحكام الترتيب و حسن السياق قصبَ السباق أشار[2] إليها مع قربها بأداة البعد [3]و أضافها إلى أعظم[3] أسمائه فقال: ﴿تلك ءايٰت الله﴾ أى هذه دلائل الملك الأعظم العالية[4] الرتب البعيدة المتناول[5]، ثم استأنف الخبر عنها [6]فى مظهر العظمة[6] قائلا: ﴿نتلوها﴾ أى [7]نلازم قصها[7]، و زاد فى تعظيمها ٥ بعد المبتدإ بالمنتهى فقال: ﴿عليك﴾ ثم أكد ذلك بقوله: ﴿بالحق﴾ أى ثابتة المعانى راسخة المقاصد صادقة الأقوال فى[8] كل ما أخبرت به من فوزكم و هلاككم[9] من غير أن نظلم[10] أحدا منهم ﴿و ما الله﴾ [11]أى الحائز[11] لجميع الكمال ﴿يريد ظلما﴾ قل أو جل ﴿للعٰلمين ه﴾ أى ما ظلمهم و لا يريد ظلم أحد منهم، لأنه سبحانه و تعالى متعال عن ذلك، ١٠ لا يتصور منه و هو غنى عنه، لأن له كل شيء.

و لما كان أمرهم[12] بالإقبال عليه و نهيهم عن الإعراض عنه ربما أوقع فى وهم أنه غير قادر على ضبطهم أو محتاج إلى ربطهم[13] أزال ذلك دالا على أنه غنى عن الظلم بقوله: ﴿و لله﴾ الملك الأعلى ﴿ما﴾ أى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاية (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فاشار (٣-٣) فى ظ: و اضافتها إلى عظم (٤) فى ظ: الغالبة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المتناولة (٦-٦) سقط من مد (٧-٧) فى ظ: اللازم قصتها.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: هلاكهم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يظلم (١١-١١) فى ظ: الجائز.
(١٢) فى ظ: ابراهيم (١٣) فى ظ: زيطهم - كذا.

كل شيء ﴿ في السمٰوٰت و ﴾ كل[١] ﴿ ما في الارض[٤] ﴾ من جوهر
و عرض ملكا و مُلكا . و لما كان المقصود سعة الملك لم يضمر[٢]
لئلا يظن تخصيص الثاني بما في حيز الأول فقال : ﴿ و الى الله ﴾ الذي
[٣]لا أمر[٣] لأحد معه ﴿ ترجع الامور ه ﴾ أي كلها ، التي فيهما و التي
٥ في غيرهما ، فلا داعي له إلى الظلم ، لأنه[٤] غني عن كل شيء و قادر على
كل شيء .

و لما كان من رجوع[٥] الأمور إليه هدايته من يشاء و إضلاله
من يشاء قال - مادحا لهذه الأمة ليمعنوا[٦] في رضاه[٧] حمدا و شكرا
و[٨] مؤيسا لأهل الكتاب عن إضلالهم[٩] ليزدادوا حيرة[١٠] و سكرا[١١] - :
١٠ ﴿ كنتم خير امة ﴾ أي وجدتم على هذا الوصف الثابت لكم جبلة و طبعا .
ثم وصف الأمة بما يدل على عموم الرسالة و أنهم سيقهرون أهل الكتاب
فقال : ﴿ اخرجت للناس ﴾ ثم بين وجه الخيرية[١٢] بما لم يحصل بمجموعه
لغيرهم على ما هم[١٣] عليه من المكنة بقوله : ﴿ تامرون ﴾ أي على سبيل
التجدد و الاستمرار ﴿ بالمعروف ﴾ أي كل ما عرفه الشرع و أجازه

/٤٠٤

---

(١) تقدم في الأصل على « السموات » (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لم يظهر (٣-٣) في ظ : لامر (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : انه (٥) في ظ : مجموع (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : ليتمنوا (٧) في ظ : رضاها (٨) سقطت الواو من ظ (٩) زيد بعده في الأصل « من يشاء قال مادحا لهذه الأمة » و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠) في ظ : حيلة (١١) في ظ : شكرا . (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الخير به (١٣) في ظ و مد : هو .

﴿و تنهون عن المنكر﴾ و هو ما خالف ذلك، و لو وصل الأمر إلى القتال، مبشرا لهم بأنه قضى فى الأزل أنهم يمتثلون[١] ما أمرهم به من [٢]الأمر بالمعروف[٢] و النهى عن المنكر فى قوله "و لتكن منكم امة يدعون الى الخير" إراحة لهم من كلفة النظر فى[٣] أنهم هل يمتثلون[٤] فيفلحوا، و إزاحة[٥] لحملهم[٦] أعباء الخطر بكونهم يعانون عليه ليفوزوا[٧] و يربحوا، ٥ فصارت فائدة الأمر كثيرة الثواب بقصد امتثال الواجب، و للترمذى - و قال: حسن - عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبى[٨] صلى الله عليه و سلم يقول فى هذه الآية «أنتم تتمون[٩] سبعين أمة أنتم خيرها و أكرمها على الله سبحانه و تعالى»، و للبخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال «أنتم خير الناس للناس[١٠]، تأتون[١١] بهم فى[٣] ١٠ السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا[١٢] فى الإسلام[١٣]».

و لما أخبر عنهم بهذا الوصف الشريف فى نفسه أتبعه ما زاده شرفا، و هو أنهم فعلوه فى حال إيمانهم فهو معتبر بـه لوجود شرطه

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: سيعلبون - كذا (٢-٢) فى ظ: المعروف. (٣) فى ظ «و» (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يمتثلون (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: اراحة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كلهم (٧) فى ظ: ليفوا - كذا (٨) فى ظ: رسول الله (٩) فى ظ: سمون - كذا (١٠) سقط من ظ و مد (١١) فى ظ: ياتون (١٢) فى ظ: يدخلون (١٣) و لفظ البخارى فى صحيحه ٢/٦٥٤ «قال: خير الناس للناس يأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام».

الذى هو أساس كل خير [فقال - [١]] : ﴿ و تؤمنون ﴾ أى تفعلون ذلك و الحال أنكم تؤمنون[٢] ﴿ بالله ط ﴾ أى الملك الأعلى الذى تاهت الأفكار فى معرفة كنه ذاته ، و ارتدت [٣] نوافذ أبصار [٣] البصائر خاسئة [٤] عن حصر صفاته ، أى تصدقون أنبياءه و رسله بسببه فى كل ما أخبروا به قولا ٥ و فعلا ظاهرا و باطنا ، و تفعلون جميع أوامره و تنهون عن جميع مناهيه ؛ و هذا يفهم أن من لم يؤمن كايمانهم فليس من هذه الأمة أصلا ، لأن الكون المذكور[٥] لا يحصل إلا بجميع[٦] ما ذكر ، و كرر الاسم الأعظم زيادة فى تعظيمهم ؛ و قد صدق[٧] الله و من أصدق من الله حديثا !

قال الإمام أبو عمر يوسف [بن - [١]] عبد البر النمرى[٨] فى خطبة ١٠ كتاب الاستيعاب : روى ابن القاسم عن مالك أنه سمعه يقول : لما دخل[٩] أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الشام نظر إليهم رجل من أهل الكتاب فقال : ما كان أصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالمناشير[١٠] و صلبوا على الخشب بأشد اجتهادا[١١] من هؤلاء - انتهى .

و لما كان من المعلوم أن التقدير : و ذلك خير لكم ، عطف عليه

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ : نوافر الابصار (٤) فى ظ : خاسه (٥) فى ظ : بالمذكور (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمجموع و . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصدق (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : التموى - راجع المشتبه ص ١١٧ (٩) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) فى الأصل : بالمباشير ، و فى ظ : المناشير ، و فى مد : بالمياشير (١١) فى ظ : اجتهاد .

قوله

قوله : ﴿ و لو اٰمن اهل الكتٰب ﴾ أى أوقعوا[١] الإيمان كما اٰمنتم بجميع الرسل و جميع ما أنزل عليهم فى كتابهم و غيره ، و لم يفرقوا[٢] بين شيء من ذلك ﴿ لكان ﴾ أى الإيمان ﴿ خيرا لهم ﴾ إشارة إلى تسفيه[٣] أحلامهم[٤] فى وقوفهم مع ما منعهم عن الإيمان من العرض[٥] القليل الفانى و الرئاسة التافهة ، و تركهم[٦] الغنى الدائم و العز الباهر الثابت . ٥

و لما كان هذا ربما أوهم أنه لم يؤمن منهم أحد قال مستأنفا : ﴿ منهم المؤمنون ﴾ أى الثابتون فى الإيمان ، و لكنهم قليل ﴿ و اكثرهم الفٰسقون ه ﴾ أى[٧] الخارجون من رتبة الأوامر و النواهى خروجا يضمحل معه خروج غيرهم . و لما كانت مخالفة الأكثر قاصمة خفف عن أوليائه بقوله : ﴿ لن يضروكم ﴾ و لما كان الضر - كما تقدم عن الحرالى - إيلام ١٠ الجسم و ما يتبعه من الحواس ، و الأذى إيلام النفس و ما يتبعها من الأحوال ، أطلق الضر هنا على جزء معناه[٨] و هو مطلق الإيلام[٩] ، ثم استثنى منه فقال : ﴿ الآ اذى ط ﴾ أى بألسنتهم ، و عبر بذلك لتصوير[١٠] مفهومى الأذى و الضر[١٠] ليستحضر[١١] فى الذهن ، فيكون الاستثناء[١٢] أدل على نفى وصولهم إلى المواجهة ﴿ و ان يقاتلوكم ﴾ أى يوما من الأيام ﴿ يولوكم ﴾ ١٥

(١) فى ظ : اوتقو (٢) فى ظ : لم يتفرقوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : شقية (٤) فى ظ : اخلاقهم (٥) فى ظ : العوض (٦) فى ظ : و تركتم (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعناه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاسلام (١٠-١٠) فى ظ و مد : مفهوم الضر و الاذى (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتستحضروا (١٢) فى مد : استثنا .

صرح بضمير المخاطبين نصا فى المطلوب ﴿ الادبار قف ﴾ أى انهزاما ذلا وجبنا.

و لما كان المولى قد تعود له [1]كرة بعد فرة[1] قال - عادلا عن

٤٠٥/ حكم / الجزاء لئلا يفهم التقييد بالشرط مشيرا بحرف التراخى إلى عظيم

٥ رتبة خذلانهم - : ﴿ ثم لا ينصرون[2] ۝ ﴾ أى لا يكون لهم ناصر من غيرهم أبدا و إن طال المدى، فلا تهتموا [3]بهم و لا بأحد[3] يمالئهم من المنافقين، و قد صدق[4] الله و من أصدق من الله قيلا ! لم يقاتلوا فى موطن إلا كانوا كذلك[5].

و لما أخبر عنهم سبحانه و تعالى بهذا الذل أتبعه [6]الإخبار بأنه[6]

١٠ فى كل زمان وكل مكان معاملة[7] منه لهم بضد ما أرادوا، فعوضهم عن الحرص على الرئاسة إلزامهم الذلة، و عن الإخلاد إلى المال إسكانهم المسكنة، و أخبر أن ذلك لهم طوق[8] الحمامة غير مزائلهم[9] إلى آخر الدهر باق فى أعقابهم بأفعالهم هذه التى لم ينابذهم[10] فيها الأعقاب فقال سبحانه و تعالى مستأنفا: ﴿ ضربت عليهم الذلة ﴾ و هى الانقياد كرها،

١٥ و أحاطت بهم كما يحيط البيت المضروب بساكنه ﴿ اين ما ثقفوآ ﴾ أى

(١-١) فى ظ : كره بعد فره (٢) من ظ و مد و القرآن المجيد، و فى الأصل : لا تنصرون (٣-٣) فى ظ : لهم و لا لاحد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اصدق (٥) فى ظ : لذلك (٦-٦) فى ظ : الاحبار انه - كذا (٧) فى ظ : معامله. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : طول (٩) فى ظ : مزايلة (١٠) من مد، و فى الأصل : لم ينايذهم، و فى ظ : لم تنانذهم - كذا.

وجدهم من هو حاذق خفيف فطن فى كل مكان و على كل حال ﴿الا﴾ حال كونهم معتصمين ﴿ بحبل ﴾ أى عهد وثيق [1]مسبب للأمان[1]، و هو عهد الجزيــة و ما شاكله[2] ﴿ من الله ﴾ أى الحـائز[3] لجميع العظمة[4] ﴿و حبل من الناس﴾ أى قاطبة : الذين آمنوا و غيرهم، موافقٍ لذلك[5] الحبل الذى من الله سبحانه و تعالى . ٥

و لما كان الذل ربما كان مع الرضى و لو من وجه قال: ﴿و بآءو﴾ أى رجعوا عما كانوا فيه من الحال الصالح ﴿ بغضب من الله ﴾ الملك الأعظم، ملازمٍ لهم، و لما كان الوصفـان[6] قد يصحبهما اليسار قال: ﴿ و ضربت ﴾ أى مع ذلك ﴿ عليهـــم[7] ﴾ أى كما يضرب البيت[8] ﴿ المسكنة ﴾ أى الفقر ليكونوا بهذه الأوصاف أعرق[9] شيء فى الذل، ١٠ فكأنه قيل: لم[10] استحقوا ذلك ؟ فقيل: ﴿ ذلك ﴾ أى الإلزام لهم بما ذكر ﴿ بانهم ﴾ أى أسلافهم الذين رضوا هم[11] فعلهم ﴿ كانوا[12] يكفرون ﴾ أى يجددون[13] الكفر [مع الاستمرار -[14]] ﴿ [15]بايٰت الله[15] ﴾ [أى

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: مسببا لأمان، و زيد بعده فى ظ : وثيق مسبب للايمـان - كذا (٢) فى ظ : شاكلها (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الجائز (٤) فى ظ : الصفة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كذلك (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الوجهان (٧) زيد بعده فى ظ : الذلة (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) فى ظ : اغرق (١٠) فى الأصول: ثم (١١) سقط من ظ (١٢) تقدم فى الأصل على « أى أسلافهم » (١٣) فى ظ و مد: تجـددون (١٤) زيد من ظ و مد (١٥-١٥) تأخر فى الأصل عن « بالاسم الأعظم » .

الملك الأعظم الذى له الكمال كله، و ذلك أعظم الكفر-[1]] لمشاهدتهم لها مع اشتمالها من العظم[2] على ما يليق بالاسم الأعظم ﴿ [3]و يقتلون الانبيآء[3] ﴾ أى الآتين من عند الله سبحانه و تعالى حقا [4]على كثرتهم بما دل عليه جمع[5] التكسير، فهو أبلغ مما فى أولها الأبلغ مما[6] فى البقرة

٥ ليكون ذمهم على سبيل الترقى كما هى قاعدة الحكمة.

و لما كانوا معصومين دينا و دنيا قال: ﴿ بغير حق ﴾ أى يبيح قتلهم؛ ثم علل إقدامهم[7] على هذا الكفر بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الكفر و القتل العظيمان ﴿ بما عصوا و كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعتدون ه ﴾ أى يجددون تكليف أنفسهم الاعتداء، فان الإقدام على المعاصى[8] و الاستهانة

١٠ بمجاوزة الحدود يهوّن الكفر. قال الأصفهانى: قال أرباب المعاملات: من ابتلى بترك الآداب وقع فى ترك السنن، و من ابتلى بترك[9] السنن [10]وقع فى ترك[10] الفرائض، و من ابتلى بترك الفرائض وقع فى استحقار الشريعة، و من ابتلى بذلك وقع فى الكفر. و الآية دليل على مؤاخذة الابن الراضى بذنب الأب و إن علا، و ذلك طبق ما رأيته فى ترجمة

١٥ التوراة التى بين أيديهم[11] الآن[12]، قال فى السفر الثانى: و قال الله سبحانه

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ: العظيم (٣-٣) زيد من ظ و مد.
(٤) العبارة من هنا إلى «قاعدة الحكمة» سقطت من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: جميع (٦) من مد، و فى الأصل: ما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: قدامهم (٨) فى ظ: العاص (٩) فى مد: بترق (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ابتلى بترك (١١) فى مد: جميعهم (١٢) فى ظ: لأنه.

و تعالى

و تعالى جميع هذه الآيات كلها: أنا[1] الرب إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق، لا تكون[2] لك آلهة أخرى[3]، لا تعملن شيئا من الأصنام و التماثيل التي مما فى السماء فوق و فى الأرض من تحت، و مما فى الماء أسفل الأرض، لا تسجدن لها و لا تعبدنها، لأنى أنا الرب إلهك إله[3] غيور، [4]أجازى الأبناء[4] بذنوب الآباء إلى ثلاثة أحقاب ٥ و أربعة خلوف، و أثبت النعمة إلى ألف حقب لأحبائى و حافظى[5] وصاياى.

و لما كان السياق ربما أفهم أنهم كلهم[3] كذلك[6] قال مستأنفا نافيا لذلك: ﴿ ليسوا سوآء[1] ﴾ أى فى هذه الأفعال، يثنى سبحانه و تعالى على من أقبل على الحق منهم و خلع الباطل و لم يراع سلفا و لا خلفا ١٠ بعيدا و لا قريبا. ثم استأنف قوله بيانا لعدم استوائهم: ﴿ من اهل الكتب ﴾ فأظهر لئلا يتوهم عود الضمير على خصوص من حكم بتكفيرهم ﴿ امة ﴾ أى جماعة يحق لها أن تؤم[7] ﴿ قآئمة ﴾ أى مستقيمة على / ما أتاها به نبيها[8] فى الثبات على ما شرعه، متهيئة بالقيام للانتقال عنه /٤٠٦ عند مجيء الناسخ الذى بشر به و وصفه. غير زائغة بالإيمان ببعضه ١٥ [9]و الكفر ببعضه[9]. ثم ذكر الحامل على الاستقامة فقال: ﴿ يتلون ﴾ أى

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: ان (٢) فى ظ: لا يكون (٣) سقط من ظ. (٤-٤) فى ظ: احاد الابنا الابنا - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حافظن - كذا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لذلك (٧) فى الأصول: تقوم (٨) من مد، و فى الأصل: بغيرها، و فى ظ: تنبها (٩-٩) سقط من ظ.

يتابعون مستمرين ﴿ ءايٰت الله ﴾ أى علامات ذى الجلال و الإكرام[١] المنزلة الباهرة[٢] التى[٣] لا لبس[٣] فيها ﴿ ءانآء الّيل ﴾ أى ساعاته ﴿ وهم يسجدون ٥ ﴾ أى يصلون فى غاية الخضوع . ثم ذكر ما أثمر لهم التهجد فقال : ﴿ يؤمنون[٤] ﴾ وكرر الاسم الأعظم إشارة إلى استحضارهم[٥]

٥ لعظمته فقال : ﴿ بالله ﴾ أى[٦] الذى له من الجلال و تناهى الكمال ما حير العقول . و أتبعه[٧] اليوم[٨] الذى تظهر[٩] فيه عظمته كلها ، لأنه الحامل على كل خير فقال : ﴿ و اليوم الأخر ﴾ أى إيمانا يعرف[١٠] أنه حق بتصديقهم له بالعمل الصالح بما يرد عليهم من المعارف التى ما لها من نفاد ، فيتجدد تهجدهم[١١] فتثبت[١٢] استقامتهم .

١٠ و لما وصفهم[١٣] بالاستقامة فى أنفسهم وصفهم[١٣] بأنهم يقوّمون غيرهم فقال : ﴿ و يامرون بالمعروف ﴾ أى مجددين[١٤] ذلك مستمرين عليه[١٤] [ـ[١٥] ﴿ و ينهون عن المنكر ﴾ لذلك ، و لما ذكر فعلهم للخير ذكر نشاطهم

---

(١) زيد بعده فى الأصل : الذى له الجلال و تناهى الكمال ما حير العقول ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد ـ وستأتى بعد قوله تعالى "يؤمنون بالله" ـ فحذفناها . (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : القاهرة (٣-٣) فى ظ : ليس (٤) فى ظ : تومنون (٥) فى ظ : استحضاره (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ : اوتبعه . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : باليوم (٩) فى ظ : يظهر (١٠) فى ظ : ليعرف . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهجدهم (١٢) من مد ، و فى الأصل : فثبت ـ كذا ، و فى ظ : فيثبت (١٣ - ١٣) سقطت من ظ (١٤ - ١٤) تكرر فى ظ (١٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد .

فى جميع أنواعه فقال]: ﴿ و يسارعون فى الخيرٰت[4] ﴾ و لما كان التقدير: فأولئك من المستقيمين، عطف عليه: ﴿ و اولٓئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ من الصٰلحين ﴾ إشارة إلى أن[1] من لم يستقم لم يصلح لشيء، و أرشد السياق إلى أن التقدير: و أكثرهم ليسوا بهذه الصفات[2].

و لما كان التقدير: فما[3] فعلوا[4] من خير[4] فهو بعين[5] الله سبحانه ٥ و تعالى، يشكره لهم، عطف عليه قوله: ﴿ و ما تفعلوا[6] ﴾ أى أنتم ﴿ من خير ﴾ من إنفاق أو غيره ﴿ فلن تكفروه[7,6] ﴾ بل[1] هو[8] مشكور لكم بسبب فعلكم، و بنى للجهول تأدبا معه سبحانه و تعالى، و ليكون على طريق المتكبرين. و عطف على ما تقديره: فان الله عليم بكل[1] ما يفعله[9] الفاعلون، [قوله - [10]]: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل ١٠ شيء ﴿ عليم بالمتقين ﴾ من الفاعلين الذين كانت التقوى حاملة لهم

---

(١) سقط من ظ (٢) فى مد: الصفة (٣) فى ظ: ما (٤-٤) سقطت من ظ. (٥) وقع فى ظ: يعن - كذا مصحفا (٦) كذا بالخطاب فى جميع النسخ (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: فلن يكفروه؛ و قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فى الفعلين و الباقون بالتاء فيهما غير أبى عمرو فانه روى عنه أنه كان يخبر بهما، و على قراءة الغيبة (و هى الشائعة فى بلادنا) يجوز أن يراد من الضمير ما أريد من نظائره فيما قبل و يكون الكلام حينئذ على وتيرة واحدة، و يحتمل أن يعود للأمة و يكون العدول إلى الغيبة مراعاة للأمة، كما روعيت أولا فى التعبير بأخرجت دون أخرجتم، و هذه طريقة مشهورة للعرب فى مثل ذلك - راجع روح المعانى ٦٥٣/١ (٨) فى ظ: فهو (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يفعلون (١٠) زيد من ظ.

على كل خير، فهو يثيبهم[1] أعظم الثواب، و بغيرهم فهو يعاقبهم[2] بما يريد
من العقاب، هذا على قراءة[3] الخطاب، و أما على[4] قراءة الغيبة فأمرها
واضح فى نظمها بما قلته[5].

و لما رغبهم فى الإنفاق بما يشمل كل خير و أخبرهم بانه عالم بدقه
٥ و جله، و أخبر أن ذلك كان دأب إسرائيل عليه الصلاة و السلام على
وجه أنتج أن بنيه[6] كاذبون فى ادعائهم أنهم على ملة جده إبراهيم عليه
الصلاة و السلام، ثم حذر منهم و ختم ما[7] ختمه بالمتقين بالترغيب فى
الخير بما اندرج فيه الإنفاق الذى قدم أول السورة أنه من صفة المتقين
المستغفرين بالأسحار [8]التى هى[8] أشرف آناء الليل، و كان مما يمنع منه
١٠ خوفُ الفقر و النزول عن حال الموسرين من الكفار[9] المفاخرين[10]
[11]بالإكثار المعيرين[11] بالإقلال من المال و الولد وقوفا مع الحال الدنيوى،
و كان قد أخبر أنه لا يقبل من أحد[12] منهم [13]فى الآخرة[13] ملء الأرض
ذهبا؛ أعقب هذا بمثل ذلك على وجه أعم فقال - واصفا أضداد[14] من
تقدم، نافيا ما يعتقدون من أن أعمالهم الصورية تنفعهم[15] -: ﴿ ان الذين

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يسيبهم (٢) فى ظ و مد: يعافيهم (٣) سقط
من ظ (٤) سقط من مد (٥) فى ظ: بينته (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: نبته.
(٧) فى ظ: بما (٨ - ٨) فى ظ: الذى هو (٩) فى ظ: الكافرين (١٠) من مد،
وفى الأصل وظ: الفاخرين (١١-١١) فى ظ: بالاكبار المعبر-كذا (١٢) فى ظ: الجد.
(١٣ - ١٣) سقط من مد (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: صداد (١٥) من
ظ، و فى الأصل: ننفعهم، و فى مد: ينفعهم.

كفروا ﴾ أى بالله[1] بالميل عن المنهج القويم و إن ادعوا الإيمان به نفاقا أو غيره ﴿ لن تغنى عنهم اموالهم ﴾ أى[1] و إن كثرت ﴿ و لآ اولادهم ﴾ و إن عظمت ﴿ من الله ﴾ [أى - [2]] الملك الذى لا كفوء له ﴿ شيئا ﴾ أى من الإغناء[3] تأكيدا لما قرر[4] من عدم نصرة أهل الكتاب الذين حملهم على إيثار الكفر على الإيمان[5] استجلاب الأموال و الرئاسة على ٥ الأتباع على وجه يعم جميع الكفار - كما قال فى أول السورة[6] - سواء .

و لما كان التقدير : فأولئك هم الخاسرون ، عطف عليه قوله : ﴿ و اولٓئك اصحٰب النار ﴾ أى هم مختصون بها ، ثم استأنف ما يفيد ملازمتها فقال : ﴿ هم فيها خٰلدون ﴾ و لما كان ربما قيل : فما حال ما يبذلونه فى المكارم و يواسون به فى المغارم ؟ ضرب لذلك مثلا جعله ١٠ هباء منثورا ، ضائعا و إن كثر بورا[7] ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، بقوله سبحانه و تعالى جوابا لهذا السؤال : ﴿ مثل ما ينفقون ﴾ أى من المال ، و حقر / قصدهم بتحقير محطه فقال[1] : ﴿ فى هذه الحيٰوة الدنيا ﴾ أى على ٤٠٧ / وجه القربة أو غيرها ، لكونهم [8] ضيعوا الوجه الذى به[1] يقبل[9] ، و هو الإخلاص . و مثل إنفاقهم له و[1] مثل حرث أصيب بالريح ﴿ كمثل ١٥ ريح فيها صر ﴾ أى برد شديد ﴿ اصابت حرث قوم ﴾ موصوفين بأنهم

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ : الاعناق (٤) فى ظ : تقرر . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الأموال (٦) راجع آية ١٠ (٧) فى ظ : بوارا (٨) العبارة من هنا إلى « و هو الاخلاص » ساقطة من مد (٩) فى ظ : تقبله .

﴿ ظلموٓا انفسهم ﴾ أى بالبناء على غير أساس الإيمان ﴿ فاهلكته ﴾ فمثل ما ينفقون فى كونه لم ينفعهم فى الدنيا بانتاج[1] ما أرادوا [2]فى الدنيا[2] و ضرهم فى الدارين، أما فى الدنيا فبضياعه فى غير شىء، و أما فى الآخرة فبالمعاقبة عليه لتضييع أساسه و قصدهم الفاسد به؛ مثل الزرع الموصوف فانه لم ينفع أهله الموصوفين، بل ضرهم[3] فى الدنيا بضياعه. و فى الآخرة بما قصدوا بــه من المقصود الفاسد[4]، و مثل إنفاقهم له فى كونه ضرهم و لم ينفعهم مثل الريح فى كونهـا ضرت الزرع و لم تنفعه، فلما كانت الريح الموصوفة أمرا مشاهــدا[5] جليا جعلت فى إهلاكها مثلا لضياع إنفاقهم الذى هو أمر معنوى خفى؛ و لما كان الزرع المحترق أمرا محسوسا جعل فيما حصل له بعـــد[6] التعب من[7] العطب مثالا لأمر[8] معقول، و هو أموالهم فى كون إنفاقهم إياها لم يثمرلهم شيئا غير الخسارة و التعب[9]، فالمثلان ضياع الزرع و الإنفاق، و ضياع الزرع أظهر فهو مثل لضياع[10] الإنفاق لأنه أخفى، و قد بان أن الآية من الاحتباك: حذف أولا مثل الإنفاق لدلالة الريح عليه، و ثانيا الحرث لدلالة ما ينفق عليه.

و لما كان سبحانه و تعالى موصوفا بأنه الحكم العدل القائم بالقسط و أنه لا ينسى خيرا فعل قال دفعا لتوهم أن ذلك بخس[11]: ﴿ و ما ظلمهم ﴾ أى الممثل بهم و الممثل لهم ﴿ الله ﴾ الملك الأعظم [12]الغنىّ الغِنى[12] المطلق

(١) فى ظ: باتباع (٢-٢) سقط من مد (٣) فى ظ: غيرهم (٤) فى الأصول: الفاسدة (٥) فى ظ: شاهدا (٦) فى ظ: هذا (٧) فى ظ: عن (٨) فى ظ: لا امره. (٩) فى ظ: النعت (١٠) فى ظ: الضياع (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: يحسن - كذا (١٢-١٢) من مد، و فى الأصل: لغنى الغنى، و فى ظ: المغنى.

لأنه المالك المطلق، و قد كفروا، أما الممثل لهم فبكونهم أنفقوا على غير الوجه الذى شرعه، و أما الممثل بهم[1] فبكونهم لم يحرسوا زرعهم بالطاعات، و فى الآية دليل على أن أهل الطاعات تحرس ضوائعهم من الآفات و تخرق فيها العادات، ثم قال: ﴿ و لكن ﴾ و لما كان الممثل لأجلهم الذين كفروا أعم[2] من أن يموتوا عليه أو يسلموا لم يعبر ٥ فى الظلم بما تقتضيه[3] الجبلة من فعل الكون و قال: ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ﴾ فأفاد أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بتضييعهم[4] الأساس بكفرهم، و أن ظلمهم مقصور على أنفسهم، لا يتعداها إلى غيرها و إن ظهر[5] لإنفاقهم نكاية فى عدوهم، فان العاقبة لما[6] كانت للؤمنين كانت نكايتهم كالعدم، بل هى زيادة فى وبالهم، فهى[7] من ظلمهم لأنفسهم. ١٠

و لما كان الجمال بالمال لا سيما مع الإنفاق من أعظم المرغبات فى الموالاة، و كانت هذه الآية قد [8]صيرت جميله[8] قبيحا و بذوله شحيحا؛ قال سبحانه و تعالى - مكررا التنبيه على مكر ذوى الأموال و الجمال الذين يريدون إيقاع الفتنة بينهم من اليهود و المنافقين ليضمحل أمرهم و تزول شوكتهم[9]: ﴿ يآيها الذين ءامنوا ﴾ أى إيمانا صحيحا مصدقا ١٥ ادعاؤه بالعمل الصالح الذى من أعظمه الحب فى الله و البغض فى الله ﴿ لا تتخذوا بطانة ﴾ أى من تباطنونهم بأسراركم و تختصونهم[10] بالمودة

(١) فى ظ: لهم (٢) فى ظ: عم (٣) فى ظ: يقتضيه (٤) فى ظ: بتضيعهم (٥) فى ظ: اظهر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٧) فى ظ: و هى (٨-٨) فى ظ: جبرت حيلة - كذا (٩) فى ظ: شكوتهم (١٠) فى ظ: تخصمونهم.

و الصفاء و مبادلة المال و الوفاء ﴿ من دونكم ﴾ أى ليسوا منكم أيها المؤمنون، و عبر بذلك إعلاما بأنهم يهضمون[1] أنفسهم و ينزلونها [عن -[2]] علىّ درجتها[3] بموادتهم. ثم[4] وصفهم تعليلا للنهى بقوله: ﴿ لا يالونكم خبالا ﴾ أى يقصرون بكم [من -[5]] جهة الفساد؛ ثم بين ذلك بقوله
٥ على سبيل التعليل أيضا: ﴿ ودوا ما عنتم ج ﴾ أى تمنوا[6] مشقتكم.

و لما كان هذا قد يخفى بينه بقوله معللا: ﴿ قد بدت البغضآء من افواههم صلے ج ﴾ أى هى بينة فى حد ذاتها مع اجتهادهم فى إخفائها، لأن الإنسان إذا امتلأ من شىء غلبه بفيضه، و لكنكم لحسن ظنكم و صفاء نياتكم لا تتأملونها[7] فتأملوا. ثم أخبر عن علمه سبحانه قطعا و علم الفطن
١٠ من عباده بالقياس ظنا بقوله: ﴿ و ما تخفى صدورهم اكبر[8] ﴾ مما ظهر على سبيل الغلبة. ثم استأنف على طريق الإلهاب و التهييج قوله: ﴿ قد بينا ﴾ أى بما لنا من / العظمة ﴿ لكم ﴾ أى بهذه الجمل ﴿ الأيٰت ﴾ /٤٠٨ أى الدالات[9] على سعادة الدارين و معرفة الشقى و السعيد و المخالف و المؤالف. و زادهم إلهابا[10] بقوله: ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا
١٥ ﴿ تعقلون ﴾ ثم استأنف الإخبار [عن -[5]] ملخص[11] حالهم معهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عرضون - كذا (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: درجاتها (٤) فى ظ: فى (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يمنوا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يتاملونها (٨) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٩) فى ظ: الدالة (١٠) فى ظ: اتفاقا (١١) من مد، و فى الأصل: تلخص، و فى ظ: مخلص.

فقال

فقال منبها أو[1] مبدلا الهاء من همزة[2] الإنكار: ﴿ هآنتم اولآء ﴾ أى المؤمنون المسلمون المستسلمون ﴿ تحبونهم ﴾ أى لاغتراركم باقرارهم بالإيمان لصفاء بواطنكم[3] ﴿ و لا ﴾ أي و الحال أنهم [لا - [4]] ﴿ يحبونكم ﴾ لمخالفتهم لكم فى الدين، فانهم كاذبون فى إقرارهم بالإيمان ﴿ و تؤمنون ﴾ أى أنتم ﴿ بالكتب كله ج ﴾ أى و يكفرون هم به كله، ٥ إما بالقصد الأول و إما بالإيمان بالبعض و الكفر بالبعض ﴿ و اذا لقوكم قالوآ ﴾ أى لكم ﴿ امنا قلى ج ﴾ لتغتروا بهم ﴿ و اذا خلوا ﴾ أى منكم، و صوّر شدة حنقهم بقوله: ﴿ عضوا عليكم ﴾ لما يرون من ائتلافكم[5] و حسن أحوالكم ﴿ الانامل من الغيظ ﴾ أى المفرط منكم، و من جعل الهاء فى "هآنتم" بدلا عن همزة الاستفهام[6] فالمراد عنده[7]: أأنتم يا هؤلاء ١٠ [8] القرباء منى[8] تحبونهم و الحال أنهم على ما هم عليه من منابذتكم و أنتم على ما أنتم عليه من الفطنة بصفاء الأفكار و علىّ الآراء بقبولكم الحق كله، لأن المؤمن كيس[9] فطن؛ فهو استفهام - و إن[10] كان من وادى التوبيخ - المراد به التنبيه و التهييج[11] المنقل من سافل الدركات إلى[12] عالى الدرجات - و الله الموفق. ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: «و» (٢) فى ظ: الهمزة (٣) من ظ ومد، و فى الأصل: بواطنهم (٤) زيد من مد (٥) فى ظ: انقلابكم (٦) فى مد: استفهام (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: عند (٨ - ٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الغرباء متى - كذا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ليس (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: و انه (١١) فى ظ: التهيج (١٢) فى مد: اليه.

و لما كانوا كأنهم قالوا: فما نفعل؟ قال مخاطبا للرأس المسموع الأمر المجاب الدعاء: ﴿ قل ﴾ أى لهم[١] ﴿ موتوا بغيظكم ﴾ أى[٢] ازدراء بهم[٢] و دعاء عليهم بدوام الغيظ من القهر و زيادته حتى يميتهم[٣]. و لما كانوا يحلفون[٤] على نفى هذا ليرضوهم قال تعالى مؤكدا لما أخبر به لئلا ٥ يظن أنه أريد به غير الحقيقة: ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ عليم بذات الصدور ﴾ أى فلا تظنوا أنه أراد بعض ما يتجوز[٥] بالغيظ عنه.

و لما كان ما أخبرت به هذه الجمل من بغضهم و شدة عداوتهم محتاجا ليصل إلى المشاهدة إلى بيان دل عليه بقوله: ﴿ ان تمسسكم ﴾ أى ١٠ مجرد مس ﴿ حسنة تسؤهم ﴾ و لما كان هذا دليلا شهوديا و لكنه ليس صريحا أتبعه الصريح بقوله: ﴿ و ان تصبكم ﴾ أى بقوة مرها[٦] و شدة[٧] وقعها و ضرها ﴿ سيئة يفرحوا بها ﴾ و لما كان هذا أمرا[٨] مبكتا[٩] غائظا مؤلما داواهم[١٠] بالإشارة إلى النصر [مشروطا - [١١]] بشرط التقوى و الصبر فقال: ﴿ و ان تصبروا و تتقوا ﴾ أى تكونوا من أهل ١٥ الصبر و التقوى ﴿ لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ ثم علل ذلك بقوله:

---

(١) زيد بعده فى ظ: قل (٢-٢) فى مد: ازداد (٣) فى ظ: يمنيهم (٤) فى ظ: يحلفون، و فى مد: يخلقون (٥) من مد، و فى الأصل: ينجوز، و فى ظ: يجوز (٦) فى ظ: برها (٧) فى ظ و مد: و شديد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الامر (٩) فى الأصل: مبكما، و فى مد و ظ: منكيا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: دواهم (١١) زيد من مد.

﴿ان الله﴾ أى ذا[1] الجلال و الإكرام ﴿بما يعملون[2] محيط ه﴾ أى فهو يعد لكل كيد ما يبطله، و المعنى على قراءة الخطاب: بعملكم[3] كله، فمن صبر و اتقى ظفرته، و من عمل على[4] غير ذلك انتقمت منه.

و لما كان ما تضمنته هذه الآية من الإخبار و من الوعد [و من الوعيد -[5]] منطوقا و مفهوما محتاجا إلى الاجتلاء[6] فى صور[7] الجزئيات ٥ ذكرهم سبحانه و تعالى بالوقائع التى شوهدت[8] فيها أحوالهم[9] من النصر[10] عند العمل بمنطوق الوعد من الصبر و التقوى و عدمه عند العمل بالمفهوم، و شوهدت [فيها -[11]] أحوال عدوهم من المساءة عند السرور و السرور[12] عند المساءة[13]، و ذلك [14]غنى عن[14] دليل لكونه من المشاهدات، مشيرا إلى ذلك بواو العطف على غير مذكور، مخاطبا لأعظم ١٠ عباده[15] فطنة و أقربهم إليه رتبة، تهييجا لغيره إلى تدقيق النظر و اتباع الدليل من غير أدنى وقوف[16] مع المألوف فقال تعالى: ﴿و اذ﴾ أى اذكر[17] ما يصدق ذلك من أحوالكم[18] الماضية حين صبرتم و اتقيتم[19]

(١) فى ظ: ذى (٢) فى ظ: تعملون - كما قرأ الحسن و أبو حاتم بالتاء الفوقانية.
(٣) من ظ، و فى الأصل: يعلمكم، و فى مد: يعفكم (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الاختلا (٧) فى ظ: صورة (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: شهدت (٩) فى ظ: اقوالهم (١٠) من مد، و فى الأصل: النصير، و فى ظ: النضر (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: السرر (١٣) فى ظ: المسا (١٤ - ١٤) سقط من ظ (١٥) فى ظ: عبادة (١٦) فى ظ: وقوفا (١٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكر (١٨) من ظ و مد، و فى الأصل: احوالهم (١٩) فى ظ: و اتقيتم.

فنصرتم، و حين ساءهم نصركم[1] في كل ذلك في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، [ثم - [2]] في بدر، ثم في غزوة بني قينقاع و نحو[3] ذلك، و اذكر إذ لم يصبر[4] أصحابك فأصيبوا، و إذ سرتهم[5] مصيبتكم في وقعة أحد [إذ - [6]] ﴿ غدوت ﴾ أي يا خاتم الأنبياء و أكرم المرسلين! ﴿ من اهلك ﴾ أي بالمدينة الشريفة صبيحة يوم الجمعة إلى أصحابك في مسجدك لتستشيرهم[7] في أمر المشركين . و قد [8] نزلوا بأحد[8] في أواخر يوم الأربعاء، أو في يوم الخميس لقتالكم[9] . و بني من "غدوت" حالا إعلاما بأن الشروع في السبب شروع في مسببه فقال: ﴿ تبوئ ﴾ أي تنزل ﴿ المؤمنين ﴾ أي صبيحة / يوم السبت، و عبر بقوله: ﴿ مقاعد ﴾ إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم تقدم[10] إلى كل[11] أحد بالثبات[12] في مركزه، و أوعز[13] إليه في أن لا يفعل شيئا إلا بأمره لا سيما الرماة، ثم ذكر علة ذلك فقال: ﴿ للقتال ط ﴾ .

و لما كان التقدير: و تتقدم[14] إليهم بأبلغ مقال في تشديد الأقوال و الأفعال، أشار تعالى إلى أنه وقع في غضون[15] ذلك منه و منهم كلام

---

(١) في ظ: يضركم (٢) زيد من ظ و مد (٣) في مد: غير (٤) في ظ: لم يصيبو .
(٥) من ظ و مد، و في الأصل: سرهم (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: يستشيرهم (٨-٨) في ظ: بدلوا اباحة - كذا (٩) في ظ: انقا - كذا (١٠) في ظ: يقدم (١١) سقط من ظ (١٢) زيد بعده في ظ: و عبر .
(١٣) أي أشار . و في ظ: اوعر - كذا بالراء المهملة (١٤) من مد، و في الأصل و ظ: يتقدم (١٥) من مد، و في الأصل و ظ: عصون .

كثير

كثير [خفى -[1]] و جلى بقوله: ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الأعظم الذى أنتم فى طاعته ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم[2] ﴿ عليم ﴾ أى بنياتكم فى ذلك و غيره فاحذروه ، و لعله خص النبى صلى الله عليه و سلم بلذيذ الخطاب فى التذكير[3] تحريضا [لهم -[4]] مع ما تقدمت الإشارة إليه[5] على المراقبة تعريضا لهم[6] بأنهم خفوا[7] مع الذين ذكرهم ٥ أمر بعاث[8] حتى تواثبو[9] حين تغاضبوا إلى السلاح - كما ذكر فى سبب نزول قوله تعالى " يٰأيها الذين ءامنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتٰب[10] " - الآية ، فوقفوا عن نافذ الفهم و صافى الفكر خفة إلى ما أراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التحذير كله ، و يؤيد ذلك إقباله فى الخطاب عليهم عند نسبة الفشل إليهم - كما يأتى قريبا ، و لعله إنما خص هذه الغزوة بالذكر ١٠ [دون - [4]] ما ذكرت[11] أن واو عطفها دلت عليه مما[12] أيدوا فيه بالنصر لأن الشماتة بالمصيبة[13] أدل على البغضاء و العداوة من الحزن بما يسر ، و دل ذكرها على المحذوف لأن المدعى فيما قبلها شيئان[14] : المساءة بالحسنة[15] .

---

(١) زيد من مد (٢) فى ظ : لا اقرلكم - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : التذكر (٤) زيد من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : خصوا (٨) فى ظ : نبات (٩) من مد ، و فى الأصل : تواثبوا ، و فى ظ : تواثبوا - كذا (١٠) سورة ٣ آية ١٠٠ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر (١٢) من مد ، و فى الأصل وظ : بما (١٣) فى ظ : بالمصينة - كذا بالنون (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيان - كذا (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالحسية .

[و الفرح - [1]] و المسرة بالمصيبة ، فاذا برهن المتكلم على الثانى علم و لا بد أنه حذف برهان الأول ، و أنه إنما حذفه - و هو حكيم - لنكتة ، و هى [2] هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه بدلالة السياق مع واو العطف عليه ، و ما تقدم من كونه غير [3] صريح الدلالة فى أمر البغض على أنه تعالى قد ذكر بدرا - كما ترى - بعد محكمة [4] ستذكر ، و أطلق [5] سبحانه و تعالى - كما عن الطبرى و غيره - التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة ، فان الكفار لما نزلوا [6] يوم الأربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فى سفح أحد مكث رسول الله صلى الله عليه و سلم ينتظر [7] فيهم ما يأتيه من الوحى بقية يوم [8] الأربعاء و يوم الخميس و ليلة الجمعة [و باتت وجوه الأنصار فى المسجد بباب النبي صلى الله عليه و سلم يحرسونه صلى الله عليه و سلم - [9]] و حرست [10] المدينة الشريفة ، ثم دعا الناس صبيحة يوم الجمعة فاستشارهم فى أمرهم و أخبرهم برؤياه تلك الليلة : البقر [11] المذبوحة ، و الثلم فى سيفه ، و إدخال يده فى الدرع الحصينة [12] ، و كان رأيه مع رأى كثير من الصحابة المكث فى المدينة ، فان قاتلوهم فيها قاتلهم [13] الرجال مواجهة و [3] النساء و الصبيان من فوق الأسطحة ، وكان عبد الله بن أبي المنافق على هذا الرأى ، فلم يزل ناس ممن [14] أكرمهم الله

(١) زيد من مد (٢) فى ظ : و هو (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : محكه (٥) فى ظ : و الحق - كذا (٦) فى ظ : نزل (٧) فى ظ : ينظر (٨) سقط من مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل : حرسه ، و فى ظ : حرسة (١١) فى ظ : البقرة (١٢) فى مد : الحصبة - كذا (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قاتلوهم (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .

بالشهادة - منهم أسد الله و أسد رسوله عمه[1] حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه - يلحون عليه صلى الله عليه و سلم فى الخروج إليهم حتى أجاب فدخل بيته و لبس لأمته بعد أن صلى الجمعة فندموا[2] على استكراههم[3] له صلى الله عليه و سلم و هو يأتيه الوحى، فلما خرج إليهم أخبروه و سألوه فى الإقامة إن شاء فقال «ما كان ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن ٥ يضعها حتى يحكم الله بينه و بين عدوه»، و فى رواية: حتى يلاقى، فأتى الشيخين - و هما أطمان - فعرض[4] بهما[5] عسكره فقرغ[5] مع غياب الشمس، و رآه المشركون حين نزل بهما، و استعمل تلك الليلة على حرسه محمد ابن مسلمة، و استعمل المشركون على حرسهم[6] عكرمة بن أبى جهل، ثم أدلج من سحر ليلة السبت، و ندب الأدلاء[7] ليسيروا أمامه، و حانت[8] صلاة الصبح ١٠ فى الشوط[9] و هم بحيث يرون المشركين، فأمر بلالا رضى الله عنه فأذن و أقام[10]، و صلى بأصحابه صلى الله عليه و سلم الصبح صفوفا، فانخزل[11] عبد الله بن أبى بثلث العسكر فرجع و قال: أطاع الولدان و من لا رأى له و عصانى، و ما ندرى علام نقتل أنفسنا[12]! و تبعهم عبد الله بن عمرو

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: فقدموا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: استلزامهم (٤) فى ظ: بعرض (٥-٥) من مد، و فى الأصل: صكرة نفرح، و فى ظ: نفرح (٦) فى الأصل و مد: حرصهم، و فى ظ: حرستهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الاول - كذا (٨) فى ظ: وكانت (٩) اسم بستان فى المدينة - راجع معجم البلدان (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: و قام (١١) فى ظ: فانخزل ابى - كذا (١٢) من ظ ومد، و فى الأصل: الضعفا.

ابن حرام[1] أبو جابر بن عبد الله - أحد بنى سلمة و أحد من استشهد فى ذلك اليوم و كلمه الله قبلا - يناشدهم[2] الله فى الرجوع، فلم يرجعوا فقال: أبعدكم الله[3]! سيغنى الله نبيه صلى الله عليه و سلم[4] عنكم، و رجع فوافق النبى صلى الله عليه و سلم[4] يصف[5] أصحابه، و كادت طائفتان من الباقين - و هما[6] بنو سلمة عشيرة[7] عبد الله بن عمرو و بنو حارثة[8] - / أن تفشلا[9] لرجوع المنافقين[10]، ثم ثبتهم الله تعالى؛ و نزل صلى الله عليه و سلم الشعب من أحد، فجعل ظهره[11] و عسكره إلى أحد و عبأ أصحابه و قال: لا يقاتلن أحد حتى نأمره! و عين طائفة من الرماة و أنزلهم بعينين - جبيل[12] [هناك -[13]] من ورائهم[14] - و أوعز إليهم فى أن [15]لا يتغيروا منه[15] حتى يأمرهم إن كانت له أو عليه، حتى قال لهم: إن رأيتمونا تخطفنا[16] الطير فلا تعينونا، و إن رأيتمونا هزمناهم فلا تشركونا فى الغنيمة، و انضحوا[17] الخيل[18] عنا إذا أتت من ورائنا؛ و برز

410 / 5 ... 10

(١) من الإصابة، و فى الأصول: حزام (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: يباشدهم.
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: لصيف (٦) فى ظ: وهم.
(٧) من مد، و فى الأصل: غبيرة. و فى ظ: عسيرة (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: بنو حارسة - كذا بالسين (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: يفشلا.
(١٠) زيد بعده فى الأصل: و هما بنوا سلمة عشيرة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) فى ظ: طهر (١٢) من مد، و فى الأصل: حيين، و فى ظ: حنين - كذا (١٣) زيد من مد (١٤) فى ظ: و قدايهم - كذا (١٥-١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يتغروا عنه (١٦) فى مد: تخطفتنا (١٧) فى الأصول: انصحوا - كذا بالصاد المهملة (١٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الجبل.

صاحب

صاحب لواء المشركين و طلب المبارزة ، فبرز إليه رجل من المسلمين فقتله المسلم فحمله آخر و برز فقتل ، و فعلوا ذلك واحدا بعد واحد حتى تموا عشرة كلهم يقتل[1] ، فلما انكسرت قلوب المشركين بتوالى القتل فى أصحاب اللواء أمر النبى صلى الله عليه و سلم أصحابه فشدوا[2] فهزموا المشركين و خلوا عسكرهم و نساءهم ، و كانت الخيل كلما أتت ٥ من وراء[3] المسلمين نضحهم[4] الرماة بالنبل فرجعوا ، فلما وقع الصحابة رضى الله عنهم فى نهب العسكر خلى الرماة ثغرهم[5] ، فنهاهم أميرهم و حذرهم مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يطعه منهم إلا نحو العشرة ، فأتى أصحاب الخيل فقتلوا من بقى من الرماة ، ثم أتوا الصحابة رضى الله عنهم من ورائهم و هم ينتهبون ، فأسرعوا فيهم القتل و نادى إبليس : إن ١٠ محمدا قد قتل ، فانهزم[6] الصحابة رضوان الله عليهم ، و لم يثبت مع النبى صلى الله عليه و سلم منهم إلا قليل ما بين العشرة إلى الثلاثين - على اختلاف الأقوال ، فاستمر يحاول بهم العدو ، و الله تعالى يحفظه و يدافع عنه حتى دنت الشمس للغرب ، و صرف الله العدو ، فدفن النبى صلى الله عليه و سلم الشهداء و صف أصحابه رضى الله عنهم فأثنى على الله عز و جل ١٥ ثناء عظيما ، ذكر فيه فضله سبحانه و عدله ، و أن الملك ملكه يتصرف فيه كيف يشاء ، و رجع إلى[6] المدينة الشريفة و قد أصابته الجراحة فى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقتل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسدوا.
(٣) فى ظ : وا (٤) فى الأصل و مد : نصحهم ، و فى ظ : فصبحهم - كذا .
(٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : يعرهم - كذا (٦) سقط من ظ .

مواضـع من وجهه بنفسى[١] هو [و - [٢]] أبى و أمى و وجهى و عينى .

و لما كان [رجوع عبد الله بن أبى المنافق - كما يأتى فى صريح الذكر آخر القصة - من الأدلة على أن المنافقين فضلا عن المصارحين بالمصارمة متصفون [٣] بما أخبر [٣] الله تعالى عنهم من العداوة و البغضاء مع أنـه كان - [٤]] سببا فى هم الطائفتين من الأنصار بالفشل[٥] كان إيلاء هذه القصة للنهى عن اتخاذ بطانة السوء الذين لا يقصرون عن فساد فى غاية المناسبة ، و لذلك افتتحها سبحانه و تعالى بقوله - مبدلا من " اذ غدوت " دليلا على ما قبله من أن بطانة السوء لا تألوهم[٦] خبالا و غير ذلك - : ﴿ اذ همت طآئفتٰن ﴾ و[٧] كانا جناحى العسكر ﴿ منكم ﴾ أى بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثـة[٨] من الأوس ﴿ ان تفشلا لا ﴾ أى تكسلا و تراخيا و تضعفا و تجبنا[٩] لرجوع المنافقين عن نصرهم و ولايتهم فترجعا[١٠] كما رجع المنافقون ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن ذا الجلال و الإكرام ﴿ وليهما ط ﴾ و ناصرهما [لأنهما - [٤]] مؤمنتـان[١١] فلا يتأتى وقوع الفشل[١٢] و تحققه منهما لذلك[١٣] ، فليتوكلا عليـه وحده لإيمانهما ،

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بنفس (٢) زيدت الواو من مد (٣-٣) من مد ، و فى ظ : باخبار (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل : بالفسل ، و فى ظ : الفشل (٦) فى ظ : لا يـالوهم (٧) سقطت الواو من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بنوا حارسة - كذا بالسين . (٩) فى ظ : تحبنا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : فرجعا (١١) فى ظ : مومنان (١٢) من ظ و مد ، و فى لأصل : الفسل (١٣) فى ظ : كذاك .

أو يكون التقدير : فالعجب منهما كيف تعتمدان[1] على غيره سبحانه و تعالى لتضعفا بخذلانه[2] ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ على الله ﴾ أى الذى له الكمال كله وحده ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى الذين[3] صار الإيمان صفة [لهم - [4]] ثابتة[5]، [6] أجمعون لينصرهم[6]، لا على كثرة عدد و لا قوة جلد، و الأحسن تنزيل الآية على الاحتباك و يكون[7] أصل نظمها: ٥ و الله وليهما لتوكلهما[8] و إيمانهما [9] فلم يمكن الفشل[9] منهما، فتولوا الله و توكلوا عليه ليصونكم[10] من الوهن، و على الله فليتوكل المؤمنون كلهم ليفعل[11] بهم ذلك، فالأمر بالتوكل ثانيا دال[12] على وجوده أولا، و إثبات الولاية أولا دال[13] على الأمر بها[14] ثانيا، و فى البخارى فى التفسير عن جابر رضى الله عنه قال: فينا نزلت "اذ همت طائفتن منكم ان تفشلا" ١٠ قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة و بنو سلمة، و ما نحب أنها لم تنزل لقول الله عز و جل " و الله وليهما ".

---

(١) من مد، و فى الأصل: يعقدان، و فى ظ: يعتمدان (٢) فى الأصل: يختلانه، و فى ظ و مد: يخذلانه (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الذى. (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ثانية، و زيد بعده فى الأصل: ما لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦-٦) فى ظ: اجمعوا لينصروهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لتكون (٨) سقط من ظ. (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فلم يكن الفسل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لنصرتكم (١١) من مد، و فى الأصل: ليتفعل، و فى ظ: ليفعلوا. (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: دالا (١٣) فى ظ: دالا (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: به.

و لما كان ظاهر الحال فيما أصاب الكفار من المسلمين فى هذه الغزوة ربما كان سببا [١]فى شك[١] من لم يحقق بواطن الأمور و لا له أهلية النفوذ[٢] فى الدقائق من عجائب المقدور فى قوله تعالى "ان الذين كفروا / لن تغنى عنهم اموالهم و لا اولادهم [من الله شيئا -[٣]]"، "قل للذين كفروا ستغلبون[٤]" ذكرهم الله تعالى نصره [لهم -[٥]] فى غزوة بدر، و هم فى القلة دون ما هم الآن بكثير، مشيرا لهم[٦] إلى ما أثمره توكلهم من النصر، و حالهم إذ ذاك حال الآئس منه، و لذلك كانوا فى غاية الكراهة للقاء بخلاف ما كانوا عليه فى هذه الكرة[٧]، حثا على ملازمة التوكل، منبها على أنه لا يزال يريهم مثل ذلك النصر و يذيق الكفار أضعاف ذلك الهوان حتى يحق الحق و يبطل الباطل و يظهر دينه[٨] الإسلام على الدين كله فقال - عاطفا على ما تقديره: فمن توكل عليه نصره و كفاه و إن كان قليلا، فلقد نصركم الله أول[٧] النهار[٩] فى هذه الغزوة حيث[١٠] صبرتم و اتقيتم بطاعتكم للرسول صلى الله عليه وسلم [فى ملازمة التعب[١١] و الإقبال على الحرب و غير ذلك بما أمركم به صلى الله عليه و سلم -[٥]] و [١٢]لم تضركم قلتكم[١٢] و لا ضعفكم بمن رجع

(١-١) فى مد: لشك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: النفود (٣) زيد من ظ والقرآن المجيد سورة ٣ آية ١٠ و ١١٦ (٤) سورة ٣ آية ١٢، و فى ظ و مد: سيغلبون (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ: اليهم (٧) سقط من ظ (٨) فى مد: دين (٩) فى ظ: والنهار (١٠) فى مد: و حيث (١١) من مد، و فى ظ: التعز - كذا (١٢-١٢) من مد، و فى الأصل: لم يضركم قلتكم، و فى ظ: لن يضركم فيتكم.

عنكم

عنكم[1] شيئا - : ﴿ و لقد نصركم الله ﴾ بما له من صفات الجلال و الجمال ﴿ ببدر ﴾ المشار إليها أول السورة بقوله تعالى " قد كان لكم اية فى فئتين التقتا[2] " لما صبرتم و اتقيتم .

و لما كانوا فى عدد يسير[3] [أشار - [4]] إليه بجمع القلة فقال: ﴿ و انتم اذلة ج ﴾ أى فاذكروا ذلك و اجعلوه نصب أعينكم لينفعكم . و كان الإتيان بأمر ٥ بدر بعد آية الفشل المختتمة بالحث على التوكل فى الغاية من حسن النظم، و هو دليل أيضا على منطوق قوله تعالى " و ان تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئا " - كما[5] كان أمر أحد[6] دليلا على منطوقها و مفهومها معا : دل على منطوقها بنصرهم أول النهار[7] عند صبرهم ، و على مفهومها بادالة العدو عليهم عند فشلهم آخره - و الله الموفق ؛ [على أنك إذا أنعمت ١٠ التأمل فى قصة أحد من السير و كتب الأخبار علمت أن الظفر فيها ما كان - [8]] إلا للنبى صلى الله عليه و سلم كما سيأتى الخبر به فى قوله تعالى " و لقد صدقكم[9] الله وعده اذ تحسونهم باذنه[10] " - الآية، فإن الصحابة رضى الله عنهم هزموهم - كما مضى - فى أول النهار حتى لم يبق فى عسكرهم أحد ، و لا بقى عند نسائهم حام ، فلما خالف الرماة أمره ١٥

---

(١) فى ظ : منكم (٢) آية ١٣ (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(٨) زيد ما بين الحاجزين من مد (٩) من مد و القرآن المجيد ، و فى الأصل و ظ : نصركم (١٠) سورة ٣ آية ٥٢ .

صلى الله عليه و سلم و أقبلوا على الغنيمة أراد الله تأديبهم و تعريفهم أن نصرته لنبيه صلى الله عليه و سلم غير محتاجة فى الحقيقة إليهم [1] حين انهزمو [1] حتى لم يبق مع النبى صلى الله عليه و سلم منهم غير نفر يسير ما يبلغون الخمسين، و الكفار ثلاثة آلاف و خيلهم مائتان، فاستمر ٥ عليه الصلاة و السلام فى نحورهم يحاولهم و يصاولهم، يرامونه مرة و يطاعنون أخرى، و يجتمعون عليه كرة و يفترقون [2] عنه أخرى، و الله تعالى يمنعه [3] منهم بأيده و يحفظه [4] بقوته حتى تدلت الشمس للغروب، و قتل بيده صلى الله عليه و سلم أبي بن خلف مبارزة، تصديقا لما كان أوعده به قبل الهجرة، و خالطوه غير مرة و لم يمكنهم الله منه و لا ١٠ أقدرهم على أسر أحد من أصحابه، ثم ردهم خائبين بعد أن تراجع إليه أصحابه فى أثناء النهار، و لم يرجع صلى الله عليه و سلم من أحد إلا بعد انصرافهم و دفن من استشهد من أصحابه، و أما هم فاستمروا راجعين و لم يلووا [5] على أحد ممن قتل منهم، و هم اثنان [6] و عشرون [رجلا - [7]] من سرواتهم و حمال راياتهم . و قال الجلال الخجندى [8] فى كتابه فردوس [9] ١٥ المجاهدين : إنه صح النقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: ما نصر

(١-١) فى مد : فانهزموا (٢) من مد، و فى الأصل وظ : يخترقون (٣) من ظ و مد. و فى الأصل : يمنه - كذا (٤) فى ظ و مد : يحوطه (٥) فى ظ : لم يكدرا - كذا (٦) فى ظ : اثنا (٧) زيد من مد (٨) من مد، و فى الأصل : الحجندى، و فى ظ : الجحيدى (٩) من كشف الظنون، و وقع فى الأصول : فى دوس - كذا مصحفا .

النبي صلى الله عليه و سلم فى موطن[1] من المواطن نصرته [فى -[2]] يوم أحد -
انتهى . و كفى على ذلك دليلا ما نقل موسى بن عقبة - و سيرته أصح
السير فى غزوة الفتح - عن قائد الجيش بأحد[3] أبى سفيان بن حرب أنه
قال عند ما عرض عليه النبي صلى الله عليه و سلم الإسلام[4] : يا محمد!
٥ قد استنصرت إلهى و استنصرت إلهك ، فوالله ما لقيتك من مرة إلا
ظهرت على ، فلو كان إلهى محقا و إلهك مبطلا لقد ظهرت عليك[5]. و إنما
كانت الهزيمة و قتل من قتل لحكم و مصالح [لا تخفى -[2]] على من له
رسوخ فى الشريعة و ثبات قدم فى السنن ، و يمكن أن تكون هذه القصة
مندرجة فى حكم النهى فى القصة التى قبلها عن طاعة فريق من أهل الكتاب
١٠ عطفا على قوله تعالى "نعمت" فى قوله "و اذكروا نعمت الله عليكم
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم[6]" لتشابه / القصتين فى الإصغاء إلى /٤١٢
الكفار قولا أو[7] فعلا ، المقتضى لهدم[8] الدين [من -[2]] أصله ، لأن
همّ الطائفتين بالفشل إنما كان من أجل رجوع عبد الله بن أبى المنافق
حليف أهل الكتاب و مواليهم و مصادقهم و مصافيهم ، و يؤيد ذلك
١٥ نهيه تعالى فى أثناء هذه عن مثل ذلك بقوله تعالى "يآيها الذين امنوا
ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خسرين" و يكون

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مواطن (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى الأصول :
باخذ - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليك .
(٦) سورة ٣ آية ١٠٣ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٨) من مد ،
و فى الأصل : ابدم ، و فى ظ : الدم .

إسناد الفعل فى " غدوت " و أمثاله إلى النبى صلى الله عليه و سلم ، و [المراد - [1]] الإسناد إلى الجمع ، لأنه الرئيس لخطابه [2] خطابهم ، و لشرف هذا الفعل ، فكان الأليق إفراده به صلى الله عليه و سلم ، و أما الفشل و نحوه فأسند إليهم و قصر - كما هو الواقع - عليهم .

٥ و لما امتن [3] الله [4] سبحانه عليهم [بالنصرة - [5]] فى تلك الكرة سبب عن ذلك أمرهم بالتقوى إشارة إلى أنها السبب لدوام النعمة فقال : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى فى جميع أوامره و نواهيه مراقبين [6] له بذكر جميع جلاله و عظمته و كماله ﴿ لعلكم تشكرون ۝ ﴾ و قد استشكل هذا بأن التقوى التنزه عن المعاصى ، و الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم ، و شكر ١٠ الله صرف جميع ما أنعم به فى طاعاته ، فحينئذ التقوى من الشكر ، فان أريد العموم [انحل - [1]] الكلام إلى : اشكروا لعلكم تشكرون ، و لا يتحرر الجواب إلا بعد معرفة حقيقة التقوى لغة ؛ قال الإمام عبد الحق [7] فى كتابه الواعى : الواقية [8] ما وقاك الشر ، و كل شيء وقيت به شيئا [9] فهو [وقاء له و- [5]] وقاية ، و قوله سبحانه و تعالى " لعلكم تتقون " - قال ابن عرفة - ١٥ أى لعلكم أن تجعلوا بقبول ما أمركم به وقاية بينكم و بين النار - انتهى . فاتضح أن [9] حقيقة " و اتقوا " : اجعلوا بينكم و بين عذابه وقاية ، و أن

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لخاطبه ، و فى ظ : مخاطبة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسن - كذا (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مراقبتين - كذا (٧) فى مد : عبد الله (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الواهية (٩) سقط من ظ .

سبب

ـبب اتخاذ[1] الوقاية الخوف من ضار. فالظاهر ـ و الله أعلم ـ أن "اتقوا"
بمعنى: خافوا ـ مجازا مرسلا من إطلاق اسم المسبب على السبب ، فالمعنى:
خافوا الله لتكونوا على رجاء من أن يحملكم خوفه[2] على طاعته على سبيل
التجديد[3] و الاستمرار ، و لئن سلمنا أن التقوى من الشكر فالمعنى: اشكروا
هذا الشكر الخاص ليحملكم على جميع الشكر ، و غايته أنه نبه على [أن ـ[4]] ٥
هذا الفرد من الشكر هو أصل الباب الذى يثمر باقيه ، و هو المراد بقول[5]
ابن هشام فى السيرة: إن المعنى: فاتقونى[6] ، فانه شكر[7] نعمتى ، و يجوز
أن يكون: لعلكم تزدادون[8] نعما فتشكرون[9] عليها[10] ـ إقامة للسبب مقام
السبب ـ و الله أعلم .

و لما اشتملت هذه القصة على المصيبة التى سيقص الله كثيرا منها ، ١٠
و[11] هى مستوفاة[11] فى السير[12] كان أنسب[12] من قصها و بيان ما اتفق
لها ـ لوعظ من يأتى ـ البداءةُ بتذكير من باشرها بما وعدهم الله به[13] على لسان
نبيه صلى الله عليه و سلم قبل وقوع القتال من النصر[14] المشروط بالصبر

(١) فى ظ: اتحاد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: خوفكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل: التحديد (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ: بقوله (٦) من السيرة ٢/ ٩٥ ، و فى الأصول: فاتقون (٧) من السيرة ، و فى الأصول: يشكر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل: ترداو ـ كذا (٩) فى مد: تشكرون (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ: عليه (١١-١١) فى ظ: هو مستوفا (١٢-١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ: و كان السبب (١٣) سقط من ظ (١٤) زيد بعده فى الأصل و ظ: و الأمر ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

و التقوى تنبيها لهم على أن الخلل من جهتهم أتى ، ثم وعظهم بالنهى
عما منعهم النصر ، و الأمر بما يحصله لهم كما سيحثهم على ذلك بما يقص
عليهم من نبأ من قاتل مع الأنبياء قبلهم[1] بأنهم لما أصابهم[2] القتل
لم يهنوا و علموا أن الخلل من أنفسهم ، فبادروا إلى إصلاحه[3] بأفعال المتقين
٥ من الصبر[4] و التضرع و الإقرار بالذنب ، فقال - مبدلا من "اذ غدوت"
عودا على بدء[5] تعظيما للأمر حثا على النظر فى موارده[6] و مصادره
و التدبر لأوائله و أواخره - : ﴿ اذ تقول للمؤمنين ﴾ أى الذين شاورتهم
فى أمر أحد - و فى غمارهم المنافقون - لما زلزلوا برجوع أكثر المنافقين ،
حتى كاد بعض الثابتين أن يرجع ضعفا و جبنا ، مع ما كان النبي صلى الله
١٠ عليه و سلم أخبرهم به من تلك الرؤيا [التى - [7]] أولها بذبح يكون فى
أصحابه ، ليكون إقدامهم على بصيرة ، أو يصدهم ذلك عن الخروج[8] إلى
العدو ، كما كان ميل[9] النبي صلى الله عليه و سلم فى أكثر أصحابه و إعلامهم
إلى المكث فى المدينة قال منكرا آتيا بأداة التأكيد للنفى : ﴿ الن
يكفيكم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان يمدكم ﴾ إمدادا خفيا - بما أشار إليه
١٥ الإدغام ﴿ ربكم ﴾ أى المتولى لتربيتكم و نصر / دينكم ﴿ بثلثة الف ﴾ / ٤١٣

(١) فى ظ : قتلهم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اصابوا (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : اصاحبه - كذا (٤) فى ظ : لصبر (٥) فى ظ : ندى (٦) من مد ،
و فى الأصل : بوادره ، و فى ظ : نوادره (٧) زيد من مد (٨) زيد بعده فى
الأصل : الرويا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من ظ و مد ،
و فى الأصل : مثل .

ثم عظم أمرهم[1] بقوله: ﴿ من الملئكة ﴾ ثم زاد فى إعظامهم بأنهم من السماء بقوله: ﴿ منزلين ﴾ ثم تولى سبحانه و تعالى هو الجواب عنهم تحقيقا للكفاية فقال: ﴿ بلى ﴾ أى يكفيكم ذلك، ثم استأنف قوله[2]: ﴿ ان تصبروا و تتقوا ﴾ أى توقعوا الصبر و التقوى لله ربكم، فتفعلوا ما يرضيه و تنتهوا عما يسخطه ﴿ و يأتوكم ﴾ أى الكفار ﴿ من فورهم[3] ﴾ ٥ أى وقتهم، استعير للسرعة التى لا تردد فيها، من: فارت القدر - إذا غلت ﴿ هذا ﴾ أى فى هذه الكرة ﴿ يمددكم ﴾ أى إمدادا جليا - بما أشار إليه إشارة لفظية[4]: الفك[5]، و إشارة معنوية: التسويم ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بأكثر من ذلك ﴿ بخمسة الف من الملئكة ﴾ ثم بين أنهم من أعيان الملائكة بقوله: ﴿ مسومين ﴾ أى معلمين بما يعرف ١٠ به مقامهم فى الحرب، و الظاهر من التعبير بالتسويم إفهام القتال، و من[6] الاقتصار على الإنزال عدمه، و يكون فائدة نزولهم البركة بهم و إرهاب الكفار بمن يرونه منهم. قال البغوى: قال ابن عباس و مجاهد: لم يقاتل الملائكة فى المعركة إلا يوم بدر، و فيما سوى ذلك يشهدون[7] القتال و لا يقاتلون، إنما يكونون[8] عددا و مددا. ١٥

و لما كان التقدير: و ليس الإمداد بهم موجبا للنصر، و كان قد قدم فى أول السورة قوله "و الله يؤيد بنصره من يشاء[9]" قال هنا

(١) فى ظ: امنهم (٢) فى مد: بقوله (٣) زيد بعده فى ظ: هذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لفظة (٥) فى ظ: الفلك - كذا (٦) فى ظ: زمن (٧) فى ظ: يشهد ولنا (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: يكون (٩) آية ١٣.

قاصرا للأمر عليه : ﴿ و ما جعله الله ﴾ أى الإمداد المذكور و[١] ذكره لكم على ما له[٢] من الإحاطة بصفات الكمال التى لا يحتاج مراقبها[٣] إلى شيء[٤] أصلا ﴿ الا بشرى ﴾ .

و لما كانت الهزيمة عليهم فى هذه الكرة ، و كان المقتول منهم أكثر قال : ﴿ لكم ﴾ لئلا يتوهم أن ذلك بشرى لضدهم ، و لمثل هذا قدم القلوب فقال : ﴿ و لتطمئن ﴾ و علم أن التقدير - لتكون[٥] الآية من الاحتباك : لتستبشر[٦] نفوسكم به و طمأنينة لكم لتطمئن ﴿ قلوبكم به ﴾ أى الإمداد ، فحكم هنا بأنه بشرى مقيدا بلكم ، فكانت العناية بضمير[٧] أشد حتى كأنه قيل[٨] : إلا و[٩] بشرى لكم[٩] و طمأنينتكم ، فوجب تأخير ضميره عنهم ، و المعنى أنهم كانوا أولا خائفين ، فلما وردت البشرى اطمأنوا بها رجاء أن يفعل بهم مثل ما فعل فى بدر ، فلما اطمأنوا بها وقع النصر كما وقع به الوعد ثم [لما - [١٠]] اطمأنت قلوبهم إلى شيء ألزّ قوتها[١١] لأنه قد سبق لها نصر و سرور [١٢]بضرب و طعن[١٢] فى بدر و غيرها

---

(١) سقطت الواو من مد (٢) من مد، وفى الأصل وظ : لكم (٣) من مد، وفى الأصل وظ : مراقبتها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشيء ، و زيد بعده فى مد : علمه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليكون (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتبشر (٧) من مد ، و فى الأصل : يضمر ، و فى ظ : تضمر . (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : قال (٩-٩) فى ظ و مد : بشراكم (١٠) زيد من ظ و مد (١١) أى شدها ، و فى الأصل : الن ، و فى مد : من ، و فى ظ : الربا - كذا (١٢-١٢) فى مد : بطعن و ضرب .

و غيرها فلمحت نحو شيء من ذلك؛ حصلت الهزيمة[1] ليصيروا إلى حق اليقين بأنه[2] لا حول لهم و لا قوة، و لذلك قال تعالى: ﴿ و ما النصر ﴾ أي في ذلك و غيره ﴿ إلا من عند الله ﴾ أي المستجمع لصفات الكمال، لا بمدد [و لا غيره -[3]] فلا تجدوا في أنفسكم من رجوع [من رجع -[4]] و لا تأخر[5] من تأخر و لا هزيمة من انهزم . ٥

و لما قدم أمر بدر هنا و أول السورة، و تحقق بذلك ما له من العزة و الحكمة قال: ﴿ العزيز ﴾ الذي لا يغالب، فلا يحتاج إلى قتال أحد و لا يحتاج في نصره - إن قاتل - إلى معونة أحد ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء في أتقن[6] محالها[7] من غير تأكيد، أي الذي نصركم قبل هذه الغزوة و في أول النهار فيها، ليس لكم و لا لغيركم ناصر غيره، ١٠ فمتى[8] التفت أحد إلى سواه وكله إليه فخذل، فاحذروه لتطيعوه[9] طاعة أولي الإحسان في كل أوان، و هذا بخلاف ما في قصة بدر في الأنفال [و سيأتي إن شاء الله ما يتعلق بها من المقال مما اقتضاه هناك الحال، و الحكيم رأس آية بإجماع أهل العلم - كما في الأنفال -[10]]، و لما قرر الوعد ذكر ثمرته فقال معلقا الجار بيمددكم: ﴿ ليقطع ﴾ أي بالقتل ١٥ ﴿ طرفا ﴾ أي طائفة من كرامهم، يهنون[11] بهم ﴿ من الذين كفروا ﴾ أي و يهزم الباقين ﴿ أو يكبتهم ﴾ [أي يكسرهم و يردهم بغيظهم مع الخزي

---

(١) في ظ: العريمة (٢) في ظ: بأنهم (٣) زيد من مد، و موضعه في ظ: ولا عدد.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ: تأخير (٦) زيد بعده في ظ: مواضع.
(٧) في مد: وما لها (٨) في ظ: فمت (٩) سقط من ظ (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) من مد، و في الأصل: يلعنون، و في ظ: تهنون.

أذلاء. و أصل الكبت صرع الشيء على وجهه ﴿ فينقلبوا ﴾ - [١]] أي كلهم مهزومين ﴿ خآئبين ﴾ و ذلك في كلتا الحالتين بقوتكم عليهم بالمدد و ضعفهم[٢] عنكم به، و يجوز تعليق "ليقطع" بفعل التوكل، أي فليتوكلوا عليه ليفعل بأعدائهم ما يشاءه من نصركم عليهم، فيقبل[٣] بهم إلى الإسلام

٥ رغبة أو[٤] رهبة، أو يميتهم على كفرهم فيديم عذابهم مع عافيتهم منهم[٥] و رأيت في سير الإمام محمد بن عمر الواقدي ما يدل على تعليقه بجعل من قوله " و ما جعله الله الا بشرى" أو بقوله "و لتطمئن"، و هو حسن أيضا.

و لما كان صلى الله عليه و سلم / حريصا على طلب الإدالة[٦] عليهم[٧] /٤١٤

١٠ ليمثل بهم كما مثلوا بعمه حمزة و عدة من أصحابه رضى الله عنهم قال تعالى: ﴿ ليس لك من الأمر ﴾ أي فيهم ولا غيرهم ﴿ شيء ﴾ موسطا له بين المتعاطفات، يعني من الإدالة[٦] عليهم بقتل أو هزيمة تدرك بهما[٨] ما تريد، بل الأمر له كله، إن أراد فعل بهم ما تريد، و إن أراد منعك منه بالتوبة عليهم أو إماتتهم[٩] على الكفر حتف الأنف فيتولى هو عذابهم،

١٥ و ذلك معنى قوله: ﴿ او يتوب عليهم ﴾ [أي كلهم بما يكشف عن قلوبهم من حجاب الغفلة فيرجعوا عما هم عليه من الظلم - [١٠]] ﴿ او يعذبهم ﴾ كلهم بأيديكم[١١] بأن تستأصلوهم فلا يفلت منهم أحد، أو يعذبهم هو من

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٢) في مد: ضعفكم (٣) في ظ: فليقبل.
(٤) من مد، و في الأصل و ظ «و» (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: الادلة.
(٧) من مد، و في الأصل و ظ: عليه (٨) من مد، و في الأصل و ظ: بهم.
(٩) من مد، و في الأصل و ظ: اماتهم (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد.
(١١) من مد، و في الأصل و ظ: بايديهم.

غير واسطتكم بما يستدرجهم به مما يوجب إصرارهم[1] حتى يموتوا على الكفر مع النصر عليكم [2]و غيره[2] مما هو لهم فى صورة النعم الموجب لزيادة عقابهم . ثم علل الأقسام الأربعة بقوله: ﴿ فانهم ظلمون ﴾ و فى المغازى من صحيح البخارى معلقا[3] عن حنظلة بن أبى [سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو ٥ على صفوان بن -[4]] أميـــة و سهيل بن عمرو و[5] الحـارث بن هشام فـنزلت "ليس لك من الامر شيء - إلى قوله: ظلمون"، و رواه[6] موصولا فى المغازى و التفسير[7] و الاعتصام عن سالم عن أبيه بغير هذا اللفظ ، و فيه « اللهم العن فلانا و فلانا » .

و لما كان التقدير: بل الأمر له سبحانه وحده عطف عليه قوله - ١٠ مبينا لقدرته على ما قدم[8] من فعله بـهم على وجه أعم -: ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعظم وحده ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ أى كلها على عظمها من عاقل و غيره ، و عبر بـ'ما' لأن غير العاقل أكثر و هى به أجدر ﴿ و ما فى الارض ط ﴾ كذلك مِلكا و مُلكا فهو يفعل فى مِلكه [2]و مُلكه[2] ما يشاء ،[و فى -[4]] التعبير بـ'ما' أيضا إشارة إلى أن الكفرة الذين السياق ١٥ لهم فى عداد ما لا يعقل .

(١) فى الأصل : اصراهم ، وفى ظ ومد : اضرارهم (٢-٢) سقط من ظ .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : مطلقا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) سقطت الواو من ظ (٦) فى ظ : راوه - كذا (٧) سقط من مد .
(٨) فى ظ : تقدم .

و لما كانت الأقسام كلها[1] راجعة إلى قسمين : عافيـة و عذاب ، قال - مترجما[2] لذلك مقررا لقوله " ليس لك من الامر شيء " - : ﴿ يغفر لمن يشآء ﴾ أى منهم و من غيرهم فيعطيه[3] ما يشاء[4] [من - [5]] خيرى[6] الدنيا و الآخرة ، و يغنيه[7] عن الربا[8] و غيره ﴿ و يعذب من يشآء ط ﴾ بالمنع عما يريد من خيرى الدارين ، [9]لا اعتراض[9] عليـه ، فلو عذب الطائع و نعّم العاصى لحسن[10] منـه ذلك ، و لا يقبح منه شيء ، و لا اعتراض بوجه عليه ، هذا مدلول الآيـة و هو لا يقتضى أنه يفعل أو[11] لا يفعل .

و لما كان صلى الله عليه و سلم لشدة غيظه[12] عليهم فى[13] الله جديرا[14] بالانتقام منهم بدعاء أو غيره أشار له[15] سبحانه إلى العفو للحث[16] على التخلق بأخلاق الله الذى سبقت رحمته غضبه بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى المختص بالجلال و الإكرام ﴿ غفور رحيم ؏ ﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا ، مكرم بعد ذلك بأنواع الإكرام ، فانطبق ذلك على إيضاح[17] " ليس لك " و إفهامه الموجب لاعتقاد أن يكون له سبحانه و تعالى الأمر

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : مترحما - كذا (٣) فى ظ : نعطيه - كذا (٤) فى مـد : شاء (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : خير . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعينه (٨) فى ظ : الرياء (٩-٩) فى ظ : الاعتراض . (١٠) سقط من مد (١١) فى ظ « و » (١٢) من مـد ، و فى الأصل و ظ : غيظهـم (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : جدير (١٥) فى ظ : اليه (١٦) فى مد : بانثث - كذا (١٧) فى ظ : نصاح - كذا .

وحده . و لما أنزل[1] عليه ذلك و ما فى آخر النحل مما[2] للصابرين و العافين حرم المثلة و اشتد نهيه صلى الله عليه و سلم عنها، فكان لا يخطب خطبة إلا منع منها .

و لما كان الختم بهاتين الصفتين ربما أطمع فى انتهاك الحرمات لاتباع الشهوات[3]، فكان مبعدا لمتعاطيه من الرحمة مدنيا من النقمة، ٥ و كان أعظم المقتضيات للخذلان تضييعهم للثغر[4] الذى أمرهم النبى صلى الله عليه و سلم بحفظه بسبب[3] إقبالهم[5] قبل [6]إتمام هزيمة[6] العدو على الغنائم[7] للزيادة فى الأعراض الدنيوية التى هى [معنى - [8]] الربا فى اللغة إذ هو [9]مطلق الزيادة[9] أقبل تعالى عليهم بقوله : ﴿ يٰٓأيها الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان! صدقوا إيمانكم بأن ﴿ لا تاكلوا الربوٰٓا ﴾ ١٠ أى المقبح[10] فيما تقدم أمره غاية التقبيح، و هو كما ترى إقبال متلطف[11] مناد لهم باسم الإيمان الناظر إلى الإنفاق المعرض عن التحصيل " و مما رزقنٰهم ينفقون[12] "، " و المنفقين و المستغفرين بالاسحار[13] "، " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون[14] " ناه عن الالتفات إلى الدنيا بالإقبال على غنيمة أو غيرها

---

(١) فى ظ : انزلت (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : للسفر - كذا (٥) فى ظ : اقتالهم (٦-٦) من مد، و فى الأصل : تمام عزيمة ، و فى ظ : اتمام عريمة - كذا (٧) فى مد : العظائم.
(٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : معلق لزيادة (١٠) فى مد : المتقبح (١١) فى مد : متطلعا (١٢) سورة ٢ آية ٣ (١٣) سورة ٣ آية ١٧ .
(١٤) سورة ٣ آية ٩٢ .

بطريق الإشارة بدلالة التضمن، إذ المطلق جزء المقيد، ففى هذه العبارة التى صريحها ناه عن الإقبال على الدنيا إقبالا[1] يوجب الإعراض عن الآخرة باستباحة أكل / الربا المتقدم فى البقرة من النهى عنه من المبالغة ما يردع من له أدنى تقوى، و يوجب لمن لم يتركه[2] و ما يقاربه الضمانَ بالخذلان ٥ فى كل زمان " فان لم تفعلو افاذنوا بحرب من الله و رسوله[3] "، " اولٰـئك[4] الذين اشتروا الحيوٰة الدنيا بالأخرة فلا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينصرون ".

/٤١٥

و لما كان فى تركه الإثخان فى العدو بعد زوال المانع منه بالهزيمة مع أن فيه من حلاوة الظفر ما يجل عن الوصف لأجل الغنيمة التى هى ١٠ لمن[5] [غلب - ٦]، و ليس فى المبادرة إلى حوزها كبير فائدة، دلالة على تناهى الحب للتكاثر، ناسب المقام ربا التضعيف فقال : - أو يقال : لما كان سبب الهزيمة طلبهم الزيادة بالغنيمة، و كان حب الزيادة حلالا قد يجر إلى حبها حراما، فيجر إلى الربا المضاعف، لأن من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه قال - : ﴿ اضعافا مضٰعفة ص ﴾ أى لا تتهيأوا[7] لذلك ١٥ باقبالكم على مطلق الزيادة، فان المطلوب منكم بذل المال فضلا عن الإعراض عنه فضلا عن الإقبال عليه، فالحاصل أنها دلت على الربا بمطابقتها،

---

(١) زيد بعده فى الأصل : لا، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يتركه (٣) سورة ٢ آية ٢٧٨ (٤) من القرآن المجيد سورة ٢ آية ٨٦، و فى الأصول : اوليكم - كذا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : لما (٦) زيد من مد (٧) من ظ، و فى الأصل و مد : لا يتهيوا .

و على مطلق الزيادة بتضمنها ، و هي من وادي[1] قوله صلى الله عليه و سلم «من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» ، وختام الآية بقوله : ﴿و اتقوا الله﴾ أي الملك الأعظم ﴿لعلكم تفلحون ۝﴾ مشير إلى ذلك ، أي [و - [2]] اجعلوا بينكم و بين مخالفة نهيه عن الربا[3] وقاية بالإعراض عن[4] مطلق محبة الدنيا و الإقبال عليها ، لتكونوا على رجاء من الفوز بالمطالب ، ٥
فمن له ملك الوجود و ملكه فانه جدير بأن يعطيكم من ملكه إن اتقيتم ، و يمنعكم[5] إن تساهلتم ، فهو[6] نهى عن الربا بصريح العبارة ، و تحذير من أن يعودوا إلى ما صدر منهم من الإقبال على الغنائم قبل انفصال الحرب فعلا[7] و قوة بطريق الإشارة ، و هي من أدلة إمامنا الشافعي على استعمال اللفظ في حقيقته و مجازه ، و الذي دلنا[8] على إرادة المعنى التضمني[9] ١٠
المجازي نظمها ، و الناظم حكيم في سلك هذه القصة[10] و وضعها في هذا الموضع ، فلا يقدح في ذلك أنه قد كان في هذه القصة أمر يصلح أن يكون سببا لنزول هذه الآية و وضعها هنا ، لأن ذلك غير لازم و لا مطرد ، فقد كان حلفه[11] صلى الله عليه و سلم أنه يمثل بسبعين منهم كما مثلوا بعمه

---

(١) في ظ : زادي (٢) زيد من مد (٣) في مد : الزيادة (٤) في ظ : من . (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : و منعكم ، و العبارة من بعده إلى «ما صدر» ساقطة من ظ (٦) في مد : فهي (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : فعال (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : ادلنا (٩) من مد ، و في الأصل : المتضمن ، و في ظ : التضمين (١٠) العبارة من هنا إلى «هذه القصة» متكررة في ظ (١١) في الأصل : خلقه ، و في ظ و مد : خلفه - كذا .

حمزة رضى الله عنه سببا لنزول آخر سورة النحل "و ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به[١]" - إلى آخرها ، و لم توضع هنا ، و الأمر الصالح لأن يكون سببا لها ما روى أبو داود فى سننه بسند رجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة أن عمرو بن أقيش[٢] رضى الله عنه كان له ربا فى الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه ، فجاء يوم أحد فقال : أين بنو عمى ؟ قالوا : بأحد ، قال : أين فلان ؟ قالوا : بأحد[٣] ، [٤]قال : فأين[٤] [فلان - [٥]] ؟ قالوا : بأحد ، فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم ، فلما رآه[٦] المسلمون قالوا : إليك عنا يا عمرو ! قال : إنى قد آمنت ، فقاتل [حتى - [٧]] جرح ، فحمل إلى أهله جريحا ، فجاءه سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال لأخته : سليه : حمية لقومك أو غضبا [لهم ، أم غضبا - [٥]] لله عز و جل ؟ فقال : بل غضبا لله عز و جل و رسوله صلى الله عليه و سلم ، فمات فدخل الجنة و ما صلى لله[٨] عز و جل صلاة . و القصة فى جزء[٩] عبيد الله بن محمد بن حفص العيشى[١٠] - بالمهملة ثم التحتانية ثم المعجمة - تخريج أبى القاسم

(١) سورة ١٦ آية ١٢٦ (٢) من سنن أبي داود - باب فيمن يسلم ويقتل مكانه فى سبيل الله عز و جل ، و فى الأصل و مد : اقيس ، و فى ظ : قيس (٣) العبارة من بعده إلى « قالوا باحد » سقطت من ظ و مد (٤ - ٤) من السنن ، و فى الأصول : قالوا اين (٥) زيد من السنن (٦) من السنن ، و فى الأصول : راوه . (٧) زيد من مد و السنن (٨) من السنن ، وفى النسخ : الله (٩) فى الأصل : جزء و فى ظ : جزى ، و فى مد : جزا - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : العيسى - كذا بالسين المهملة ، و قد ضبطه المفسر رحمه الله .

عبد

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، و الجزء السابع عشر من المجالسة للدينورى من طريق حماد بن سلمة شيخ[1] أبى داود، و لفظ العيشى[2]: إن عمرو بن وقش - و قال الدينورى: أقيش - كان له ربا فى الجاهلية، و كان يمنعه [ذلك -[3]] الربا من الإسلام حتى يأخذه ثم يسلم، فجاء ذات يوم و رسول الله صلى الله عليه و سلم - زاد الدينورى: و أصحابه - ٥ بأحد فقال: أين سعد بن معاذ؟ و قال العيشى[4]: فقال لقومه: أين سعد ابن معاذ؟ قالوا: هو بأحد، قال الدينورى: فقال: أين بنو أخيه؟ قالوا: بأحد، فسأل/ عن قومه، فقالوا: بأحد، فأخذ سيفه و رمحه و لبس لأمته، /٤١٦ ثم أتى أحدا؛ و قال الدينورى: ثم ذهب إلى أحد، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو! قال: إنى قد آمنت! فقاتل فحمل إلى أهله جريحا، ١٠ فدخل عليه[5] سعد بن معاذ فقال - يعنى لأمراته - : سليه! و قال العيشى: فقال لأخته:ناديه، فقولى؛ و قال الدينورى: فقالت: أ جئت غضبا لله و رسوله أم حمية و غضبا لقومك؟ فنادته، فقال: جئت غضبا لله و رسوله! فمات فدخل الجنة و لم يصل لله قط؛ و قال الدينورى: قال أبو هريرة: [و دخل الجنة و ما صلى لله صلاة. و رواها ابن إسحاق و الواقدى عن ١٥ أبى هريرة رضى الله عنهم -[6]] أنه كان يقول: حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط؛ و قال الواقدى: أخبرونى برجل يدخل الجنة

(١) سقط من ظ (٢) من مد، و فى الأصل وظ: العيسى (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: العيسى (٥) سقط من مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد.

لم يسجد[1] لله سجدة قط، فيسكت الناس، فيقول أبو هريرة رضى الله عنه: هو أخو بنى عبد الأشهل؛ و قال ابن إسحاق: فاذا لم يعرفه الناس سألوا: من هو؟ فيقول: أصيرم بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت [بن - [2]] وقش[3] رضى الله تعالى عنه؛ زاد ابن إسحاق: قال الحصين[4] - يعنى شيخه -:
٥ فقلت لمحمود بن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم[5] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له فى الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا[6] حتى دخل فى عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته[7] الجراحة، فبينما[8] رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم[9] فى المعركة إذا هم به، فقالوا: و الله إن
١٠ هذا للأصيرم[10]! ما جاء به؟ لقد تركناه و إنه لمنكر بذا[11] الحديث! فسألوه ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحدب[12] على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ فقال: بل رغبة فى الإسلام، آمنت بالله و برسوله [و أسلمت - [2]]، ثم أخذت سيفى فغدوت[13] مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، [ثم - [14]] قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى، ثم لم يلبث أن

(١) فى ظ و مد: لم يصل (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: و قس (٤) فى ظ: الحصنى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بينهم (٦) فى ظ: فغذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اثبت (٨) فى مد: فبينا - كذا (٩) فى ظ: قتالهم - كذا (١٠) فى ظ: الاصيوم (١١) فى مد: بهذا، و فى سيرة ابن هشام ٢ / ٨٨: لهذا (١٢) أى تعطف، و فى ظ: احدث - كذا (١٣) فى ظ: و عدوت (١٤) زيد من ظ و مد.

مات فى أيديهم. فذكروه[١] لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: إنه لمن أهل الجنة - و المعنى على هذا: يا أيها الذين[٢] يريدون الإيمان! لا تفعلوا مثل فعل الأصيرم فى تأخير إيمانه لأجل الربا، بل سابقوا الموت لئلا يأتيكم بغتة فتهلكوا. أو يا أيها الذين أخبروا عن أنفسهم بالإيمان و رسوخ[٣] الإذعان فى أنفسهم و الإيقان[٤] بمر الزمان! افعلوا[٥] مثل فعله[٦] ٥ ساعة أسلم[٧] فى صدق الإيمان و إسلام نفسه إلى ربه بركوب الأهوال فى غمرات القتال من غير خوف و لا توقف و لا التفات إلى أمر دنيوى و إن عظم: فقد بان أنه نبه بالإشارة إلى قصة بدر ثم بهذه الآية على أن من أعرض عن الدنيا حصلت له بعز و إن كان قليلا، و من أقبل عليها فاتته بذل و إن كان كثيرا[٨] جليلا، لأن من له ملك السماوات ١٠ و الأرض يفعل ما[٩] يشاء، و لا تفيد[١٠] الآية إباحة مطلق الفضل فى الربا ما لم ينته إلى[٩] الأضعاف المضاعفة، لأن إفهامها لذلك معارض لمنطوق[١١] آيات البقرة الناهية عن مطلق الربا، و المفهوم لا يعمل به إذا عارض منطوق نص آخر، - و هذا من مزيد الاعتناء بشأن الربا إذا حرم كل نوع منه فى آية تخصه، فحرم ربا الفضل فى آيات البقرة، ١٥

(١) فى ظ: فذكره (٢) زيد بعده فى ظ: امنوا (٣) فى ظ: رجوع (٤) فى ظ: الإيمان (٥) فى ظ: فعل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: فعل.
(٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يسلم (٨) من مد، و فى الأصل وظ: كبيرا.
(٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تقييد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: المنطوق.

و يلزم من تحريمه تحريم ربا الأضعاف، ثم نص عليه في هذه الآية، فصار محرما مرتين: مفهوما و منطوقا، مع ما أفاد ذكره من النكت[1] التي[2] تقدم التنبيه عليها.

و لما كان الفائز بالمطالب قد لا يوقى المعاطب قال تعالى: ﴿ و اتقوا ٥ النار ﴾ أي إن لم تكونوا ممن[3] يتقيه سبحانه لذاته ﴿ التي اعدت ﴾ أي هيئت ﴿ للكٰفرين ﴾ أي بالله باستحلال الربا و غيره بالذات، و للكافرين بالنعمة عصيانا بالعرض. و لما كان الفائز السالم قد لا يكون مقربا قال اتباعا للوعيد بالوعد: ﴿ و اطيعوا الله ﴾ ذا[4] الجلال و الإكرام ﴿ و الرسول ﴾ أي الكامل في الرسلية [كاملا -[5]] ليس لأحد مثله، ١٠ أي[6] في امتثال الأوامر / و اجتناب النواهي بالإخلاص ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أي لتكونوا على رجاء[7] و طمع في أن يفعل بكم فعل المرحوم بالتقريب و المحبة و إنجاز كل ما وعد على الطاعة من نصره[8] و غيره. ٤١٧ /

و لما نهى عما منع النصر بالنهي عن الربا، المراد بالنهي عنه الصرف عن مطلق الإقبال على الدنيا، المشار إلى ذمها في قوله تعالى "زين ١٥ للناس حب الشهوٰت من النساء و البنين[9]" - الآية، و أمر بما تضمن الفوز و النجاة و القرب، و كان ذلك قد يكون مع التواني أمر بالمسارعة فيه

(١) في ظ: النكث (٢) من مد، و في الأصل و ظ: الذى (٣) من مد، و في الأصل و ظ: من (٤) من مد، و في الأصل و ظ: ذوا (٥) زيد من مد (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: بطا - كذا (٨) في ظ و مد: نصر (٩) سورة ٣ آية ١٤.

توصلا

توصلا إلى ما أعد للذين اتقو الموعودين بالنصر المشروط بتقواهم و صبرهم في قوله "بلى ان تصبروا و تتقوا و ياتوكم من فورهم هذا يمددكم[1]"، "و ان تصبروا [2]و تتقوا[2] لا يضركم كيدهم شيئا" الموصوفين بما تقدم فى قوله تعالى فى المقصد الثالث من[3] دعائم هذه السورة "قل ا انبئكم بخير من ذلكم للذين [اتقوا -[4]]" - الآيات، على وجه أبلغ من ذلك بالمسارعة إلى ٥ ما يوجب المغفرة من الرب اللطيف بعباده، و إلى ما يبيح الجنة الموصوفة بالاجتهاد[5] [فى الجهاد -[6]] على [ما -[7]] يجد[8] رسول الله صلى الله عليه و سلم من التقوى، فان هذه الجنة أعدت للمتقين الذين تقدمت الإشارة إليهم فى قوله تعالى "و اتقوا الله لعلكم تفلحون[9]" الذين يتخلون عن الأموال و جميع مصانع[10] الدنيا فلا تمتد[11] أعينهم إلى الازدياد من ١٠ شيء منها، و يتحلون بالزهد فيها و الإنفاق لها فى سبيل الله فى مرضاة رسول الله صلى الله عليه و سلم من الجهاد و غيره فى السراء و الضراء، لا بالإقبال على الدنيا من غنيمة أو غيرها إقبالا يخل ببعض الأوامر، و[12] بالصبر بكظم الغيظ عمن أصيب منهم بقتل أو جراحة، و العفو عمن

(١) زيد بعده فى ظ : ربكم بخمسة (٢ - ٢) سقط من ظ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : فى (٤) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٥) من مد، و فى الأصل : باجتهاد، و سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من مد. (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : يجد - كذا (٩) سورة ٣ آية ٣ (١٠) فى ظ : مضايع (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : فلا تهتدو (١٢) سقطت الواو من ظ.

يحسن العفو عنه فى التمثيل بالقتل فى أحد أو غير ذلك إرشادا إلى أن لا يكون جهادهم إلا غضبا لله تعالى ، لا مدخل فيه لحظ من حظوظ النفس أصلا ، و بالصبر أيضا على حمل النفس على الإحسان إلى من أساء بذلك أو غيره كما فعل صلى الله عليه و سلم فى فتح مكة بعد أن كان حلف ٥ ليمثلن بسبعين منهم مكان تمثيلهم بسيد[1] الشهداء أسد الله و أسد رسوله عمه حمزة ابن ساقى الحجيج عبد المطلب ، فانه وقف صلى الله عليه و سلم فى ذلك اليوم الذى كان أعظم أيام الدنيا الذى أثبت فيه نور الإسلام على مشرق الأرض[2] و مغربها ، فهزم[3] ظلام الكفر و ضرب أوتاده فى كل قطر على درج الكعبة و هم فى قبضته فقال : ما تظنون أنى فاعل ١٠ بكم يا معشر قريش ؟ قالوا : خيرا ! أخ كريم و ابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! و بالاستغفار عن[4] عمل الفاحشة من خذلان المؤمنين أو أكل الربا أو التولى عن[5] قتال الأعداء ، و عن ظلم النفس من محبة الدنيا الموجب للاقبال على الغنائم التى كانت سبب الانهزام أو غير ذلك مما[6] أراد الله تعالى فقال تعالى : ﴿ و سارعوآ ﴾ أى بأن تفعلوا فى ١٥ الطاعات فعل من يسابق خصما ﴿ الى مغفرة من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بارسال الرسل و إنزال الكتب بعمل ما يوجبها[7] من التوبة و الإخلاص و كل ما يزيل العقاب ﴿ و جنة ﴾ أى عظيمة جدا [8] بعمل كل ما يحصل

---

(١) فى ظ : بسند - كذا (٢) فى ظ : الدنيا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نهرم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٧) فى ظ توجبها (٨) العبارة من هنا إلى « الثواب » ساقطة من مد .

الثواب ، ثم بين عظمها بقوله: ﴿ عرضها السموٰت و الارض ﴾ أى كعرضها، فكيف بطولها[1] ، و يحتمل أن يكون كطولها ، فهى أبلغ من آية الحديد - كما يأتى لما[2] يأتى ، و على قراءة "سارعوا" - بحذف الواو يكون التقدير : سارعوا بفعل ما تقدم ، فهو فى معناه ، لا مغائر له .

و لما وصف الجنة بين أهلها بقوله : ﴿ اعدت ﴾ أى الآن و فرغ ٥ منها ﴿ للمتقين ﴾ و هم الذين صارت التقوى شعارهم ، فاستقاموا و استمروا على الاستقامة . ثم وصف المتقين بما تضمن تفصيل الطاعة المأمور بها قبل إجمالا ، على وجه معرف بأسباب النصر إلى آخر ما قص من خبر الأنبياء الماضين[3] و من معهم من المؤمنين[4] بادئا / بما هو أشق الأشياء /٤١٨ و لا سيما فى ذلك الزمان من التبر و من المال الذى هو عديل الروح ١٠ فقال : ﴿ [5]الذين ينفقون[5] ﴾ [أى مما[6] آتاهم الله ، و هو تعريض بمن أقبل على الغنيمة - [7]] ﴿ [8]فى السرآء و الضرآء[8] ﴾ [أى فى مرضات الله فى حال الشدة و الرخاء . و لما ذكر[9] أشق ما يترك و يبذل أتبعه أشق[10] ما يحبس فقال - [7]] : ﴿ و الكٰظمين ﴾ أى الحابسين ﴿ الغيظ ﴾ عن[11]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بطولها (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) فى ظ : الماضيين (٤) فى ظ : الرمين ، و فى مد : الربيين - كذا (٥ - ٥) تأخر فى الأصل عن « فى ذلك الزمان » .
(٦) من مد ، و فى ظ : بما (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٨-٨) تقدم فى الأصل على « من التبر » (٩) من مد ، و فى ظ : كان ذلك .
(١٠) من مد ، و فى ظ : يشتق (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .

أن ينفذه بعد أن امتلأوا منه.

و لما كان الكاظم غيظه عن أن يتجاوز فى العقوبة قد لا يعفو حثه على العفو بقوله: ﴿و العافين﴾ و عمم فى الحكم بقوله: ﴿عن الناس ط﴾ أى ظلمهم لهم و لو كانوا قد قتلوا منهم أو[1] جرحوهم. و لما كان التقدير:

٥ فان الله يحبهم لإحسانهم[2] عطف عليه تنويها بدرجة الإحسان قوله: ﴿و الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿يحب المحسنين ج﴾ أى يكرمهم بأنواع الإكرام على سبيل التجديد و الاستمرار.

و لما أخبر أنها [للمحسنين إلى الغير و من قاربهم أخبر أنها -[3]] لمن دونهم فى الرتبة من التائبين [المحسنين -[3]] إلى أنفسهم استجلابا

١٠ لمن رجع[4] عن أحد من المنافقين و لغيرهم من العاصين فقال: ﴿و الذين اذا فعلوا﴾ أى باشروا عن علم أو جهل فعله ﴿فاحشة﴾ أى من السيئات الكبار ﴿او ظلموآ انفسهم﴾ أى بأى نوع كان من الذنوب، لتصير[5] الفاحشة موعودا[6] بغفرانها بالخصوص [و -[3]] بالعموم ﴿ذكروا الله﴾ أى بما له من كمال العظمة فاستحيوه[7] و خافوه ﴿فاستغفروا﴾ [الله -[8]]،

١٥ أى[9] فطلبوا منه المغفرة بالتوبة بشرطها ﴿لذنوبهم ص﴾ أى فانه يغفر لهم

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: «و» (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: باحسانهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) فى ظ: رفع (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: ليصير (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: موعدا (٧) فى مد: فاستحيتوا (٨) زيد من ظ (٩) زيد بعده فى ظ: لذنوبكم.

لأنه

لأنه غفار لمن تاب .

و لما كان هذا مفهما لأنه [تعالى - [1]] يغفر كل ذنب أتبعه تحقيق ذلك و نفى القدرة عليه عن غيره ، لأن المخلوق لا يمضى غفرانه لذنب إلا إذا كان مما شرع الله غفرانه ، فكان لا غافر فى الحقيقة إلا الله قال مرغبا فى الإقبال عليه [2] بالاعتراض بين المتعاطفين : ﴿ و من يغفر الذنوب ﴾ ٥ أى يمحو آثارها حتى لا تذكر [3] و لا يجازى عليها ﴿ الا الله قف ﴾ أى الملك الأعلى . و لما كان سبحانه و تعالى قد تفضل برفع القلم عن الغافل قال : ﴿ و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون ﴾ أى أنهم على ذنب .

و لما أتم وصف السابقين و هم المتقون و اللاحقين و هم التائبون قال - معلما بجزائهم الذى سارعوا إليه من المغفرة و الجنة مشيرا إليهم بأداة البعد [4] ١٠ تعظيما لشأنهم على وجه معلم بأن أحدا لا يقدر أن يقدر الله حق قدره - : ﴿ اولّـئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ جزآؤهم مغفرة ﴾ أى لتقصيرهم أو لهفواتهم أو لذنوبهم ، و عظمها بقوله : ﴿ من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بكل إحسان ، و أتبع ذلك للاكرام فقال : ﴿ و جنّت ﴾ أىّ جنات ، ثم بين عظمها بقوله : ﴿ تجرى من تحتها الانهر ﴾ حال كونكم ﴿ خلدين فيها ط ﴾ ١٥ هى أجرهم على عملهم ﴿ و نعم اجر العملين ط ﴾ هى ، هذا على تقدير أن تكون الإشارة لجميع الموصوفين ، و إن كانت للمستغفرين خاصة فالأمر واضح فى نزول رتبتهم عمن قبلهم .

---

(١) زيد من مد (٢) نسخة مد مطموسة من هنا إلى « ٧٨ » من صفحة الكتاب (٣) فى ظ : لا يذكر (٤) زيد بعده فى ظ : ظلما .

و لما فرغ من بيان الزلل الذى وقع لهم به الخلل، و الترهيب مما يوقع فيه، و الترغيب فيما ينجى منه فى تلك الأساليب التى هى أحلى من رائق الزلال و لذيذ الوصال بعد طول المطال أخذ يشجعهم[١] على الجهاد لذوى الفساد[٢]، فبدأ بالسبب الأقوى، و هو الأمر بمشاهدة مصارع من ٥ مضى من المكذبين برؤية ديارهم و تتبع آثارهم مع أنهم كانوا أشد خلقا و أقوى هما و أكثر عددا و أحكم عددا، فقال تعالى معللا للأمر بالمسارعة إلى المغفرة: ﴿ قد خلت ﴾ و لما كان العلم بالقريب فى الزمان و المكان أتم، و كان الذين وقعت فيهم السنن جميع أهل الأرض، ولا فى جميع الزمان؛ أثبت الجار فقال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى فلا تظنوا بما أملى لهم بهذه الإدالة[٣] ١٠ أن نعمته انقطعت عنهم ﴿ سنن[٤] ﴾ أى وقائع سنها الله فى القرون الماضية و الأمم الخالية فى المؤمنين و المكذبين، و أحوال و طرائق كانت للفريقين، فتأسوا بالمؤمنين و توقعوا لأعدائكم مثل[٤] ما للمكذبين، فانظروا و أنعموا[٥] التأمل فى أحوال الفريقين و إن لم يحصل ذلك إلا بالسير[٦] فى الكد و التعب الشديد ﴿ فسيروا فى الارض ﴾ أى للاتعاظ بأحوال تلك الأمم ١٥ برؤية آثارهم لتضموا[٧] الخبر إلى الخبر، و تعتبروا[٨] /٤١٩/ من العين بالأثر، و تقرنوا بين النقل و النظر. و لما كان الرجوع عن الهفوة واجبا على الفور عقب بالفاء قوله: ﴿ فانظروا ﴾ أى نظر[٩] اعتبار، و نبه على

(١) فى ظ: بسجهم (٢) فى ظ: العناد (٣) فى ظ: الادلة (٤) سقط من ظ.
(٥) فى ظ: امعنوا (٦) من ظ، و فى الأصل: باليسير (٧) فى ظ: اضمنوا.
(٨) فى ظ: يعتبروا (٩) زيد بعده فى ظ: اى.

عظمة المنظور فيه بأنه أهل لأن يستفهم عنه لأنه خرج عن العوائد فتعاظم إشكاله فقال: ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المكذبين ﴾.

و لما تكفلت هذه الجمل بالهداية إلى سعادة الدارين نبه على ذلك سبحانه و تعالى بقوله[1] على طريق الاستفتاح: ﴿ هذا بيان ﴾ أى يفيد إزالة الشبه ﴿ للناس ﴾ أى المصدقين و المكذبين ﴿ و هدى ﴾ أى ٥ إرشاد بالفعل [﴿ و موعظة ﴾ أى ترقيق -[2]] ﴿ للمتقين ﴾ .

و لما أمرهم بالمسارعة و أتبعها علتها و نتيجتها نهاهم[3] عما يعوق[4] عنها من قبل الوهن الذى عرض لهم عند رؤيتهم الموت فقال - و يجوز أن يعطف على ما تقديره: فتبينوا[5] و اهتدوا و اتعظوا إن كنتم متقين، و انظروا أخذنا لمن كان قبلكم من أهل الباطل و إن كان[6] لهم دول ١٠ و صولات و مكر و حيل -: ﴿ و لا تهنوا ﴾ أى فى جهاد أعدائكم الذين[7] هم أعداء الله ، فالله معكم عليهم ، و إن ظهروا يوم أحد[8] نوع ظهور فسترون إلى من يؤول الأمر ﴿ و لا تحزنوا ﴾ أى على ما أصابكم منهم و لا [على -[9]] غيره مما عساه ينوبكم ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ انتم الاعلون ﴾ أى فى الدارين ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أى إن كان الإيمان - و هو ١٥ التصديق بكل ما يأتى[10] عن الله - لكم صفة راسخة ، فانهم لا يهنون ؛

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و قد ثبت " و موعظة " فى القرآن المجيد أيضا (٣) من ظ ، و فى الأصل : نهاها (٤) من ظ ، و فى الأصل: يفرق (٥) فى ظ : فتثبتوا (٦) فى ظ : كانت (٧) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٨) من ظ ، و فى الأصل : واحد (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سياتى .

لأنكم بين إحدى الحسنيين - كما لم يهن من سيقص عليكم نبأهم ممن كانوا مع الأنبياء قبلكم لعلوكم عدوكم، أما في الدنيا فلأن دينكم حق و دينهم باطل، و مولاكم العزيز الحكيم الذي قد وعدكم الحق[1] الملك الكبير لمن قتل[2]، و النصر و[1] التوزر لمن بقي، و هو[3] حي قيوم، لا يخفى عليه

٥ شيء من أحوالكم، فهو ناصركم و خاذلكم؛ و أما في الآخرة فلأنكم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، و هم في النار عند ملائكة العذاب الغلاظ الشداد[4] أبدا.

و لما نهاهم[5] عما تقدم[6] و بشرهم[7] سلاهم و بصرهم[8] بقوله: ﴿ ان يمسسكم قرح ﴾ أي مصيبة بادالتهم عليكم اليوم ﴿ فقد مس القوم ﴾

١٠ أي الذين لهم من قوة[9] المحاولة ما قد علمتم، أي[10] في يوم أحد نفسه و في يوم بدر ﴿ قرح مثله ﴾ أي في مطلق كونه قرحا و إن كان أقل من قرحكم في يوم أحد و أكثر [منه - [11]] في يوم بدر، على أنه كما أنه ظفرهم[12] - بعد ما أصابهم و أنكاهم يوم بدر بالزهد الذي ليس بعده وهن - بقتل مثل من قتل منكم و أسر مثلكم، و[13] يوم أحد بالقتل

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: قبل (٣) من ظ، و في الأصل: هي (٤) و إلى هنا انتهى الانطماس من نسخة مد (٥) في ظ: نهم (٦) في ظ: يقدم، و في مد: تقدم - كذا (٧) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها. (٨) من ظ و مد، و في الأصل: بصره (٩) من مد، و في الأصل و ظ: (١٠) سقط من مد (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: (١٣) في.

و الهزيمة

و الهزيمة أول النهار و هم أعداؤه، فهو جدير بأن يظفركم بعد وهنكم و أنتم أولياؤه، فكما لم يضعفهم وهنهم و هم على الباطل فلا تضعفوا أنتم و أنتم على الحق، ترجون من الله ما لا يرجون، فقد أدلناكم عليهم يوما و أدلناهم عليكم آخر[1] ﴿و تلك الايام﴾ و لما نبه على تعظيمها بأداة البعد، وكانت إنما تعظم بعظم[2] أحوالها ذكر الحال المنبه[3] عليها بقوله: ﴿نداولها بين ٥ الناس[ع]﴾ أي بأن نرفع من نشاء تارة و نرفع عليه أخرى.

و لما كان التقدير: ليدال على من كانت له الدولة، فيعلم كل أحد أن الأمر لنا بلا شريك و لا منازع عطف عليه قوله: ﴿و ليعلم الله﴾ أي المحيط بجميع الكمال ﴿الذين ءامنوا﴾ أي بتصديق دعوى الإيمان بنية الجهاد فيكرمهم، و معنى "ليعلم" أنه[4] يفعل فعل من يريد علم ذلك بأن ١٠ يبرز[5] ما يعلمه غيبا[6] إلى عالم الشهادة ليقيم الحجة على الفاعلين على ما يتعارفه الناس بينهم[7] ﴿و يتخذ منكم شهدآء ط﴾ [أي -[8]] بأن يجعل[9] قتلهم عين الحياة التي هي الشهادة، لا غيبة[10] فيها، فهو سبحانه و تعالى يزيد في إكرامهم[11] بما صدقوا في إيمانهم بأن لا يكونوا[12] مشهودا[13] عليهم

(١) من ظ و مد، و في الأصل: احد (٢) في مد: بعظمة (٣) من ظ و مد، و في الأصل: المثبه - كذا (٤) من ظ و مد، و في الأصل: ان (٥) في ظ: بين (٦) في ظ: عينا (٧) من مد، و في الأصل و ظ: بينكم (٨) زيد من مد. (٩) في ظ: يحل (١٠) من ظ، و في الأصل: عينه، و في مد: غنية (١١) من مد، و في الأصل: الكرامة، و في ظ: اكرامه (١٢) في ظ: لا تكونوا. (١٣) من مد، و في الأصل و ظ: شهودا.

أصلا [بفتنة فى ـ[1]] قبورهم و لا غيرها و لا يغفلوا[2] بخوف و لا صعق[3] و لا غيره ، فان الله يحب المؤمنين ، و ليعلم[4] الذين ظلموا و يمحق منهم أهل الجحد و الاعتداء ﴿و الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿ لا يحب الظلمين ﴾ أى الذين يخالف فعلهم قولهم ، فهو لا يستشهدهم[5] ، و إنما يجعل قتلهم ٥ أول خيبتهم و عذابهم ، و [فيه ـ[6]] بشارة[7] فى ترغيب بأنه لا يفعل مع الكفرة فعل المحب ، لئلا يحزنوا على ما أصابهم ، و نذارة فى تأديب بأنهم ما خذلوا إلا بتضييعهم الثغر الذى أمرهم به من التزموا طاعته /٤٢٠ / و أمر الله بها فى المنشط و المكره[8] بحفظه ، و أقبلوا على الغنائم قبل أن يفرغوا من العدو ، و الآية من الاحتباك : إثبات[9] الاتخاذ أولا دال ١٠ على نفيه ثانيا ، و إثبات الكراهة ثانيا دال على المحبة أولا .

و لما قدم التنفير من الظلم دلالة على الاهتمام به أكمل ثمرات المداولة بقوله : ﴿ و[10] ليمحص ﴾ أى و ليطهر[11] ﴿ الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى إن أصيبوا ، و يجعل مصيبتهم سببا لقوتهم ﴿ و يمحق الكفرين ﴾ أى شيئا فشيئا فى تلك الحالتين بما يلحقهم من

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا تفعلوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضعف (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : و يعلم (٥) فى ظ : لا استشهدهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بشارهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكرة (٩) فى ظ : ثبات . (١٠) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن المجيد (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليظهر .

الرجس، أما إذا كانت لهم فبالنقص [بالقوة - [1]] بالبطر الموجب للعكس، و أما إذا كانت عليهم فبالنقص بالفعل الموجب للقطع بالنار.

[2]و لما[2] كان السياق يرشد إلى أن المعنى: أ حسبتم أنه[3] لا يفعل ذلك، عادله بقوله: ﴿ ام حسبتم ﴾ أى [يا - [4]] من استكره نبينا[5] على الخروج فى هذا الوجه ﴿ ان تدخلوا الجنة ﴾ أى التى أعدت للمتقين ٥ ﴿ و لما يعلم الله ﴾ أى يفعل المحيط [6] علما و قدرة[6] بالامتحان فعل من يريد أن يعلم ﴿ الذين جٰهدوا منكم ﴾ أى أوقعوا الجهاد بصدق العزيمة، ثم أمضوه بالفعل تصديقا للدعوى ﴿ و يعلم الصّٰبرين ﴾ أى الذين شأنهم الصبر عند الهزاهز[7] و الثبات عند جلائل المصائب تصديقا لظاهر الغرائز، فان ذلك أعظم دليل على الوثوق بالله [و - [8]] وعده الذى هو صريح ١٠ الإيمان.

و لما أرشد السياق إلى أن التقدير: فلقد كنتم تقولون: لئن خرجت بنا ليبتلين[9] الله بلاء حسنا، عطف عليه قوله: ﴿ و لقد ﴾ و يجوز أن يكون حالا من فاعل "حسبتم" ﴿ كنتم تمنون الموت ﴾ أى الحرب، عبر عنها به لأنها سببه[10]، و لقد تمنى بعضهم الموت نفسه بتمنى الشهادة ١٥

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ: فلما (٣) فى ظ: لأنه (٤) زيد من مد.
(٥) من ظ، و فى الأصل و مد: بنبينا (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و قدرة علما (٧) الهزاهز: الشدائد، و لا واحد لها (٨) زيدت الواو من مد (٩) من ظ، و فى الأصل و مد: لنبلين - كذا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: شبه.

﴿ من قبل ان تلقوه ص ﴾ أى رغبة فيما أعد[1] الله للشهداء ﴿ فقد رايتموه ﴾ أى برؤية قتل[2] إخوانكم، و الضمير يصلح أن يكون للموت المعبر به عن الحرب، و للموت نفسه برؤية أسبابه القريبة[3]، و قوله: ﴿ [4]و انتم تنظرون ه[4] ﴾ بمعنى رؤية العين، فهو تحقيق لإرادة[5] الحقيقة.

٥ و لما كان التقدير: فانهزمتم عند ما[6] صرخ الشيطان كذبا[7]: ألا إن محمدا قد قتل! و لم يكن لكم ذلك فانكم إنما تعبدون رب محمد الحي القيوم و تقاتلون[8] له، و أما محمد فما هو بخالد لكم فى الدنيا قال: ﴿ و ما محمد الا رسول ج ﴾ أى من شأنه الموت، لا إلٰه، ثم قرر المراد من السياق بقوله: ﴿ قد خلت ﴾ أى بمفارقة أممهم، إما بالموت أو الرفع ١٠ إلى السماء. و لما كان المراد أن الخلو منهم إنما كان فى بعض الزمان الماضى لما مضى أثبت الجار فقال: ﴿ من قبله الرسل ط ﴾ أى فيسلك[9] سبيلهم، فاسلكوا أنتم سبيل من نصح نفسه من أتباعهم فاستمسك بنورهم[10].

[11]و لما سبب عن ذلك إنكار انهزامهم و دعتهم على تقدير فقده ١٥ أنكر عليهم بقوله: ﴿ افائن ﴾[11] و لما كان الملك القادر على ما يريد

(١) فى مد: عند (٢) فى ظ: قبل (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: العادلة. (٤-٤) فى ظ: فقد رايتموه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الارادة (٦) فى ظ: لما (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: كذا (٨) فى ظ: تقادون (٩) فى ظ: يسلك (١٠) فى ظ: بعذرهم (١١-١١) سقطت من ظ.

لا

لا يقول[١] شيئا و إن كان فرضا إلا فعله و لو على أقل وجوهه ، [وكان -[٢]]
فى علمه سبحانه أنه صلى الله عليه و سلم يموت موتا - لكونه على فراشه،
و قتلا - لكونه بالسم ، قال :[٣] ﴿ مات ﴾ أى موتا على الفراش ﴿او قتل﴾
أى قتلا ﴿ انقلبتم ﴾ أى عن الحال التى فارقكم عليها فأضعتم[٤] مشاعر
الدين و تركتم مشارع المرسلين ! ثم قرر[٥] المعنى بقوله : ﴿ علٰى اعقابكم ﴾ ٥
لئلا يظن أن المراد مطلق الانتقال و إن كان على الاستواء و الانتقال
إلى أحسن ﴿ و من ﴾ أى انقلبتم و الحال أنه من ﴿ ينقلب على عقبيه ﴾
أى بترك ما شرعه له نبيه أو التقصير فيه ﴿ فلن يضر الله ﴾ أى المحيط
بجميع العظمة ﴿ شيئا ﴾ لأنه متعال عن ذلك بأن الخلق كلهم طوع
أمره ، لا يتحركون حركة إلا على وفق مراده ، فلو أراد لهداهم أجمعين، ١٠
و لو أراد أضلهم أجمعين ، و إنما يضر ذلك المنقلب نفسه لكفره بالله،
و سيجزى الله الشاكرين ، و من سار[٦] ثابتا على المنهج السوى فانما ينفع
نفسه[٧] لشكره لله[٨] ﴿ و سيجزى الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال
﴿ الشكرين ه ﴾ أى كلهم ، فالآية من الاحتباك : أثبت الانقلاب و عدم
الضر أولا دليلا[٩] على حذف ضده ثانيا ، و الجزاء ثانيا[١٠] دليلا على حذف ١٥
مثله أولا .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقول (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ و مد : افان (٤) فى ظ : فاصبحتم (٥) فى ظ : قرن (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صار (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لنفسه (٨) فى ظ : بالله (٩) فى ظ : دليل (١٠) زيد بعده فى ظ : على .

و لما كان موت الرأس من أنصار الدين لا يصلح أن يكون سببا للفرار إلا إذا كان موته بغير إذن صاحب الدين، و كان الفرار لا يصلح إلا إذا كان يمكن أن يكون سببا [للنجاة، و أما إذا كان موته لا يكون إلا بارادة رب الدين، و الفرار لا يكون سببا - [1]] فى زيادة الأجل

٥ و لا نقصه؛ أشار إلى ذلك بقوله: ﴿و ما كان لنفس﴾ أى من الأنفس كائنة من كانت ﴿ان تموت﴾ أى بشىء من الأشياء ﴿الا باذن الله﴾ أى بعلم الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة و إرادته و تمكينه من / قبضها «كتب لكل نفس عمرها» ﴿كتبا مؤجلا﴾ أى أجلا لا يتقدم عنه بثبات، و لا يتأخر عنه بفرار أصلا. /٤٢١

١٠ و لما كان المعنى: فمن أقدم شكرته[2] و لم يضره الإقدام، و من أحجم ذممته[3] و لم ينفعه الإحجام، و كان الحامل على الإقدام إيثار ما عند الله، و الحامل على الإحجام إيثار الدنيا؛ عطف على ذلك قوله: ﴿و من يرد ثواب الدنيا﴾ أى بعمله - كما أفهمه التعبير بالثواب، و هم المقبلون على الغنائم بالنهب و الفارون كفرا لنعمة الله ﴿نؤته منها[4]﴾

١٥ أى ما أراد، و ختام الآية يدل على أن[4] التقدير هنا: و سنردى الكافرين، و لكنه طواه رفقا بهم ﴿و من يرد ثواب الأخرة﴾ أى و هم الثابتون شكرا على إحسانه إليهم من غير أن يشغلهم شاغل عن الجهاد. و لما كان قصد الجزاء غير قادح[5] فى الإخلاص منه من الله تعالى علينا قال:

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: سكرته.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ديمته (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فادرج.

﴿ نؤته ﴾ و نبه على أن[1] العمل لذات الله من غير نظر إلى ثواب و لا عقاب أعلى فقال: ﴿ منها ط ﴾ أى و سنجزيه اشكره ، و هو معنى قوله: ﴿ و سنجزى الشكرين ﴾ لكنه أظهر لتعليق الحكم بالوصف و عمم .

و لما ذكر سبحانه و تعالى هذه الجمل على هذا الوجه الذى بين فيه العلل ، و أوضح بحال الزلل ، و كان التقدير بعد انقضائها : [فكأين -[2]] ٥ من قوم[3] أمرناهم بالجهاد ، فكانوا على هذين القسمين ، فأثبنا الطائع و عذبنا العاصى ، و لم يضرنا ذلك شيئا ، و لا جرى شيء منه على غير مرادنا ؛ عطف عليه يؤسيهم[4] بطريق[5] الصالحين من قبلهم و يسيلهم[6] بأحوالهم[7] قوله: ﴿ و كاين ﴾ و هى[8] بمعنى ' كم ' و فيها لغات كثيرة ، قرئ منها فى العشر[9] بثنتين : الجمهور[10] بفتح الهمزة بعد الكاف و تشديد ١٠ الياء المكسورة ، و ابن كثير و أبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف و همزة مكسورة ، و لعلها أبلغ - لأنه عوض عن الحرف المحذوف - [من -[11]] المشهورة بالمد ، و المد أوقع فى النفس و أوقر فى القلب ؛ و فيها كلام كثير - فى لغاتها و معناها و قراآتها[12] المتواترة و الشاذة وصلا و وقفا ، و رسمها فى مصحف الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه ١٥

(١) تأخر فى الأصل عن « العمل » (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : قوام .
(٤) من مد ، و فى الأصل : يوميهم ، و فى ظ : توسهم (٥) فى مد : بطرائق .
(٦) فى ظ : تسليهم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : باموالهم (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٩) فى مد : العشرة (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : المجهول (١١) زيد من مد (١٢) فى ظ : قراتها .

الذى وقع إجماع الصحابة عليه ليكون المرجع عند الاختلاف إليه، و هل هى بسيطة أو مركبة و مشتقة أو جامـدة و فى كيفية التصرف فى لغاتها ـ استوعبته[1] فى كتابى الجامع المبين لما قيل[2] فى "كاين"، و قال سبحانه: ﴿ من نبى ﴾ لتكون التسلية أعظم بذكر ما هو طبق ما وقع
٥ فى هذه الغزوة من قتل[3] أصحابه، و احتمال العبارة لقتله نفسه بقوله: ﴿ قتل[4] لا ﴾ أى ذلك النبى حال كونه ﴿ معه ﴾ لكن الأرجح إسناد "قتل" إلى "ربيون" لموافقته قراءة الجماعة ـ سوى الحرميين[5] وأبى عمرو ـ:[6] قاتل معه ﴿ ربيون ﴾ أى علماؤهم ورثـة الأنبياء، و على منهاجهم ﴿ كثير[4] فما ﴾ [أى فما ـ[7]] تسبب عن [قتل نبيهم وهنهم، أو يكون المعنى ـ
١٠ و يؤيده[8] الوصف بالكثرة ـ: قتل الربيون، فما تسبب عن ـ[7]] [9] قتلهم أن الباقين بعدهم ﴿ وهنوا ﴾ أى ضعفوا عن[10] عملهم ﴿ لمآ اصابهم فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم من القتل لنبيهم الذى هو عمادهم، أو لإخوانهم الذين هم أعضادهم لكونه من[10] الله ﴿ و ما ضعفوا ﴾ أى

(١) فى ظ: استوعبتها (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٣) فى ظ: قبل (٤) فى الأصول: قاتل، و هى القراءة الشائعة ببلادنا، و لكن لا ارتباط لها بالتفسير الآتى المتعلق بقراءة نافع و ابن كثير و أبى عمرو و يعقوب: قُتِل ـ بالبناء للفعول، و قرئ: قتّل ـ بالتشديد.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الحرمين (٦) زيد فى مد « و » (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) من مد، و فى ظ: فيويده (٩) زيد قبله فى ظ فقط: نبيهم وهنهم أو يكون المعنى ـ كذا (١٠) فى مد: فى.

مطلقا

مطلقا فی العمل و لا فی غـــیره ﴿ و ما استکانوا ط ﴾ أی و ما خضعوا لأعدائهم فطلبوا أن یکونوا تحت أیدیهم - تعریضا بمن قال[١] : اذهبوا إلی أبی عامر[٢] الراهب لیأخذ[٣] لنا أمانـا من أبی سفیان ، بل صبروا ، فأحبهم الله اصبرهم ﴿ و الله ﴾ أی[٤] الذی له صفات الکمال ﴿ یحب الصٰبرین ﴾ أی فلیفعلن بهم من النصر و إعلاء القدر و جمیع أنواع ٥ الإکرام فعل من یحبه[٥] .

و لما أثنی سبحانه و تعالی علی فعلهم أتبعه قولهم فقال: ﴿ و ما کان ﴾ أی شیء من القول ﴿ قولـهم ﴾ أی بسبب ذلک[٦] الأمر الذی دهمهم ﴿ الآ ان قالوا ﴾ أی و هم یجتهدون فی نصر دین الله ناسبین الخذلان إلی أنفسهم بتعاطی [أسبابه - [٦]] ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾ أی التی[٧] استوجبنا ١٠ بها الخذلان ﴿ و اسرافنا فیٓ امرنـا ﴾ هضما لأنفسهم ، فمع[٨] کونهم ربانیین مجتهدین نسبوا ما أصابهم إلی ذنوبهم ، فافعلوا أنتم فعلهم لتنالوا من الکرامة ما نالوا[٩] ، کما أشار[١٠] لکم سبحانه و تعالی إلی ذلک قبل الأخذ فی قص القصة عند ما وصف به المتقین من قوله "او ظلموا انفسهم ذکروا الله فاستغفروا لذنوبهم[١١]" . ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فی الأصل : قالوا (٢) فی ظ : ابن عامر (٣) من مد ، و فی الأصل : لناخذ ، و فی ظ : فاخذ (٤) سقط من مد (٥) فی ظ و مد : تحبه .
(٦) زید من مد (٧) من مد ، و فی الأصل و ظ : الذی (٨) من ظ و مد ، و فی الأصل : مع (٩) من مد ، و فی الأصل و ظ : تسالوا (١٠) من ظ و مد ، و فی الأصل : اسناد - کذا (١١) سورة ٣ آیة ١٣٥ .

و لما دعوا بمحو ما أوجب الخذلان دعوا بثمرة[1] المحو فقالوا: ﴿ و ثبت اقدامنا ﴾ إشارة إلى أن الرعب من نتائج الذنب، والثبات من ثمرات[2] الطاعة «إنما تقاتلون[3] الناس بأعمالكم[4]» ثم أشاروا إلى أن قتالهم لهم إنما هو لله، لا لحظ من حظوظ النفس أصلا بقوله: ﴿ و انصرنا / على ٤٢٢ /

٥ القوم الكٰفرين ﴾.

فلما تم الثناء على فعلهم و قولهم ذكر ما سببه لهم ذلك من الجزاء [فقال -[5]]: ﴿ فاٰتٰهم الله ﴾ المحيط علما و قدرة ﴿ ثواب الدنيا ﴾ أى بأن قبل دعاءهم النصر [و الغنى -[5]] بالغنائم[6] و غيرها و حسن الذكر و انشراح الصدر و زوال شبهات الشر.

١٠ و لما كان ثواب الدنيا كيف ما كان لا بد أن يكون بالكدر مشوبا[7] و بالبلاء مصحوبا[8]، لأنها دار الأكدار، أعراه[9] من وصف الحسن، و خص الآخرة به فقال: ﴿ و حسن ثواب الأخرة ط ﴾ أى مجازا بتوفيقهم إلى الأسباب فى الدنيا، و حقيقة فى الآخرة، فانهم أحسنوا فى هذا [10] الفعال و المقال[10]، لكونهم لم يطلبوا بعبادتهم[11] غير وجه الله، فأحبهم

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فثمره (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فوات - كذا (٣) فى ظ: تقابلون (٤) فى ظ: باعمالهم (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و الغنايم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: شوبا (٨) فى ظ: لصحوابا - كذا (٩) فى مد: عراه (١٠ - ١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: القتال و القتال - كذا (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: بعنادهم.

لإحسانهم ﴿ و الله ﴾ المحيط بصفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ه ﴾ كلهم ، فهو جدير بأن يفعل بهم كل جميل و لذلك[1] رفع منزلتهم و لم يجعل ثوابهم بعضا ، كما فعل بمن عبد[2] لإرادة الثواب فقال "نؤته منها" فقد بان أن[3] هذه الآية منعطفة على ما أمر به الصحابة رضى الله عنهم على طريقة اللف و النشر المشوش ، فنفى الوهن تعريض بمن أشير إليه فى آية ٥ "و لقد كنتم تمنون الموت" و محبة الصابرين تعريض بمن لم يصبر ، و قوله "و يعلم الصبرين" و نحو ذلك و الثناء على قولهم حث على [مثل - [4]] ما ندبهم إليه فى قوله[5] "ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم" و ثبات الإقدام إشارة إلى "و انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين" و إلى[6] أن ثبات القدم للنصر على أعداء الله كان شاغلا لهم عن الالتفات إلى غيره ، و تعريض بمن[7] أقبل ١٠ على الغنائم و ترك طلب العدو[8] لتمام النصر المشار إليهم بآية "و من يرد[9] ثواب الدنيا نؤته منها" و إيتاء الثواب ناظر إلى النهى عن الربا و ما انتظم فى سلكه و داناه[10] ، و إلى الأمر بالمسارعة إلى الجنة و ما والاه ، و إيماء إلى أن من فعل فعلهم نال ما نالوا ، و من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ، لأن علمه[11] محيط ، و كرمه لا يحد ، و خزائنه لا تنفد ، بل ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٢) فى ظ : عبده (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) زيد بعده فى مد : او (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمن - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهدو (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوداناه - كذا (١١) فى ظ : عمله .

لا تنقص[١]، ثم ختمها بما ختم به للحث على التخلق بأوصاف المتقين؛ فقد اتضح بغير لبس أن المراد بهذه الآية - و هي الإخبار عن إيتائهم الثواب ـ التنبيه على أن أهم الأمور و أحقها بالبداءة التخلق بما وعظوا به قبل[٢] قص القصة، و لا ريب أن في مدح من سواهم[٣] تهييجا زائدا
٥ لانبعاث[٤] نفوسهم و تحرك هممهم و تنبيه نشاطهم و ثوران عزائمهم غيرة[٥] منهم أن يكون أحد - و هم خير أمة أخرجت للناس - أعلى همة و أقوى عزيمة و أشد شكيمة و أصلب عودا و أثبت عمودا و أربط جأشا[٦] و أذكر لله[٧] و أرغب فيما عنده و أزهد فيما أعرض[٨] عنه[٩] منهم.

و لما أمر سبحانه و تعالى بطاعته الموجبة للنصر و الأجر و ختم
١٠ [١٠]بمحبته للمحسنين[١٠]، حذر من طاعة الكافرين المقتضية للخذلان رغبة في موالاتهم[١١] و مناصرتهم فقال تعالى واصلا بالنداء في آية الربا[١٢]: ﴿ يآيها الذين امنوآ ﴾ أي أقروا بالإيمان ﴿ ان تطيعوا ﴾ بخضوع و استئمان أو غيره ﴿ الذين كفروا ﴾ أي هذا الفريق منهم أو غيره ﴿ يردوكم على اعقابكم ﴾ بتعكيس[١٣] أحوالكم إلى أن تصيروا مثلهم ظالمين كافرين

(١) في ظ: لا ينقص (٢) في ظ: فقيل (٣) في ظ: سوالهم (٤) من ظ و مد، و في الأصل: لالتفاف (٥) في الأصول: غيره (٦) في الأصل و مد: حاشا، و في ظ: حاسا - كذا (٧) من مد، و في الأصل و ظ: الله (٨) من ظ و مد، و في الأصل: عرض (٩) من مد، و في الأصل و ظ: عنهم (١٠-١٠) في مد: بمحبة المحسنين (١١) في ظ: مواتهم - كذا (١٢) سقط من ظ (١٣) في ظ: بتعكس.

فتنقلبوا

﴿ فتنقلبوا خسرين ﴾ فى جميع أموركم فى الدارين، فتكونوا فى غاية البعد من أحوال المحسنين، فتكونوا بمحل السخط من الله صغرة تحت أيدى الأعداء فى الدنيا خالدين فى العذاب فى الأخرى، و ذلك ناظر إلى قوله تعالى أول ما حذر من مكر الكفار "يايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتب[1] "- الآية، و موضح أن جميع هذه الآيات ٥ شديد[2] اتصال[3] بعضها ببعض - و الله الموفق.

و لما كان التقدير: فلا تطيعوهم، إنهم ليسوا[4] صالحين للولاية مطلقا ما دمتم مؤمنين، عطف عليه قوله: ﴿ بل الله ﴾ [أى -[5]] الملك الأعظم ﴿ مولكم ﴾ مخبرا[6] بأنه ناصرهم و أن نصره لا يساويه نصر أحد سواه بقوله: ﴿ و هو خير النصرين ﴾ أى لأن[4] من نصره ١٠ سبب له جميع أسباب النصر و أزال عنه كل أسباب الخذلان، فمنع غيره - كائنا من كان - من إذلاله، ثم قرر ذلك بقوله محققا[7] للوعد: ﴿ سنلقى ﴾ أى بعظمتنا ﴿ فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ أى[4] المقتضى لامتثال ما أمر به من الجرأة عليهم و عدم الوهن فى أمرهم، كما افتتح القصة بالإيماء إلى ذلك بالأمر بالسير[8] فى الأرض و النظر فى عاقبة ١٥ المكذبين، ثم بين سبب / ذلك[9] فقال: ﴿ بمآ اشركوا بالله ﴾ أى ليعلموا / ٤٢٣

(١) سورة ٣ آية ١٠٠ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: شديدة (٣) فى ظ: الاتصال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: مخبرا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: تحققا (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: باليسير (٩) زيد بعده فى ظ: بقوله.

قطعا أنه لا ولى لعدوه لأنه [لا - [1]] كفوء [له - [1]]، و بين بقوله: ﴿ما لم ينزل﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿به سلطٰناج﴾ أنه [2] لا حجة لهم فى الإشراك، و ما لم ينزل به سلطانا فلا سلطان له، و مادة [3] "سلط" ترجع إلى القوة، و لما كان التقدير: فعليهم الذل فى الدنيا لاتباعهم
٥ ما لا قوة به، عطف عليه: ﴿و ماوٰىهم النار ط﴾ ثم هوّل أمرها [4] بقوله: ﴿و بئس مثوى الظّٰلمين ه﴾ أى هى، و أظهر فى موضع الإضمار للتعميم و تعليق الحكم بالوصف.

و لما كانت السين فى "سنلق" مفهمة للاستقبال كان ذلك ربما أوهم أنه لم يرغبهم فيما مضى، فنفى هذا الوهم محققا لهم ذلك بتذكيرهم بما أنجز
١٠ لهم من وعده فى أول هذه الوقعة [5] مدة تلبسهم بما شرط عليهم من الصبر و التقوى بقوله تعالى - عطفا على قوله: "بلى ان تصبروا و تتقوا" - الآية، مصرحا بما لوح إليه تقديرا قبل "و لقد نصركم الله ببدر" - [كما مضى - [1]] -: ﴿و لقد صدقكم الله وعدهٗ﴾ أى [6] فى قوله "و ان تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم" ﴿اذ تحسونهم﴾ أى تقتلونهم بعضهم بالفعل و الباقين بالقوة
١٥ التى هيأها لكم ﴿باذنه ع﴾ فان الحس بالفتح [7]: القتل و الاستئصال - قاله فى القاموس. ثم بين لهم سبب هزيمتهم بعد تمكينه منهم ليكون [8]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: اى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: باد.
(٤) من مد، و فى الأصل و ظ: امره (٥) فى مد: الواقعة (٦) سقط من مد.
(٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ليكونوا.

رادعا لهم عن المعاودة إلى مثله فقال مبينا لغاية الحس : ﴿ حتّى اذا فشلتم ﴾ أى ضعفتم و تراخيتم بالميل إلى الغنيمة خلاف ما تدعو إليه الهمم العوالى، فكيف[1] بهم إذا كانوا من حزب مولى الموالى ! فلو كانت العرب على حال جاهليتها تفاخر بالإقبال على الطعن و الضرب فى مواطن الحرب و الإعراض عن الغنائم[2] - كما قال عنترة بن شداد العبسى يفتخر: ٥

هلا سألت الخيل[3] يا ابنة مالك[4] إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
إذ[5] لا أزال على رحالة[6] سابح نهد تعاوره[7] الكماة مكلم[8]
طورا يعرض للطعان و تارة يأوى إلى حصد القسى عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى[9] الوغى و أعف عند المغنم

و قال يفاخر[10] بقومه كلهم: ١٠

إنا[11] إذا حمس[12] الوغى نروى القنا و نعف[13] عند مقاسم الأنفال

و لما ذكر الفشل عطف عليه ما هو سببه فى الغالب فقال: ﴿ و تنازعتم ﴾ أى بالاختلاف ، و أصله من نزع بعض[14] شيئا من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيكف (٢) فى مد : المغانم (٣) من ظ و مد وديوانه ، و فى الأصل : الخايل (٤) من مد و ديوانه ، و فى الأصل و ظ : بنت مالك (٥) من مد وديوانه ، و فى الأصل و ظ : اذا (٦) فى ظ : راحاله - كذا. (٧) فى ظ : يعاوره (٨) من ظ و مد و ديوانه . و فى الأصل : تتكلم . (٩) من مد و ديوانه ، و فى الأصل : اغثى ، و فى ظ : اعني - كذا (١٠) فى ظ : تفاخر (١١) فى ظ : الا (١٢) فى الأصول : خمس (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : نغمر (١٤) سقط من ظ .

يد بعض ﴿ فى الامر ﴾ أى أمر الثغر المأمور بحفظه ﴿ و عصيتم ﴾ أى وقع العصيان بينكم بتضييع الثغر . و أثبت الجار تصويرا للمخالفة بأنها كانت عقب رؤية النصر سواء، و تبشيرا[1] بزوالها[2] فقال: ﴿ من بعد مآ ارٰكم ما تحبون ط ﴾ أى من حسهم بالسيوف و هزيمتهم .

٥ و لما كان ذلك ربما أفهم أن الجميع عصوا نفى ذلك معللا للعصيان بقوله: ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ أى قد أغضى[3] عن معايبها[4] التى أجلاها[5] فناؤها . و لما كان حكم الباقين غير معين للفهم[6] من هذه الجملة قال: ﴿ و منكم من يريد الأخرة ج ﴾ و هم الثابتون[7] فى مراكزهم، لم يعرجوا على الدنيا .

١٠ و لما كان التقدير جوابا لإذا: سلطهم عليكم، عطف عليه قوله: ﴿ ثم صرفكم عنهم ﴾ أى لاندهاشكم[8] لإتيانهم إليكم [من ورائكم - [9]]، و عطفه بثم لاستبعادهم للهزيمة بعد ما رأوا[10] من النصرة ﴿ ليبتليكم ج ﴾ أى يفعل فى ذلك فعل من[11] يريد الاختبار فى ثباتكم على الدين فى حالى السراء و الضراء . و لما كان اختباره تعالى بعصيانهم[12] شديد الإزعاج

(١) من مد . و فى الأصل و ظ : تيسيرا (٢) فى ظ : بزولها (٣) فى ظ : اعصى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : معايبها - كذا (٥) زيد بعده فى ظ : عضوا نفى ذلك معللا للعصيان بقوله (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفهم . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التايبون (٨) من مد ، و لعله مطاوعة : أدعش ، و فى الأصل : لاندهالكم ، و فى ظ : لاندهامكم (٩) زيد من مد . (١٠) فى ظ : اراد (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعصيانكم .

للقلوب

للقلوب عطف على قوله "صرفكم": ﴿ و لقد عفا عنكم ط ﴾ أي تفضلا عليكم لإيمانكم ﴿ و الله ﴾ الذي له الكمال كله ﴿ ذو فضل على المؤمنين ه ﴾ أي كافة، و هو من الإظهار في موضع الإضمار للتعميم[1] و تعليق الحكم بالوصف.

و لما ذكر علة الصرف و العفو عنه صوّره[2] فقال: ﴿ اذ ﴾ ٥ [أي - [3]] صرفكم و عفا عنكم حين ﴿ تصعدون ﴾ أي تزيلون[4] الصعود فتنحدرون[5] نحو المدينة، أو[6] تذهبون في الأرض لتبعدوا عن محل الوقعة خوفا من القتل[7] ﴿ و لا تلوٗن ﴾ أي تعطفون ﴿ على احد ﴾ أي من قريب و لا بعيد / ﴿ و الرسول ﴾ أي الذي أرسل إليكم لتجيبوه[8] إلى / ٤٢٤ كل ما يدعوكم إليه و هو الكامل في الرسلية ﴿ يدعوكم في اخرٰىكم ﴾ أي ١٠ ساقتكم[9] و جماعتكم الأخرى، و أنتم مدبرون و هو ثابت في مكانه في نحر العدو في نفر يسير لا يبلغون أربعين نفسا - على اختلاف الروايات - وثوقا بوعد الله و مراقبة له، يقول كلما[10] مرت[11] عليه جماعة[12] منهزمة[13]: إليّ عباد الله! أنا رسول الله! [14]إليّ إليّ[14] عباد الله! كما هو اللائق بمنصبه الشريف من الاعتماد على الله و الوثوق بما عنده و عد من دونه من ولي ١٥

(١) في ظ: للتعظيم (٢) من مد، و في الأصل و ظ: صورة (٣) زيد من مد (٤) في ظ: تزيدون (٥) في ظ: فينحدون (٦) في ظ «و» (٧) من مد، و في الأصل و ظ: الفعل (٨) في ظ: فتجيبوه (٩) في ظ: ساقيكم (١٠) في ظ: فلما (١١) في مد: مر (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد، و في الأصل: منهزمين (١٤-١٤) في ظ: الى اى، و في مد: اين اي.

و عدو عدما؛ و إنما قلت: إن[1] معنى ذلك الانهزام، لأن الدعاء يراد منه الإقبال على الداعي بعد الانصراف عما يريده ليأمر و ينهى، فعلم بذلك أنهم مولون عن المقصود و هو القتال، و في التفسير من البخاري عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جعل النبي صلى الله عليه و سلم على
٥ الرجالة يوم أحد عبد الله بن جبير رضي الله تعالى عنه و أقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم[2] الرسول في أخراهم، و لم يبق مع النبي صلى الله عليه و سلم غير اثني عشر رجلا.

و لما تسبب[3] عن العفو ردهم عن الهزيمة إلى القتال قال تعالى: ﴿فاثابكم﴾ أي جعل لكم ربكم ثوابا ﴿غما﴾ أي باعتقادكم قتل[4] الرسول
١٠ صلى الله عليه و سلم. و كان اعتقادا كاذبا مُلمّتم به رعبا ﴿بغم﴾ أي كان حصل لكم من القتل[5] و الجراح و الهزيمة، و سماه - و إن كان في صورة العقاب - باسم الثواب لأنه كان سببا للسرور[6] حين تبين[6] أنه خبر كاذب، و أن النبي صلى الله عليه و سلم سالم[7] حتى كأنهم - كما قال بعضهم - لم تصبهم[8] مصيبة، فهو[9] من الدواء بالداء، ثم علله بقوله:
١٥ ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم﴾ أي من النصر و الغنيمة ﴿و لا مآ اصابكم ط﴾ أي [10]من القتل[10] و الجراح و الهزيمة لاشتغالكم عن ذلك

(١) في مد: انما (٢) في ظ: تدعوهم (٣) في ظ: نسب (٤) في ظ: قبل. (٥) من ظ و مد، و في الأصل: القتال (٦-٦) في ظ: حتى يتبين (٧) من ظ و مد، و في الأصل: الما (٨) من ظ و مد، و في الأصل: لم تصبه (٩) سقط من ظ (١٠-١٠) في ظ: بالقتل.

بالسرور بحياة الرسول صلى الله عليه و سلم .

و لما قص[1] سبحانه و تعالى عليهم ما فعلوه ظاهرا و ما قصدوه باطنا و ما داواهم به قال - عاطفا على ما تقديره : فالله سبحانه و تعالى خبير بما يصلح أعمالكم و يبرئ أدواءكم - : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ خبير بما تعملون ه ﴾ أى من خير و شر فى هذه الحال و غيرها، و بما[2] ٥ يصلح من جزائه و دوائه، فتارة يداوى الداء[3] بالداء و تارة بالدواء، لأنه الفاعل القادر المختار .

و لما كان أمانهم بعد انخلاع قلوبهم بعيدا ، و لا سيما بكونه بالنعاس[4] الذى هو أبعد شىء عن ذلك المقام الوعر و المحل الضنك عطف بأداة البعد فى قوله : ﴿ ثم انزل عليكم ﴾ و لما أفاد[5] بأداة[6] ١٠ الاستعلاء عظمة الأمن ، و كانه[7] متصلا بالغم و لم يستغرق زمن ما[8] بعده أثبت الجار فقال : ﴿ من بعد الغم ﴾ أى المذكور و أنتم فى نحر العدو ﴿ امنة ﴾ أى أمنا عظيما، ثم أبدل منها تنبيها على ما فيها من الغرابة قوله: ﴿ نعاسا ﴾ [9]دليلا قطعيا ، فانه لا يكون إلا من أمن[9]؛ روى البخارى فى التفسير عن أنس رضى الله عنه أن أبا طلحة رضى الله عنه ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قصد (٢) فى ظ : ما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الد - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالناس (٥) فى ظ : افاده (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الجار فقال » تكررت فى الأصل بعد « و المحل الضنك » (٨) فى ظ : من (٩ - ٩) أخرت فى ظ عن « و هم المؤمنون » و زيد فيها « عن الأمن » قبل « فانه » .

قال: غشينا النعاس[١] و نحن فى مصافنا يوم أحد، فجعل سيفى يسقط من يدى و آخذه [٢]و يسقط و آخذه[٢]. و لما كان لبعضهم فقط استأنف وصفه بقوله: ﴿ يغشىٰ طآئفة منكم ﴾ و هم المؤمنون، و ابتدأ الإخبار عن الباقين بقوله: ﴿ و طآئفة ﴾ أى أخرى من المنافقين ﴿ قد اهمتهم انفسهم ﴾ لا المدافعة عن الدين فهم[٣] إنما يطلبون خلاصها، و لا يجدون إلى ذلك فيما يظنون سبيلا لاتصال رعبهم و شدة جزعهم، فعوقبوا على ذلك بأنه لم يحصل لهم[٤] الأمن المذكور، ثم فسر همهم فقال: ﴿ يظنون بالله ﴾ المحيط بصفات الكمال ﴿ غير الحق ﴾ أى من أن نصره بعد هذا لا يمكن، أو أنهم لو[٤] قعدوا فى المدينة لم يقتل أحد، و نحو ذلك من سفساف الكلام[٤] و فاسد الظنون التى فتحتها 'لو' و الأوهام ﴿ ظن الجاهلية ﴾ أى الذين لا يعلمون - من عظمة الله سبحانه و تعالى بأن ما أراده[٥] كان و لا يكون غيره - ما يعلم[٦] أتباع الرسل. ثم فسر الظن بقوله: ﴿ يقولون ﴾ أى منكرين لأنه لم يجعل الرأى رأيهم و يعمل بمقتضاه غضبا و تأسفا على خروجهم فى هذا الوجه و عدم رجوعهم مع ابن أبى بعد أن خرجوا ﴿ هل لنا من الامر ﴾ أى المسموع، و لكون الاستفهام بمعنى النفى ثبتت[٧] / أداة الاستغراق فى قوله: ﴿ من شىء ﴾ فكأنه قيل: فما ذا يقال لهم؟ فقيل: ﴿ قل ﴾ أى لهم ردا عليهم احتقارا

/٤٢٥

(١) فى ظ: الناس (٢-٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فانهم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اراد (٦) فى ظ: تعليم - كذا (٧) فى ظ: ثبت.

بهم ﴿ ان الامر ﴾ أى الحكم الذى لا يكون سواه ﴿ كله لله ط ﴾ أى الذى لا كفوء له، ليس لكم و لا لغيركم منه شىء، شئتم [أو أبيتم-[1]]، غزوتم أو قعدتم، ثبتم أو فررتم .

و لما قص سبحانه و تعالى عليهم بعض أمرهم فى هذه الحرب[2]، و بين لهم شيئا من فوائد ما فعل بهم بقوله "ان يمسسكم قرح" - الآيات ، ٥ و كان من جملة ذلك ما أظهر من أسرار المنافقين بهذه الوقعة[3] فى اتهامهم[4] الله و رسوله، حتى وصل إلى هنا، و كان[3] قولهم هذا غير صريح[5] فى الاتهام[6] لإمكان حمله[7] على مساق[8] الاستفهام أخبر سبحانه و تعالى بتدليسهم بقوله: ﴿ يخفون ﴾ أى يقولون ذلك مخفين[9] ﴿ فى انفسهم ما لا يبدون لك ط ﴾ [لكونه لا يرضاه الله . ثم بين ذلك بعد ١٠ إجماله فقال : ﴿ يقولون لو كان لنا من الامر ﴾ - [1]] أى المسموع ﴿ شىء ما قتلنا ههنا ط ﴾ لأنا كنا نمكث فى المدينة و لا نخرج إلى العدو .

و لما أخبر سبحانه و تعالى [عنهم - [10]] بما أخفوه جهلا منهم ظنا أن الحذر يغنى من القدر أمره سبحانه و تعالى بالرد عليهم بقوله: ﴿ قل ١٥ لو كنتم فى بيوتكم ﴾ أى بعد[3] أن أجمع[11] رأيكم على أن لا يخرج منكم

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ : الحروب (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : ابهامهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : صحيح (٦) فى ظ : الابهام .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جملة (٨) فى ظ : حذف - كذا (٩) فى ظ : مخفيين (١٠) زيد من مد (١١) فى ظ : جمع .

أحد[1] ﴿ لبرز الذين كتب عليهم القتل ﴾ أى فى هذه الغزوة ﴿ الى مضاجعهم[4] ﴾ أى التى هى مضاجعهم بالحقيقة و هى التى قتلوا بها ، لأن ما قدرناه لا يمكن أحدا دفعه بوجه من الوجوه ، ثم عطف على ما علم[1] تقديره و دل عليه السياق قوله : " ليبتلى " ، أى لبرز المذكورون
٥ لينفذ[2] قضاؤه و يصدق قوله لكم فى غزوة بدر : إن فاديتم الأسارى[3] و لم تقتلوهم قتل منكم فى العام المقبل[4] مثلهم ﴿ و ليبتلى الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال بهذا[5] الأمر التقديرى ﴿ ما فى صدوركم ﴾ [أى -[6]] من الإيمان و النفاق بأن يفعل فى إظهاره من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فعل المختبر كما فعل بما وجد فى هذه الغزوة من الأمور التحقيقية[7]
١٠ ﴿ و ليمحص ما فى قلوبكم ط ﴾ أى يطهره و يصفيه من جميع الوساوس الصارفة عن المراقبة من محبة الدنيا من الغنائم التى كانت [8]سبب الهزيمة[8] و غيرها . و ختم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم بذات الصدور ہ ﴾ مرغبا و مرهبا و دافعا لما قد يتوهم من ذكر الابتلاء من عدم العلم بالخفايا[9] .

١٥ و لما كانوا فى هذه الغزوة[10] قد حصل لهم ضرر عظيم ، لكنه كان بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فأدبهم بذلك ، عفا عنهم سبحانه

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لنفد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاسرى .
(٤) فى ظ : القابل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) فى ظ : الحقيقة (٨-٨) فى ظ : سببا لهزيمة (٩) فى ظ : بالخفايا (١٠) فى ظ : الفوقية .

و تعالى بعد ذلك التأديب و رحمهم و طيب قلوبهم بهذه الآية بما فيها من التأمين[1] صريحا ، و بما فيها من الإشارة بجمع[2] جميع[3] حروف المعجم فيها تلويحا إلى أن أمرهم لا بد أن يتم كما تمت[4] الحروف في هذه الآية ، لكنه افتتحها بأداة التراخي إشارة إلى أنه لا يكون إلا بعد مدة مديدة حتى[5] تصقل مرائي[5] الصدور التي ختمها بها بخلاف ما في الآية الأخرى ٥ الجامعة [للحروف -[6]] في آخر سورة الفتح التي نزلت في الحديبية التي ساءهم[7] رجوعهم منها دون وصولهم إلى قصدهم - كما يأتي إن شاء الله سبحانه و تعالى .

و لما كان فيه مع[8] ذلك معنى التعليل و التنبيه على أنه غني عن[2] الاختبار ، خبير بدقائق الأسرار أتبعه قوله مستأنفا لبيان ما هو من ١٠ ثمرات العلم : ﴿ ان الذين تولوا منكم ﴾ أي عن القتال و مقارعة الأبطال ﴿ يوم التقى الجمعٰن لا ﴾ أي من المؤمنين و الكفار ﴿ انما استزلّهم ﴾ أي طلب زللهم عن ذلك المقام العالي ﴿ الشيطٰن ﴾ أي عدوهم البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ﴿ ببعض ما كسبوا ج ﴾ أي من الذنوب التي[9] لا تليق[10] بمن طلب الدنو إلى حضرات القدس و مواطن الأنس من ترك المركز ١٥ و الإقبال على الغنيمة و غير ذلك ، فان القتال في الجهاد إنما هو بالأعمال ،

(١) في الأصل و مد : التامن ، و في ظ : التامل (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لجميع . (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : يتم (٥-٥) من مد ، و في الأصل : تنصقل راى ، و في ظ : بنفصل مرى - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : سـاير (٨) في ظ : معنى (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : الذي . (١٠) في ظ : لا يليق .

فمن كان أصبر فى أعمال[1] الطاعة كان أجلد على قتال الكفار، و لم يكن توليهم [2]عن ضعف[2] فى نفس الأمر.

و لما كان ذلك مفهما أن الذين تولوا صاروا من حزب الشيطان[3] فاستحقوا ما استحق ألصق به قوله: ﴿و لقد عفا الله﴾ أى الذى له

٥ صفات الكمال ﴿عنهم ط﴾ لئلا تطير[4] أفئدة المؤمنين [5]منهم، و ختم ذلك ببيان علته بما هو أهله من الغفران و الحلم فقال معيدا للاسم الأعظم تنبيها على أن الذنب عظيم و الخطر بسببه جسيم، فلولا الاشتمال / على جميع صفات الكمال لعوجلوا بأعظم النكال: ﴿ان الله غفور﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا. و لما كان الغفر[6] قد يكون مع تحمل نفاه بقوله:

١٠ ﴿حليم ٥﴾ أى حيث لم يعامل[7] المتولين حذر الموت معاملة الذين خرجوا من ديارهم - كما تقدم - حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا.

/٤٢٦

و لما كان قولهم: إنا لو ثبتنا فى المدينة الممثلة بالدرع الحصينة - كما كان رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم و الأكابر من أصحابه - لسلمنا، إلى غير ذلك مما[8] أشار سبحانه و تعالى إليه قولا موجبا لغيظ رسول الله

١٥ صلى الله عليه و سلم لما فيه من الاتهام[9] و سوء العقيدة، وكان مع ذلك مظنة لأن يخدع كثيرا[10] من أهل الطاعة لشدة حبهم لمن قتل منهم

---

(١) فى ظ: الاعمال (٢-٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الشياطين (٤) فى ظ: يطير.
(٥) العبارة من هنا إلى «بقوله "حليم"» سقطت من ظ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: القصد (٧) فى ظ: العامل (٨) فى ظ: بما (٩) فى ظ: الابهام (١٠) من ظ، و فى الأصل: كثير، و فى مد: اكثر.

و تعاظم

و تعاظم أسفهم عليهم . كان أنسب الأشياء المبادرة إلى الوعظ بما يزيل هذا الأثر ، و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم مؤيدا بأعظم الثبات لما طبع عليه من الشيم[1] الطاهرة [و المحاسن الظاهرة -[2]] كان الأنسب[3] البداءة بغيره ؛ فنهى الذين آمنوا عن الانخداع بأقوالهم فقال تعالى : ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ أي أظهروا [4] الإقرار بالإيمان[4] ! صدقوا قولكم[5] بأن ﴿ لا تكونوا كالذين كفروا ﴾ أي بقلوبهم على وجه الستر ﴿ و قالوا ﴾ أي ما فضحهم ﴿ لاخوانهم ﴾ أي لأجل إخوانهم الأعزة[6] عليهم نسبا أو مذهبا ﴿ اذا ضربوا ﴾ أي سافروا مطلق سفر ﴿ فى الارض ﴾ أي لمتجر أو غيره ﴿ او كانوا غزّى ﴾ أي غـــزاة مبالغين فى الغزو فى سبيل الله بسفر أو غيره ، جمع[7] غاز ، فماتوا أو قتلوا ﴿ لو كانوا عندنا ﴾ أي لم يفارقونا ﴿ ما ماتوا و ما قتلوا ج ﴾ و هذا فى غاية التهكم[8] بهم ، لأن إطلاق هذا القول منهم - لا سيما على هذا التأكيد - يلزم منه ادعاء أنه لا يموت أحد فى المدينة ، و هو لا يقوله عاقل .

و لما كان هذا القول محزنا اعتقاده و كتمانه علق سبحانه و تعالى بقوله " قالوا " و بانتفاء الكون كالذين قالوا قوله[9] : ﴿ ليجعل الله ﴾ أي الذى لا كفوء له ﴿ ذلك ﴾ أي القول أو[10] الانفراد به عن مشارك

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : شيم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : انسب.
(٤-٤) فى ظ : الايمان بالاقرار (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قولهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاعزه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميع (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : المتكم (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل «و».

﴿ حسرة فى قلوبهم ط ﴾ أى باعتقاده و عدم المواسى فيه ، و على تقدير التعليق بـ" قالوا " يكون[1] من باب التهكم بهم ، لأنهم لو لم يقولوه لهذا الغرض الذى لا يقصده[2] عاقل لكانوا[3] قد قالوه لا لغرض أصلا ، و ذلك أعرق[4] فى كونه ليس من أفعال العقلاء ﴿ و الله ﴾ أى لا تكونوا
٥ مثلهم[5] و الحال - أو قالوا ذلك و الحال - أن الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يحيى ﴾ [أى من أراد فى الوقت الذى يريد -[6]] ﴿ و يميت ط ﴾ [أى[3] من أراد إذا أراد ، لا يغنى حذره من قدره -[6]] ﴿ و الله ﴾ [أى المحيط بكل شىء قدرة و علما -[6]] ﴿ بما تعملون ﴾ أى بعملكم[7] و بكل شىء منه ﴿ بصير ﴾ و على كل شىء منه قدير ، لا يكون
١٠ [8]شىء منه[8] بغير إذنه ، و متى كان على خلاف أمره عاقب عليه .

و لما نهاهم عن قول المنافقين الدائر على تمنى المحال من دوام البقاء و كراهة الموت بين لهم[3] ثمرة فوات أنفسهم فى الجهاد بالموت أو القتل ليكون ذلك مبعدا لهم مما[9] قال المنافقون ، موجبا لتسليم الأمر للخالق ، بل محببا[10] فيه و داعيا إليه فقال : ﴿ و لئن ﴾ و هو حال أخرى من
١٥ " لا تكونوا " ﴿ قتلتم[11] ﴾ [أى من أى قاتل كان -[6]] ﴿ فى سبيل الله ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكونه (٢) ورد بعده فى الأصل : و الله يحيى و يميت ، فرتبناه حسبما ترتب فى ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اغرق . (٥) فى الأصل : لهم ، وفى ظ و مد : كهم - كذا (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعلمكم (٨-٨) فى ظ : منه شىء (٩) فى ظ : كما (١٠) فى ظ : محيبا (١١) تقدم فى الأصل : على « و هو حال » .

أى الملك الأعظم قتلا[1] ﴿ او متم ﴾ أى فيه موتا [2]على أى حالة كانت .
و لما كان للنفوس غاية الجموح[3] عن الموت زاد فى التأكيد فقال :
﴿ لمغفرة ﴾ أى لذنوبكم تنالكم ، فهذا تعبد بالخوف من العقاب ﴿ من الله ﴾
أى الذى له نهاية الكمال بما كنتم عليه من طاعة[4] ﴿ و رحمة ﴾ أى لأجل
ذلك ، [5]و هو تعبد لطلب الثواب[5] ﴿ خير مما يجمعون ه ﴾ أى مما[6] ٥
[7]هو ثمرة[7] البقاء فى الدنيا عند أهل الشقاء ، مع أنه ما فاتكم شىء من
أعماركم .

و لما ذكر أشرف الموت بادئا بأشرفه[8] ذكر ما دونه بادئا بأدناه
فقال : ﴿ و لئن متم او قتلتم ﴾ أى فى أى وجه كان على حسب ما قدر
عليكم فى الأزل ﴿ لاإلى الله ﴾ أى الذى هو متوفيكم لا غيره ، و هو ١٠
ذو الجلال و الإكرام الذى ينبغى أن يعبد لذاته . و دل على عظمته بعد
الدلالة بالاسم الأعظم بالبناء للمجهول فقال : ﴿ تحشرون ه ﴾ فان كان
ذلك الموت أو القتل على طاعته أثابكم و إلا عاقبكم ، و الحاصل أنه لا حيلة
فى دفع الموت على حالة من الحالات : قتل أو غيره ، و لا فى الحشر إليه
سبحانه و تعالى ، و أما الخلاص من هول ذلك اليوم ففيه حيلة بالطاعة - ١٥
و الله سبحانه و تعالى الموفق . و ما أحسن ما قال عنترة فى نحوه و هو

(١) سقط من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « التأكيد فقال » تأخرت فى الأصل
فقط عن « لأجل ذلك » (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجموع (٤) فى ظ :
طاعته (٥-٥) تقدم فى الأصل على « لمغفرة » (٦) من مد ، و فى الأصل : ماء ،
و فى ظ : مع (٧-٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرفه .

جاهلى ، فالمؤمن أولى منه بمثل ذلك :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض[1] الحتوف بمعزل

/ فأجبتها إن المنيـة منهل لا بد أن أسقى بكأس[2] المنهل /٤٢٧

فاقنى حياءك لا أبا لك و اعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

لما فرغ من وعظ الصحابة رضى الله تعالى عنهم أتبعه تحبيب النبى صلى الله عليه و سلم فيما فعل بهم من الرفق[3] و اللين مع ما سبب الغضب الموجب للعنف و السطوة من[4] اعتراض [5]من اعترض[5] على ما أشار به ، ثم مخالفتهم لأمره فى حفظ المركز و الصبر و التقوى ، ثم خذلانهم له و تقديم أنفسهم على نفسه الشريفة ، ثم[6] عدم[7] العطف عليه ١٠ و هو يدعوهم إليه و يأمر[8] باقبالهم عليه ، ثم اتهام من اتهمه - إلى غير ذلك من الأمور التى توجب لرؤساء الجيوش و قادة الجنود اتهام أتباعهم و سوء الظن بهم الموجب للغضب و الإيقاع ببعضهم ليكون ذلك زاجرا[9] لهم عن العود إلى مثله فقال تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ أى[10] الذى له الكمال كله ﴿ لنت لهم ج ﴾ أى ما لنت[11] لهم هذا اللين الخارق للعادة[12] ١٥ و رفقت بهم هذا الرفق بعد ما فعلوا بك إلا بسبب رحمة عظيمة من

---

(١) من ديوانه ، و فى الأصول : عرض (٢) من ديوانه ، و فى الأصول : بذاك .
(٣) فى ظ : الرزق (٤) فى ظ : مع (٥ - ٥) سقط من مد (٦) سقط من ظ .
(٧) فى ظ : اعدم (٨) فى ظ : ما امر (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : زجرا .
(١٠) سقط من ظ و مد (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما كنت (١٢) فى ظ : بالعادة .

الحائز لجميع الكمال ، فقابلتهم بالجميل و لم تعنفهم بانهزامهم عنك بعد إذ خالفوا رأيك ، و هم كانوا سببا لاستخراجك ؛ و الذى اقتضى هذا الحصر هو ["ما" - [1]] لأنها نافية فى سياق الإثبات فلم يمكن[2] أن توجه إلا [3] إلى ضد ما أثبته[4] السياق ، و دلت زيادتها على أن تنوين[5] "رحمة" للتعظيم ، أى فبالرحمة[6] العظيمة لا بغيرها لنت . ٥

و لما بين سبحانه و تعالى سبب هذا اللين المتين بين ثمرته[7] ببيان ما فى ضده من الضرر فقال : ﴿ و لو كنت فظا ﴾ أى سيئ الخلق جافيا فى القول ﴿ غليظ القلب ﴾ أى قاسيه لا تتأثر بشىء[8] ، تعاملهم بالعنف و الجفاء ﴿ لانفضّوا ﴾ أى تفرقوا تفرقا[9] قبيحا [10]لا اجتماع[10] معه ﴿ من حولك ص ﴾ أى ففات المقصود من البعثة . ١٠

و لما أخبره[11] سبحانه و تعالى أنه هو[3] عفا عنهم ما فرطوا فى حقه أمره بالعفو عنهم فيما يتعلق به صلى الله عليه و سلم ، و بالاستمرار على مشاورتهم عند النوائب لئلا يكون خطأهم فى الرأى - أولا فى الخروج من المدينة ، و ثانيا فى تضييع المركز ، و ثالثا فى إعراضهم عن الإثخان فى العدو [12]بعد الهزيمة الذى ما شرع القتال إلا لأجله باقبالهم على النهب ، و رابعا[12] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : فلم تكن (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثبت (٥) فى ظ : ينوين (٦) فى ظ : فابلة لرحمته - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثمرة (٨) من مد ، و فى الأصل : اشىء ، و قد سقط من ظ . (٩) من ظ ، و فى الأصل و مد : تفريقا (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاجتماع (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : أخبر (١٢-١٢) سقطت من ظ .

[1] في وهنهم عند كر العدو[1] إلى غير ذلك - موجبا لترك مشاورتهم، فيفوت ما فيها من المنافع في نفسها و فيما تثمره[2] من التألف و التسنن[3] و غير ذلك فقال سبحانه و تعالى: ﴿ فاعف عنهم ﴾ أي ما فرطوا في هذه الكرة في حقك ﴿ و استغفر لهم ﴾ أي الله سبحانه و تعالى لما فرطوا في حقه ٥ ﴿ و شاورهم ﴾ أي استخرج[4] آراءهم ﴿ في الامرج ﴾ أي الذي تريده من أمور الحرب تألفا لهم و تطييبا لنفوسهم ليستن[5] بك من بعدك ﴿ فاذا عزمت ﴾ أي بعد ذلك على أمر قضيت فيه، و قراءة من ضم التاء للتكلم بمعناها، أي فاذا فعلت أنت أمرا بعد المشاورة لأني فعلت فيه - بأمر[6] أردته - فعل العازم.

١٠ و لما أمر بالمشاورة التي هي النظر في الأسباب أمر بالاعتصام بمسببها من غير التفات إليها ليكمل جهاد الإنسان بالملابسة ثم التجرد فقال: ﴿ فتوكل ﴾ أي فيه ﴿ على الله[7] ط ﴾ أي الذي له الأمر كله، و لا يردك عنه خوف عاقبة - كما فعلت بتوفيق [الله في هذه الغزوة، ثم علل ذلك بقوله -[8]]: ﴿ ان الله ﴾ [أي الذي لا كفوء له -[8]] ١٥ ﴿ يحب المتوكلين ه ﴾ [أي فلا يفعل بهم إلا ما فيه -[8]] إكرامهم

(١ - ١) سقطت من ظ (٢) في ظ: تثمر (٣) في ظ: السن (٤) من ظ و مد، و في الأصل: استخراج (٥) من ظ و مد، و في الأصل: ولسن - كذا (٦) من ظ و مد، و في الأصل: بادني (٧) و رد بعده في الأصل "ان الله يحب المتوكلين"، فرتبناه حسبما ترتب في ظ و مد (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

و إن رُئى غير ذلك .

و لما كان التقدير : فاذا فعلوا ما يحبه أعطاهم مُناهم مما عزموا عليه لأجله ؛ استأنف الإخبار بما يقبل بقلوبهم إليه[1] و يقصر هممهم عليه ، بأن من نصره هو المنصور ، و من خذله هو المخذول ، فقال تعالى : ﴿ ان ينصركم الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ فلا غالب لكم ج ﴾ ٥ أى إن كان نبيكم صلى الله عليه و سلم بينكم أو لا ، فما بالكم[2] وهنتم لما صاح[3] إبليس أن محمدا قد قتل ! و هلا فعلتم كما فعل سعد بن الربيع رضى الله تعالى عنه و كما فعل أنس بن النضر رضى الله تعالى عنه حين قال : موتوا على ما مات عليه نبيكم صلى الله عليه و سلم ! فهو أعذر لكم عند ربكم ﴿ و ان يخذلكم ﴾ أى بامكان العدو منكم ﴿ فمن ذا الذى ١٠ ينصركم من بعده ط ﴾ أى من نبى أو[4] غيره ، ولما / كان التقدير : فعلى /٤٢٨ الله[5] فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، عطف عليه قوله : ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده ، لا على نبى و لا على قوة بعدد و لا بمال من غنيمة و لا غيرها ﴿ فليتوكل المؤمنون ۝ ﴾ أى كلهم فيكون [ذلك ـ[6]] أمارة صحة إيمانهم . ١٥

و لما كان الغلول من أعظم موجبات الخذلان أو أعظمها ، و النزاهة عنه من أعظم موجبات النصر ، كان أنسب الأشياء تعقيب هذه الآية

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : لكم (٣) فى ظ : صرح ، و زيد بعده فيه : ان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٦) زيد من ظ .

بآية الغلول بيانا، لأنه كان سبب هزيمتهم فى هذه الغزوة ، فانه لا يخذل
إلا بالذنوب ، و من أعظم الذنوب الموجبة للخذلان الغلول . فيكون
المراد بتنزيهه صلى الله عليه و سلم عنه - و الله أعلم - أن إقبالهم على نهب
الغنائم قبل وقته إما أن يكون لقصد أن يغلوا باخفاء ما انتهبوه أو بعضه،
٥ و إما أن يكون للخوف [1] من أن يغل رئيسهم و حاشاه! و إما أن
يكون للخوف [1] من مطلق الخيانة [2] بأن لا يقسمه صلى الله عليه و سلم
بينهم على السواء، و حاشاه من كل من ذلك! و أما المبادرة إلى النهب
لغير هذا القصد فخفة و طيش [1] و عبث [1]، لا يصوب [3] عاقل إليه ؛ إذا
تقرر هذا فيمكن أن يكون التقدير: فليتوكلوا فى كبت [4] العدو و تحصيل
١٠ ما معه من الغنائم ، فلا يقبلوا على ذلك إقبالا يتطرق منه احتمال لظن
السوء بهاديهم [5] فى أن يغل ، و هو الذى أخبرهم بتحريم الغلول و بأنه
سبب للخذلان ، و ما نهى صلى الله عليه وسلم قط عن شيء إلا كان
أول تارك له و بعيد منه ، [و - [6]] ما كان ينبغى [7] لهم أن يفتحوا طريقا
إلى هذا الاحتمال فعبر [8] عن ذلك بقوله عطفا [8] [على - [6]] "و كاين
١٥ [1] من نبى [1]" : ﴿ و ما كان ﴾ أى ما تأتى [9] و ما صح فى وقت من الأوقات

(١ - ١) سقطت من ظ (٢) فى ظ : الخايه - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يضرب (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : كتب (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهادينهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من ظ . (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بذلك عن قوله عاطفا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما يأتى .

و لا

و لا على حالة من الحالات ﴿ لنبي ﴾ أي [أيّ -[1]] نبي كان فضلا عن سيد الأنبياء و إمام الرسل ﴿ ان يغل ط ﴾ تبشيعا لفعل[2] ما يؤدى إلى هذا الاحتمال زجرا من معاودة مثل ذلك الفعل المؤدى إلى تجويز شيء مما ذكر، و على قراءة الجماعة غير ابن كثير و أبي عمرو[3] - بضم الياء و فتح العين مجهولا من : أغل[4] - المعنى : و ما كان له و ما صح ٥ أن يوجد غالا ، أو ينسب إلى الغلول ، أو يظن به ما يؤدى إلى ذلك ؛ و يجوز أن يكون التقدير بعد الأمر بالتوكل على الله سبحانه و تعالى وحده : فـلا تأتوا إن كنتم مؤمنين بما يقدح فى التوكل كالغلول و ما يدانيه فتخذلوا ، فانه ما كان لكم أن تغلوا[5] ، و ما كان أى ما حل لنبي أى من الأنبياء قط أن يغل ، أى لم أخصكم بهذه الشريعة بل ما كان فى شرع ١٠ نبي قط إباحة الغلول ، فلا تفعلوه و لا تقاربوه بنحو الاستباق إلى النهب ، فان ذلك يسلب[6] كمال التوكل ، فانه من[7] يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه ، فيوجب له الخذلان ، روى الطبراني فى الكبير - قال الهيثمي : و رجاله ثقات - عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : بعث النبي صلى الله عليه و سلم جيشا فردت رايته[8] . ثم بعث فردت ، [9]ثم بعث فردت[9] ١٥ بغلول رأس غزال[10] من ذهب ، فنزلت " و ما كان لنبي ان يغل " .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يفعل (٣) فى ظ : ابن عمرو (٤) فى ظ : اعلى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يغلوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسلبه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : صرنيته - كذا . (٩-٩) سقطت من ظ (١٠) فى ظ : عرال .

و لما كان فعلهم ذلك محتملا لقصدهم الغلول و لخوفهم من غلول
غيرهم عمم فى التهديد بقوله : ﴿ و من يغلل ﴾ أى يقع منه ذلك كائنا
من كان ﴿ يات بما غل يوم القيٰمة ج ﴾ و من عرف كلام أهل اللغة فى
الغلول عرف صحة قولى: إنه لمطلق[1] الخيانة ، و إنه يجوز أن يكون التقدير:
٥ و ما كان لأحد[2] أن يفعل ما يؤدى - و لو[3] على بُعد - إلى نسبة نبى إلى
غلول ، قال صاحب القاموس : أغل فلانا : نسبه إلى الغلول و الخيانة ،
و غل غلولا : خان - كأغل[4] ، أو خاص بالفيء ، و قال الإمام عبد الحق
الإشبيلى فى كتابه الواعى : أغل الرجل إغلالا - إذا خان ، فهو مغل ،
و غل فى المغنم يغل غلولا ، و قرئ : أن يَغُل ، و أن يُغَل ، فمن قرأ : يَغُل -
١٠ أراد : يخون[5] ، و من قرأ : يُغَل - أراد : يخان ، و يجوز أن يريد[6] :
لا ينسب إلى الخيانة ، و كل من خان شيئا فى خفاء فقد غل يغل غلولا ،
و يسمى[7] الخائن غالا ، و فى الحديث « لا إغلال و لا إسلال » الإغلال :
الخيانة فى كل شيء ، و غللت الشيء [8]أغله غلا - إذا سترته ، قالوا : و منه
الغلول فى المغنم ، إنما أصله أن الرجل كان إذا أخذ منه شيئا ستره فى
١٥ متاعه ، فقيل للخائن : غال / و مغل ، و يقال : غللت الشيء[8] فى الشيء - ٤٢٩/
إذا أدخلته[9] فيه ، و قد انغل - إذا دخل فى الشيء ، و قد انغل فى الشجر[10] :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطلق (٢) فى ظ : لاجل (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : كان على - كذا (٥) فى ظ : يحون - كذا (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : يزيد (٧) فى ظ : تسمى (٨-٨) تكرر فى الأصل و مد (٩) فى
ظ : دخلته (١٠) فى ظ : السحر - كذا .

دخل - انتهى . فهذه الآية نهى للؤمنين عن الاستباق إلى المغنم على طريق الإشارة[1] ، فتم بها الوعظ الذى[2] فى أواخر القصة ، كما أن آية الربا نهى عنه على طريق الإشارة ، فتم بها الوعظ الذى فى أوائل القصة ، فقد اكتنف التنفير من الغلول - الذى هو سبب الخذلان فى هذه الغزوة بخصوصها لمباشرة ما هو مظنة له و فى الغزو مطلقا ـ طرفى الوعظ فيها ، ليكون من ٥ أوائل ما يقرع السمع و أواخره .

و لما كان ثمرة الإتيان به الجزاء عليه عمم الحكم تنبيها على أن ذلك اليوم يوم الدين ، فلا بد من الجزاء فيه و تصويرا له تبشيعا[3] [4] للفضيحة فيه بحضرة الخلق[4] أجمعين ، و زاد فى تعظيمه و تعظيم الجزاء فيه بأداة التراخى و تضعيف الفعل فقال معمما الحكم[5] ليدخل الغلول من باب ١٠ الأولى : ﴿ ثم توفى ﴾ أى فى ذلك اليوم العظيم ، و بناه للمجهول إظهارا لعظمته على طريق كلام القادرين ﴿ كل نفس ﴾ أى [6] غالة و غير غالة[6] ﴿ ما كسبت ﴾ أى ما لها فيه فعل ما من خير أو شر وافيا مبالغا فى تحرير وفائه ﴿ و هم لا يظلمون ﴾ أى لا يقع عليهم ظلم فى[7] شىء منه بزيادة و لا نقص . ١٥

و لما أخبر تعالى أنه لا يقع فى ذلك اليوم ظلم أصلا تسبب عنه

(١) زيد بعده فى الأصل : فتح بها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتسميا ـ كذا (٤-٤) تكرر فى ظ (٥) فى ظ : للحكم (٦-٦) فى ظ : عاله و عبر عالة ـ كذا (٧) سقط من ظ .

الإنكار على من[1] حدثته[2] نفسه بالأماني الكاذبة، فظن غير ذلك من استواء حال المحسن و غيره، أو فعل فعلا و قال قولا[1] يؤدى إلى ذلك كالمنافقين و كالمقبلين على الغنيمة فقال تعالى: ﴿ افمن اتبع ﴾ أي طلب بجد و اجتهاد ﴿ رضوان الله ﴾ أي ذي الجلال و الإكرام بالإقبال على
٥ ما أمر به الصادق، فصار إلى الجنة و نعم الصبر ﴿ كمن بآء ﴾ أي رجع من تصرفه[3] الذى يريد به[4] الربح، أو حل[5] و أقام ﴿ بسخط من الله ﴾ أي الملك الأعظم بأن فعل ما يقتضى السخط بالمخالفة ثم الإدبار لو لا العفو ﴿ و ماوٰه جهنم ط ﴾ أي جزاء بما جعل أسباب السخط مأواه ﴿ و بئس المصير ﴾ أي هي.
١٠ و لما أفهم الإنكار على من سوّى بين الناس أنهم متمايزون صرح بذلك في قوله: ﴿ هم درجٰت ﴾ أي متباينون تباين الدرجات. و لما كان اعتبار التفاوت[6] ليس بما عند الخلق قال: ﴿ عند الله ط ﴾ أي الملك الأعلى في حكمه و علمه و إن خفي ذلك عليكم، لأن الله سبحانه و تعالى خلقهم فهو عالم بهم حين خلقهم ﴿ و الله ﴾ أي الذى له جميع[7] صفات
١٥ الكمال ﴿ بصير ﴾ [8]أي بالبصر و العلم[8] ﴿ بما يعملون ﴾ أي بعد إيجادهم[9]، لأن ذلك أيضا خلقه و تقديره، و ليس لهم فيه إلا نسبته

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: حديثه (٣) من ظ و مد، و في الأصل: تصرفه.
(٤) من ظ و مد، و في الأصل: مع (٥) في ظ: محل - كذا (٦) في ظ: التفات.
(٧) تأخر في الأصل عن «صفات» (٨-٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، و في الأصل: اسجادهم.

إليهم بالكسب، فهو يجازيهم بحسب تلك الأعمال، فكيف يتخيل[1] أنه يساوى بينهم فى المآل و قد فاوت بينهم فى الحال و هو الحكم العدل ! فعلم بما فى هذا الختام من إحاطته بتفاصيل الأعمال صحة ما ابتدئ بـه الكلام[2] من التوفية.

و لما أرشدهم إلى هذه[3] المراشد، و بين لهم بعض ما اشتملت عليه ٥ من الفوائد، و بان بهذه القصة قدر من أسدى إليهم ذلك على لسانه صلى الله عليه و سلم بما له من الفضائل التى[4] من أعظمها كونه من جنسهم، يميل إليهم و يرحمهم و يعطف عليهم، فيألفونه فيعلمهم؛ نبه على ذلك سبحانه و تعالى ليستمسكوا بغرزه[5] و لا يلتفتوا لحظة عن لزوم هديه فقال سبحانه و تعالى – مؤكدا لما اقتضاه الحال من فعل[6] يلزم منه النسبة ١٠ إلى الغلول –: ﴿ لقد من الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿ على المؤمنين ﴾ [خصهم –[7]] لأنهم المجتبون[8] لهذه النعمة[9] ﴿ اذ بعث فيهم ﴾ أى فيما بينهم [10]أو بسببهم[10] ﴿ رسولا ﴾ و زادهم رغبة فيه بقوله[11]: ﴿ من انفسهم ﴾ أى نوعا و صنفا، يعلمون أمانته و [12]صيانته و شرفه[12] و معاليه

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: الكمال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: هذا.
(٤) زيد بعده فى الأصل: هى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من مد – أى أمره و نهيه، و فى الأصل: بصوره، و فى ظ: بعرزه (٦) زيد بعده فى ظ: من (٧) زيد من مد (٨) من مد، و فى الأصل: المجتنبون، و فى ظ: مخبتون (٩) فى ظ: الأمة (١٠–١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: و بينهم.
(١١) فى ظ: بقولهم (١٢–١٢) فى ظ و مد: شرفه و صيانته.

و طهارته قبل النبوة و بعدها[١] ﴿ يتلوا عليهم ءايٰته ﴾ أى فيمحو ببركة
نفس التلاوة كبيرا من شر الجان و غيرها مما ورد فى منافع القرآن مما
عرفناه ، و ما لم نعرفه أكثر ﴿ و يزكيهم ﴾ أى يطهرهم من أوضار الدنيا
و الأوزار بما يفهمه[٢] بفهمه الثاقب من دقائق الإشارات و بواطن
٥ العبارات ، و قدم التزكية لاقتضاء مقام المعاتبة على الإقبال على الغنيمة
ذلك ، كما مضى فى سورة البقرة ﴿ و يعلمهم الكتٰب ﴾ أى [تلاوة -[٣]]
بكونه من نوعهم [٤] يلذ لهم[٤] التلقى منه / ﴿ و الحكمة[ج] ﴾ تفسيرا و إبانة ٤٣٠/
و تحريرا ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ كانوا ﴾ و لما كانوا قد مرت لهم
أزمان و هم على دين أبيهم إسماعيل عليه الصلاة و السلام [نبه على
١٠ ذلك بادخال الجار فقال -[٣]] : ﴿ [٥]من قبل[٥] ﴾ [أى من قبل ذلك -[٣]]
﴿ [٥]لفى ضلٰل مبين[٥] ﴾ [أى ظاهر ، و هو من شدة ظهوره كالذى ينادى[٦]
على نفسه بايضاح لبسه ، و فى ذلك إشارة إلى أنه عليه السلام -[٣]]
علمهم من الحكمة فى هذه الوقعه ما أوجب نصرتهم[٧] فى أول النهار ،
فلما خالفوه[٨] حصل الخذلان . و لما أزال شبهة النسبة إلى الغلول
١٥ بحذافيرها ، و أثبت ما له من أضدادها من معالى[٩] الشيم و شمائل الكرم
صوب[١٠] إلى شبهة قولهم : لو كان رسولا ما انهزم أصحابه عنه ، فقال

(١) فى ظ : بعده (٢) زيد بعده فى ظ : من فهمه (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤ - ٤) فى ظ : يكذبهم - كذا (٥ - ٥) تأخر فى الأصل عن « فقال تعالى » (٦) فى ظ : يوادى (٧) فى ظ : نصرهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : خالفوا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : حل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضربه .

تعالى: ﴿ او لمآ ﴾ أى أتركتم ما أرشدكم إليه الرسول الكريم [1] الحليم العليم [1] الحكيم و لما ﴿ اصابتكم ﴾ [أى - [2]] فى هذا اليوم ﴿ مصيبة ﴾ لمخالفتكم لأمره [3] و إعراضكم عن إرشاده ﴿ قد اصبتم مثليها ﴾ أى فى بدر و أنتم فى لقاء العدو [4] و كأنما تساقون إلى الموت على الضد مما كنتم فيه فى هذه الغزوة، و ما كان ذلك إلا بامتثالكم لأمره [5] و قبولكم لنصحه ﴿ قلتم انّى ﴾ من أين و كيف أصابنا ﴿ هذا ﴾ أى [6] بعد وعدنا النصر ﴿ قل هو من عند انفسكم ﴾ أى لأن الوعد كان مقيدا بالصبر و التقوى، و قد تركتم المركز و أقبلتم على الغنائم قبل الأمر [به - [2]]، و عن على رضى الله تعالى عنه أن ذلك باختيارهم الفداء يوم بدر الذى نزل فيه "لو لا كتب من الله سبق لمسكم فيمآ اخذتم عذاب عظيم [7] " و أباح لهم سبحانه و تعالى [8] الفداء بعد أن عاتبهم و شرط عليهم [إن اختاروه [9] أن يقتل منهم فى العام المقبل بعدّ الأسرى، فرضوا و قالوا: نستعين بما نأخذه منهم عليهم - [2]] ثم نرزق الشهادة، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى [10] الذى لا كفوء له ﴿ على كل شىء [11] ﴾ أى من النصر و الخذلان و نصب أسباب كل منهما ﴿ قدير ﴾

(١-١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الامر (٤) من مد، و فى الأصل: الله، و فى ظ: ابعد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الأمر (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٨ آية ٦٨. (٨) زيد بعده فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من مد، و فى ظ: اختياره (١٠) سقط من ظ و مد (١١) زيد بعده فى الأصل: قدير، و لم تكن الزيادة هنا فى ظ و مد فحذفناها من هنا، و سيأتى. ٤٠ ٨٠ ؛

و قد وعدكم بذلك سبحانه و تعالى فى العام الماضى حين خيركم فاخترتم الفداء، و خالف من خالف منكم الآن، فكان ذكر المصيبة التى كان سببها مخالفة ما رتبه صلى الله عليه و سلم بعد ختم الآية التى قبلها بالتذكير بما كانوا عليه من الضلال على ما ترى[1] من البلاغة .

٥ و لما كانت نسبة المصيبة إليهم ربما أوهمت من لم ترسخ قدمه فى المعارف الإلٰهية أن بعض الأفعال خارج[2] عما مراده تعالى قال[3] : ﴿ و مآ اصابكم ﴾ و لما استغرقت الحرب ذلك اليوم نزع الجار فقال : ﴿ يوم التقى الجمعٰن ﴾ أى [حزب الله –[4]] و حزب الشيطان فى أحد ﴿ فباذن الله ﴾ أى بتمكين من له العظمة الكاملة و قضائه، و إثبات ١٠ أن ذلك باذنه نحو ما ذكر عند التولية يوم التقى الجمعان من نسبة الإحياء و الإماتة إليه .

و لما كان التقدير : ليؤدبكم به، عطف عليه قوله : ﴿ و ليعلم المؤمنين ۙ ﴾ أى الصادقين فى إيمانهم . و لما كان تعليق العلم بالشيء على حدته أتم و آكد من تعليقه به مع غيره أعاد العامل[5] لذلك، و إشعارا[6] ١٥ بأن أهل النفاق أسفل رتبة من[7] أن يجتمعوا مع المؤمنين فى شيء فقال : ﴿ و ليعلم الذين نافقوا ج ﴾ أى علما تقوم[8] به الحجة فى مجارى عاداتكم، و هذا مثل قوله هناك " و ليبتلى الله ما فى صدوركم " – الآية . و عطفه

(١) فى ظ : نري (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : خارجا (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : التائل (٦) فى ظ : اشعار (٧) فى ظ : مع .
(٨) فى ظ : يقوم .

على

على قوله "نافقوا" ما أظهر نفاقهم، أو يكون حالا من فاعل "نافقوا" فقال: ﴿ و قيل لهم تعالوا قاتلوا ﴾ أي أوجدوا[1] القتال ﴿ في سبيل الله ﴾ أي الذي له الكمال كله بسبب تسهيل طريق الرب الذي شرعه ﴿ او ادفعوا ط ﴾ أي عن أنفسكم و أحبائكم على عادة الناس لا سيما العرب ﴿ قالوا لو نعلم ﴾ أي نتيقن ﴿ قتالا ﴾ أي أنه يقع قتال ﴿ لا اتبعنكم ط ﴾ أي ٥ لكنه لا[2] يقع فيما نظن[3] قتال و رجعوا.

و لما كان هذا الفعل المسند إلى هذا القول ظاهرا في نفاقهم ترجمه[4] بقوله: ﴿ هم للكفر يومئذ ﴾ أي يوم إذ كان هذا حالهم ﴿ اقرب منهم للايمان ج ﴾ عند كل من سمع قولهم أو رأى فعلهم، ثم علل ذلك أو استأنف بقوله - معبرا بالأفواه التي منها ما[5] هو أبعد من اللسان ١٠ لكونهم منافقين، فقولهم إلى أصوات الحيوان[6] أقرب منه إلى كلام الإنسان ذي العقل و اللسان لأنهم -: ﴿ يقولون بافواههم ﴾ و لما أفهم هذا أنه[7] لا يجاوز[8] ألسنتهم فلا حقيقة له و لا ثبات عندهم؛ صرح به في قوله: ﴿ ما ليس في قلوبهم ط ﴾ بل لا شك عندهم في وقوع القتال، علم الله هذا منهم كما علموه من أنفسهم ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة ١٥ الكاملة ﴿ أعلم ﴾ أي منهم ﴿ بما يكتمون ج ﴾ أي كله لأنه يعلمه قبل كونه و هم لا يعلمونه إلا بعد كونه، و إذا كان نسوه بتطاول[9] / الزمان / ٤٣١

(١) في ظ: جددوا (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: يظن (٤) في ظ: برحمه.
(٥) من ظ و مد، و في الأصل: لما (٦) تكرر في الأصل (٧) من ظ، و في الأصل و مد: انهم (٨) من ظ و مد، و في الأصل: لا يجاوزوا (٩) من ظ و مد، و في الأصل: تتطاول - كذا.

و الله[1] سبحانه و تعالى لا ينساه .

و لما حكى عنهم ما لا يقوله ذو إيمان أتبعه ما لا يتخيله ذو مروة و لا عرفان فقال مبينا للذين نافقوا : ﴿ الذين قالوا لاخوانهم ﴾ أي لأجل إخوانهم و الحال أنهم قد أسلموهم ﴿ و قعدوا ﴾ أي عنهم خذلانا لهم ﴿ لو اطاعونا ﴾ أي في الرجوع ﴿ ما قتلوا ﴾ و لما[2] كان هذا موجبا للغضب أشار[3] إليه بإعراضه في قوله : ﴿ قل ﴾ أي لهؤلاء الأجانب الذين هم بمنزلة الغيبة عن حضرتي[4] لما تسبب عن قولهم هذا من ادعاء القدرة على دفع[5] الموت ﴿ فادرءوا ﴾ أي ادفعوا بعز و منعة[6] و ميّلوا ﴿ عن انفسكم الموت ﴾ أي حتى لا يصل إليكم أصلا ﴿ ان كنتم صٰدقين ۝ ﴾ أي[7] في أن الموت يغني منه حذر . فقد انتظم الكلام بما قبل الجملة الواعظة أتم انتظام على[7] أنه قد لاح لك أن ملاءمة[8] الجمل الواعظة لما قبلها و ما بعدها[9] ليس بدون ملاءمة ما قبلها من صلب القصة لما بعدها[9] منه .

و لما أزاح سبحانه و تعالى العلل[9] و شفى الغلل[9] و ختم بأنه لا مفر من القدر ، فلم يبق عند أهل الإيمان إلا ما طبع عليه الإنسان من الأسف على فقد الإخوان ، و كان سرور المفقود يبرد غلة الموجود بشرهم بحياتهم و ما نالوه من لذاتهم ؛ و لما كان العرب[10] بعيدين[11] قبل الإسلام

(۱) في ظ و مد : هو (۲) في ظ : لو (۳) في ظ : اشارة (٤) في ظ : حضرو - كذا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : وقع (٦) في ظ و مد : بمنعه. (۷) سقط من ظ (۸) في ظ : الملامة (۹ - ۹) سقطت من ظ (۱۰) من ظ و مد ، و في الأصل : العبد (۱۱) في ظ : يعتدين - كذا .

من اعتقاد الحياة بعد الموت خاطب الذى[1] لا ريب فى علمه بذلك إشارة إلى أنه لا يفهمه حق فهمه[2] سواه ، كما أشار إليه قوله فى البقرة "و لكن لا تشعرون[3]" فقال تعالى عاطفا على "قل" محببا فى الجهاد ، إزالة لما بغضه به المنافقون من أنه سبب الموت: ﴿ و لا تحسبن الذين قتلوا ﴾ أى وقع لهم القتل فى هذه الغزوة أو غيرها ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم، و الله أعلم ٥ بمن يقتل فى سبيله ﴿ امواتا ط ﴾ [4]أى الآن ﴿ بل ﴾ هم ﴿ احياء ﴾ و بين زيادة شرفهم معبرا عن تقربهم بقوله: ﴿ عند ربهم ﴾ [أى المحسن إليهم فى كل حال، فكيف فى حال قتلهم فيه حياة ليست كالحياة الدنيوية ! لحقق حياتهم بقوله -[5]]: ﴿ يرزقون لا ﴾ أى رزقا يليق[6] بحياتهم ﴿ فرحين بما آتيهم الله ﴾ أى الحاوى لجميع الكمال من ذلك ١٠ الفوز الكبير ﴿ من فضله لا ﴾ لأنه لو حاسبهم على أقل نعمة من نعمه لم توف[7] جميع أعمالهم [بها -[5]] لأن أعمالهم من نعمه[8]، فأعلمنا سبحانه و تعالى بهذا تسلية[9] و حسن تعزية أن لم يفت منهم إلا حياة الكدر التى لا مطمع[10] لأحد فى بقائها و إن طال المدى، و بقيت لهم

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٢ (٤) و نسخة مد من هنا إلى ص ١٢٤ فى غاية الانطماس فلم نقدر على المعارضة بها (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يقوم (٧) فى ظ : لم يوف (٨) من ظ ، و فى الأصل : نعمة (٩) فى الأصل و ظ : تسيلة - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يطمع .

حياة الصفاء التي لا انفكاك لها و لا آخر لنعيمها بغم يلحقهم و لا فتنة تنالهم و لا حزن يعتريهم و لا دهش يلم بهم في وقت الحشر و لا غيره، فلا غفلة[1] لهم. فكان ذلك مذهبا لحزن من خلفوه و مرغبا لهم في الأسباب الموصلة إلى مثل حالهم، و هذا - و الله سبحانه وتعالى أعلم - معنى الشهادة، ٥ أي أنهم ليست لهم حال غيبة، لأن دائم الحياة بلا كدر أصلا كذلك.

و لما ذكر سرورهم بما نالوه ذكر سرورهم بما علموه لمن هو على دينهم فقال: ﴿ و يستبشرون ﴾ أي توجد[2] لهم البشرى وجودا عظيم الثبات حتى كأنهم يوجدونها كلما[3] أرادوا ﴿ بالذين لم يلحقوا بهم ﴾ أي في الشهادة في هذه الغزوة. ثم بين ذلك بقوله: ﴿ من خلفهم لا ﴾ أي في الدنيا. ١٠ ثم بين المبشر به فقال: ﴿ الا خوف عليهم ﴾ أي على إخوانهم في آخرتهم ﴿ و لا هم يحزنون ﴾ أي أصلا، لأنه لا يفقد منه شيء، بل هم كل لحظة في زيادة، و هذا أعظم البشرى لمن تركوا على مثل حالهم من المؤمنين، لأنهم يلحقونهم[4] في مثل ذلك، لأن السبب واحد، و هو منحة[5] الله [لهم -[6]] بالقتل فيه، أو مطلق الإيمان لمطلق ما هم فيه من السعادة بغير ١٥ قيد الشهادة.

و لما ذكر سرورهم لأنفسهم تارة و لإخوانهم أخرى كرره تعظيما له و إعلاما بأنه في الحقيقة عن غير استحقاق، و إنما هو مجرد منّ فقال: ﴿ يستبشرون بنعمة من الله ﴾ أي ذي الجلال و الإكرام، كبيرة

(١) من ظ، و في الأصل: عقل (٢) من ظ، و في الأصل: توخذ (٣) في ظ: فلما (٤) في ظ: يلحقونه (٥) في ظ: متجه (٦) زيد من ظ.

و فضل

﴿ و فضل ؕ ﴾ أى منه عظيم ﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا يقدره[1] أحد حق قدره ﴿ لا يضيع اجر المؤمنين ﴾ أى منهم و من غيرهم[2]. بل يوفيهم أجرهم على أعمالهم و يفضل عليهم، و لو شاء لحاسبهم على سبيل العدل. و لو فعل ذلك لم يكن لهم شيء.

و لما ذم المنافقين برجوعهم من غير أن يصيبهم قرح، و مدح أحوال ٥ الشهداء ترغيبا / فى الشهادة، و أحوال من كان على مثل حالهم ترغيبا / ٤٣٢ فى النسج على منوالهم[3]، و ختم بتعليق السعادة بوصف الإيمان[4]؛ أخذ يذكر ما أثمر لهم إيمانهم من المبادرة إلى الإجابة إلى ما يهديهم[5] إليه صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه لم يحمل على التخلف عن أمره من غير عذر إلا صريح النفاق فقال: ﴿ الذين استجابوا ﴾ أى أوجدوا[6] ١٠ الإجابة فى الجهاد إيجادا مؤكدا محققا ثابتا بما عندهم من خالص الإيمان ﴿ لله و الرسول ﴾ أى لا لغرض مغنم و لا غيره، ثم عظم صدقهم بقوله - مثبتا الجار لإرادة ما يأتى من إحدى الغزوتين، لا استغراق ما بعد الزمان -: ﴿ من بعد مآ اصابهم القرح ؕ ﴾.

و لما كان تعليق الأحكام بالأوصاف[7] حاملا على التحلى بها عند ١٥ المدح قال سبحانه و تعالى: ﴿ للذين احسنوا[8] ﴾ و عبر بما يصلح للبيان

(١) من ظ، و فى الأصل: لا يقدر (٢) فى ظ: غيره (٣) من ظ، و فى الأصل: سوالهم (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: بيديهم (٦) فى ظ: وجدوا. (٧) من ظ، و فى الأصل: بالاذعان (٨) زيد فى الأصل بعده: منهم. و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

و البعض ليدوم رغبهم و رهبهم فقال: ﴿ منهم و اتقوا اجر عظيمۚ ﴾ و هذه الآيات من تتمة هذه القصة سواء قلنا: إنها إشارة إلى غزوة حمراء الأسد، أو[1] غزوة بدر الموعد، فان الوعد كان يوم أحد - و الله الهادى؛ و مما يجب التنبيه له أن البيضاوى قال تبعا للزمخشرى: إن النبى صلى الله
٥ عليه و سلم خرج إلى بدر الموعد فى سبعين راكبا، و فى تفسير البغوى أن ذلك كان فى حمراء الأسد. فان حمل على أن الركبان من الجيش كان ذلك عددهم [و - [2]] أن الباقين كانوا مشاة فلعله، و إلا فليس كذلك، و[3] أما فى حمراء الأسد فان النبى صلى الله عليه و سلم بلغه أن المشركين هموا بعد انفصالهم من أحد بالرجوع، فأراد[3] أن يرهبهم[4] و أن[3] يريهم
١٠ من نفسه و أصحابه قوة، فنادى مناديه يوم الأحد - الغد[5] من يوم أُحد[6] - بطلب العدو، و أن لا يخرج معه إلا من كان حاضرا معه بالأمس، فأجابوا بالسمع و الطاعة، فخرج فى[7] أثرهم و استعمل على المدينة ابن أم مكتوم، و لا يشك[8] فى أنهم أجابوا كلهم، و لم يتخلف[9] منهم أحد، و قد كانوا فى أحد نحو سبعمائة و لم يأذن رسول الله صلى الله عليه و سلم
١٥ فى الخروج معه لأحد [لم - [2]] يشهد القتال يوم أحد، و استأذنه[10] رجال لم يشهدوها فمنعهم إلا ما كان من جابر بن عبد الله رضى الله عنهما

(١) فى ظ «و» (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: يزلهم - كذا (٥) فى ظ: الغزو (٦) فى ظ: الاحد (٧) من ظ، و فى الأصل: عن (٨) فى ظ: لا يسيل (٩) من ظ، و فى الأصل: لم يخاف (١٠) من ظ، و فى الأصل: استاذن.

فانه أذن له لعلة[١] ذكرها في التخلف عن أحد محمودة[٢] . قال الواقدي : و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بلوائه و هو معقود لم يحل من الأمس ، فدفعه إلى علي رضي الله عنه ، و يقال : [إلى -[٣]] أبي بكر رضي الله عنه ، و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و رأسه مشجوج[٤] و هو مجروح[٥] ، في وجهه أثر الحلقتين ، و مشجوج في جبهته في أصول الشعر ، ٥ و رباعيته قد سقطت[٦] ، و شفته قد كلمت من باطنها و هو متوهن[٧] منكبه الأيمن بضربة[٨] ابن قمئة ، و ركبتاه[٩] مجحوشتان - بأبي هو[١٠] و أمي و وجهي و عيني! فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم المسجد فركع ركعتين و الناس قد حشدوا ، و نزل أهل العوالي حيث جاءهم الصريخ ، ثم ركع رسول الله صلى الله عليه و سلم ركعتين ، فدعا بفرسه على باب المسجد ، ١٠ و تلقاه طلحة رضي الله عنه و قد سمع المنادي فخرج ينظر متى[١١] يسير ، فاذا رسول الله صلى الله عليه و سلم عليه الدرع و المغفر و ما يرى منه إلا عيناه فقال : يا طلحة سلاحك! قال : قلت : قريب ، قال[١٢] : [فأخرج -[٣]] ، أعد و فألبس[١٣] درعي [١٤] و لأنا أهم[١٤] بجراح رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

(١) إلى هنا انتهى الانطماس من مد (٢) من مد ، و في الأصل وظ : محموده .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) في مد : مسحوح - كذا (٥) في ظ : بمجروح .
(٦) من ظ و مد ، و في الأصل : شطبت (٧) في ظ : متمكن (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : ركبتاها (١٠) سقط من ظ .
(١١) من ظ ومد ، و في الأصل : اين (١٢) زيد في المغازي : طلحة (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : البس (١٤-١٤) في ظ : ولا اتاهم .

منى بجراحى ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم على طلحة فقال : أين ترى القوم الآن ؟ قال : هم بالسيالة[١] ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [٢]ذلك الذى ظننت ! أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا ! و مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم[٢] فى

٥ أصحابه حتى عسكر بحمراء الأسد ، قال جابر رضى الله عنه : و كان عامة زادنا التمر ، و حمل سعد[٣] بن عبادة رضى الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت الحمراء ، و ساق جزورا فنحروا فى يوم اثنين[٤] و فى يوم ثلاثاء ، و كان / رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمرهم [٥]فى النهار[٥] [٦]بجمع /٤٣٣ الحطب[٦] ، فاذا أمسوا أمر أن توقد النيران ، فيوقد كل رجل نارا ،

١٠ فلقد كنا تلك الليالى نوقد خمسمائة نار حتى ترى[٧] من المكان البعيد ، و ذهب ذكر معسكرنا و نيراننا فى كل وجه حتى كان ما كبت الله به عدونا . فهذا ظاهر فى أنهم كانوا خمسمائة رجل - و الله أعلم - و يؤيد ذلك ما نقل من أخبار المثقلين[٨] بالجراح - قال الواقدى : جاء سعد بن معاذ رضى الله عنه و الجراح فى الناس فاشية ، عامة بنى عبد الأشهل[٩]

١٥ جريح ، بل كلهم[١٠] - رضى الله عنهم ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

(١) قيل : هى أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة ، كما فى معجم البلدان . (٢-٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سعيد (٤) من المغازى ١/٣٣٨ ، و فى الأصول : ثنتين (٥-٥) من ظ و مد و المغازى ، و فى الأصل : بالنهار (٦-٦) فى ظ : بالحطب (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتعلمين - كذا (٩) فى ظ : الاسهل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : علهم .

يأمركم

يأمركم أن تطلبوا عدوكم، قال: يقول أسيد بن حضير[١] رضي الله عنه و به سبع جراحات و هو يريد أن يداويها: سمعا و طاعة لله و لرسوله! [٢]فأخذ سلاحه و لم يعرج على دواء[٣] جراحه و لحق برسول الله صلى الله عليه و سلم؛ و جاء سعد بن عبادة رضي الله عنه قومه بني ساعدة فأمرهم بالمسير، فلبسوا و لحقوا؛ و جاء أبو قتادة رضي الله عنه أهل خربى ٥ و هم يداوون الجراح فقال: هذا منادي[٤] رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمركم بطلب العدو، فوثبوا إلى سلاحهم و ما عرجوا على جراحاتهم - رضي الله عنهم! فخرج من بني سلمة رضي الله عنهم أربعون جريحا، و بالطفيل بن النعمان رضي الله عنه ثلاثة عشر جرحا، و بقطبة[٥] بن عامر بن حديدة رضي الله عنه تسع جراحات حتى وافوا[٦] النبي صلى الله ١٠ عليه و سلم ببئر[٧] أبي عتبة[٨] إلى رأس الثنية[٩] عليهم السلاح، قد صفوا[١٠] لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما نظر إليهم و الجراح فيهم فاشية قال: اللهم ارحم بني سلمة! و حدث[١١] ابن إسحاق و الواقدي أن عبد الله ابن سهل و رافع بن سهل رضي الله عنهما كان بهما[١٢] جراح كثيرة[١٣]،

---

(١) في ظ: جبير (٢) العبارة من هنا إلى «عليه و سلم» الآتي سقطت من مد.
(٣) من ظ، و في الأصل: داء (٤) من ظ و مد، و في الأصل: ينادي.
(٥) من الإصابة ٥/٢٤٢، و في الأصل: يقطبة، و في ظ و مد: بعتبة (٦) في ظ: واخوا (٧) من ظ و مد، و في الأصل: بير (٨) في ظ و مد: ابي عيينة.
(٩) في ظ: النبه (١٠) في ظ: صبوا (١١) في ظ: حديث (١٢) في ظ: بهم (١٣) من ظ و مد، و في الأصل: كبيرة.

فلما بلغهما النداء قال أحدهما لصاحبه : و الله[1] إن تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم لغَبْنًا[2] و الله ما عندنا دابة نركبها[3] و ما ندرى كيف نصنع[4] ! قال عبد الله : انطلق بنا ، قال رافع : لا و الله[5] ما بى مشى[5] ! قال أخوه : انطلق بنا[6] نتجارّ[7] ، فخرجا يزحفان[8] ، ٥ فضعف رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبة و يمشى الآخر عقبة حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عند العشاء و هم يوقدون النيران ، فأتى[9] بهما رسول الله صلى الله عليه و سلم و على حرسه تلك الليلة عباد ابن [10]بشر فقال[10] : ما حبسكما ؟ فأخبراه بعلتهما ، فدعا لهما بخير[11] و قال : إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل [و بغال -[12]] و إبل ، ١٠ و ليس ذلك بخير لكم . و أما غزوة بدر الموعد[13] فروى الواقدى - و[14] من طريقه[15] الحاكم فى الإكليل - كما حكاه ابن سيد الناس قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد خرج فى هذه الغزوة فى ألف و خمسمائة من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل اية (٢) من ظ و مد و المغازى ١/ ٣٣٥ ، و فى الأصل : لعين - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل : تركتها ، و فى ظ : تركها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصنع (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يا بنى - كذا . (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد - أى يجر أحدنا الآخر ، و فى الأصل : بتجار (٨) فى ظ و مد : يرجفان (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال . (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بشير قال (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحيرة (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) فى ظ : الموعود (١٤) سقطت الواو من ظ (١٥) من مد ، و فى الأصل : طريقة ، و فى ظ : طريق .

أصحابه رضى الله عنهم، و كانت الخيل عشرة، قال[1] الواقدى: و أقبل رجل من بنى ضمرة يقال له مخشى[2] بن عمرو فقال و الناس مجتمعون فى سوقهم و أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم[3] أكثر أهل الموسم: يا محمد! لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم [أحد - [4]]، فما أعلمكم إلا أهل الموسم! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم - ليرفع ذلك إلى عدوه: ما أخرجنا ٥ إلا موعد أبى سفيان و قتال عدونا، و إن شئت مع ذلك نبذنا إليك و إلى قومك العهد ثم جالدناكم قبل أن نبرح[5] من منزلنا هذا، فقال الضمرى: بل نكف[6] أيدينا عنكم و تتمسك بحلفك[7].

و لما كان قول نعيم بن مسعود أو ركب عبد القيس عند الصحابة رضى الله عنهم صدقا لا شك فيه لما قام عندهم من القرائن، فكان بمنزلة ١٠ المتواتر الذى تمالأ عليه الخلائق، و كانت قريش أعلى الناس شجاعة و أوفاهم قوة و أعرقهم[8] إصالة فكانوا كأنهم جميع الناس، كان التعبير - بصيغة العموم فى قوله: ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ أى نعيم أو ركب عبد القيس ﴿ ان الناس ﴾ يعنى قريشا ﴿ قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ - أمدحَ للصحابة رضى الله عنهم من التعبير عمن أخبرهم و من جمع لهم ١٥ بخاص اسمه / أو وصفه.

/ ٤٣٤

(١) فى ظ: و قال (٢) فى ظ: بخشى (٣) العبارة من هنا إلى «عليه وسلم» سقطت من ظ (٤) زيد من مد و كتاب المغازى للواقدى ١ / ٣٨٨ (٥) من ظ و مد و المغازى، و فى الأصل: يبرح (٦) من مد و المغازى، و فى الأصل و ظ: يكف. (٧) من ظ و مد و المغازى، و فى الأصل: بخلقك (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: اعرفهم.

و لما كان الموجب لإقدامهم على اللقاء بعد هذا القول الذى لم يشكوا فى صدقه ثبات الإيمان و قوة الإيقان قال تعالى : ﴿ فزادهم ﴾ أى هذا القول ﴿ ايمانا صلى ﴾ [1]لأنه ما ثناهم[1] عن طاعة الله و رسوله ﴿ و قالوا ﴾ ازدراء بالخلائق اعتمادا[2] على الخالق ﴿ حسبنا ﴾[3] أى كافينا[3] ﴿ الله ﴾

٥ [أى الملك الأعلى - [4]] فى القيام بمصالحنا . و لما كان ذلك هو شأن الوكيل و كان فى الوكلاء[5] من يـــذم قال : ﴿ و نعم الوكيل ه ﴾ [أى الموكول[6] إليه المفوض إليه جميع الأمور ؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، و قالها[7] محمد صلى الله عليه و سلم حين قالوا : إن

١٠ الناس قد جمعوا لكم . و[8] قال : كان آخر كلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار : حسبى الله و نعم الوكيل[8] .

و لما كان اعتمادهم على الله سببا لفلاحهم[9] قال - [4]] ﴿ فانقلبوا ﴾ أى فكان ذلك سببا لأنهم انقلبوا ، أى من الوجه[10] الذى ذهبوا فيه مع النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ بنعمة ﴾ و عظمها باضافتها إلى الاسم

١٥ الأعظم فقال : ﴿ من الله ﴾ [أى الذى له الكمال كله - [4]] ﴿ و فضل ﴾

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى ما تباهم (٢) فى ظ و مد : بالاعتماد .
(٣-٣) سقط من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ : الكلام.
(٦) من مد ، و فى ظ : الوكل (٧) من مد ، و فى ظ و قال (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و فى ظ : لعلاجهم - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوقة .

أى

أي من الدنيا[1] ما طاب لهم من طيب الثناء بصدق الوعد و مضاء العزم و عظيم[2] الغناء و الجرأة إلى ما نالوه عند ربهم حال كونهم ﴿لم يمسسهم سوء لا﴾ أي من العدو الذي خوفوه[3] ولا غيره ﴿واتبعوا﴾ أي مع ذلك بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم بغاية[4] جهدهم ﴿رضوان الله ط﴾ [أي الذي له الجلال و الجمال -[5]] فحازوا أعظم فضله ٥ ﴿و الله﴾ [أي الذي لا كفوء له -[5]] ﴿ذو فضل عظيم ه﴾ أي في الدارين على من يرضيه، فستنظرون[6] فوق ما تؤملون[7]، فليبشر المجيب و يغتم[8] و يحزن المختلف، و لعظم الأمر كرر الاسم الأعظم كثيرا.

و لما جزاهم سبحانه على أمثال[9] ذلك بما وقع لهم من فوزهم بالسلامة و الغنيمة بفضل من حاز أوصاف الكمال و تنزه عن كل نقص بما له من ١٠ رداء الكبرياء و الجلال، و رغبهم فيما لديه لتوليهم إياه، أتبع ذلك بما يزيدهم بصيرة من[10] أن المخوف لهم مَنْ كيده[11] ضعيف و أمره هين خفيف واه سخيف و هو الشيطان، و ساق ذلك مساق التعليل[12] لما قبله من حيازتهم[13] للفضل و بعدهم عن السوء بأن وليهم الله و عدوهم

---

(١) زيد بعده في الأصل: مع، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و في الأصل: و عظم (٣) من ظ و مد، و في الأصل: حرفوه (٤) في ظ: لغاية (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) من مد، و في الأصل: فسينظرونه، و في ظ: فسيظهرون (٧) في ظ: يوملون (٨) سقط من ظ. (٩) في ظ: امتثال (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: مع (١١) في ظ: كيدهم (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: العلل (١٣) في ظ: حازتهم.

الشيطان فقال [التفاتا إليهم بزيادة فى تنشيطهم أو تشجيعهم و تثبيتهم -[1]]: ﴿ انما ذلكم ﴾ أى القائل الذى تقدم أنه الناس ﴿ الشيطٰن ﴾ أى الطريد[2] البعيد المحترق .

و لما نسب القول إليه[3] لأنه الذى زينه لهم حتى أشربته القلوب[4]
٥ و امتلأت به الصدور ، كان كأنه قيل : فما ذا عساه يصنع ؟ فقال : ﴿ يخوف ﴾ أى يخوفكم ﴿ اوليآءه ص ﴾ لكنه أسقط المفعول الأول إشارة إلى أن تخويفه يؤول إلى خوف أوليائه ، لأن أولياء الرحمن إذا ثبتوا لأجله أنجز لهم ما وعدهم من النصرة على أولياء الشيطان ، و إلى أن من خاف من تخويفه و عمل بموجب خوفه ففيه ولاية له[3] تصحح[5] إضافته
١٠ إليه قلت أو كثرت .

و لما كان المعنى أنه يشوش[6] بالخوف من أوليائه، تسبب عنه[7] النهى عن خوفهم فقال : ﴿ فلا تخافوهم ﴾ أى لأن وليهم الشيطان ﴿ و خافون ﴾ أى فلا تعصوا[7] أمرى و لا تتخلفوا أبدا عن رسولى ﴿ ان كنتم مؤمنين ه ﴾ أى مباعدين[8] لأولياء الشيطان بوصف الإيمان .

١٥ و لما مدح سبحانه و تعالى المسارعين فى طاعته و طاعة رسوله صلى الله عليه و سلم و ختم ذلك بالنهى عن الخوف من أولياء الشيطان،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ : المطريق (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد بعده فى الأصل : و جعلته النفوس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ : بصحح (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يومن (٧) فى ظ و مد : عن (٧) فى ظ : فلا تقفصوا (٨) فى ظ : متباعدين .

أعقبه بذم المسارعين [1]فى الكفر[1] و النهى عن الحزن من أجلهم .

و لما كان[2] أكثر الناس - كالمنافقين الراجعين عن أحد ، ثم المقاتلين القائلين : هل لنا من الأمر من شيء - أرجفوا[3] إلى[4] أبى عامر و عبد الله ابن أبى لأخذ الأمان من أبى سفيان ، ثم ركب عبد القيس أو نعيم بن مسعود ، ثم من استجاب من أهل المدينة و أرجف بما قالوا [5]فى ثبط[5] ٥ المؤمنين ، و كان ذلك مما يخطر بالبال تمادى أيام الكفر و أهله غالبين ، و يقدح فى رجاء قصر مدته ، و يوجب الحزن على ذلك ؛ قال تعالى قاصرا الخطاب على أعظم الخلق و أشفقهم[6] و أحبهم فى صلاحهم : ﴿ و لا يحزنك الذين يسارعون ﴾ أى يسرعون إسراع من يسابق خصما ﴿ فى الكفر ج ﴾ ثم[4] علل ذلك بقوله : ﴿ انهم لن يضروا الله ﴾ أى ١٠ الذى له جميع العظمة ﴿ شيئا ط ﴾ أى دينه باذلال أنصاره و القائمين به ، و حذف المضاف تفخيما له و ترغيبا فيه[7] حيث جعله هو المضاف إليه .

و لما نفى ما خيف من أمرهم كان مظنة السؤال عن الحامل لهم على[8] المسارعة فقيل / جوابا : ﴿ يريد الله ﴾ أى الذى له الأمر كله / ٤٣٥ ﴿ الا يجعل لهم حظا ﴾ أى نصيبا ﴿ فى الأخرة ج ﴾ و لما كانت المسارعة ١٥ فى ذلك عظيمة ختمت الآية بقوله : ﴿ و لهم عذاب عظيم ه ﴾ قد عم[9]

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالكفر (٢) فى الأصول : كانوا . (٣) من ظ ، و فى الأصل و مد : ارجعوا (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : و نتط ، و فى ظ : و نبط - كذا (٦) فى ظ : اسفقهم . (٧) فى ظ : عنه (٨) فى ظ : من (٩) فى ظ : هم .

جميع ذواتهم ، لأن المسارعة دلت على أن الكفر قد ملأ[1] أبدانهم و نفوسهم و أرواحهم .

و لما كان قبول نعيم و ركب عبد القيس لذلك الجعل الذى هو من أسباب الكفر شرى الكفر[2] بالإيمان عقب[3] بقوله : ﴿ ان الذين ٥ اشتروا الكفر ﴾ أى فأخذوه ﴿ بالايمان ﴾ أى فتركوه ، و أكد نفى[4] الضرر و أبده[5] فقال : ﴿ لن يضروا الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ شيئا ج ﴾ لما يريد سبحانه و تعالى من الإعلاء للاسلام[6] و أهله ، و ختمها بقوله : ﴿ و لهم عذاب اليم ه ﴾ لما نالوه من لذة العوض فى ذلك الشرى كما هى[7] العادة فى كل متجدد من الأرباح[8] و الفوائد .

١٠ و لما كان مما اشترى به[9] الكفر رجوع المنافقين عن أحد الذى كان سببا للاملاء لهم قال سبحانه و تعالى : ﴿ و لا يحسبن[10] الذين كفروآ ﴾ أى بالله و رسوله ﴿ آنما نملى ﴾ أى أن إملاءنا أى إمهالنا و إطالتنا ﴿ لهم خير لانفسهم ط ﴾ و لما نفى عنهم الخير بهذا النهى تشوفت النفس إلى ما لهم فقال : ﴿ انما نملى لهم ﴾ أى استدراجا ﴿ ليزدادوآ اثما ج ﴾ ١٥ و هو جميع ما سبق العلم الأزلى بأنهم يفعلونه ، فاذا بلغ النهاية أوجب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مال (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : للكفر (٣) من مد ، و فى الأصل : عقيب ، و فى ظ : عقبت (٤) فى ظ : نفس (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايده (٦) فى ظ : الى الاسلام . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٨) فى ظ : الارباح (٩) سقط من ظ . (١٠) فى ظ : لا تحسبن .

الأخذ . و لما كان [1] الرجوع المسفر عن السلامة مظنة لعزمهم في هذه الدار الفانية عند من ظن حسن ذلك الرأي؛ عوضوا عنه الإهانة الدائمة فقال سبحانه و تعالى: ﴿ و لهم عذاب مهين ﴾ .

و لما كان مطلق المسارعة أعم مما [2] بالعوض ، و هو [3] أعم مما بالرجوع ، جاء نظم الآيات على ذاك؛ و لما كشفت هذه الوقعة [4] جملة من المغيبات [5] من أعظمها [6] تمييز المخاص [6] فعلا أو قولا من غيره ، أخبر تعالى أن ذلك من أسرارها على وجه يشير إلى النعي على المنافقين بتأخيرهم أنفسهم [7] بالرجوع و غيره فقال مشيرا بخطاب الأتباع إلى مزيد علمه صلى الله عليه و سلم و علو درجته لديه و عظيم قربه [8] منه سبحانه و تعالى: ﴿ ما كان الله ﴾ أي مع ما له من صفات الكمال .

و لما [كان - [9]] ترك التمييز غير محمود ، عبر بفعل الوذر [10] ، و أظهر موضع الإضمار لإظهار [11] شرف الوصف تعظيما لأهله فقال: ﴿ ليذر المؤمنين ﴾ أي الثابتين في وصف الإيمان ﴿ على مآ انتم عليه ﴾ من الاختلاط بالمنافقين [12] و من قاربهم من الذين آمنوا على حال الإشكال

(١) العبارة من هنا إلى "عذاب مهين" سقطت من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل: منها (٣) من ظ و مد ، و في الأصل: هم (٤) من ظ و مد ، و في الأصل: الواقعة (٥) في ظ: المعينات (٦ - ٦) في ظ: تصير الخلص . (٧) من ظ و مد ، و في الأصل: انصبهم (٨) في ظ: قربته (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ: الورد (١١) سقط من ظ و مد . (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل: المنافقين .

الاقتناع بدعوى اللسان دليلا على[1] الإيمان ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب ط﴾ بأن يفضح المبطل و[2] إن طال[2] ستره بتكاليف شاقة و أحوال شديدة، لا يصبر عليها إلا الخلص[3] من العباد، المخلصون فى الاعتقاد ﴿و ما كان الله﴾ لاختصاصه بعلم الغيب ﴿ليطلعكم على الغيب﴾ [أى -[4]] و هو الذى لم يبرز إلى عالم الشهادة [بوجه -[4]] لتعلموا به[5] الذى فى قلوبهم مع احتمال أن يكون الرجوع للعلة التى ذكروها فى الظاهر و القول لشدة الأسف على إخوانهم[6] ﴿و لكن الله﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿يجتبى﴾ أى يختار اختيارا بليغا ﴿من رسله من يشآء ص﴾ أى فيخبر على ألسنتهم بما يريد من المغيبات كما أخبر أنهم برجوعهم[7] للكفر أقرب منهم للايمان، و أنهم يقولون بأفواههم [8]ما ليس فى قلوبهم[8]. و لما تسبب عن هذا وجوب الإيمان به قال: ﴿فآمنوا بالله﴾ أى فى أنه عالم الغيب و الشهادة، له الأسماء الحسنى ﴿و رسله ج﴾ فى أنه أرسلهم و فى أنهم صادقون فى كل ما يخبرون[9] به عنه.

و لما كان التقدير: فانكم إن لم تؤمنوا كان لكم ما تقدم من العذاب [10]العظيم الأليم[10] المهين، عطف عليه قوله: ﴿و ان تؤمنوا﴾ أى بالله

(١) زيد بعده فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لما كان (٣) فى ظ: الخالص (٤) زيد من ظ و مد. (٥) فى ظ: انه (٦) فى ظ: احوالهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يرجوا عنهم (٨ - ٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ: تخبرون (١٠-١٠) فى ظ: الاليم العظيم.

و رسله ﴿ و تتقوا ﴾ أى بالمداومة على الإيمـان و ما يقتضيه من العمل الصالح ﴿ فلكم اجر عظيم ه ﴾ أى منه أنه لا يضركم كيد أعدائكم شيئا كما تقدم وعدكم به .

و لما كان من جملة مبانى[1] السورة الإنفاق[2]، و تقدم فى غير آية مدح المتقين به و حثهم[3] عليه، و تقدم[4] أن الـكفار سارعوا فى الـكفر: ٥ أبو سفيان بالإنفاق / فى سبيل الشيطان على من يخذل الصحابة، و نعيم /٤٣٦ أو عبد القيس بالسعى فى ذلك . و كان المبادرون إلى الجهاد قد تضمن فعلهم السماح بما آتاهم الله من الأنفس و الأموال، و كان الله سبحانه و تعالى قد أخبر بما لهم عنده من الحيـاة التى هى خير من حياتهم التى أذهبوها فى حبه، و الرزق الذى هو أفضل مما أنفقوا فى سبيله؛ ذم الله سبحانه ١٠ و تعالى الباخلين بالأنفس و الأموال فى سبيل الله فقال رادا[5] الخطاب إليه صلى الله عليه و سلم لأنه أمكن لسروره و أوثق فى إنجاز الوعد: ﴿ و لا تحسبن ﴾ أى أنت يا خير البرية ـ هذا على قراءة حمزة، و عند الباقين[6] الفاعل الموصول فى قوله: ﴿ الذين يبخلون ﴾ أى عن الحقوق الشرعية ﴿ بمآ[7] اٰتٰهم الله ﴾ أى بجلاله و عز كماله[8] ﴿ من فضله ﴾ أى ١٥ لا لاستحقاقهم له ببخلهم[9] ﴿ هو خيرا لهم ط ﴾ أى لتثمير[10] المال بذلك

---

(١) فى ظ : مثانى (٢) فى ظ : بالاتفاق (٣) فى ظ : حثم (٤) زيد بعده فى الأصل : و عدكم به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من مد، و فى الأصل : راد، و فى ظ : ولادا ـ كذا (٦) بالياء التحتية : و لا يحسبن ـ كما فى مصاحفنا المتداولة (٧) فى ظ . ما (٨) فى ظ : جلاله (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : بخلهم (١٠) من مد، و فى الأصل : ليتميزهم، و فى ظ : ليتميزوا .

﴿ بل هو ﴾ أى البخل ﴿ شر لهم ط ﴾ لأنهم مع جعل الله البخل متلفة لأموالهم ﴿ سيطوقون ﴾ أى بفعل من يأمره بذلك كائنا من كان بغاية السهولة عليه ﴿ ما بخلوا به ﴾ أى يجعل لهم بوعد صادق لا خلف فيه بعد الإملاء لهم طوقا بأن يجعله[1] شجاعا أى حية[2] عظيمة مهولة[3]، تلزم ٥ الإنسان منهم، محيطة بعنقه. تضربه فى جانبى وجهه ﴿ يوم القيٰمة ط ﴾ لأن الله سبحانه و تعالى يرثه منهم بعد أن كان خولهم فيه، فيجعله بسبب ذلك التخويل[4] عذابا عليهم[5]، روى البخارى رضى الله تعالى عنه فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله[6] شجاعا أقرع، ١٠ له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه[7] - يقول: أنا مالك ! أنا كنزك !» - ثم تلا هذه الآية.

و لما كان هذا طلبا منهم للانفاق، و كان الطالب منا محتاجا إلى ما يطلبه، و كان ذو المال إذا علم أنه ذاهب و أن ماله موروث عنه تصرف فيه؛ أخبر تعالى بغناه على وجه يجرئهم على الإنفاق فقال عاطفا ١٥ على ما تقديره: لأنه ثمرة كونه من فضله فلله كل ما فى أيديهم: ﴿ و لله ﴾ أى الذى له[8] الكمال كله ﴿ ميراث السمٰوٰت و الارض ط ﴾ أى اللذين[9] هذا مما فيهما، بأن يعيد سبحانه و تعالى جميع الأحياء و إن

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : يجعل (٢) فى ظ : حنه (٣) فى ظ : مهوله .
(٤) فى ظ و مد : التحويل، و زيد فى ظ بعده : بل (٥) فى ظ : اليا (٦) فى ظ : مثلا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : شدقيه (٨) سقط من ظ (٩) من مد، و فى الأصل : الذين، و فى ظ : الذى .

أملى لهم، و يفنى سائر ما وهبهم من الأعراض، و يكون هو الوارث لذلك كله.

و لما كانت هذه الجمل فى الإخبار عن المغيبات دنيا و أخرى، و كان البخل من الأفعال الباطنة التى يستطاع[1] إخفاؤها و دعوى الاتصاف بضدها كان الختم بقوله: ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم. و لما كان منصب النبي صلى الله عليه و سلم الشريف فى غاية النزاهة صرف الخطاب إلى الأتباع فى قراءة غير ابن كثير و أبى عمرو[2]، و هو أبلغ فى الوعيد من تركه على مقتضى السياق من الغيبة فى قراءتهما، و قدم الجار إشارة إلى أن علمه بأعمالهم بالغ إلى حد لا تدرك[3] عظمته لأن ذلك أبلغ فى الوعيد الذى اقتضاه السياق: ﴿ بما تعملون خبير ﴾

و لما كان العمل شاملا لتصرفات الجوارح كلها من القلب و اللسان و سائر الأركان قال[4] - دالا على خبره بسماع[5] ما قالوه متجاوزين وهدة البخل[6] إلى حضيض القبح[7] مريدين التشكيك لأهل الإسلام بما يوردونه من الشبه قياسا على ما يعرفونه من أنفسهم من أنه - كما تقدم - [8]لا يطلب[8] إلا محتاج -: ﴿ لقد سمع الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ﴿ قول الذين قالوا ﴾ [أى -[9]] من اليهود ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ فقير ﴾

(١) فى ظ: تستطاع (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ابى عمر (٣) فى ظ: لا يدرك (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: السماع (٦) فى ظ: سحل - كذا. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: القبيح (٨-٨) فى ظ: يطاب (٩) زيد من ظ و مد.

أى لطلبه القرض[1] ﴿ و نحن اغنيآء[2] ﴾ لكونه يطلب منا، و هذا رجوع منه سبحانه و تعالى إلى [2]إتمام ما نبه[2] عليه قبل هذه القصة من بغض أهل الكتاب لأهل هذا الدين و حسدهم لهم و إرادة تشكيكهم فيه للرجوع عنه على أسنى المناهج[3] و أعلى الأساليب.

٥ و لما تشوفت النفوس إلى جزائهم على هذه العظيمة، و كانت الملوك إذا علمت انتقاص أحدها و هى قادرة عاجلته لما عندها من نقص الأذى بالغيظ قال سبحانه و تعالى / مهددا لهم مشيرا إلى أنه على غير ذلك: ٤٣٧/ ﴿ سنكتب ﴾ أى على عظمتنا لإقامة الحجة عليهم على ما يتعارفونه فى الدنيا ﴿ ما قالوا ﴾ أى من هذا الكفر و أمثاله، و السين للتأكيد، و يجوز ١٠ أن تكون[4] على بابها من المهلة للحث على التوبة [5]قبل ختم[5] رتب الشهادة، و سيأتى فى الزخرف له مزيد بيان.

و لما كان هذا اجتراء على الخالق أتبعه اجتراءهم على أشرف الخلائق فقال - مشيرا بإضافة[6] المصدر إلى ضميرهم، و بجمع التكسير الدال على الكثير إلى أنهم أشد[7] الناس تمردا و تمرنا[8] على ارتكاب العظائم، و أن ١٥ الاجتراء على أعظم أنواع الكفر[1] قد صار لهم خلقا -: ﴿ و قتلهم الانبيآء ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ: تمام مناسبة - كذا (٣) فى ظ ومد: المناهيج، و فى الأصل: المناجيح (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: يكون (٥-٥) سقط من ظ، و زيد بعده فى الأصل: الأمر، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٦) فى ظ: باضافته (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تمريا.

أى الذين أقناهم فيهم لتجديد ما أوهوه من بنيان دينهم، و لما لم يكن فى[1] قتلهم شبهة أصلا قال: ﴿بغير حق[1]﴾ فهو[2] أعظم ذما مما قبله من التعبير بالفعل المضارع فى قوله "و يقتلون الانبياء بغير حق[3]". ثم عطف على قوله «سنكتب» قوله: ﴿و نقول﴾ أى بما لنا من الجلال ﴿ذوقوا﴾ أى بما نمسكم[4] به من المصائب فى الدنيا و العقاب[5] فى الأخرى كما كنتم ٥ تذوقون الأطعمة التى كنتم تبخلون بها[1] فلا تؤدون حقوقها ﴿عذاب الحريق ۝﴾[6] جزاء على ما أحرقتم به [7] قلوب عبادنا، ثم بين السبب فيه بقوله: ﴿ذلك﴾ أى العذاب العظيم ﴿بما قدمت ايديكم﴾ أى من الكفر[7] بقتلهم و بغيره ﴿و ان﴾ أى و بسبب أن[1] ﴿الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ليس بظلام﴾ أى بذى ظلم ١٠ ﴿للعبيد ۝ؕ﴾ و لو لم يعذبكم لكان تركهم على صورة الظلم لمن عاداكم فيه و اشتد أذاكم لهم.

و لما كان القربان من جنس النفقات و مما يتبين به سماح النفوس و شحها حسن[8] نظم آية القربان هنا بقوله - [رادا شبهة لهم أخرى و مبينا قتلهم الأنبياء -[9]] -: ﴿الذين قالوآ﴾ تقاعدا عما يجب عليهم من ١٥ المسارعة بالإيمان ﴿ان الله﴾ [أى الذى لا أمر لأحد معه -[9]] ﴿عهد الينآ﴾ و قد كذبوا فى ذلك ﴿الا نؤمن لرسول﴾ أى[10] كائنا من كان

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: و هو (٣) سورة ٣ آية ١١٢ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يمسكم (٥) فى ظ: العذاب (٦) زيد بعده فى ظ: الآية. (٧-٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: حنس (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد. (١٠) سقط من ظ و مد.

﴿ حتى يأتينا بقربان ﴾ أى [عظيم - [1]] نقربه لله [2] تعالى ، فيكون متصفا بأن [3] ﴿ تأكله النار ط ﴾ عند تقريبه له [4] و فى ذلك أعظم بيان لأنهم ما أرادوا - بقولهم " ان الله فقير " حيث طلب الصدقة - إلا التشكيك حيث كان التقرب إلى الله بالمال من دينهم [5] الذى يتقربون إلى الله به ، بل ٥ و ادعوا أنه لا يصح دين بغيره .

و لما افتروا [6] هذا التشكيك أمر سبحانه بنقضه بقوله : ﴿ قل قد جآءكم رسل ﴾ فضلا عن رسول [7] . [و لما كانت مدتهم لم تستغرق الزمان الماضى أثبت الجار فقال - [1]] : ﴿ من قبلى ﴾ [8] كزكريا [و ابنه - [1]] يحيى و عيسى عليهم السلام ﴿ بالبيّنٰت ﴾ [أى من المعجزات - [1]] ١٠ ﴿ و بالذى قلتم ﴾ أى [من القربان - [1]] فان الغنائم لم تحل - كما فى الصحيح - لأحد كان قبلنا ، فلم تحل [9] [لعيسى عليه السلام فلم تكن - [1]] [10] مما نسخه من [10] أحكام التوراة ، و قد كانت تجمع فتنزل نار من السماء [فتأكلها - [1]] إلا [11] أن وقع فيها غلول ﴿ فلم قتلتموهم ﴾ [[1] - أى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى الله . (٣) فى ظ و مد : بانه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : به (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قربهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقروا (٧) زيد بعده فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى «عليهم السلام» تأخرت فى الأصل عن « من القربان » (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلم يحل (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل : لنا لفسخة فى ، و فى ظ : ناسخة من - كذا (١١) فى ظ : الى .

قتلتهم

قتلهم[1] أسلافكم و رضيتم أنتم بذلك فشاركتموهم[2] فيه] ﴿ ان كنتم صٰدقين ﴾ أى فى [3]أنكم تؤمنون[3] لمن أتاكم على الوجه الذى [ذكرتموه ، و - [4]] فى ذلك رد[5] على الفريقين : اليهود المدعين[6] أنهم قتلوه الزاعمين [أنه عهد إليهم - [4]] فى الإيمان بمن[7] أتاهم بذلك[8] ، و النصارى[9] المسلمين لما ادعى اليهود [من قتله - [10]] المستلزم لكونه ٥ ليس بالله .

و لما كانت هذه السورة متضمنة لكثير من الدقائق التى أخفوها من كتابهم الذى جعلوه قراطيس ، يبدونها[11] و يخفون كثيرا ، و فى هذه الآية بخصوصها من ذلك ما يقتضى تصديقه صلى الله عليه و سلم ، و كان سبحانه عالما بأن أكثرهم يعاندون سبب[12] عن ذلك أن سلاه فى ١٠ تكذيب المكذبين منهم بقوله : ﴿ فان كذبوك ﴾ فكان كأنه قيل : هذا الذى أعلمتك بـه يوجب تصديقك ، فإن لم يفعلوا [13]بل كذبوا[13] ﴿ فقد ﴾ و لما كان السياق لإثبات مبالغتهم فى الغلظة[14] و الجفاء

(١) من مد ، و فى ظ : قتلتم (٢) من مد ، و فى ظ : فشاركتموه (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انهم يومنون (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ردا (٦) فى ظ : المدعنين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٩) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) زيد من مد ، و موضعه فى ظ : لعله (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبدونها (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسلب (١٣-١٣) سقط من ظ (١٤) فى ظ : العظمة .

[1] و الكفر[1] و عدم الوفاء. [و كانت السورة سورة التوحيد -[2]]، [و الرسل متفقون عليه، و قد أتى كل منهم فيه بأنهى البيان و أزال كل لبس -[3]] أسقط تاء التأنيث لأنها ربما دلت على نوع[4] ضعف فقال: ﴿ كذب رسل ﴾ [و لما كانت تسلية الإنسان بمن قاربه فى الزمان أشد أثبت

٥ الجار فقال - [2]]: ﴿ من قبلك ﴾ أى فلك فيهم مسلاة[5] و بهم أسوة ﴿ جاءو بالبينت ﴾ أى من[6] المعجزات ﴿ و الزبر ﴾ أى من الصحف المضمنة للمواعظ و الحكم الزواجر و الرقائق التى يزبر العالم بها عن المساوى ﴿ و الكتب[7] المنير ﴾ أى الجامع للأحكام و غيرها. الموضح لأنه الصراط المستقيم.

١٠ و لما تقدم فى قصة أحد رجوع المنافقين و هزيمة بعض المؤمنين مما[8] كان / سبب ظفر الكافرين، و عاب سبحانه ذلك[9] عليهم بأنهم هربوا / ٤٣٨ من موجبات[10] السعادة و الحياة الأبدية إلى ما لا بد منه، و إلى ذلك أشار بقوله[11] "قل لو كنتم فى بيوتكم"، "و لئن قتلتم فى سبيل الله"، "قل فادرءوا عن انفسكم الموت"، "و لا تحسبن الذين قتلو فى سبيل الله" - و غير ذلك مما[12]

(١ - ١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: نوعه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سلاة (٦) سقط من ظ ومد (٧) من ظ و مد و القرآن المجيد، و فى الأصل: البيان (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٩) سقط من ظ. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: موخبات - كذا (١١) فى ظ و مد: قوله (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ما.

بكتهم به فى رجوعهم حذر الموت و طلب امتداد العمر، مع ما افتتح به من أن موت هذا النبي الكريم و قتله[1] ممكن كما كان من قبله من إخوانه من الرسل [على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام! و ختم بالإخبار بأنه وقع قتل كثير من الرسل -[2]]، فكان ذلك محققا لأنه لا يصان من الموت خاص و لا عام، مضموما إلى ما نشاهد من ٥ ذلك فى كل لحظة؛ صوّر ذلك الموت بعد أن صار مستحضرا للعيان تصويرا أوجب[3] التصريح به إشارة إلى أن حالهم فى هربهم و رجوعهم و ما تبع[4] ذلك من قولهم حال من هو فى شك منه فقال تعالى: ﴿ كل نفس ﴾ أى منفوسة[5] من عيسى و غيره من أهل الجنة و النار ﴿ ذآئقة الموت ط ﴾ أى و هو المعنى الذى يبطل[6] معه تصرف [الروح فى البدن، ١٠ و تكون هى باقية بعد موته لأن الذائق لا بد أن يكون حال ذوقه حيا حساسا -[2]]، و من يجوز عليه ذوق الموت يجوز عليه ذوق النار، و هو عبد محتاج، فالعاقل من سعى[7] فى النجاة منها و الإنجاء[8] كما فعل الخاص الذين منهم عيسى و محمد عليهما أفضل الصلاة و أزكى السلام، و كان نظمها بعد الآيات المقتضية لتوفية الأجور [-[2] بالإثابة[9] عليها و أنه ١٥ ليس بظلام للعبيد شديد الحسن، و ذلك مناسب أيضا لختم الآية بالتصريح

---

(١) فى ظ: فعله (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ: وجب (٤) فى ظ: يتبع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نفوسة (٦) فى ظ: يدخل، و فى مد: ينخل (٧) فى ظ: يبقى (٨) فى مد: إلجاء - كذا (٩) من مد، و فى ظ: فى الاثابة.

لتوفية الأجور] يوم الدين ، [و أن الزحزحة عن النار و دخول[1]
الجنة هو[2] الفوز ، لا الشح فى الدنيا بالنفس و المال الذى - [3]] ربما كان
سببا لامتداد العمر و سعة المال بقوله : ﴿ و انما توفون ﴾ أى تعطون
﴿ اجوركم ﴾ على[4] التمام جزاء على[5] ما عملتموه من خير و شر ﴿ يوم
٥ القيمة ط ﴾ و أما ما يكون قبل ذلك من نعيم القبر و نحوه فبعض لا وفاء
﴿ فمن زحزح ﴾ أى أبعد فى ذلك اليوم إبعادا عظيما سريعا ﴿ عن النار
و ادخل الجنة فقد فاز ط ﴾ أى بالحياة الدائمة و النعيم الباقى ، و المعنى
أن كل نفس توفى ما عملت ، فتوفى أنت أجرك على صبرك على أذاهم ،
و كذا من أطاعك ، و[6] يجازون هم[6] على ما فرطوا فى حقك فيقذفون
١٠ فى غمرة النار ، و كان الحصر إشارة إلى تقبيح إقبالهم على الغنيمة و غيرها
من التوسع العاجل ، أى إنما مقتضى الدين الذى دخلتم فيه هذا ، و ذلك
ترهيبا من الالتفات إلى تعجل شيء من الأجر فى الدنيا - كما قال أبوبكر
رضى الله تعالى عنه فى أول إسلامه : وجدت بضاعة بنسيئة ، ما وقعت[7]
على بضاعة قط أنفس منها ، و هى لا إله إلا الله . فالحاصل أن[8] " كل
١٥ نفس " أى حذرة من الموت و مستسلمة " ذائقة الموت " أى فعلام
الاحتراس منه بقعود عن الغزو أو هرب من العدو ! " و انما توفون
اجوركم " أى يا أهل الإسلام - التى[9] وعدتموها على الأعمال الصالحة

(١) من مد ، و فى ظ : بدخول (٢) من مد ، و فى ظ : هو (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من مد (٦-٦) فى الأصل : يجازونهم ، وفى ظ : مجازواهم ، و فى مد : يجازواهم - كذا (٧) فى ظ : وضعت .
(٨) فى ظ و مد : انه (٩) فى الأصول : الذى .

" يوم القيمة " أى فما لكم تريدون تعجلها باسراعكم إلى الغنائم أو[1] غيرها مما يزيد فى أعراض الدنيا فتكونوا ممن تعجل طيباته[2] فى الحياة الدنيا " فمن " أى فحيث علم أنه لا فوز فى الدنيا إلا بما يقرب إلى الله سبحانه و تعالى تسبب عن ذلك أنه من " زحزح عن النار " أى بكونه وفى أجره و لم يتعجل طيباته[2] " و ادخل الجنة " أى بما عمل من الصالحات ٥ فحاز الحياة الدائمة مع الطيبات الباقية " فقد فاز " أى كل الفوز ، و لما صح أنه لا فوز إلا ذلك صح قوله : ﴿ و ما الحيٰوة الدنيآ ﴾ أى التى أملى لهم فيها و أزيلت عن الشهداء ﴿ الا متاع الغرور ﴾ أى المتاع الذى يدلس الشيطان أمره على الناس حتى يغتروا به فيغبنوا[3] بترك الباقى و أخذ الأشياء الزائلة بانقضاء[4] لذاتها و الندم على شهواتها بالخوف ١٠ من تبعاتها .

و فى ذلك أيضا مناسبة من وجه آخر ، و هو أنه لما سلاه سبحانه و تعالى بالرسل - الذين لازموا الصبر و الاجتهاد فى الطاعة حتى ماتوا - و أممهم ، و تركوا ما كان بأيديهم عاجزين عن المدافعة ، و لم يبق إلا ملكه سبحانه و تعالى ، و أن الفريقين ينتظرون الجزاء ، فالرسل لتمام الفوز ، ١٥ و الكفار لتمام الهلاك ؛ أخبر أن كل نفس كذلك ، ليجتهد الطائع و يقتصر العاصى ، و فى ذلك تعريض بالمنافقين الذين رجعوا عن أحد خوف القتل و قالوا عن الشهداء : لو أطاعونا ما قتلوا ، أى إن الذى فررتم

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ " و " (٢ - ٢) سقط من ظ (٣) فى مد : فيغضبوا (٤) فى ظ : فى انقضاء .

/٤٣٩ منه / لا بد منه ، و الحياة التي آثرتموها متاع يندم عليه من[1] محضه للتمتع كما يندم المغرور بالمتاع[2] الذي غر به ، فالسعيد من سعى في أن يكون موته في رضى مولاه الذي لا محيص له عن الرجوع إليه و الوقوف بين يديه .

٥ و لما سلى الله سبحانه و تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم عن تكذيبهم له بما لقي إخوانه من الرسل و بأنه لا بد من الانقلاب إليه ، فيفوز من كان من أهل حزبه ، و يشقى من والى أعداءه و ذوي حزبه ؛ أعاد التسلية على وجه يشمل المؤمنين ، و ساقها مساق الإخبار بحلول المصائب الكبار التي هي من شعائر[3] الأخيار في دار الأكدار المغلية لهم في دار القرار

١٠ فقال - مؤكدا لأن الواقف في الخدمة ينكر أن يصيبه معبوده بسوء ، هذا طبع البشر و إن تطبّع[4] بخلافه ، و أفاد ذكره[5] قبل وقوعه تهوينه بتوطين النفس عليه[6] ، و أفاد بناؤه للفعول أن المنكي البلاء ، لا كونه من جهة معينة - : ﴿ لتبلون ﴾ أي تعاملون معاملة المختبر لتبين المؤمن من المنافق ﴿ في اموالكم ﴾[7] أي بأنواع الإنفاق ﴿ و انفسكم قف ﴾ أي بالإصابة

١٥ في الجهاد و غيره ، فكما نالكم ما نالكم من الأذى باذني ليلحقنكم بعده من الأذى ما أمضيت به سنتي في خلص عبادي و ذوي محبتي ، و كان إيلاء ذلك للآية التي فيها الإشارة إلى أن توفية الأجور للأعمال الصالحة مما ينيل

(١) في ظ : ممن (٢) ليس في ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : شعار .
(٤) في ظ : يطمع - كذا (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده في الأصل : اد - كذا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) زيد في ظ : و انفسكم .

الفوز مناسبا من حيث الترغيب فى كل ما يكون سببا لذلك من الصبر على ما يبتلى به سبحانه و تعالى من كل ما يأمر به من التكاليف، أو يأذن فيه من المصائب ، و قدم المال لأنه - كما قيل - عديل الروح ، و ربما هان على الإنسان الموت دون الفقر المؤدى إلى الذل بالشماتة و العار بما تقصر[1] عنه يده بفقده من أفعال المكارم ، و ما أحسن ذكر هذه الآية ٥ إثر قصة أحد التى وقع فيها القتل بسبب الإقبال على المال ، و كان ذكرها[2] تعليلا لبَغضة أهل الكتاب و غيرهم من الكفار .

و لما كان يومها[3] يوم بلاء و تمحيص ، و كان ربما أطمع فى العافية بعده ، فتوطنت النفس على ذلك فاشتد انزعاجها بما يأتى من أمثاله[4] ، و ليس ذلك من أخلاق المشمرين[5] أراد سبحانه و تعالى توطين النفوس ١٠ على ما طبعت عليه[6] الدار من[6] الأثقال و الآصار[7] ، فأخبر أن البلاء لم ينقص به ، بل لا بد بعده من بلايا و سماع أذى من سائر الكفار ، و رغب[8] فى شعار[9] المتقين : الصبر الذى قدمه فى أول السورة ثم قبل قصة أحد ، و بناها عليه معلما أنه مما يستحق أن يعزم عليه و لا يتردد فيه فقال : ﴿ و لتسمعن ﴾ أى بعد هذا اليوم ﴿ من الذين ﴾ و لما كان ١٥ المراد تسوية العالم بالجاهل فى الذم نزه[10] المعلم عن الذكر فبنى للمفعول

(١) فى ظ : يقصر (٢) فى ظ : ذكر ، و زيد بعده فيه : هذه الآية (٣) فى ظ : يومنا (٤) فى ظ : امثالها (٥) فى ظ : المشمون (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدارين (٧) فى ظ : الاخبار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : رهب (٩) فى ظ و مد : شعائر (١٠) فى مد : نر ـ كذا .

قوله : ﴿ اوتوا الكتٰب ﴾ و لما كان إيتاؤهم له لم يستغرق الزمن الماضى أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من اليهود و النصارى ﴿ و من الذين اشركوآ ﴾ أى من الأميين ﴿ اذى كثيرا ط ﴾ أى[1] من الطعن فى الدين و غيره بسبب هذه الوقعة أو[2] غيرها ﴿ و ان تصبروا ﴾ أى
٥ تتخلقوا[3] بالصبر على ذلك و غيره ﴿ و تتقوا ﴾ أى و تجعلوا بينكم و بين ما يسخط الله سبحانه و تعالى وقاية بأن تغضوا عن كثير من أجوبتهم اعتمادا على ردهم بالسيوف و إنزال الحتوف ﴿ فان ذلك ﴾ أى الأمر[1] العالى الرتبة ﴿ من عزم الامور ﴾ أى الأشياء التى هى أهل لأن يعزم على فعلها ، و لا يتردد فيه ، و لا يعوق عنه عائق ، فقد ختمت قصة
١٠ أحد بمثل ما سبقت دليلا عليه من قوله " قد بدت البغضاء من افواههم " - إلى أن ختم بقوله " و ان تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئا " هذا ما أخبر به هنا بأنه من عزم الأمور .

و لما قدم سبحانه و تعالى فى أوائل قصص اليهود أنه أخذ على النبيين الميثاق بما أخذ ، و أخبرهم[4] أنه من تولى بعد ذلك فهو الفاسق ،
١٥ ثم أخبر بقوله " قد جاءكم رسل من قبلى "، " و ان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك " أن النبيين وفوا بالعهد ، و أن كثيرا من أتباعهم خان ؛ ثنى هنا بالتذكير بذلك العهد على / وجه يشمل جميع العلماء بعد الإخبار بسماع /٤٤٠
الأذى المتضمن لنقضهم للعهد ، فكان التذكير بهذا الميثاق كالدليل على

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ " و " (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتخلقوا (٤) فى ظ : خيرهم .

مضمون الآية التى قبلها . و كأنه قيل : فاذكروا قولى لكم "لتبلون" و اجعلوه[1] نصب أعينكم لتوطنوا أنفسكم عليه . فلا يشتد جزعكم بحلول ما يحل منه ﴿ و ﴾ اذكروا[2] ﴿ اذ اخذ الله ﴾ الذى لا عظيم إلا هو ﴿ ميثاق الذين ﴾ .

و لما كانت الخيانة[3] من العالم أشنع ، و كان ذكر العلم[4] دون ٥ تعيين المعلم كافيا فى ذلك بنى للمجهول قوله : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [أى -[5]] فى البيان ، فخافوا فما آذوا[6] إلا أنفسهم ، [و إذا آذوا أنفسهم -[5]] بخيانة عهد الله سبحانه و تعالى كانوا فى أذاكم أشد و إليه أسرع ، أو يكون التقدير : و اذكروا[7] ما أخبرتكم به عند ما أنزله بكم ، و اصبروا[8] لتفوزوا ، و اذكروا إذ أخذ الله ميثاق من قبلكم فضيعوه ١٠ كيلا تفعلوا فعلهم . فيحل بكم ما حل بهم من الذل و الصغار فى الدنيا مع ما يدخر فى الآخرة من عذاب النار .

هذا ما كان ظهر لى أولا ، ثم بان أن الذى لا معدل عنه أنه لما انقضت قصة أحد و ما تبعها[9] إلى أن ختمت بعد الوعظ بتحتم[10] الموت الذى فر[11] من فر منهم منه و خوّف الباقين أمره بمثل ما تقدم أنه جعلها ١٥

(١) فى ظ : اجعلوا (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجناية (٤) فى ظ : العالم (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : اذ - كذا . (٧) العبارة من هنا إلى "و اذكروا" ساقطة من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٩) فى ظ : يتبعها (١٠) فى ظ : تحتم . (١١) زيد بعده فى ظ : منه .

دليلا عليه من بغض[١] أهل الكتاب و ما تبعه؛ عطف على "اذ" المقدرة - لعطف "و اذ غدوت" عليها - قوله "و اذ اخذ الله" أى اذكروا ذلك يدلكم على عداوتهم[٢]، و اذكروا ما صح عندكم من إخبار الله تعالى المشاهد[٣] باخبار من أسلم من الأحبار و القسيسين أن الله أخذ "ميثاق ٥ الذين اوتوا الكتٰب" أى من اليهود و النصارى بما أكد فى كتبه و على ألسنة رسله: ﴿ ليبيننه[٤] ﴾ أى الكتاب ﴿ للناس و لا يكتمونه ز ﴾ أى نصيحة منهم لله سبحانه و تعالى و لرسوله صلى الله عليه و سلم و لأئمة المؤمنين و عامتهم ليؤمنوا بالنبى المبشر به ﴿ فنبذوه ﴾ أى الميثاق بنبذ الكتاب ﴿ ورآء ظهورهم ﴾ حسدا لكم و بغضا، و هو تمثيل لتركهم ١٠ العمل به، لأن من ترك شيئا وراءه نسيه ﴿ و اشتروا به ﴾ و لما كان الثمن الذى اشتروه[٥] خسارة لا ربح فيه أصلا على العكس مما بذلوه على أنه ثمن، و كان الثمن إذا نض[٦] زالت مظنة الربح منه عبر عنه بقوله: ﴿ ثمنا ﴾ و زاد فى بيان سفههم بقوله: ﴿ قليلا ط ﴾ أى بالاستكثار من المال و الاستبهار للرئاسة، فكتموا ما عندهم من العلم بهذا النبى الكريم ١٥ ﴿ فبئس ما يشترون ه ﴾ أى لأنه مع فنائه أورثهم العار الدائم و النار

(١) فى ظ و مد: بعض (٢) فى مد: عدوانهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الشاهدة (٤) من ظ و مد - كما قرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم فى رواية ابن عباس بياء الغيبة، و فى الأصل: لتبيننه - بالخطاب كما هو الثابت فى مصاحف بلادنا، و لكن التفسير الآتى بلفظ «نصيحة منهم» لا يناسبه (٥) فى ظ: اشتراه. (٦) من ظ و مد، أى تيسر، و فى الأصل: نص.

الباقية، و عبر عن هذا الأخذ[١] بالشراء إعلاما بلجاجهم فيه، و نبه بصيغة الافتعال على مبالغتهم في اللجاج.

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأنهم احتووا على المال و الجاه بما كتموا[٢] من العلم و أظهروا من خلافه المتضمن لمحبة أهل دينهم فيهم و ثنائهم عليهم بأنهم على[٣] الدين الصحيح و أنهم أهل العلم، فهم أهل الاقتداء ٥ بهم؛ قال سبحانه و تعالى مخبرا عن مآلهم تحذيرا[٤] من مثل حالهم على وجه يعم كل امرئ[٥]: ﴿لا تحسبن﴾ على قراءة الجماعة بالغيب ﴿الذين يفرحون بمآ اتوا﴾ أي بما يخالف ظاهره باطنه، و توصلوا به إلى الأغراض الدنيوية من الأموال و الرئاسة و غير ذلك، أي لا يحسبن أنفسهم، و في قراءة الكوفيين و يعقوب بالخطاب المعنى: لا تحسبنهم أيها ١٠ الناظر لمكرهم و رواجهم بسببه في الدنيا واصلين إلى خير ﴿و يحبون ان يحمدوا﴾ أي يوجد الثناء بالوصف الجميل عليهم ﴿بما لم يفعلوا﴾ أي بذلك الباطن الذي لم يفعلوه، قال ابن هشام في السيرة: أن يقول الناس[٦]: علماء، و ليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى و لا حق.

و لما تسبب عن ذلك العلمُ بهلاكهم قال: ﴿فلا تحسبنهم﴾ أي ١٥ تحسبن أنفسهم، على قراءة ابن كثير و أبي عمرو بالغيب[٧] و ضم الباء[٨]،

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: كتموه (٣) من ظ و مد، و في الأصل: علم (٤) في ظ: مخبر، و في مد: تحيرا (٥) في ظ و مد: مرا - كذا (٦) زيد في تفسير الطبري نسبة إلى سيرة ابن هشام: لهم، و لكن ما وجدنا هذه الزيادة في النسختين منها (٧) زيد بعده في الأصول: و على، فحذفناها لكي يتسق الكلام (٨) أي على الجمع - كما في نثر المرجان ١/٥٣٣.

و على قراءة الجماعة المعنى : لا تحسبنهم أيها الناظر[1] ﴿ بمفازة من العذاب ج ﴾ بل هم بمهلكة منه ﴿ و لهم عذاب اليم ه ﴾ .

و لما أخبر بهلاكهم دل عليه بحال من فاعل «يحسب» فقال تعالى: ﴿ و لله ﴾ أى / الذى له جميع صفات الكمال وحده ﴿ ملك السموت /٤٤١ ٥ و الارض ط ﴾ أى لا يقع فى فكرهم ذلك و الحال أن ملكه محيط بهم، و له جميع ما يمكنهم الانحياز[2] إليه ، و له ما لا تبلغه قُدَرُهم من ملك الخافِقَين فهو بكل شيء محيط ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ على كل شيء قدير ه ﴾ و هو شامل القدرة، فمن كان فى ملكه كان فى قبضته، [3]و من كان فى قبضته كان[3] عاجزا عن التفصى[4] عما يريد به، ١٠ لأنه الحى القيوم الذى لا إله إلا هو - كما افتتح به السورة .

و لما ذكر هذا الملك العظيم و ختم بشمول القدرة دل على ذلك بالتنبيه على التفكر فيه الموجب للتوحيد الذى [3]هو المقصد الأعظم من هذه السورة الداعى إلى الإيمان الموجب للمفازة من العذاب ، لأن[3] المقصود[5] الأعظم من إنزال القرآن تنوير القلوب بالمعرفة ، و ذلك ١٥ لا يكون إلا بغاية التسليم ، و ذلك هو اتباع الملة الحنيفية ، و هو متوقف على صدق النبى صلى الله عليه و سلم ، فبدأ سبحانه و تعالى السورة بدلائل صدقه بإعجاز القرآن بكشفه[6] ـ مع الإعجاز بنظمه على لسان النبى الأمى -

(١) زيد بعده فى الأصل و ظ : لهم . و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : الانجياز (٣ - ٣) سقطت من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : التفص - كذا (٥) فى ظ : المقصد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : كشفه .

للشبهات[1] و بيانه للخفيات ، و أظهر مكابرة أهل الكتاب ، و فضحهم أتم فضيحة ، فلما تم ذلك على أحسن وجه منظما ببدائع[2] الحكم من الترغيب و الترهيب شرع فى بث أنوار[3] المعرفة بنصب دلائلها القريبة و كشف أستارها العجيبة فقال : ﴿ ان فى خلق السمٰوٰت و الارض ﴾ أى على كبرهما و ما فيهما من المنافع ، و نبه على التغير الدال على المغير ٥ بقوله : ﴿ و اختلاف الّيل و النهار ﴾ أى اختلافا هو – كما ترون – على غاية الإحكام بكونه على منهاج قويم و سير لا يكون إلا بتقدير العزيز العليم[4] ﴿ لاٰيٰت ﴾ أى على جميع ما جاءت به الرسل عن الخالق ، و زاد الحث على التفكر و التهييج إليه و الإلهاب من أجله بقوله : ﴿ لاولى الالباب لاۚ ﴾ و ذكر سبحانه و تعالى فى أخت[5] هذه الآية فى ١٠ سورة البقرة ثمانية أنواع من الأدلة و اقتصر هنا على ثلاثة ، لأن السالك يفتقر فى ابتداء السلوك إلى كثرة الأدلة ، فاذا استنار قلت[6] حاجته إلى ذلك ، و كان الإكثار من الأدلة كالحجاب الشاغل له عن استغراق القلب فى لجج المعرفة ، و اقتصر هنا من آثار الخالق على السماوية لأنها أقهر و أبهر و العجائب فيها أكثر ، و انتقال القلب منها إلى عظمته ١٥ سبحانه و تعالى و كبريائه أشد و أسرع ، و ختم تلك بما هو لأول السلوك : العقل[7] ، و ختم هذه بلبه لأنها لمن تخلص من وساوس الشيطان و شوائب هواجس الوهم المانعة[8] من الوصول إلى حق اليقين بل علم اليقين .

(١) فى ظ : المشتبهات (٢) فى ظ : ببديع (٣) فى ظ : ايقاع (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخر (٦) فى ظ : تلب (٧) سورة ٢ آية ١٦٤ .
(٨) فى ظ و مد : البالغة .

و لما كان كل مميز يدعى أنه فى الذروة من الرشاد نعتهم بما بين من يعتد بعقله فقال: ﴿ الذين يذكرون الله ﴾ أى الذى ليس فى خلقه لها و لا لغيرهما شك، و له جميع أوصاف الكمال . و لما كان المقصود الدوام و كان قد يتجوز بـه عن الأكثر ، عبر عنه لهذا التفصيل نفيا
٥ لاحتمال التجوز و دفعا لدعوى العذر فقال : ﴿ قيٰما و قعودا ﴾ و لما كان أكثر الاضطجاع على الجنب قال: ﴿ و على جنوبهم ﴾ أى فى اشتغالهم بأشغالهم و فى وقت استراحتهم و عند منامهم ، فهم فى غاية المراقبة .

و لما بدأ من أوصافهم بما يجلو أصداء القلوب و يسكنها و ينفى عنها
١٠ الوساوس حتى استعدت[1] لتجليات الحق و قبول الفيض[2] بالفكر لانتفاء قوة الشهوة و سَورة الغضب [3]و قهرهما[3] و ضعف داعية الهوى، فزالت نزغات الشيطان و وساوسه و خطرات النفس و مغالطات الوهم قال: ﴿ و يتفكرون ﴾ أى على الأحوال .

و لما كانت آيات المعرفة إما فى الآفاق و إما فى الأنفس ، و كانت
١٥ آيات الآفاق أعظم " لخلق السمٰوٰت و الارض اكبر من خلق الناس[4] " قال: ﴿ فى خلق السمٰوٰت و الارض ﴾ على كبرهما و اتساعهما و قوة[5] ما فيهما[6] من المنافع لحصر الخلائق فيعلمون - بما فى ذلك من الأحكام

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: استجلت (٢) من مد، وفى الأصل وظ: القبض.
(٣-٣) فى مد: قهرهما - كذا (٤) سورة ٤٠ آية ٥٧ (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: قوت (٦) العبارة من هنا إلى « مع جرى » سقطت من ظ .

مع جرى ما فيها من الحيوان الذى خلقا لأجله على غير / انتظام - أن /٤٤٢
وراء هذه الدار [١] دارا يثبت [١] فيها الحق و ينفى الباطل و يظهر العدل
و يضمحل الجور، فيقولون تضرعا إليه و إقبالا عليه: ﴿ ربنا ﴾ أى
أيها المحسن إلينا ﴿ ما خلقت هذا ﴾ أى الخلق العظيم المحكم ﴿ باطلا ج ﴾
أى لأجل هذه الدار التى لا تفصل [٢] فيها على ما شرعت القضايا، ٥
و لا تنصف فيها الرعاة الرعايا، بل إنما خلقته لأجل دار أخرى، يكون
فيها محض العدل، و يظهر فيها الفصل.

و لما كان الاقتصار على هذه الدار مع ما يشاهده من ظهور
الأشرار نقصا ظاهرا و خللا بينا نزهوه [٣] عنه فقالوا: ﴿ سبحنك ﴾ و فى
ذلك تعليم العباد أدب [٤] الدعاء بتقديم [٥] [الثناء قبله، و تنبيه على ١٠
أن العبد كلما غزرت معرفته زاد خوفه فزاد تضرعه، فانه يحسن منه
كل شيء من تعذيب الطائع و [٦] غيره، و لو لا أن ذلك كذلك لكان
الدعاء بدفعه عبثا - [٧]]، و ما أحسن ختمها حين تسبب عما مضى تيقنهم [٨]
أن أمامنا دارا يظهر فيها العدل مما هو شأن كل أحد فى عبيده [٦]، فيعذب
فيها العاصى و ينعم فيها الطائع، كما هو دأب كل ملك فى رعيته بقولهم ١٥

(١-١) من مد، وفى الأصل: دار يتنبه، و فى ظ: دارا ثبت - كذا (٢) فى ظ: لا تفضل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نزهون (٤) سقط من ظ و مد. (٥) زيد بعده فى الأصل: عبيده، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) من مد، و فى الأصل: تمقنهم، و فى ظ: تبعينهم - كذا.

رغبة فى الخلاص فى تلك الدار: ﴿فقنا عذاب النار *﴾ على وجه جمع بين ذكر العذاب المختتم به آية محيّى[1] المحمدة بالباطل، و النار المحذر منها فى "فمن زحزح عن النار". ثم تعقبها[2] [بقولهم - [3]] معظمين ما سألوا دفعه[4] من العذاب ليكون[5] موضع السؤال أعظم، فيدل على

٥ أن الداعية فى ذلك الدعاء أكمل و إخلاصه أتم، مكررين الوصف المقتضى للاحسان مبالغة فى إظهار الرغبة استمطارا للاجابة: ﴿ربنآ﴾ و أكدوا مع علمهم بإحاطة علم المخاطب إعلاما بأن [حالهم فى - [3]] تقصيرهم حال[6] من أمن النار حثا لأنفسهم على الاجتهاد فى العمل فقالوا: ﴿انك من تدخل النار﴾ أى للعذاب ﴿فقد اخزيته﴾ أى أذللته و أهنته

١٠ إهانة عظيمة بكونه ظالما، و ختمها بقوله[7]: ﴿و ما للظلمين من انصار *﴾ الحاسم لطمع من يظن منهم أنه بمفازة من العذاب، و أظهر موضع الإضمار لتعليق الحكم بالوصف و التعميم.

و لما ابتهلوا [8] بهاتين الآيتين فى الإنجاء من النار توسلوا بذكر مسارعتهم إلى إجابة الداعى بقولهم[8]: ﴿ربنآ﴾ و لما كانت حالهم -

١٥ لمعرفتهم بأنهم لا ينفكون[9] عن تقصير و إن بالغوا فى الاجتهاد، لأنه لا يستطيع أحد أن يقدر الله حق قدره - شبيهة[10] بحال من لم يؤمن، اقتضى

(١) من مد، و فى الأصل: بحى، و فى ظ: محى - كذا (٢) فى ظ: تعقيبها.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: دفعة (٥) فى ظ: فيكون (٦) سقط من مد.
(٧) سقط من ظ (٨ - ٨) سقطت من ظ (٩) فى ظ: لا يتفكرون.
(١٠) فى ظ: شبهه.

المقام التأكيد إشارة إلى هضم أنفسهم بالاعتراف بذنوبهم فقالوا مع علمهم بأن المخاطب عالم بكل شيء: ﴿ اننا ﴾ فأظهروا النون إبلاغا فى التأكيد ﴿ سمعنا مناديا ﴾ أى من قبلك، و زاد فى تفخيمه بذكر ما منه النداء مقيدا[1] بعد الإطلاق بقوله: ﴿ ينادى ﴾ [2] قال محمد بن كعب القرظى: هو القرآن، ليس كلهم رأى النبى صلى الله عليه و سلم[2]. ٥

و لما كانت اللام تصلح للتعليل و معنى 'إلى' عبر بها فقيل: ﴿ للايمان ﴾ ثم فسروه تفخيما له بقولهم: ﴿ ان ءامنوا بربكم ﴾ ثم أخبر بمسارعتهم إلى الإجابة بقولهم: ﴿ فءامنا قلے ﴾ أى عقب السماع. ثم أزالوا ما[3] ربما يظن من ميلهم إلى ربوة الإعجاب بقولهم تصريحا بما أفهمه التأكيد لمن علمه محيط: ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى التى أسلفناها قبل الإيمان ١٠ بأن تقبل منا الإيمان فلا تزيغ قلوبنا، فيكون جابّا لما قبله عندك كما كان جابا له فى ظاهر الشرع، و كذا ما فرط منا بعد الإيمان و لو كان بغير توبة، و إليه الإشارة بقولهم: ﴿ و كفر عنا سيءاتنا ﴾ أى[4] بأن توفقنا بعد تشريفك لنا بالإيمان لاجتناب الكبائر بفعل الطاعات المكفرة[5] للصغائر ﴿ و توفنا مع الابرار ج ﴾ أى ليس لنا سيئات. ١٥

و لما كان الله سبحانه و تعالى هو المالك التام الملك، فهو ذو التصرف المطلق الذى لا يجب عليه شيء، و لا يقبح منه شيء، أشار إلى ذلك بقوله ملقنا لهم مكررا صفة الإحسان تنبيها على مزيد الابتهال و التضرع

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: معدا (٢-٢) سقطت من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ: المكفر.

و التخضع و التخشع : ﴿ ربنا و اٰتنا ما وعدتنا ﴾[1] ثم أشار إلى صدق هذا الوعد بحرف الاستعلاء الدال على الالتزام و الوجوب فقال[1] : ﴿على رسلك ﴾ أى من إظهار الدين و النصر على الأعداء و حسن العاقبة و إيراث الجنة فى مثل قوله تعالى "و بشر الذين اٰمنوا و عملوا الصّٰلحٰت ان لهم جنّٰت[2]" و فى الدعاء بذلك إشارة إلى أنه لا يجب[3] على الله سبحانه و تعالى شيء ولو تقدم به وعده[4]/ الصادق و إن كنا نعتقد أنه لا يبدل القول لديه ﴿ و لا تخزنا يوم القيٰمة[4] ﴾ أى بالمؤاخذة بالسيئات ، ثم أرشدهم إلى الإلهاب و التهييج مع التنبيه على ما نبه عليه أولا من أنه لا يجب عليه شيء بقوله باسطا لهم بلذة المنادمة بالمخاطبة[5] : ﴿ انك لا تخلف الميعاد ﴾ .

و لما تسبب عن هذا الدعاء الإجابة[6] لتكمل شروطه و هى استحضار عظمته [تعالى بعد معرفته بالدليل و إدامة ذكره و التفكر فى بدائع صنعه و افتتاحه بالثناء عليه سبحانه و تنزيهه و الإخلاص فى سؤاله -[7]] قال : ﴿ فاستجاب ﴾ أى فأوجد الإجابة حتما ﴿ لهم ﴾ قال الأصفهانى: و عن جعفر الصادق : من حزبه أمر فقال خمس مرات "ربنا" أنجاه الله مما يخاف ، و أعطاه ما أراد - و قرأ هذه الآية . و أشار إلى أنها من[8]

/٤٤٣

(١-١) سقطت من مد (٢) سورة ٢ آية ٢٥ ، و زيد بعده فى ظ "تجرى من تحتها" (٣) فى مد : لا تجب (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المخاطبة (٦) وقع فى ظ : الا - كذا مقطوعا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) سقط من ظ و مد .

منّه و فضله بقوله[1] : ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن إليهم المتفضل عليهم ﴿ انى لآ اضيع عمل عامل منكم ﴾ كائنا من كان ﴿ من ذكر او انثى[ع] ﴾ و قوله معللا : ﴿ بعضكم من بعض[ج] ﴾ التفات[2] إلى قوله [3]سبحانه "ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم" الناظر إلى قوله[3] "ذرية بعضها من بعض" المفتتح بأن الله سبحانه و تعالى "اصطفى ادم و نوحا" ٥ المنادى بأن البشر كلهم فى العبودية للواحد – الذى ليس كمثله شيء الحى القيوم – سواء من غير تفاوت فى ذلك أصلا ، و المراد أنهم إذا كانوا مثلهم فى النسب فهم مثلهم فى الأجر على العمل .

و لما أقر أعينهم بالإجابة ، و كان قد تقدم ذكر الأنصار[4] عموما فى قوله "و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم – و ان الله ١٠ لا يضيع اجر المؤمنين[5]" خص المهاجرين بيانا لفضلهم و زيادة شرفهم بتحقيقهم لكونهم معه ، لم يأنسوا بغيره و لم يركنوا لسواه من أهل و لا مال بقوله مسببا عن الوعد المذكور و مفصلا و معظما و مبجلا[6] : ﴿ فالذين هاجروا ﴾ أى صدقوا إيمانهم بمفارقة أحب الناس إليهم [فى الدين المؤدى إلى المقاطعة –[7]] و أعز البلاد عليهم . ١٥

و لما كان للوطن من القلب منزل[8] ليس لغيره نبه عليه بقوله : ﴿ و اخرجوا من ديارهم ﴾ أى[9] و هى آثر المواطن عندهم بعد أن

---

(١) فى ظ : بقولهم (٢) فى ظ : التفاوت (٣ – ٣) سقطت من ظ (٤) فى ظ : الانصار – كذا (٥) سورة ٣ آية ١٧٠ و ١٧١ ؛ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجبلا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) فى ظ : لمنزل (٩) سقط من ظ .

باعدوا أهلهم و هم أقرب الخلائق إليهم، و لما كان الأذى مكروها لنفسه لا بالنسبة إلى معين بنى للفعول قوله: ﴿ و اوذوا ﴾ أى بغير ذلك من أنواع الأذى ﴿ فى سبيلى ﴾ أى بسبب دينى الذى نهجته[1] ليسلك إلىّ فيه، و حكمت أنه لا وصول إلى رضائى بدونه[2] ﴿ و قتلوا ﴾ أى ٥ فى سبيلى.

و لما كان القتل نفسه هو المكروه[3]، لا بالنسبة إلى معين؛ كان المدح على اقتحام موجباته، فبنى للفعول قوله: ﴿ و قتلوا ﴾ أى فيه، فخرجوا بذلك عن مساكن أرواحهم بعد النزوح[4] عن منازل أشباحهم، و قراءة حمزة و الكسائى بتقديم المبنى للفعول أبلغ معنى، لأنها أشد ترغيبا فى ١٠ الإقدام على الأخصام، لأن من استقتل[5] أقدم على الغمرات إقدام الأسد فقتل[6] أخص منه[7] و لم يقف أحد أمامه، فكأنه قيل[8]: و أرادوا[9] القتل، هذا[9] بالنظر إلى الإنسان نفسه، و يجوز أن يكون الخطاب للجموع[10] فيكون المعنى: و قاتلوا بعد أن رأوا كثيرا من أصحابهم قد قتل ﴿ لاكفرن عنهم سيأتهم ﴾ كما تقدم سؤالهم إياى ١٥ فى ذلك علما منهم بأن أحدا لن يقدر على أن يقدر الله حق قدره

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: بهجته (٢) زيد بعده فى الأصل: معللا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى ظ و مد. (٤) من مد، وفى الأصل: النزول، وفى ظ: البروح (٥) فى الأصول: استقل. (٦) فى ظ: نقيل (٧) سقط من مد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: قتل (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بالقتل بدا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لمجموع.

و إن اجتهد ﴿ و لادخلنهم ﴾ أي بفضلي ﴿ جنت تجري من تحتها الانهر ج ﴾ كما سبق به[1] الوعد ﴿ ثوابا ﴾ و هو و إن كان على أعمالهم فهو فضل منه، و عظمه بقوله: ﴿ من عند الله ط ﴾ أي المنعوت بالأسماء الحسنى التي منها الكرم و الرحمة لأن أعمالهم لا توازي أقل نعمه ﴿ و الله ﴾ أي الذي له[2] الجلال و الإكرام[3]، و نبه على عظمة المحدث عنه بالعندية ٥ فقال: ﴿ عنده ﴾ أي في خزائن ملكوته التي هي في غاية العظمة ﴿ حسن الثواب ه ﴾ أي و هو ما لا شائبة كدر فيه، لأنه شامل القدرة بخلاف غيره.

و لما كانت هذه المواعدة[4] آجلة، و كان نظرهم إلى ما فيه الكفار من عاجل السعة ربما أثر في بعض النفوس أثرا يقدح في الإيمان بالغيب ١٠ الذي هو شرط قبول الإيمان، داواه[5] سبحانه بأن تلا[6] تبشير[7] المجاهدين بانذار الكفار المنافقين و المصارحين الذين أملى لهم بخذلانهم المؤمنين بالرجوع عن قتال أحد و غيره من أسباب الإملاء على / وجه يصدق / ٤٤٤ ما تقدم أول السورة من الوعد بأنهم سيغلبون، و أن أموالهم إنما هي صورة، [لا -[8]] حقائق لها، عطفا لآخرها على أولها، و تأكيدا لاستجابة ١٥ دعاء أوليائه آخرَ التي قبلها بقوله - مخاطبا لأشرف عباده، و المراد من

(١) في ظ: فيه (٢) زيد بعده في الأصل: ذو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) في ظ و مد: إجمال (٤) في مد: المواعيد (٥) في ظ: داوه، و في مد: دواه - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من مد، و في الأصل: بتبشير، و في ظ: تيسير (٨) زيد من ظ و مد.

يمكن[1] ذلك عادة فيه، لأن خطاب الرئيس أمكن فى خطاب الأتباع -: ﴿لا يغرنك تقلب﴾ أى لا تغترر بتصرف ﴿الذين كفروا﴾ تصرف من يقلب الأمور بالنظر فى عواقبها لسلامتهم[2] فى تصرفهم و فوائدهم و جودة ما يقصدونه[3] فى الظاهر كجودة القلب فى البدن ﴿فى البلاد ط﴾
٥ فان تقلبهم ﴿متاع قليل قف﴾ أى لا يعبأ به ذو همة علية، و عبر بأداة التراخى إشارة إلى أن تمتيعهم - و إن فرض أنه طال زمانه و علا شأنه - تافه[4] لزواله ثم عاقبته. و إلى هول تلك العاقبة و تناهى عظمتها، فقال: ﴿ثم ماوٰهم﴾ أى بعد التراخى إن قدر[5] ﴿جهنم ط﴾ أى الكريهة المنظر. الشديدة الأهوال، العظيمة الأوجال، لا مهاد لهم غيرها ﴿و بئس[6]
١٠ المهاد ﴾ أى الفراش الذى يوطأ و يسهل للراحة و الهدوء.

و لما بين بآية المهاجرين أن النافع من الإيمان هو الموجب للثبات عند الامتحان. و كانت تلك الشروط قد لا توجد، ذكر وصف التقوى العام للأفراد الموجب للاسعاد، فعقب تهديد الكافرين بما لأضدادهم المتقين الفائزين بما تقدم الدعاء إليه بقوله تعالى "قل اؤنبئكم بخير من
١٥ ذلكم" فقال تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ أى أوقعوا الاتصاف بالتقوى بالائتمار بما أمرهم به[5] المحسن إليهم و[5] الانتهاء عما نهاهم شكرا

(١) فى ظ: تمكن (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بسلامتهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يصدقونه (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: تافة (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد و القرآن المجيد، و فى الأصل: لبئس.

لإحسانه[1] و خوفا من عظم شأنه ﴿ لهم جنّت ﴾ و أي[2] جنات ، ثم وصفها بقوله : ﴿ تجري من تحتها الانهر ﴾ تعريفا بدوام تنوعها[3] و زهرتها و عظيم بهجتها .

و لما وصفها بضد ما عليه النار وصف تقلبهم فيها بضد ما عليه الكفار من كونهم في ضيافة الكريم الغفار فقال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كان ٥ النزل ما يعد للضيف عند نزوله قال معظما ما لمن يرضيه : ﴿ نزلا ﴾ و لما كان الشيء يشرف بشرف[4] من هو من عنده نبه على عظمته بقوله : ﴿ من عند الله ﴾ مضيفا إلى الاسم الأعظم ، و أشار بجعل الجنات كلها نزلا إلى التعريف بعظيم ما لهم بعد ذلك عنده سبحانه من النعيم الذي لا يمكن الآدميين [وجه -[5]] الاطلاع على حقيقة وصفه ، ١٠ و لهذا قال معظما - لأنه لو أضمر لظن الاختصاص بالنزل - : ﴿ و ما عند الله ﴾ أي الملك الأعظم من النزل و غيره ﴿ خير للابرار ه ﴾ مما فيه الكفار و من كل ما يمكن أن يخطر بالبال من النعيم .

و لما كان للمؤمنين من أهل الكتابين - مع التشرف بما كانوا عليه من الدين [الذي -[6]] أصله حق - حظ من الهجرة ، فكانوا قسما ثانيا ١٥ من المهاجرين ، و كان إنزال كثير من هذه السورة في مقاولة أهل الكتاب و مجادلتهم و التحذير من مخاتلتهم[7] و مخادعتهم و الإخبار - بأنهم

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : لاحسانهم (٢) من ظ و مد ، أي النعمة ، و في الأصل : اي (٣) من ظ ، و في الأصل : نوعها ، و في مد : بنوعها - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ : مخايلتهم .

يبغضون[1] المؤمنين مع محبتهم لهم ، و أنهم لا يؤمنون بكتابهم ، و أنهم سيسمعون منهم أذى كثيرا إلى أن وقع الختم فى أوصافهم بأنهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا - ربما أيأس من إيمانهم ؛ أتبع ذلك مدح مؤمنيهم[2] ، و غير الأسلوب عن أن يقال مثلا : و الذين آمنوا من أهل الكتاب -

٥ إطماعا فى موالاتهم بعد التدريب بالتحذير منهم على مناواتهم [و ملاواتهم -[3]] فقال : ﴿ و ان من اهل الكتب ﴾ أى اليهود[4] و النصارى ﴿ لمن يؤمن بالله ﴾ أى[5] [الذى -[5]] حاز صفات الكمال ، و أشار إلى الشرط المصحح[6] لهذا الإيمان بقوله : ﴿ و مآ انزل اليكم ﴾ [أى -[5]] من هذا القرآن ﴿ و مآ انزل اليهم ﴾ أى كله ، فيذعن لما يأمر منه باتباع

١٠ هذا النبى العربى ، و إليه الإشارة بقوله جامعا للنظر إلى معنى ' من ' تعظيما لوصف الخشوع بالنسبة إلى مطلق الإيمان[7] : ﴿ خشعين لله ﴾ أى لأنه الملك الذى لا كفوء له ، غير مستنكفين عن نزل المألوف ﴿ لا يشترون بايت الله ﴾ أى التى متى تأملوها علموا أنه لا يقدر عليها إلا من أحاط بالجلال / و الجمال ، الآمرة لهم بذلك ﴿ ثمنا قليلا ﴾ /٤٤٥

١٥ [8]بما هم[8] عليه من الرئاسة و نفوذ الكلمة - كما تقدم قريبا فى وصف معظمهم ، فهم يبينونها[9] و يرشدون إليها و لا يحرفونها .

---

(١) فى ظ و مد : ينقصون (٢) فى ظ و مد : مومنهم (٣) زيد من مد ، و موضعه فى ظ : و ملاقاتهم (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصحيح (٧) سقط من ظ (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما لهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسبونها .

ولما

و لما أخبر تعالى عن حسن ترحمهم إليه أخبر عن جزائهم عنده بما يسر النفوس و يبعث الهمم فقال: ﴿ اولٓـئك ﴾ أى العظيمو الرتبة ﴿ لهم اجرهم ﴾ أى الذى يؤملونه، ثم زادهم فيه رغبة تشريفُه بقوله: ﴿ عند ربهم ﴾ أى الذى رباهم و لم يقطع إحسانه[1] لحظة عنهم، كل ذلك تعظيما له من حيث أن لهم الأجر مرتين. ٥

و لما اقتضت هذه التأكيدات المبشرات إنجاز الأجر و إتمامه و إحسانه، و كان قد تقدم أنه تعالى يؤتى كل أحد[2] من ذكر و أنثى أجره، و لا يضيع شيئا، و يجازى المسيء و المحسن، و كانت[3] العادة قاضية بأن كثرة الخلق سبب لطول زمن الحساب، و ذلك[4] سبب لطول الانتظار، و ذلك سبب لتعطيل[5] الإنسان عن مهماته و لضيق ١٠ صدره بتفرق عزمه و شتاته[6] كان ذلك محل عجب يورث توهم ما لاينبغى. فأزال هذا التوهم بان أمره تعالى على غير ذلك لأنه لا يشغله شأن عن شأن بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى بما له من الجلال و العظمة و الكمال ﴿ سريع الحساب ۝ ﴾.

و لما كثر فى هذه الآيات الأمر بمقاساة الشدائد و تجرع مرارات[7] ١٥ الأذى و اقتحام الحروب و استهانة عظائم الكروب، و الحث على المعارف الإلهية و الآداب الشرعية من الأصول و الفروع انخلاعا من المألوفات

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: احسانهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل: لما، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) فى ظ: سبلك (٥) فى ظ: لتفضيل (٦) فى الأصل و مد: شنناته، و فى ظ: سباته (٧) فى ظ: مراوت.

إلى ما يأمر به سبحانه من الطاعات، و ختم بتجرع فرقة من أهل الكتاب لتلك المرارات كانت نتيجة ذلك لا محالة قوله تعالى منبها على عظمة ما يدعو[1] إليه لأنه شامل لجميع الآداب[2] : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى بكل ما ذكرنا فى هذه السورة ﴿ اصبروا ﴾ أى أوقعوا الصبر تصديقا
٥ لإيمانكم على كل ما ينبغى الصبر عليه مما تكرهه النفوس مما[3] دعتكم إليه الزهراوان ﴿ و صابروا ﴾ أى أوجدوا المصابرة للأعداء من الكفار و المنافقين و سائر العصاة، فلا يكونن[4] على باطلهم أصبر منكم على حقكم ﴿ و رابطوا قف ﴾ أى بأن تربطوا فى الثغور خيلا تكون بازاء ما لهم من الخيول إرهابا لهم و حذرا منهم - هذا أصله، ثم صار الرباط[5] يطلق
١٠ على المكث فى الثغور لأجل الذب عن الدين و لو لم تكن[6] خيول، بل [و -[7]] تطلق على المحافظة على الطاعات، ثم أمر بملاك ذلك كله فقال : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى فى جميع ذلك بأن تكونوا مراقبين له، مستحضرين لجميع ما يمكنكم أن تعلموه من عظمته بنعمته و نقمته ﴿ لعلكم تفلحون ه ﴾ أى ليكون [حالكم -[8]] حال من يرجى فلاحه
١٥ و ظفره بما يريد من النصر على الأعداء و الفوز بعيش الشهداء[9]، و هذه الآية - كما ترى - معلمة بشرط استجابة الدعاء[10] بالنصرة على الكافرين،

---

(١) فى ظ : يدعون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : الادات (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٤) فى ظ : فلا تكونن (٥) فى ظ : الرابط (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يكن (٧) زيدت الواو من ظ و مد (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : السعداء (١٠) سقط من ظ .

المختتم به البقرة " فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلهم يرشدون[١] " داعية إلى تذكير أولى الألباب بالمراقبة للواحد الحى القيوم الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء فى اتباع آياته و معاداة أعدائه ، كما أن التى قبلها فيمن آمن بجميع الكتب : هذا القرآن المصدق[٢] [لما - [٣]] بين يديه و التوراة و الإنجيل ، ٥ كل ذلك للفوز بالفرقان بالنصر و تعذيب أهل الكفر بأيديهم تمكينا[٤] من الله - و الله عزيز[٥] ذو انتقام - ردا[٦] للقطع على المطلع على أحسن وجه[٧] - و الله أعلم بالصواب [٨]و عنده حسن المآب[٨] :

سورة النساء[٩]

مقصودها الاجتماع على التوحيد الذى هدت إليه آل عمران ، ١٠ و الكتاب الذى حدت عليه البقرة لأجل الدين الذى جمعته الفاتحة تحذيرا مما أراده شاس[١٠] بن قيس و أنظاره من الفرقة ، و هذه / السورة /٤٤٦ من أواخر[١١] ما نزل ، روى البخارى فى فضائل القرآن عن يوسف بن ماهك أن عراقيا سأل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن تريه مصحفها ، فقالت : لم ؟ قال : لعلى أؤلف[١٢] القرآن عليه ، فانه يقرأ ١٥

---

(١) آية ١٨٦ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : بمكننا - كذا.
(٥) سقط من مد (٦) من مد، وفى الأصل وظ : وذا (٧) زيد فى الأصل ومد : و ابدع ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨-٨) سقط من ظ ومد (٩) مدنية ، وعدة آياتها عند الشاميين مائة وسبع وسبعون، وعند الكوفيين ست وسبعون، وعند الباقين خمس وسبعون (١٠) فى مد : ساس - كذا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاواخر (١٢) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : اوالف .

غير مؤلف[1]، قالت: و ما يضرك أيّه قرأت[2] قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها[3] ذكر الجنة و النار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام. و لو نزل أول شيء "لا تشربوا[4] الخمر" لقالوا: لا ندع الخمر[5] أبدا، و لو نزل "لا تزنوا" لقالوا: لا ندع ٥ الزنا أبدا، لقد نزل بمكة[6] على محمد[7] "و إني لجارية ألعب "بل الساعة موعدهم و الساعة أدهى و امر" [8]و ما نزلت[8] سورة البقرة و النساء إلا و أنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور[9] - انتهى. و قد عنت بهذا رضي الله عنها أن القرآن حاز أعلى[10] البلاغة في إنزاله مطابقا لما تقتضيه[11] الأحوال بحسب الأزمان، ثم رتب على ١٠ أعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه[12] المفاهيم من المقال[13] - كما نشاهده من هذا الكتاب البديع المثال البعيد المنال.

و لما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت[14] إليه السورتان قبلها

---

(١) من ظ و مد و الصحيح، و في الأصل: موالفة (٢) من مد و الصحيح، و في الأصل و ظ: قريب (٣) من ظ و مد و الصحيح، و في الأصل: منها. (٤) في ظ: لا يشربوا (٥) في ظ: خمرا (٦) سقط من ظ (٧) ومن هنا إلى ص ١٧٢ أسسنا المتن على ظ لكون الأصل في غاية الانطماس (٨-٨) من مد و الصحيح، و في ظ: و قد انزلتا (٩) من مد و الصحيح، و في ظ و هامش الصحيح: السورة (١٠) من مد، و في ظ: على (١١) من مد، و في ظ: يقتضيه، و زيد فيه بعده: في، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (١٢) من مد. وفي ظ: يقتضيه. (١٣) في مد: الحال (١٤) من مد، و في ظ: دلت.

من التوحيد ، و كان السبب الأعظم فى الاجتماع [و - [1]] التواصل عادةً الأرحام العاطفة التى مدارها النساء سميت " النساء " لذلك ، و لأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة و العدل الذى لبابه التوحيد ﴿ بسم الله ﴾ الجامع لشتات الأمور باحسان التزاوج [2] فى لطائف المقدور ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى جعل الأرحام رحمة عامة ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى خص من أراد ٥ بالتواصل على ما دعا إليه دينه الذى جعله [3] نعمة تامة .

لما تقرر أمر [4] الكتاب الجامع الذى هو الطريق ، و ثبت الأساس الحامل الذى هو التوحيد احتيج إلى الاجتماع على ذلك ، فجاءت هذه السورة داعية إلى الاجتماع و التواصل و التعاطف و التراحم فابتدأت [5] بالنداء العام لكل الناس ، و ذلك أنه لما كانت أمهات الفضائل - كما ١٠ تبين فى علم الأخلاق - أربعا : العلم و الشجاعة و العدل و العفة ، كما يأتى شرح ذلك فى سورة لقمٰن عليه السلام ، و كانت [6] آل عمرٰن داعية مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنتين [7] منها ، و هما العلم و الشجاعة - كما أشير إلى ذلك فى غير آية " نزل عليك الكتٰب بالحق " ، " و ما يعلم تاويلهٓ الا الله و الرٰسخون فى العلم " ، " شهد الله انه لآ اله الا هو و الملٰٓئكة ١٥ و اولو العلم " ، " و لا تهنوا و لا تحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين " ، " فما وهنوا لمآ اصابهم فى سبيل الله " ، [" فاذا عزمت فتوكل على الله " ،

(١) زيدت الواو من مد (٢) من مد ، و فى ظ : التجاوز (٣) زيد فى ظ : تامة ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى ظ : من (٥) فى مد : فابتديت (٦) من مد ، و فى ظ : كما نزلت (٧) من مد ، و فى ظ : اثنين .

" و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله -[١]] امواتا " - الآية ، " الذين استجابوا لله و الرسول من بعد مآ اصابهم القرح "، " يآيها الذين اٰمنوا اصبروا و صابروا " - الآية ، و كانت قصة أحد قد أسفرت عن أيتام استشهد مورثوهم فى حب الله ، و كان من أمرهم فى الجاهلية منع أمثالهم
٥ من الإرث جورا عن سواء السبيل و ضلالا عن أقوم الدليل ؛ جاءت هذه السورة داعية إلى الفضيلتين الباقيتين ، و هما العفة و العدل مع تأكيد الخصلتين الأخريين[٢] حسبما تدعو إليه المناسبة ، و ذلك مثمر[٣] للتواصل بالإحسان ، التعاطف باصلاح الشأن للاجتماع على طاعة الديان ، فمقصودها الأعظم الاجتماع على الدين بالاقتداء بالكتاب المبين ، و ما
١٠ أحسن ابتداؤها بعموم[٤]: ﴿ يآيها الناس ﴾ بعد اختتام تلك بخصوص " يآيها الذين اٰمنوا اصبروا [و صابروا -[٥]] - الآية .

و لما اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة[٦] من التكاليف ، منها التعطف على الضعاف بأمور كانوا قد مرنوا على خلافها ، فكانت فى غاية[٧] المشقة على النفوس ، و أذن بشـــدة الاهتمام بها بافتتاح السورة
١٥ و اختتامها بالحث عليها قال: ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أى سيدكم و مولاكم المحسن إليكم بالتربية بعد الإيجاد، بأن تجعلوا بينكم و بين سخطه وقاية ، لئلا يعاقبكم بترك إحسانه إليكم / فينزل بكم كل بؤس . ابتدأ هذه بيان /٤٤٧

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد و القرآن المجيد (٢) من مد ، وفى ظ : الاخرتين (٣) من مد ، و فى ظ : مستمر (٤) و إلى هنا انتهى تأسيس ظ متنا (٥) زيد من مد و القرآن المجيد (٦) فى مد : كبيرة (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : غايته - كذا .

كيفية ابتداء الخلق حثا على أساس[1] التقوى من العفة و العدل فقال:
﴿الذى﴾ جعل بينكم غاية الوصلة لتراعوها و لا تضيعوها[2]، و ذلك
أنه ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هى أبوكم آدم عليه الصلاة و السلام
مذكرا[3] بعظيم قدرته ترهيبا للعاصى و ترغيبا للطائع توطئة للأمر بالإرث،
و قد جعل سبحانه الأمر بالتقوى مطلعا لسورتين: هذه و هى رابعة ٥
النصف الأول، و الحج و هى رابعة النصف الثانى، و علل الأمر بالتقوى
فى هذه بما[4] دل على كمال قدرته و شمول علمه و تمام حكمته من أمر
المبدإ، و علل ذلك فى الحج بما صور المعاد[5] تصويرا لا مزيد عليه،
فدل [فيها-[6]] على المبدإ و المعاد تنبيها على أنه محط الحكمة، ما خلق
الوجود [إلا-[6]] لأجله، لتظهر[7] الأسماء الحسنى و الصفات العلى ١٠
أتم[8] ظهور يمكن البشر الاطلاع عليه، و رتب ذلك على الترتيب
الأحكم، فقدم سورة المبدإ على سورة المعاد لتكون الآيات المتلوة طبق
الآيات المرئية، و أبدع من ذلك كله و أدق أنه لما كان أعظم مقاصد
السورة الماضية المجادلة فى أمر عيسى، و أن مثله كمثل آدم عليهما الصلاة
و السلام، و كانت حقيقة حاله أنه ذكرٌ تولّد من أنثى فقط بلا واسطة ذكر؛ ١٥

(١) فى ظ: اثاث - كذا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لا يضيعوها.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: مذكر (٤) من مد، و فى الأصل و ظ:
لما (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد
من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل: اتظهير، و فى ظ: ليظهر (٨) من ظ
و مد، و فى الأصل: ثم.

بين فى هذه السورة بقوله - عطفا على ما تقديره جوابا لمن كأنه قال : كيف كان ذلك ؟ - إنشاء تلك النفس ، أو تكون[1] الجملة حالية - : ﴿ و خلق منها زوجها ﴾ أى مَثله فى ذلك أيضا كمثل حواء: أمه، فانها أنثى تولدت من ذكر بلا واسطة أنثى ، فصار مثله كمثل[2] كل من أبيه

٥ و أمه : آدم و حواء معا عليهما الصلاة و السلام ، و صار الإعلام بخلق آدم و زوجه و عيسى عليهم الصلاة و السلام - المندرج تحت آية[3] "بعضكم من بعض[4]" مع آية البث التى بعد هذه - حاصرا[5] للقسمة الرباعية العقلية التى لا مزيد عليها ، و هى بشر لا من ذكر و لا أنثى ، بشر منهما ، [بشر -[6]] من ذكر فقط ، بشر من أنثى فقط ؛ و لذلك عبر فى هذه

١٠ السورة بالخلق ، و عبر فى غيرها بالجعل ، لخلو السياق عن هذا الغرض ، و يؤيد هذا أنه قال تعالى فى أمر يحيى عليه الصلاة و السلام "كذلك الله يفعل ما يشاء[7]" و فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام "يخلق ما يشاء[8]" و أيضا فالسياق هنا للترهيب الموجب للتقوى ، فكان بالخلق الذى هو أعظم فى إظهار الاقتدار - لأنه اختراع الأسباب و ترتيب المسببات عليها -

١٥ أحق من الجعل الذى هو ترتيب المسببات على أسبابها و إن لم يكن اختراع - فسبحان العزيز العليم العظيم الحكيم !

و لما ذكر تعالى الإنشاء عبر بلفظ الرب الذى هو من التربية ، و لما

(١) فى ظ : يكون (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : مثل (٣) سقط من ظ . (٤) سورة ٣ آية ١٩٥ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حاضرا (٦) زيد من ظ و مد (٧) سورة ٣ آية ٤٠ . (٨) سورة ٣ آية ٤٧ .

كان

كان الكل - المشار إليه بقوله تعالى عطفا على ما تقديره: و بث لكم منه إليها: ﴿ و بث منهما ﴾ أى فرق و نشر [١]من التوالد[١]، و لما كان المبثوث قبل ذلك عدما و هو الذى أوجده من العدم نكر[٢] لإفهام ذلك قوله: ﴿رجالا كثيرا و نسآء ج ﴾ - من نفس واحدة؛ كان إحسان[٣] كل من الناس إلى كل منهم من صلة[٤] الرحم، و[٥] وصف الرجال دونهن ٥ مع أنهن أكثر منهم إشارة إلى أن لهم عليهن درجة، فهم أقوى و أظهر و أطيب و أظهر فى رأى العين لما لهم من الانتشار و للنساء من الاختفاء و الاستتار .

و لما كان قد أمر سبحانه و تعالى أول الآية بتقواه مشيرا إلى أنه [٦]جدير بذلك منهم لكونه ربهم، عطف على ذلك الأمر أمرا آخر مشيرا ١٠ إلى أنه[٦] يستحق ذلك لذاته لكونه الحاوى لجميع الكمال المنزه عن كل شائبة نقص فقال: ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى عموما لما له من إحاطة الأوصاف كما اتقيتموه خصوصا لما له إليكم من الإحسان و التربية، و احذروه و راقبوه فى أن تقطعوا أرحامكم التى جعلها سببا لتربيتكم .

و لما كان المقصود من هذه السورة المواصلة وصف[٧] نفسه المقدسة ١٥ بما يشير إلى ذلك فقال: ﴿ الذى تسآءلون ﴾ أى يسأل / بعضكم بعضا ﴿ به ﴾ فانه لا يسأل باسمه الشريف المقدس إلا الرحمة و البر و العطف، / ٤٤٨

(١-١) فى مد: بالتوالد (٢) فى ظ: يكن (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احصان. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اصلة (٥) سقطت الواو من ظ (٦-٦) سقطت من ظ (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: وصل .

ثم زاد المقصود إيضاحا فقال: ﴿و الارحام[1]﴾ أى [و -[1]] اتقوا قطيعة الأرحام التى تساءلون بها، فانكم تقولون: ناشدتك بالله و الرحم! و علل هذا الأمر بتخويفهم عواقب بطشه، لأنـــه مطلع على سرهم و علنهم مع ما له من القدرة الشاملة، فقال مؤكدا لأن أفعال النــاس ٥ فى ترك التقوى و قطيعة الأرحام أفعال[2] من يشك فى أنه بعين الله سبحانه: ﴿ان الله﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿كان عليكم﴾ و فى أداة الاستعلاء ضرب من التهديد ﴿رقيبا ه﴾ و خفض حمزة "الارحام" المقسم بهـا تعظيما لها و تأكيـدا للتنبيه على أنهم قد نسوا الله فى الوفاء بحقوقها - كما أقسم[3] بالنجم و التين[4] و غيرهما، [و القراءتان -[5]] مؤذنتان[6] بأن ١٠ صلة الأرحام من الله بمكان عظيم، حيث قرنها باسمه سواء كان عطفا - كما شرحته آية "و قضى ربك ان لا تعبدوآ الآ اياه[7]" و غيرها - أو كان قسما، و اتفق المسلمون على أن صلة الرحم واجبـــة، و أحقهم بالصلة الولد، و أول صلته أن يختار له الموضع[8] الحلال.

و لما بان من هذا تعظيمه لصلة الرحم بجعلها فى سياق ذكره سبحانه ١٥ و تعالى المعبر عنه باسمه الأعظم - كما فعل نحو ذلك فى غير[9] آية، وكان

(١) زيدت الواو من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: نقـال - كذا. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: قسم (٤) من مـد، و فى الأصل: البر، و قد سقط من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: موديان - كذا (٧) سورة ١٧ آية ٢٣ (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الوضع (٩) زيد بعده فى الأصل و مد: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

قد تقدم فى السورة الماضية ذكر قصة أحد التى انكشفت عن أيتام[١]، ثم ذكر فى قوله تعالى "كل نفس ذائقة الموت" أن الموت مشرع[٢] لا بد لكل نفس من وروده؛ علم أنه لا بد من وجود الأيتام فى كل وقت، فدعا إلى العفة و العدل فيهم لأنهم بعد الأرحام أولى من يتقى الله فيه[٣] و يخشى مراقبته بسببه فقال: ﴿ و اٰتوا اليتٰمىٓ ﴾ أى الضعفاء الذين ٥ انفردوا عن آبائهم، و أصل اليتم[٤] الانفراد ﴿ اموالهم ﴾ أى هيئوها بحسن التصرف فيها لأن تؤتوهم إياها بعد البلوغ - كما يأتى، أو يكون الإيتاء[٥] حقيقة و اليتم باعتبار ما كان، أو باعتبار الاسم اللغوى و هو مطلق الانفراد، و ما أبدع إيلاءها للآية الآمرة بعد عموم تقوى الله بخصوصها[٦] فى صلة الرحم المختتمة بصفة الرقيب! لما لا يخفى من ١٠ أنه لا حامل على العدل فى الأيتام إلا المراقبة، لأنه لا[٧] ناصر لهم، و قد يكونون ذوى رحم.

و لما أمر بالعفة فى أموالهم أتبعه تقبيح[٨] الشره[٩] الحامل للغافل[١٠] على لزوم المأمور به فقال: ﴿ و لا تتبدلوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم أن تأخذوا على وجه البدلية ﴿ الخبيث ﴾ أى من الخباثة التى لا أخبث منها، ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الايتام (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مشروع.
(٣) فى مد: فيهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اليتيم (٥) فى ظ: الاتيان.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: نخصوصها (٧) سقط من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: بقبيح، و فى ظ: بفتتح - كذا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: العشرة (١٠) فى مد: للعاقل.

لأنها تذهب بالمقصود من الإنسان، فتهدم جميع أمره ﴿ بالطيب ص ﴾ أى الذى هو [كل - [1]] أمر يحمل على معالى الأخلاق الصائنة [2] للعرض، المعلية لقدر الإنسان؛ ثم بعد هذا النهى العام نوّه بالنهى عن نوع منه خاص، فقال معبرا بالأكل [3] الذى [4] كانت العرب تذم بالإكثار منه
٥ و لو أنه حلال طيب، فكيف إذا كان حراما و من مال ضعيف مع الغنى عنه: ﴿ و لا تاكلوآ اموالهم ﴾ أى تنتفعوا بها أىّ انتفاع كان، مجموعة ﴿ الى اموالكم ط ﴾ شرها و حرصا و حبا فى الزيادة من الدنيا التى [5] علمتم شؤمها و ما أثرت من الخذلان فى ال عمرٰن، و عبر بالى إشارة إلى تضمين الأكل معنى الضم تنبيها على أنها متى ضمت إلى مال
١٠ الولى أكل منها فوقع فى النهى، فحض بذلك على تركها محفوظة على حيالها [6]؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ انه ﴾ أى الأكل ﴿ كان حوبا ﴾ أى إثما و هلاكا ﴿ كبيرا ه ﴾.

و لما كان تعالى [قد - [1]] أجرى سنة الإلٰهية فى أنه لا بد فى التناسل من توسط [4] النكاح إلا ما كان من آدم و حواء و عيسى عليهم
١٥ الصلاة و السلام، و كانوا قد أمروا بالعدل فى أموال اليتامى، و كانوا يلون [8] أمور يتاماهم، و كانوا ربما نكحوا من فى حجورهم منهن، فكان ربما أوقفهم هذا التحذير من أموالهم عن النكاح خوفا من التقصير فى

---

(١) زيد من مد (٢) فى ظ: الصائبة (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بالاهل. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: التى (٥) فى ظ: الذى (٦) أى انفرادها، و فى الأصل ومد: حبالها، و فى ظ: مثالها (٧) فى ظ: توسطه (٨) فى ظ: يولون.

حق

حق من حقوقهن أتبعه تعالى عطفا على ما تقديره: فان وثقتم من أنفسكم[1] بالعدل فخالطوهم بالنكاح و غيره: ﴿ و ان خفتم ﴾ فعبر بأداة الشك حثا على الورع ﴿ الا تقسطوا ﴾ أى تعدلوا ﴿ فى اليتٰمىٰ ﴾ و وثقتم من أنفسكم بالعدل فى غيرهن ﴿ فانكحوا ﴾.

و لما كانت النساء ناقصات عقلا و دينا، عبر عنهن بأداة ما لا يعقل ٥ إشارة إلى الرفق بهن و التجاوز / عنهن فقال: ﴿ ما ﴾ و لما أفاد[2] انكحوا[4] / ٤٤٩ الإذن المتضمن للحل، حمل الطيب على اللذيذ المنفك عن النهى السابق ليكون الكلام عاما مخصوصا بما يأتى من آية المحرمات من النساء، و لا يحمل الطيب على الحل لئلا يؤدى - مع كونه تكرارا - إلى أن يكون الكلام مجملا - لأن الحل لم يتقدم عليه، و الحمل على العام المخصوص ١٠ أولى، لأنه حجة فى غير محل التخصيص، و المجمل[2] ليس بحجة أصلا - أفاده[3] الإمام الرازى؛ فقال تعالى: ﴿ طاب ﴾ أى زال عنه حرج النهى السابق و لذّ، و أتبعه قيدا لا بد منه بقوله: ﴿ لكم ﴾ و صرح بما علم[4] التزاما فقال: ﴿ من النسآء ﴾ أى من غيرهن ﴿ مثنى و ثلٰث و ربٰع ج ﴾ أى حال كون هذا المأذون فى نكاحه[5] موزّعا هكذا: ثنتين ثنتين و ثلاثا ١٥ ثلاثا و أربعا أربعا لكل واحد، و هذا الحكم عرف من العطف بالواو، و لو كان بأو لما أفاد التزوج إلا على أحد هذه الوجوه الثلاثة[6]،

---

(١) فى ظ: انفسهم (٢) فى ظ: الحمل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: افادة.
(٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: غيره (٦) فى مد: الثلاث.

و لم يفد التخيير المفيد للجمع بينها على سبيل التوزيع ، و هذا دليل واضح على أن النساء أضعاف الرجال ؛ و روى البخارى فى التفسير عن عروة ابن الزبير أنه سأل عائشة رضى الله عنها عن قوله[1] تعالى "و ان خفتم الا تقسطوا فى اليتمى" فقالت : يا ابن أختى ! هذه اليتيمة تكون فى حجر ٥ وليها ، تشركه فى ماله ، و يعجبه مالها و جمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط[2] فى صداقها فيعطيها [مثل ما يعطيها -[3]] غيره ، فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن و يبلغوا لهن أعلى[4] سنتهن فى الصداق ، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ؛ قال عروة : قالت عائشة : و إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠ بعد هذه الآية ، فأنزل الله عزوجل "[و -[5]] يستفتونك فى النساء" قالت عائشة : و قول الله عز و جل فى آية أخرى "و ترغبون ان تنكحوهن" رغبة[6] أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال و الجمال ، قالت[7] : فنهوا أن ينكحوا من رغبوا فى ماله و جماله فى يتامى النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات [-[8] المال و الجمال ، و فى رواية

---

(١) فى ظ : قول (٢) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : يسقط - كذا (٣) زيد من ظ و مد و صحيح البخارى (٤) من صحيح البخارى ، و فى الأصل و مد : على ، و قد سقط من ظ (٥) زيد من صحيح البخارى و القرآن المجيد (٦) من صحيح البخارى ، و فى الأصول : رغب (٧) فى ظ : قال (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، و لفظ « المال و الجمال » ثبت فى صحيح البخارى أيضا .

" في النكاح "، فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا] فيها[1] إلا أن يقسطوا لها و يعطوها حقها الأوفى في الصداق؛ و هذا الخطاب للأحرار دون العبيد، لأن العبد لا يستقل[2] [بنكاح -[3]] ما طاب له، بل لا بد من إذن السيد.

٥ و لما كان النساء كاليتامى في الضعف قال مسببا عن الإذن في النكاح: ﴿ فان خفتم الا تعدلوا ﴾ أي في الجمع[4] ﴿ فواحدة ﴾ أي فانكحوها، لأن الاقتصار عليها أقرب إلى العدل، لأنه ليس معها من يقسم له فيجب العدل بينها و بينه، و لما كان حسن العشرة المؤدي إلى العدل دائرا على إطراح النفس، وكان الإماء - لكسرهن بالغربة و عدم الأهل - أقرب إلى حسن العشرة سوّى بين العدد منهن إلى غير نهاية ١٠ و بين الواحدة من الحرائر فقيل: ﴿ او ما ﴾ أي انكحوا ما ﴿ ملكت ايمانكم ط ﴾ فانه لا قسم بينهن، و ذكر ملك اليمين يدل أيضا على أن الخطاب من أوله خاص بالأحرار ﴿ ذلك ﴾ أي نكاح غير اليتامى و التقلل من الحرائر و الاقتصار على الإماء ﴿ ادنىٓ ﴾ أي أقرب[5] إلى ﴿ الا تعولوا ط ﴾ أي[6] تميلوا[6] بالجور عن[7] منهاج القسط و هو ١٥ الوزن المستقيم، أو تكثر[8] عيالكم، أما عند الواحدة فواضح، و أما

(١) سقط من ظ (٢) من مد؛ و في الأصل: لا يشتغل، و في ظ: لا يشغل.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الجميع (٥) من ظ ومد، و في الأصل: الاقرب (٦) من ظ ومد، و في الأصل: يميلوا (٧) من ظ ومد، و في الأصل: على (٨) في ظ: يكثر.

عند الإماء فبالعزل[1]، و عدم احتياج الرجل معهن لخادم له أو لهن، و البيع لمن أراد منهن، و أمرهن بالاكتساب، أو تحتاجوا فتظلموا بعض النساء، أو تأكلوا أموال اليتامى؛ و كل معنى من هذه راجع إلى لازم لمعنى[2] المادة الذى مدارها عليه، لأن مادة "علا[3]" - واوية بجميع تقاليبها الست: علو، عول، لوع، لعو، [4]وعل، ولع[4]؛ و يائية بتركيبيها: ليع[5]، عيل - تدور على الارتفاع، و يلزمه الزيادة و الميل، فمن[6] الارتفاع: العلو و الوعل و الولع، و من الميل و الزيادة: العول، و بقية المادة يائية و[3] واوية إما للازالة، و إما لأحد هذه المعانى - على ما يأتى بيانه؛ فعلا يعلو: ارتفع، و العالية:[7] الفتاة القويمة - لأنها تكون أرفع مما[8] ساواها و هو معوج، و العالية من محال الحجاز - لإشرافها على ما حولها، و كذا العوالى - لقرى[9] بظاهر المدينة الشريفة[10] / - لأنها فى المكان العالى الذى يجرى ماؤه إلى غيره، و المَعلاة: كسب الشرف، و مقبرة[11] مكة بالحجون - لأنها فى أعلى مكة و ماؤها يصوب إلى ما دونه، و فلان من علية الناس، أى أشرافهم، و العلية بالتشديد: الغرفة، و "على"

٤٥٠ /

(١) من مد، و فى الأصل: فبالعزا - كذا، و فى ظ: بالعدل (٢) فى ظ: المعنى. (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و ولع على - كذا. (٥) فى ظ: بيع (٦) زيد بعده فى ظ: الزيادة (٧) العبارة من هنا إلى «و العالية» الآتى سقطت من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: ماما - كذا. (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: القرى (١٠) فى مد: المشرفة (١١) فى مد: لمقبرة.

حرف

حرف الاستعلاء[1]، و تعلت المرأة من نفاسها، أى طهرت و شفيت - لأنها كانت فى سفول من الحال ، و العلاوة : رأس الجبل و عنقه ، و ما يحمل على البعير بين العدلين ، و من كل شيء : ما زاد عليه ، و المعلى : القدح السابع[2] من[3] الميسر - لأنه الغاية فى القداح الفائزة ، لأن القداح عشرة : السبعة الأولى منها فائزة ، و الثلاثة الأخيرة مهملة لا أنصباء[4] لها ، ٥ و علوان الكتاب : عنوانه ، و ارتفاعه على بقية الكتاب واضح ، و العليان : الطويل و الضخم ، و الناقة المشرفة ، و من الأصوات : الجهيرة ، و العلاة : السندان ، و العلياء : رأس كل جبل مشرف ، و السماء ، و المكان العالى ، و كل ما علا من شيء ، و عليك زيدا : الزمه - لأنه يلزم من ملازمته له العلوُ على أمره ، و علا النهار : ارتفع[5] ، و علا الدابة : ركبها ، ١٠ و أعلى عنها : نزل - كأنه من الإزالة ، و كذا علّى المتاع عن الدابة تعلية : أنزله ، و أعليت عن الوسادة [و عاليت -[6]] : ارتفعت و تنحيت[7] ، و رجل عالى[8] الكعب : شريف ، و علّى الكتاب[9] تعلية : عنونه[9] كعلونه[10] ، و عالوا نعيه[11] : أظهروه ، و العلى : الشديد[12] القوى ، و عليون فى السماء

(١) فى مد : استعلا (٢) فى ظ : السابغ (٣) فى مد : فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انصاء (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترحلت (٨) فى ظ : على (٩-٩) فى ظ : تقليبه بنونه - كذا . (١٠) تقدم فى ظ على «شريف» غير أنه وقع فيه "كعلويه" - كذا (١١) من لسان العرب ، و فى الأصل : لغيه ، و فى ظ : نعه ، و فى مد : بغيه - كذا . (١٢) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الشريف .

السابعة، و أخذه علوا: عنوة، و التعالى[1]: الارتفاع، إذا أمرت[2] منه[3] قلت[4]: تعال - بفتح اللام، و لها: تعالى - و لو كنت فى موضع أسفل من موضع المأمور، لأنه يحتاج إلى تطاول مهما[5] كان[6] بينك و بينه مسافة، و لأن[7] الآمر أعلى من المأمور رتبة فموضعه كذلك،
٥ و تعلى[8]: علا فى مهلة[9]، و المعتلى[10]: الأسد؛ و اللعو: السيئ الخلق، و[11] الفسل، و الشره[11] الحريص، و اللاعى: الذى يفزعه أدنى شىء، إما[12] لأنه وصل إلى الغاية فى السفول فتسنم أعلاها حتى رضى لنفسه هذه الأخلاق[13]، و إما لأنه من باب الإزالة، أو[14] التسمية بالضد، و[15]ذئبة لعوة[15] و امرأة لعوة[16]، أى حريصة، و اللعوة: السواد بين
١٠ حلمتى الثدى، إما لأن ذلك أعلاه، و إما لعلو[17] لون السواد على لون الثدى، و الألعاء: السلاميات، و السلامى عظم يكون فى فرسن البعير،

---

(١) فى ظ و مد: العنانى (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ: سنة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: قال (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: منهما (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: كانك (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٨) من ظ و اللسان، و فى الأصل و مد: تعالى، و الواو التى قبله ساقطة من ظ (٩) من ظ و اللسان، و فى الأصل و مد: مهملة (١٠) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: المعتل (١١-١١) من اللسان، و فى الأصل و مد: العل و السر، و فى ظ: العل و الشر - كذا (١٢) فى ظ: لاما (١٣) فى ظ: الاخلاص. (١٤) فى ظ «و» (١٥-١٥) من اللسان، و فى الأصل: د لقوة، و فى ظ: ديته لغوه، و فى مد: ديته لعزه - كذا (١٦) من مد و اللسان، و فى الأصل: لقوة، و فى ظ: لغوه - كذا (١٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العلو.

و عظام[1] صغار فى اليد و الرجل . و ذلك لأن العظام أعلى ما فى الجسد فى القوة و الشدة و الصلابة ، و هى أعظم قوامه ؛ و اللاعية : شجيرة[2] فى سفح الجبل ، لها نور أصفر ، و لها لبن ، و إذا[3] ألقى منه شىء فى غدير[4] السمك أطفاها ، أى جعلها طافية أى عالية[5] على وجه الماء ، سميت بذلك إما من باب الإزالة نظرا[6] إلى محل بيتها[7] ، و إما لأن ريحها يعلو كل ٥ ما خالطه و يكسبه طعمها . و إما[8] لفعلها هذا فى السمك ، و تلعّى[9] العسل : تعقّد وزنا و معنى[10] - إما من اللاعية لأنها كثيرة العقد ، و إما من لازم العلو : القوة و الشدة ، و لعا لك - يقال عند العثرة ، أى أنعشك[11] الله ؛ و العول : ارتفاع الحساب فى الفرائض ، و العول : [الميل ، و قد تقدم أنه لازم للعلو ، و العول - [12]] : كل أمر غلبك[13] ، كأنه علا عنك ١٠ فلم تقدر[14] على نيله ، و المستعان به - لأنه لا يتوصل به إلى المقصود إلا و فيه علو ، و قوت العيال - لأنه سبب علوهم ، و عوّل[15] عليه معولا[16] : اتكل

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سحيرة (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اذ . (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : غذير - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عاليها (٦) فى ظ : نظر (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٩) من القاموس ، و فى الأصول : تلقى (١٠) زيد فى مد « و » (١١) من مد ، و فى الأصل : انعسك ، و فى ظ : انعيثك - كذا . (١٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (١٣) فى ظ : عليك (١٤) فى ظ : فلم يقدر . (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عال (١٦) و لا يقال : تعويلا - كما فى أقرب الموارد .

و اعتمد ، و الاسم كعنب ، و عيّل ككيس[1] ، و عال : جار[2] ، و الميزانُ : نقص أو زاد ، فالزيادة من الارتفاع ، و النقص من لازم الميل ، و عالت الفريضة : ارتفعت أى زادت[3] سهامها فدخل النقصان على أهل الفرائض ، قال أبو عبيد[4] : أظنه مأخوذا[5] من الميل ، و عال أمرهم :
٥ اشتد و تفاقم ، و عال فلان عولا و عيالا : كثر[6] عياله ، كأعوّل و أعيل ، و رجل مُعُيل [و معيّل - [7]] : ذو عيال ، و أعال الرجل و أعول - إذا حرص ، إما مما تقدم تخريجه ، و إما لأنه لازم لذى العيال ، و عال عليه : حمل ، أى رفع عليه المحول كعوّل ، و فلان : حرص ، و الفرس : صوتت ، و أعولت المرأة : رفعت صوتها بالبكاء ، و عيل عوله[8] : ثكلته أمه -
١٠ لما يقع من صياحها ، و عِيل ما هو عائله : غلب[9] ما هو غالبه ، يضرب لمن يعجب من كلامه و نحوه [لأنه - [7]] لا يكون كذلك إلا و قد خرج عن أمثاله علوا ، و قد يكون بسفول ، فيكون من التسمية بالضد ، و العالة[10] : النعامة - لأنها أطول الطير ، و ما له عال و لا مال : شىء - لأن ذلك غاية فى السفول إن كان عجزا ، و فى العلو إن كان زهدا ،
١٥ و يقال للعاثر : عالك عاليا / ، كقولهم : لعا لك ، و المِعول : حديدة تنقر[11] بها الجبال - من القوة اللازمة للعلو[12] ، و العالة : شبه الظلة[13] يستتر بها ٤٥١/

(١) فى ظ : كلبس (٢) فى ظ : الجار (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : زاد .
(٤) فى ظ : ابو عبيدة (٥) من تاج العروس ٨/٣٨ ، و فى الأصول : ماخوذ .
(٦) من مد ، و فى الأصل : كبر ، و فى ظ : كثير (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) فى ظ : عوالته ، و فى مد : عولة (٩) فى ظ : علت (١٠) فى ظ : افعاله - كذا .
(١١) فى ظ : تقر (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : للعول (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الظلمة .

من المطر[1] ؛ و اللوعة : [حرقة -[2]] توجد من الحزن أو[3] الحب أو[3] المرض أو الهم - لأنها تعلو الإنسان ، و لاعه الحب : أمرضه ، و أتان لاعة الفؤاد إلى جحشها - كأنها ولهى[4] فـزعا ، و لاع يَلاع : جزع أو مرض ، و رجل هاع[5] لاع : جبان جزوع ، أو حريص ، أو سيء الخلق - لما علاه من هذه[6] الأخلاق المنافية للعقل و غلبـه[7] منها ، و لاعته[8] ٥ الشمس : غيرت لونـه ، و اللاعة أيضا : الحديدة[9] الفؤاد الشهمة[10] - [11]لأنه يعلو غيره[11] ، و امرأة لاعة : التي[12] تغازلك و لا تمكنك[13] - لما لها في ذلك من الغلبة و العلو على القلوب ؛ و الوعل : تيس الجبل[14] ، و الشريف ، و الملجأ ، و الوعلة : الموضع المنيع من الجبل ، أو صخرة مشرفة منه ، و هم علينا وعل واحد : مجتمعون ، و ما لك عن ذلك وعل ، أي بد - فانه[15] ١٠ لو لا علوه عليك ما اضطررت إليه ، و الوعل : اسم شوال[16] - كأنه لما له من العلو بالعيد و الحج ، و الوعل ككتف[17] : اسم شعبان - لما له من العلو بتوسطه بين رجب و شوال ، و الوعلة[18] أيضا : عروة القميص

(١) في ظ : المظهر (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ « و » (٤) في ظ : و لهن . (٥) من اللسان ، و في الأصول : صاع - كذا (٦) من مد ، و في الأصل وظ : هذا (٧) في ظ : عليه (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : لاعية (٩) من القاموس ، وفي الأصول : الحديد (١٠) من القاموس ، وفي الأصول : الشبهة (١١-١١) كذا ، و السياق يقتضي : لأنها تعلو غيرها (١٢) من القاموس ، و في الأصول : اي . (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يكفك (١٤) من اللسان ، و في الأصول : الخيل (١٥) من مد ، و في الأصل : فانه ، و في ظ : فانة - كذا (١٦) في ظ : سوال (١٧) في ظ : الكتف (١٨) و من هنـا نسخـة مد في غاية الانطماس ، و إذا اتضح شيء ذكرناه .

[و الزبر زره - [1]] و القدح و الإبريق الذى يعلق بها فيعلو ، و وعال كغراب : حصن باليمن ، و المستوعل - بفتح العين : حرز الوعل ، و وعل كوعد : أشرف ، و توعلت الجبل[2] : علوته : و أولع فلان بكذا ، أو[3] ولع - بالكسر : استخف[4] ، أى صار[5] عاليا[6] عليه غالبا له لإطاقته
٥ حمله ، و ولع بحقه : ذهب ، و ولع بالفتح - إذا كذب ، إما للازالة و إما لأنه استخفه الكذب لحمله ، و ولع والع - مبالغة ، أى كذب عظيم ، و المولع : الذى فيه لمع من ألوان - كأنه علا على تلك الألوان ، أو غلب تلك الألوان أصلّ لونه ، و عبارة القاموس : و التوليع : استطالة البلق ، [يقال - [7]] : برذون و ثور مولع - كمعظم ، و الوليع : الطلع ما دام فى قيقائه ،
١٠ أى وعائه[8] . و هو قشرة الطلع لعلوه[9] ، و ما أدرى ما ولعه - بالفتح ، أى حبسه ، إما الازالة ، لأنه لما منعه كان[10] كأنه أزال علوه ، و إما لأنه علا عليه ، و أولعه به[10] ، أى أغراه ، أى حمله عليه ؛ و العيلة[11] : الحاجة ، و عال يعيل - إذا افتقر ، و ذلك إما من الإزالة ، أو لأن الحاجة عَلَته ، أو لأنها ميل ، و عالنى الشيء : أعجزنى ، و عيل صبرى : قل و ضعف[12] ،
١٥ أى علاه من الأمر ما أضعفه ، وعِلتُ الضالة : لم أدر أين أبغيها ، و المعيل[13] :

(١) زيد من مد و تاج العروس (٢) فى ظ : الخيل (٣) فى ظ « و » (٤) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : استحق (٥) فى ظ : نصار (٦) من ظ ، و فى الأصل : عالما - كذا (٧) زيد من القاموس (٨) فى الأصل : وعاية ، و فى ظ : وقاية - كذا (٩) فى ظ : بعلوه ، و زيد بعده : و رى - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : العيل (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ضعه (١٣) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : العيل .

الأسد و النمر و الذئب - لأنه يعيل صيدا أى يلتمس، فهو يرجع إلى العلو و القدرة على الطلب، و عالنى الشيء: أعوزنى - إما أزال علوى، أو علا عنى، و عال فى [[1]- مشيه[2]: تمايل [3]و اختال و تبختر[3] - لأنه لا يفعله إلا عال فى نفسه مع أنه كله من الميل، و عال فى] الأرض: ذهب، أى علا عليها مشيا، و الذكر من الضباع[4] عيلان، و العيل ٥ محركة: عرضك حديثك و كلامك على من لا يريده [5]و ليس من شأنه - كأنه لم يهتد لمن يريده فعرضه على من لا يريده[5]، فهو يرجع إلى الحاجة المزيلة للعلو؛ و ليعة[6] الجوع - بالفتح: حرقته - كما تقدم فى اللوعة، و لعت - بالكسر: ضجرت، كأنه من الإزالة، أو أن العلو للأمر المتضجر منه، و الملياع[7] - بالكسر: السريعة العطش - لأنها تعلو الإبل ١٠ حينئذ سبقا[8] إلى الماء، أو لأن العطش علاها، و الملياع: التى تقدم الإبل سابقة ثم ترجع إليها، و ريح لياع[9] - بالكسر: شديدة، و قد وضح بذلك صحة ما [10]فسر به[10] إمامنا الشافعى صريحا و مطابقة - كما تقدم، و شهد له العول فى الحساب و السهام، و هو كثرتها، و ظهر تحامل من

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من القاموس، و فى ظ: مسبه (٣-٣) من القاموس، و فى ظ: و اجتاله و منحير - كذا (٤) من اللسان، و فى الأصل: الضفادع، و فى ظ: الضعفادع - كذا (٥-٥) سقطت من ظ (٦) من القاموس، و فى الأصل: ليعه، و فى ظ: لعيه - كذا (٧) من القاموس، و فى الأصل: الملباع، و فى ظ: اللباع - كذا (٨) فى ظ: سابقا (٩) من القاموس، و فى الأصل و ظ: لباع (١٠-١٠) من ظ، و فى الأصل: فسرته.

رد ذلك و قال : إنه لا يقال فى كثرة العيال إلا : عال[1] يعيل ، و كم من عائب[2] قولا صحيحا ! و كيف لا و هو من الأئمة المحتج بأقوالهم فى اللغة ، و قد وافقه غيره و شهد لقوله الحديث الصحيح ؛ قال الإمام يحيى ابن أبي الخير العمرانى الشافعى فى كتابه البيان : "الا تعولوا[3]" قال ٥ الشافعى : معناه أن لا تكثر[4] عيالكم [5]و من تمونونه[5] ، و قيل : إن أكثر السلف قالوا : المعنى أن لا تجوروا[6] ، يقال : عال يعول - إذا جاروا ، عال يعيل - إذا كثر عياله ؛ إلا زيد بن أسلم فانه قال : معناه أن لا تكثر عيالكم ، و قول النبي صلى الله عليه و سلم يشهد لذلك ، قال « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » انتهى .

١٠ و هذا الحديث أخرجه الشيخان و غيرهما عن حكيم بن حزام عن / أبي هريرة رضى الله عنهما بلفظ « أفضل الصدقة ما كان عن[7] ظهر غنى ، و اليد العليا خير من اليد السفلى ، و ابدأ بمن تعول » و فى الباب أيضا عن عمران بن حصين و أبي رمية العلوى[8] و أبي أمامة رضى الله عنهم ، و أثر زيد بن أسلم رواه الدارقطنى و البيهقى من طريق سعيد بن أبي هلال ١٥ عنه ، قال : ذلك أدنى أن لا يكثر من يعولونه - أفاده[9] شيخنا ابن حجر

/ ٤٥٢

(١) فى ظ : اعال (٢) فى ظ : غائب (٣) فى ظ : لا يقولوا (٤) فى ظ : لا يكثر .
(٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمن تمرنونه - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لا تجوزوا (٧) فى ظ : على (٨) كذا فى الأصول ، و لم نفز بتحقيقه فيما عندنا من المراجع ، فلعله : أبي رمثة البلوى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : افادة .

فى

فى تخريج أحاديث الرافعى و قال الإمام: إن تفسير الشافعى هو تفسير الجماعة، عبر عنه بالكناية[١] وهى ذكر الكثرة، و أراد[٢] الميل لكون الكثرة لا تنفك عنه، و قال ابن الزبير: لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق و إيجاد آدم عليه الصلاة و السلام من غير أب و لا أم، و أعقبت بسورة الٓ عمرٰن لتضمنها - مع[٣] ما ذكر[٣] فى صدرها - أمر عيسى عليه الصلاة ٥ و السلام، و أنه كمثل آدم عليه الصلاة و السلام فى عدم[٤] الافتقار إلى أب، و علم الموقنون من ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت سنة فيمن بعد آدم عليه الصلاة و السلام، [فكأن سائر الحيوان - [٥]] لا يتوقف إلا على أم فقط؛ أعلم سبحانه أن من عدا المذكورين عليهما الصلاة و السلام من ذرية آدم سبيلهم[٦] سبيل الأبوين فقال تعالى "يٰأيها الناس اتقوا ١٠ ربكم - إلى قوله: و بث منهما[٧] رجالا كثيرا و نسآء" ثم أعلم تعالى كيفية[٨] النكاح المجعول سببا[٩] فى التناسل و ما يتعلق به، و بين حكم الأرحام و[١٠] المواريث فتضمنت السورة ابتداء الأمر و انتهاءه[١١]، فأعلمنا بكيفية التناكح و صورة الاعتصام و احترام بعضنا[١٢] لبعض و كيفية تناول الإصلاح فيما بين الزوجين عند التشاجر و الشقاق، و بين لنا ما ينكح ١٥

(١) فى الأصول: بالكتابة - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: افراد (٣-٣) فى ظ: ذكر ما (٤) من ظ، و فى الأصل: ذلك (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من ظ، و فى الأصل: بسبيلهم (٧) و إلى هنا انتهى الانطماس من نسخة مد (٨) فى ظ: الكيفية، و فى مد: بكيفية (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) سقط من ظ (١١) فى مد: انتهاه (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعضها.

و ما أبيح من العدد و حكم من لم يجد الطول و ما يتعلق بهذا إلى المواريث ، فصل ذلك كله إلا[1] الطلاق ، لأن[2] أحكامه تقدمت ، و لأن بناء [هذه السورة على التواصل و الائتلاف و رعى حقوق ذوى الأرحام و حفظ ذلك كله إلى حالة -[3]] الموت المكتوب علينا ، و ناسب هذا المقصود [من -[4]] التواصل و الألفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى " الذى خلقكم من نفس واحدة " - الآية ، فافتتحها بالالتئام و الوصلة [[5]و لهذا خصت[5] من حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح و المعدلة[6] إبقاء لذلك التواصل -[3]] فلم يكن الطلاق ليناسب هذا ، فلم يقع له هنا[7] ذكر[8] إلا إيماء[8] " و ان يتفرقا يغن الله كلا من سعته "، و لكثرة[9] ما يعرض من رعى حظوظ النفوس عند الزوجية و مع القرابة - و يدق ذلك و يغمض[10] - تكرر كثيرا فى هذه السورة الأمر بالاتقاء ، و به افتتحت " اتقوا ربكم "، " و اتقوا الله الذى تسآءلون به و الارحام "، " و لقد وصينا الذين اوتوا الكتب من قبلكم و اياكم ان اتقو الله "، ثم حذروا من حال من صمم على[11] الكفر و حال اليهود و النصارى و المنافقين و ذوى التقلب فى الأديان بعد أذن اليقين ، و كل ذلك تأكيد لما أمروا به من الاتقاء ، و التحمت الآيات إلى الختم

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى - كذا (٢) فى ظ : لانه (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد ، و فى ظ : و انه اخصبت - كذا (٦) من مد ، و فى ظ : المعدله (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الايمان - كذا (٩) فى ظ : الكثرة (١٠) زيد بعده فى الأصول : لذلك ما ، فحذفنا تلك الزيادة لكى ينتسق الكلام (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعلى .

بالكلالة من المواريث المتقدمة - انتهى .

و لما حذروا من القول الذى من مدلوله[1] المحاجة عن كثرة النساء، كان ربما تعلق به من يخل عن بعض الحقوق، لا سيما ما[2] يستكثره من الصداق، فأتبعه ما[3] ينفى ذلك، فقال - مخاطبا للأزواج، لأن السياق لهم، معبرا بما يصلح للدفع و الالتزام المهيئ له -: ﴿و اٰتوا النسآء﴾ أى ٥ عامة من اليتامى و غيرهن[4] ﴿صدقٰتهن﴾، و قوله مؤكدا للايتاء بمصدر من معناه: ﴿نحلة ط﴾ مؤيدٌ لذلك، لأن معناها: عطية عن طيب نفس؛ [قال الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه: و أصله - أى النحل: إعطاء الشيء لا يراد به عوض -[5]] و كذا إن قلنا: معنى النحلة الديانة و الملة و الشرعة و المذهب، أى آتوهن ذلك ديانة . ١٠

و لما وقع الأمر بذلك كان ربما أبى المتخلق[6] بالإسلام قبول ما تسمح به المرأة منه بابراء[7] أو رد على سبيل الهبة - لظنه أن ذلك لا يجوز أو غير ذلك فقال: ﴿فان طبن لكم﴾ أى متجاوزات ﴿عن شيء﴾ و وحّد الضمير ليرجع إلى الصداق المفهوم من الصدقات، و لم يقل: منها، لئلا يظن أن الموهوب لا يجوز إلا إن كان صداقا كاملا فقال[8]: ١٥ ﴿منه﴾ أى الصداق ﴿نفسا﴾ أى عن شهوة صادقة من غير إكراه[9]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مدلولة (٢) فى ظ: من (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرهم (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) فى ظ: المستخلق (٧) من مد، و فى الأصل: اترا، و فى ظ: من ابراء - كذا (٨) فى ظ: قال (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اكراة - كذا .

/٤٥٣ و لا خديعة ﴿ فكلوه ﴾ أى تصرفوا / فيه بكل تصرف يخصكم[1] ﴿ هنيئا ﴾ أى سائغا صالحا لذيذا فى عافية بلا مشقة و لا مضرة ﴿ مريئا ه ﴾ أى جيد المغبة[2] بهجا سارا، لا تنغيص[3] [فيه -[4]]، و ربما كان التبعيض[5] ندبا إلى التعفف عن قبول الكل، لأنه فى الغالب

٥ لا يكون إلا عن خداع أو ضجر فربما أعقب الندم، و هذا الكلام يدل أيضا على تخصيص الأحرار دون العبيد، لأنهم لا يملكون ما جعلته النساء لهم ليأكلوه هنيئا. قال الأصبهانى: فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب[6] نفسها، و عن الشعبى أن رجلا أتى مع امرأته شريحا فى عطية أعطتها إياه و هى تطلب أن ترجع، فقال شريح: رد

١٠ عليها، [فقال الرجل -[7]]: أليس قد قال الله تعالى " فان طبن لكم[8] " - الآية، [قال -[9]]: لو طابت نفسها[10] لما رجعت فيه؛ و عنه قال[11]: أقيلها[12] فيما وهبت و لا أقيله، لأنهن[13] يخدعن.

---

(١) فى مد: تخصكم (٢) من مد - أى العاقبة، و فى الأصل: الاعنه، و فى ظ: العيه - كذا، و فى القاموس: و قد مرأ الطعام مراءة فهو مرىء: هنىء حميد المغبة (٣) فى الأصل و مد: تنقيص، و فى ظ: تنصيص - كذا، و فى تاج العروس على رواية الكشاف: الهنىء و المرىء صفتان من: هنأ الطعام و مرأ - إذا كان سائغا لا تنغيص فيه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: التنغيص (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لم تطلب (٧) زيد من روح المعانى ٢/٢٠ (٨) سقط من ظ و مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد فى روح المعانى: عنه (١١) سقط من مد (١٢) فى ظ: اقبلها (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لأنه.

و لما أمر بدفع أموال اليتامى و النساء إليهم ، و نهى عن أكل شيء منها تزهيدا فى المال و استهانة به ، و كان فى النساء و المحاجير[1] من الأيتام و غيرهم سفهاء ، و أمر بالاقتصاد فى المعيشة حذرا من الظلم و الحاجة نهى عن التبذير ، و قد حث سبحانه على حسن رعاية المال فى غير آية من كتابه لأنه « نعم المال الصالح[2] للرجل الصالح » ـ رواه أحمد ٥ و ابن منيع عن عمرو بن العاص رفعه ؛ لأن الإنسان ما لم يكن فارغ البال [3]لا يمكنه القيام بتحصيل ما يهمه من الدنيا ، و ما لم يتمكن من تحصيل ما يهمه من الدنيا لا يمكنه أمر الآخرة ، و لا يكون فارغ البال[3] إلا بواسطة ما يكفيه من المال ـ لأنه لا يتمكن فى هذه الدار التى مبناها على الأسباب من جلب المنافع و دفع المضار إلا به ، فمن أراده[4] لهذا ١٠ الغرض كان من أعظم الأسباب المعينة له على اكتساب سعادة الآخرة ، [5]و من أراد لنفسه كان من أعظم المعوقات[6] عن سعادة الآخرة فقال تعالى : ﴿ و لا تؤتوا ﴾ أيها الأزواج [و الأولياء ـ[7]] ﴿ السفهآء ﴾ أى من محاجيركم و نسائكم و غيرهم ﴿ اموالكم ﴾ أى الأموال التى خلقها الله لعباده سواء كانت مختصة بكم أو بهم ، و لكم بها علقة بولاية ١٥ أو غيرها ، فانه يجب عليكم[8] حفظها ﴿ التى جعل الله ﴾ أى الذى له

(١) فى ظ : المحاضر (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقطت من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : اراد (٥) العبارة من هنا إلى « سعادة الآخرة » سقطت من ظ . (٦) من مد ، و فى الأصل : المعرقات ـ كذا (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : عليهم .

الإحاطة بالعلم الشامل و القدرة التامة ﴿ لكم قيما ﴾ أى ملاكا و عمادا تقوم[1] بها أحوالكم[2]، فيكون ذلك سببا لضياعها، فضياعها سبب لضياعكم، فهو من تسمية السبب باسم المسبب للمبالغة فى سببيته ﴿ و ارزقوهم ﴾ متجرين[3] ﴿ فيها ﴾ و عبر بالظرف[4] إشارة إلى الاقتصاد

٥ و استثمار الأموال حتى لا تزال[5] موضعا للفضل، حتى تكون النفقة و الكسوة من الربح لا من رأس المال ﴿ و اكسوهم ﴾ أى فان ذلك ليس من المنهى عنه، بل هو من معالى الأخلاق[6] و محاسن الأعمال ﴿و قولوا لهم﴾ [أى -[7]] مع ذلك ﴿ قولا معروفا ه ﴾ أى فى الشرع و العقل كالعِدَة الحسنة و نحوها، و كلُّ ما[8] سكنت إليه النفس[9] و أحبته[9]

١٠ من قول أو عمل و ليس مخالفا للشرع فهو معروف، فان ذلك ربما كان أنفع من كثير من الإعطاء و أقطع للشر[10]؛ و الحجر[9] على السفيه مندرج فى هذه الآية، لأن ترك الحجر عليه من الإيتاء المنهى عنه.

و لما نهى عن ذلك البذل للسفهاء أيتاما كانوا أو[11] غيرهم، بين[6] أنه ليس دائما بل ما[12] دام السفه [قائما -[7]]، فمست الحاجة إلى التعريف

١٥ بمن يعطى و من يمنع و كيف يفعل عند الدفع، و لما كان السفه أمرا

---

(١) فى ظ : يقوم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : اموالكم (٣) من مد، و فى الأصل : متحيرين، و فى ظ : متحير - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : بالظفر (٥) فى ظ : لا يزال (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : لما (٩ - ٩) فى ظ : الواجبة - كذا (١٠) فى ظ : للشرع (١١) فى ظ «و». (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ : لما.

باطنا لا يعرف إلا بالتصرف و لا سيما فى المال؛ بدأ[1] سبحانه بتعليم ما يتوصلون به إلى معرفته فقال مصرحا بالأيتام اهتماما بأمرهم: ﴿و ابتلوا اليتمى﴾ أى اختبروهم فى أمر الرشد فى الدين و المال فى مدة مراهقتهم واجعلوا ذلك دأبكم ﴿حتى اذا بلغوا النكاح ج﴾ أى وقت الحاجة إليه بالاحتلام أو[2] السن ﴿فان انستم﴾ أى علمتم [علما - [3]] أنتم فى عظيم ٥ تيقنه كأنكم تبصرونه[4] على وجه تحبونه و تطيب أنفسكم به ﴿منهم﴾ أى عند بلوغه ﴿رشدا﴾ أى بذلك التصرف، و نكّره لأن وجود كمال الرشد فى أحد يعز وقوعه ﴿فادفعوآ / اليهم اموالهم ج﴾ أى لزوال الحاجة / ٤٥٤ إلى الحجر بخوف التبذير، و أضافها إليهم بعد إضافتها أولا إلى المعطين إشارة إلى أنه لا يستحقها إلا من يحسن[5] التصرف فيها. ١٠

و لما كان الإنسان مجبولا على نقائص منها الطمع و عدم الشبع لا سيما إذا خالط، لا سيما إن حصل له إذن ما[6]؛ أدبه سبحانه بقوله: ﴿و لا تاكلوهآ﴾ أى بعلة استحقاقكم لذلك بالعمل فيها ﴿اسرافا﴾ أى مسرفين بالخروج عن القصد فى التصرف و وضع الشيء فى غير موضعه و إغفال العدل و الشفقة ﴿و بدارا﴾ أى مبادرين ﴿ان يكبروا[ط]﴾ ١٥ أى فيأخذوها منكم عند[7] كبرهم فيفوتكم[7] الانتفاع بها، و كأنه عطف

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: ابدا (٢) فى ظ «و» (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى ظ: تتغيرونه (٥) من مد، و فى الأصل: حسن، و فى ظ: احسن.
(٦) فى ظ: بما (٧-٧) من مد، و فى الأصل: كبركم فيفوتكم، و فى ظ: كبركم فيفوتكم.

بالواو الدالة على تمكن الوصف و تمامه إشارة إلى عدم المؤاخذة بما يعجز عنه الإنسان المجبول على النقصان مما يجرى فى الأفعال مجرى الوسوسة فى الأقوال «و لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه».

و لما أشعر النهى عن أكل الكل بأن لهم فى الأكل فى الجملة علة ٥ مقبولة، أفصح به فى قوله: ﴿ و من كان ﴾ أى منكم[1] أيها الأولياء ﴿ غنيا فليستعفف ج ﴾ أى يطلب العفة و يوجدها[2] و يظهرها عن الأكل منها جملة. فيعف[3] عنه بما بسط الله له[4] [4]من رزقه[4] ﴿ و من كان فقيرا ﴾ و هو يتعهد مال اليتيم لإصلاحه[5]، و لما كان يخشى من امتناعه من الأكل منه التفريط فيه بالاشتغال بما يهمه فى نفسه، أخرج الكلام فى صيغة ١٠ الأمر فقال معبرا بالأكل لأنه معظم المقصود: ﴿ فليأكل بالمعروف ط ﴾ أى بقدر[6] أجرة[7] سعيه.

و لما كان ذلك ربما أفهم[8] الأمان[9] إلى الرشد[10] بكل اعتبار، أمر بالحزم - كما فى الطبرانى[11] الأوسط عن أنس «احترسوا من الناس[12] بسوء الظن» - فقال: ﴿ فاذا دفعتم اليهم ﴾ أى اليتامى ﴿ اموالهم ﴾ ١٥ أى التى كانت تحت أيديكم لعجزهم[13] عن حفظها ﴿ فاشهدوا عليهم ط ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يوجد (٣) من مد، و فى الأصل وظ: فيعفا - كذا (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: رزقه من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لاخلاصه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يقد - كذا (٧) فى ظ: اجر. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فهم (٩) فى ظ: الايمان (١٠) فى ظ و مد: الرشيد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الطرفى - كذا (١٢) فى ظ: التباس. (١٣) فى ظ: لعجزكم.

أى

أى احتياطا[1] لأن الأحوال تتبدل، و الرشد يتفاوت، فالإشهاد أقطع للشر[2]، و أنفع فى كل أمر، و الأمر بالإشهاد أزجر للولى عن الخيانة، لأن من عرف أنه لا يقبل عند الخصام إلا ببينة[3] عف غاية العفة، و احترز غاية الاحتراز.

و لما كانت الأموال مظنة لميل النفوس، و كان [الحب - [4]] للشيء[5] يعمى و يصم؛ ختم الآية بقوله: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الحكمة البالغة و القدرة الباهرة و العظمة التى لا مثل لها، و الباء فى مثل هذا تأكيد لأن ما قرنت به هو الفاعل حقيقة لا مجازا - كما إذا أمرنا[6] بالفعل مثلا ﴿ حسيبا ﴾ أى محاسبا بليغا فى الحساب، فهو أبلغ تحذيرا[7] لهم و للأيتام من الخيانة و التعدى و مدّ العين إلى حق الغير.

و لما ذكر أموال اليتامى على حسب ما دعت إليه الحاجة و اقتضاه التناسب إلى أن ختم بهذه الآية، [كان - [8]] كأن سائلا [سأل - [4]]: من أين تكون[9] أموالهم؟ فبين ذلك بطريق الإجمال بقوله تعالى: ﴿ للرجال ﴾ أى الذكور من أولاد الميت و أقربائه[10]، و لعله[11] عبر بذلك دون الذكور لأنهم كانوا لا يورثون الصغار، و يخصون الإرث بمن عمر الديار، فنبه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: احتياجا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: للسر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بينة (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الشى (٦) فى ظ و مد: امر (٧) فى ظ: تحذير (٨) زيد من مد (٩) فى ظ: يكون (١٠) فى ظ: بائه - كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لعل.

سبحانه على أن العلة النطفة[1] ﴿ نصيب ﴾ [أى منهم معلوم -[2]]
﴿ مما ترك الوالدٰن و الاقربون ص ﴾ .

و لما كانوا لا يورثون[3] النساء قال : ﴿ و للنسآء نصيب ﴾
و لقصد التصريح للتأكيد قال موضع ' مما تركوا ' : ﴿ مما ترك الوالدٰن
٥ و الاقربون ﴾ مشيرا إلى أنه لا فرق بينهن و بين الرجال فى[4] القرب
الذى هو سبب الإرث ، ثم زاد الأمر تأكيدا و تصريحا بقوله إبدالا
مما قبله بتكرير العامل : ﴿ مما قل منه او كثر ط ﴾ ثم عرف بأن ذلك
على وجه الحتم[5] الذى لا بد منه ، فقال مبينا للاعتناء به بقطعه عن الأول
بالنصب[6] على الاختصاص بتقدير ' أعنى ' : ﴿ نصيبا[7] مفروضا ه ﴾ أى
١٠ مقدرا واجبا مبينا ، و هذه الآية بجملة بينتها[8] آية المواريث ، و بالآية
علم أنها[9] خاصة بالعصبات من التعبير بالفرض ، لأن الإجماع - كما[10] نقله
الأصبهانى عن الرازى - على أنه ليس لذوى الأرحام نصيب مقدر .

و لما بين المفروض أتبعه المندوب فقال تعالى : ﴿ و إذا حضر
القسمة اولوا القربى ﴾ أى ممن لا يرث / صغارا أو كبارا ﴿ و اليتٰمى /٤٥٥
١٥ و المسٰكين ﴾ أى قرباء أو غرباء[11] ﴿ فارزقوهم منه ﴾ أى المتروك ،

(١) فى الأصول : الظنة - كذا (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يورثون (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الحتم (٦) فى ظ : بالنصيب (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مبينا (٩) فى ظ : بانها (١٠) فى ظ : بما (١١) فى ظ : قربانا .

و هو أمر ندب لتطييب[1] قلوبهم ، و قرينــة صرفه عن الوجوب ترك التحديد[2] ﴿ و قولوا لهم ﴾ أي مع الإعطاء ﴿ قولا معروفا ه ﴾ أي حسنا سائغا في الشرع مقبولا تطيب به نفوسهم .

و لما أعاد الوصية[3] باليتامى مرة بعد أخرى ، و ختم بالأمر بالانة[4] القول ، و كان للتصوير في التأثير في النفس ما ليس لغيره ؛ أعاد الوصية ٥ بهم لضعفهم مصورا لحالهم مبينا أن[5] القول المعروف هو الصواب الذي لا خلل فيه فقال: ﴿ وليخش ﴾ أي يوقع الخشيـة على ذرية غيرهم ﴿ الذين ﴾ و ذكر لهم حالا هو جدير[6] بايقاع الخشية في قلوبهم فقال: ﴿ لو تركوا ﴾ أي شارفوا الترك بموت أو هرم ، و صوّر حالهم و حققه بقوله : ﴿ من خلفهم ﴾ أي بعد موتهم أو عجزهم العجزَ الذي هو كونهم ١٠ ﴿ ذرية ﴾ أي أولادا من ذكور أو[7] إناث ﴿ ضعٰفا ﴾ أي لصغر أو غيره ﴿ خافوا عليهم ص ﴾ أي جور الجائرين .

و لما تسبب عن ذلك التصور في أنفسهم خوفُهم[8] على ذرية غيرهم كما يخافون على ذريتهم ، سواء كانوا أوصياء أو أولياء أو أجانب ، و كان هذا الخوف ربما أداهم[9] في قصد نفعهم إلى جور على غيرهم ؛ أمر بما ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : لتطيب (٢) في الأصل و مد : التهديد ، و في ظ : التجديد (٣) العبارة من هنا إلى " أعاد الوصية " سقطت من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : بالاية - كذا (٥) في ظ : اى (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : جديرا (٧) من مد ، و في الأصل و ظ « و » (٨) من مد ، و في الأصل : خافوهم ، و قد سقط من ظ (٩) من مد ، و في الأصل : ادهم ، و في ظ : اذاهم .

يحفظهم على الصراط السوى بقوله : ﴿ فليتقوا ﴾ و عبر بالاسم[1] الأعظم إرشادا[2] إلى استحضار جميع عظمته فقال: ﴿ الله ﴾ أى فليعدلوا فى أمرهم ليقيّض[3] الله لهم من يعدل فى ذريتهم، و إلا أوشك أن يسلط على ذريتهم من يجور عليهم ﴿ و ليقولوا ﴾ أى فى ذلك و غيره ﴿ قولا سديدا ه ﴾ أى عدلا قاصدا صوابا[4]، ليدل هـذا الظاهر على صلاح ما أثمره من الباطن .

و لما طال التحذير [[5]ـ و الزجر[6] و التهويل فى شأن اليتامى، و كان ذلك ربما أوجب النفرة من مخالطتهم رأسا فتضيع مصالحهم[7]؛ وصل بذلك[8] ما بين أن ذلك خاص بالظالم فى سياق موجب لزيادة التحذير] فقال مؤكدا [9]لما كان[9] قد رسخ فى نفوسهم من الاستهانة بأموالهم : ﴿ ان الذين ﴾ و لما كان الأكل أعظم مقاصد الإنسان عبر به عن جميع الأغراض فقال: ﴿ ياكلون اموال اليتمى ظلما ﴾ أى أكلا هو فى غير موضعه بغير دليل يدل[10] عليه، فهو كفعل من يمشى فى الظلام، ثم أتبعه ما زاده تأكيدا بالتحذير فى سياق الحصر فقال: ﴿ انما ياكلون ﴾ أى فى الحال، و صوّر الأكل وحققه بقوله : ﴿ فى بطونهم نارا ط ﴾ أى

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاسم (٢) فى ظ : اشار (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليقضى (٤) فى الأصول : ثوابا ـ كذا بالثاء (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) من مد ، و فى ظ : الجزر (٧) من مد ، و فى ظ : مصلحتهم (٨) فى ظ : بذ ـ كذا مقطوعا (٩ ـ ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكان ـ كذا (١٠) فى ظ : تبدل .

تحرق

تحرق المعانى الباطنية[1] التى تكون بها قوام الإنسانية، و بين أنها على حقيقتها فى الدنيا، و لكنا[2] لا نحسها الآن لأنها غير النار المعهودة فى الظاهر بقوله ـ مكررا التحذير مبينا بقراءة الجماعة بالبناء[3] للفاعل أنهم يلجأون إليها إلجاء يصيّرهم كأنهم يدخلونها بأنفسهم[4] ـ: ﴿ و سيصلون ﴾ أى فى الآخرة - بوعيد حتم لا خلف فيه ﴿ سعيرا ﴾ أى عظيما هو ٥ نهاية فى العظمة، و ذلك هو معنى قراءة[5] ابن عامر و عاصم بالبناء للمجهول، أى يلجئهم إلى صليها[6] ملجئ قاهر لا يقدرون [7]على نوع[7] دفاع له.

و لما تم ذلك تشوفت النفوس إلى بيان مقادير الاستحقاق بالإرث لكل واحد، و كان قد تقدم ذكر استحقاق الرجال و النساء من ١٠ غير تقييد بيتم، فاقتضت البلاغة بيانَ [8]أصول جميع[8] المواريث، و شفاءَ العليل[9] بإيضاح أمرها، فقال - مستأنفا فى جواب من كأنه سأل عن ذلك مؤكدا لما أمر به منها غاية التأكيد مشيرا إلى عظمة هذا العلم بالتقدم[10] فى الإيصاء فى أول آياته، و التحذير من الضلال فى آخرها، و رغب فيه النبيء صلى الله عليه و سلم بأنه نصف العلم، و حذر من ١٥ إضاعته بأنه أول علم ينزع من الأمة ـ: ﴿ يوصيكم الله ﴾ أى بما له من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الباطنة (٢) فى ظ: لكنها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بالياء (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انفسهم (٥) فى ظ: قرا. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: جبلها (٧ - ٧) سقط من ظ (٨ - ٨) فى مد: جميع اصول (٩) فى مد: الغليل (١٠) فى ظ: بالقدم.

العظمة الكاملة و الحكمة البالغة ، و بدأ بالأولاد لأن تعلق الإنسان بهم أشد فقال : ﴿ فىٓ اولادكم ﴾ أى إذا مات مورثهم .

و لما كان هذا مجملا كان بحيث يطلب تفسيره ، فقال جوابا لذلك بادئا بالأشرف[1] بيانا لفضله بالتقديم[2] و جَعْلِه أصلا [و - [3]]

٥ التفضيل : ﴿ للذكر ﴾ أى منهم إذا كان معه شيء من الإناث ، ولم يمنعه مانع من قتل[4] و لا مخالفة دين و نحوه ﴿ مثل حظ الانثيين[4] ﴾

/٤٥٦ أى نصيب من شأنه أن يغنى[5] و يسعد ، و هو / الثلثان ، إذا انفردتا[6] فللواحدة معه الثلث ، فأثبت سبحانه الاناث حظا[7] تغليظا [لهم - [8]] فى منعهن[9] مطلقا ، و نقصهن عن نصيب الرجال تعريضا بأنهم أصابوا

١٠ فى نفس الحكم بانزالهن[10] عن درجة الرجال .

و لما بان سهم الذكر مع الأنثى بعبارة النص ، و أشعر ذلك بأن لهن[11] إرثا فى الجملة و عند الاجتماع مع الذكر ، و فُهِم بحسب إشارة النص - و هى ما ثبت بنظمه ، لكنه غير مقصود ، و لا سبق له النص - حكم الأنثيين إذا لم يكن [معهن - [8]] ذكر ، و هو أن

١٥ لهما الثلثين ، و كان ذلك أيضا مفهما لأن الواحدة إذا كان لها مع الأخ الثلث كان لها ذلك مع الأخت إذا لم يكن ثَمّ ذكر من باب الأولى ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاشرف (٢) فى مد : بالتقدم (٣) زيدت الواو من ظ و مد (٤) فى ظ : قبل ، و فى مد : قمل - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعين (٦) فى ظ : انفرد (٧) سقط من ظ (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهن (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : بانزاله . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم .

فاقتضى ذلك أنهن إذا كن ثلاثا أو أكثر ليس معهن ذكر[١] استغرقن[٢] التركة، وإن كانت واحدة ليس معها ذكر لم تزد على الثلث؛ بين [أن - ٣] الأمر ليس كذلك - كما تقدم - بقوله مبينا إرثهن حال الانفراد: ﴿فان كن﴾ أى الوارثات[٤] ﴿نسآء﴾ أى إناثا.

و لما كان[٥] ذلك قد يحمل على أقل الجمع، و هو اثنتان حقيقة ٥ أو مجازا حقق و نفى هذا الاحتمال بقوله: ﴿فوق اثنتين﴾ أى لا ذكر معهن ﴿فلهن ثلثا ما ترك ج﴾ أى الميت، لا أزيد من الثلثين ﴿و ان كانت﴾ أى الوارثة ﴿واحدة﴾ أى منفردة، ليس معها غيرها[٦] ﴿فلها النصف ط﴾ أى فقط.

و لما قدم الإيصاء بالأولاد لضعفهم إذا كانوا صغارا، و كان ١٠ الوالد[٧] أقرب الناس إلى الولد[٨] و أحقهم بصلته و أشدهم[٩] اتصالا به أتبعه حكمه فقال: ﴿و لابويه﴾ أى الميت، ثم فصل بعد أن أجمل ليكون الكلام آكد، و يكون سامعه إليه أشوق[١٠] بقوله مبدلا[١١] بتكرير العامل: ﴿لكل واحد منهما﴾ أى أبيه و أمه اللذين ثنيا[١٢] بأبوين

---

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: ذكرا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: استغرق. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الورثات (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: كانت (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: غيرهما (٧) فى ظ: الولد (٨) فى ظ: الوالد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اسدهم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اسوق (١١) زيد بعده فى الأصل و ظ: لا، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٢) فى ظ: سمينا - كذا.

﴿ السدس مما ترك ﴾ ثم بين شرط ذلك فقال: ﴿ ان كان له ﴾ أى الميت ﴿ولد ﴾ أى ذكر، فان كانت أنثى أخذ الأب السدس فرضا، و الباقى بعد الفروض حق عصوبة.

و لما بين حكمهما مع الأولاد تلاه بحالة فقدهم فقال: ﴿ فان لم ٥ يكن له ولد ﴾ أى ذكر و لا أنثى ﴿ و ورثه ابوه ﴾ [أى -[1]] فقط ﴿ [2] فلامه الثلث ج [2] ﴾ أى و للأب الباقى لأن الفرض أنه لا وارث له غيرهما، و لما كان التقدير: هذا مع فقد الإخوة أيضا، بنى عليه قوله: ﴿ فان كان له اخوة ﴾ أى اثنان فصاعدا ذكورا أو[3] لا، مع فقد الأولاد ﴿ فلامه السدس ﴾ أى لأن الإخوة ينقصونها[4] عن الثلث إليه، ١٠ و الباقى للأب، و لا شيء لهم، و أما الأخت الواحدة فانها لا تنقصها إلى السدس سواء كانت وارثة أو لا، و كذا الأخ إذا كان واحدا، ثم بين أن هذا كله بعد إخراج الوصية و الدين لأن ذلك سبق فيه حق الميت الذى جمع المال فقال: ﴿ من بعد وصية يوصى بها ﴾ أى كما مندوب لكل ميت، و قدمها فى الوضع على ما هو مقدم عليها فى الشرع ١٥ بعثا[5] على أدائها، لأن أنفس الورثة تشح بها، لكونها[6] مثل مشاركتهم فى الإرث لأنها بلا عوض ﴿ او دين ﴾ [أى -[1]] إن كان

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « بنى عليه قوله ».
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٤) من ظ، و فى الأصل: نقضوا ما، و فى مد: نقصوها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نعتا - كذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لكونه.

عليه دين .

و لما كان الإنسان قد يرى أن بعض أقربائه من أصوله أو فصوله أو غيرهم أنفع له[1] ، فأحب تفضيله فتعدى هذه الحدود لما رآه، و كان ما رآه خلاف الحق فى الحال أو فى المآل، و كان الله تعالى هو المستأثر[2] بعلم ذلك ، و لهذا قال صلى الله عليه وسلم : أحبب حبيبك هونا ما ٥ عسى أن يكون بغيضك يوما [ما -[3]] - الحديث، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن ، يقلبها كيف شاء؛ قال تعالى حاثا على لزوم ما حده مؤكدا[4] بالجملة الاعتراضية - كما هو الشأن فى كل اعتراض - لأن هذه القسمة مخالفة لما كانت العرب تفعله ، و هى على وجوه لا تدرك عللها: ﴿ اٰبآؤكم و ابنآؤكم ﴾ أى الذين[5] فضلنا لكم إرثهم[6] على ١٠ ما ذكرنا ﴿ لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ﴾ أى من غيره ، لأنه لا إحاطة / لكم فى علم و لا قدرة، فلو وكل الأمر فى القسمة إليكم ٤٥٧/ لما وضعتم الأمور فى أحكم[7] مواضعها .

و لما بين أن الإرث على ما حده سبحانه و تعالى مؤكدا له بلفظ الوصية، و زاده تأكيدا بما جعله اعتراضا بين الإيصاء[8] و بين "فريضة" ١٥ بين أنه على سبيل الحتم[9] الذى من تركه عصى، فقال ذاكرا مصدرا

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : لهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتأثر . (٣) زيد من مد و جامع الترمذى - أبواب البر و الصلة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : موكد (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ : ارثهن (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : انهم - كذا (٨) فى ظ و مد : الانصباء (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الختم .

مأخوذا من معنى الكلام: ﴿ فريضة من الله ﴾ أى الذى له الأمر كله، ثم زادهم حثا على ذلك و رغبة فيه بقوله تعليلا لفريضته عليهم مطلقا و على هذا الوجه: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان ﴾ و لم يزل و لا يزال[1] لأن وجوده لا يتفاوت فى وقت من الأوقات، لأنه ٥ لا يجرى عليه زمان، و لا يحويه مكان، لأنه خالقهما ﴿ عليما ﴾ أى بالعواقب ﴿ حكيما ﴾ أى فوضع لكم هذه الأحكام على غاية الإحكام فى جلب المنافع لكم و دفع الضر عنكم، و رتبها سبحانه و تعالى أحسن ترتيب، فان الوارث يتصل بالميت تارة بواسطة و هو الكلالة، و أخرى بلا واسطة، و هذا[2] تارة يكون[2] بنسب، و تارة بصهر[3] و نسب[4]، ١٠ فقدم ما هو[5] بلا واسطة لشدة قربه، و بدأ منه بالنسب لقوته، و بدأ منهم بالولد لمزيد الاعتناء به.

و لما كان الإرث بالمصاهرة أضعف من الإرث بالقرابة ذكره بعده، و قدمه على الإرث بقرابة الأخوة تعريفا بالاهتمام به و لأنه بلا واسطة، و قدم منه الرجل لأنه أفضل فقال: ﴿ و لكم نصف ما ترك ازواجكم ﴾ ١٥ و بين شرط هذا بقوله: ﴿ ان لم يكن لهن ولد ج ﴾ أى منكم أو من غيركم، ثم بين الحكم على التقدير الآخر فقال: ﴿ فان كان لهن ولد ﴾ أى وارث و إن سفل سواء كان ابنا أو بنتا ﴿ فلكم الربع مما تركن ﴾ أى

(١) من مد، و فى الأصل وظ: لم يزال (٢-٢) فى مد: يكون تارة (٣) فى ظ: يضيره - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: نصب - كذا بالصاد (٥) سقط من مد.

تركت كل واحدة منهن، و يغسلها الزوج[1] لأن الله أضافها إليه باسم الزوجية، و الأصل الحقيقة، و لا يضر حرمة جماعها بعد الموت و حل نكاح أختها و أربع سواها، لأن ذلك لفقد المقتضي أو المانع و هو الحياة، و ذلك لا يمنع علقة[2] النكاح المبيح للغسل - كما لم يمنعها لأجل[3] العدة لو كان الفراق بالطلاق، ثم كرر حكم الوصية اهتماما بشأنها فقال: ﴿ من بعد وصية ٥ يوصين[4] بهآ ﴾ أى الأزواج أو بعضهن، و لعله جمع إشارة إلى أن الوصية أمر عظيم ينبغي أن يكون مستحضرا فى الذهن غير مغفول عنه عند أحد من الناس ﴿ او دين ط ﴾.

[و لما بين إرث الرجل أتبعه إرثها فقال معلما أنه على النصف مما للزوج - كما مضى فى الأولاد - [5]]: ﴿ و لهن ﴾ أى عددا كن أو لا ١٠ ﴿ الربع مما تركتم ﴾ أى يشتركن فيه على السواء إن كن عددا، و تنفرد[6] به الواحدة إن لم [يكن - [7]] غيرها، ثم بين شرطه بقوله: ﴿ ان لم يكن لكم ولد ج ﴾ ثم بين حكم القسم الآخر بقوله: ﴿ فان كان لكم ولد ﴾ أى

(١) و فى الدر المختار: و يمنع زوجها من غسلها و مسها لا من النظر إليها على الأصح - منيه، و قالت الأئمة الثلاثة: يجوز لأن عليا رضى الله عنه غسل فاطمة رضى الله عنها، قلنا: هذا محمول على بقاء الزوجية لقوله عليه السلام: كل سبب و نسب ينقطع بالموت إلا سببى و نسبى، مع أن بعض الصحابة رضى الله عنه أنكر عليه؛ شرح المجمع للعيني - اه (٢) فى ظ: علاقه - كذا (٣) من مد، و فى الأصل: الأجل، و فى ظ: الا اجل - كذا (٤) من مد و القرآن المجيد، و فى الأصل و ظ: يوصى (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من مد، و فى الأصل: ينفر: و فى ظ: يفرد (٧) زيد من ظ و مد.

وارث ﴿ فلهن الثمن مما تركتم ﴾ كما تقدم فى الربع، ثم كرر الخروج عن حق المورث فقال: ﴿ من بعد وصية توصون بهآ او دين ﴾.

و لما فرغ من قسمى ما اتصل بالميت بلا واسطة أتبعه الثالث و هو ما اتصل بواسطة، و [لما - [1]] كان قسمين، لأنه تارة يتصل من جهة ٥ الأم فقط و هم الأخياف، أمهم واحدة و آباؤهم[2] شتى، و تارة من جهة الأب [فقط - [1]] و هم العلات، أبوهم واحد و أمهاتهم شتى، و تارة من جهة الأبوين و هم الأعيان، و كانت قرابة الأخوة أضعف من قرابة البنوة؛ أكدها بما يقتضيه[3] حالها، فجعلها[4] فى قصتين، ذكر إحداهما هنا [5]إدخالا لها[5] فى حكم الوصية المفروضة، و ختم بالأخرى السورة ١٠ لأن الختام من مظنات الاهتمام.

و لما كانت قرابة الأم أضعف من قرابة الأب قدمها هنا دلالة على الاهتمام[6] بشأنها، و أن [ما - [1]] كانوا يفعلونه من حرمان الإناث خطأ و جور عن منهاج العدل، فقال تعالى: ﴿ و ان كان ﴾ أى وجد ﴿ رجل يورث ﴾ أى مَنْ ورث حال كونه ﴿ كللة ﴾ أى ذا حالة ١٥ لا ولد له[7] فيها و لا والد[8]، أو[9] يكون "يورث" من: أورث - بمعنى أن إرث الوارث بواسطة / من مات كذلك: لا[10] هو ولد للميت و لا والد، /٤٥٨

(1) زيد من ظ و مد (2) من ظ و مد، و فى الأصل: اباهم (3) فى ظ: تقتضيه (4) سقط من ظ (5-5) من مد، و فى الأصل و ظ: ادخالها (6) من ظ و مد، و فى الأصل: اهتمام (7) سقط من مد (8) فى ظ: ولد (9) فى مد " و " (10) فى ظ: الا.

و وارثه

و[1] وارثه أيضا كلالة[2] لأنـه ليس بوالد و لا ولد ، فالمورث كلالة وارثه ، و الوارث[3] كلالة مورثـه ؛ قال الأصبهاني : رجل كلالة ، و[4] امرأة كلالة ، و قوم كلالة ، لا يثنى و لا يجمع ، لأنه مصدر كالدلالة و الوكالة ، و هو بمعنى الكلال ، و هو ذهاب القوة[5] من الإعياء ، و قد تطلق الكلالة على القرابة من غير جهة الولد و الوالد ، و منه قولهم : ٥ ما ورث المجد عن كلالة [-[6] ﴿ او[7] ﴾ وجدت[8] ﴿ امراة[7] ﴾ أى تورث كذلك ، و يجوز أن يكون " يورث " صفة ، و " كلالة " خبر " كان "] ﴿ و له ﴾ أى للذكور و هو الموروث[9] على أى الحالتين كان .

و لما كان الإدلاء[10] بمحض الأنوثة[11] يستوى[12] بين الذكر و الأنثى لضعفها قال : ﴿ اخ او اخت ﴾ أى من الأم - باجماع[13] المفسرين ، و هى ١٠ قراءة أبى و سعد بن مالك رضى الله عنهما ﴿ فلكل واحد منهما السدس ج ﴾ أى من تركته ، من غير فضل للذكر على الأنثى .

و لما أفهم ذلك - أى بتحويل العبارة المذكورة من أن يقال : فله السدس - أنهما إن كانا[14] معا كان لهما الثلث ، و كان ذلك قد يفهم أنه

(١) فى ظ : له (٢) العبارة من هنا إلى « و الوارث كلالة » سقطت من ظ .
(٣) من مد ، و فى الأصل : الوارثة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : او .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوم (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) ليس فى مد (٨) من مد ، وفى ظ : جد - كذا (٩) فى ظ : المورث .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا دالا - كذا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاتركة (١٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : ليسوى (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاجماع (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : كان .

إن زاد وارثه[1] زاد الإرث عن الثلث نفاه بقوله : ﴿ فان كانوآ ﴾ أى ما أفهمه " اخ او اختٌ " من الوراث[2] منهم ﴿ اكثر من ذلك ﴾ أى واحد ، كيف كانوا ﴿ فهم شركآء ﴾ أى بالسوية[3] ﴿ فى الثلث ﴾ أى المجتمع من[4] السدسين اللذين تقدم أنهما بينهما ، لا يزادون على ذلك ٥ شيئا ، ثم كرر الحث على مصلحة الميت بيانا للاهتمام بها[5] فقال : ﴿ من بعد وصية يوصى بهآ اودين لا ﴾ .

و لما كان الميت قد يضار ورثته ، أو بعضهم بشيء يخرجه عنهم ظاهرا أو[6] باطنا كأن يقر بماله لأجنبي ، أو بدين لا حقيقة له ، [7]أو بدين كان له[7] بأنه[8] استوفاه ؛ ختم الآية بالزجر عن ذلك بقوله : ﴿ غير مضآرٍ ج ﴾ ١٠ مع ما تقدم من الإشارة إلى ذلك أول القصة بقوله " لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا " ؛ قال الأصبهانى : و الإضرار فى الوصية من الكبائر .

ثم أكد ذلك بقوله مصدرا ليوصيكم : ﴿ وصيةً من الله ط ﴾ أى[9] الذى له الأمر كله مع تأكيده بجميع ما فى الآيات تعظيما للأمر باكتناف الوصية بأولها و آخرها ، و هو دون الفريضة فى حق الأولاد ، لأن ١٥ حقهم آكد .

و لما بين سبحانه الأصول و فصل النزاع ، و كان ذلك خلاف مألوفهم

---

(١) فى ظ : ارثه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوارث (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالوصية (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ " و " (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : بان. (٩) سقط من مد .

و كان الفطام عن المألوف فى الذروة من المشقة؛ اقتضى الحال الوعظ بالترغيب و الترهيب، فختم القصة بقوله: ﴿ و الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال من الجلال و الجمال، و للاشارة إلى عظيم الوصية كرر هذا [الاسم - [1]] الأعظم فى جميع القصة، ثم قال: ﴿ عليم ﴾ أى فلا يخفى عليه أمر من خالف بقول أو فعل، نية أو غيرها ﴿ حليم ﴾ فهو ٥ من شأنه أن لا يعاجل بالعقوبة، فلا يغتر [2] بامهاله، فانه إذا أخذ بعد طول الأناة لم يفلت [3] فاحذروا غضب الحليم! و فى الوصفين مع التهديد استجلاب للتوبة.

و لما كان فطم أنفسهم عن منع الأطفال و النساء شديدا عليهم لمرونهم [4] عليه بمرور الدهور الطويلة على إطباقهم على فعله و استحسانهم له ١٠ أتبعه سبحانه الترغيب [و الترهيب - [5]] لئلا يغتر بوصف الحليم [6]، فقال معظما للأمر بأداة البعد و مشيرا إلى جميع ما تقدم من أمر المواريث و النساء و اليتامى و غيره: ﴿ تلك ﴾ أى هذه الحدود الجليلة النفع العظيمة الجدوى المذكورة من [7] أول هذه السورة، بل من أول القرآن ﴿ حدود الله ﴾ أى الملك الأعظم، فمن [8] راعاها - و لو [8] لم يقصد ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: فلا يضر - كذا. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يفلب - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لمروحهم (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل وظ: الحكيم. (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٨-٨) من مد، و فى الأصل: راعها و، و فى ظ: راها و - كذا.

طاعته، بل رفعا لنفسه عن دناءة الإخلاد[١] إلى الفانى و معرة[٢] الاستئثار على الضعيف المنبئ عن البخل و سفول الهمة - نال خيرا كبيرا، فانه يوشك[٣] أن يجره[٣] ذلك إلى أن يكون ممن يطيع الله ﴿و من يطع الله﴾ الحائز أصفى الجلال و الإكرام ﴿و رسوله﴾ أى فى جميع طاعاته[٤]
٥ هذه و غيرها، بالإقبال عليها و ترك ما سواها لأجله سبحانه؛ قال الأصبهانى: 'من' عام و وقوعه عقيب هذه التكاليف الخاصة لا يخصصه.

٤٥٩/ / و لما تشوف السامع بكليته إلى الخبر[٥] التفت إليه تعظيما للأمر - على قراءة نافع و ابن عامر بالنون - فقال: ﴿ندخله[٦] جنت﴾ أى بساتين، و قراءة الجماعة بالياء عظيمة[٧] أيضا لبنائها على الاسم الأعظم و إن كانت
١٠ هذه أشد تنشيطا بلذة الالتفات ﴿تجرى من تحتها الانهر﴾ أى لأن أرضها معدن[٨] المياه، ففى أى موضع أردت جرى نهر، فهى لا تزال يانعة[٩] غضة[١٠]، و جمع الفائزين بدخول الجنة فى قوله: ﴿خلدين فيها﴾ تبشيرا بكثرة الواقف عند هذه الحدود، [و -[١١]] لأن منادمة الإخوان من أعلى نعيم الجنان.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاخلاق (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعدة - كذا (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: السا محره - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: طاعته (٥) فى ظ: الخير (٦) ورد فى الأصول: يدخله - كذا بالغيبة على قراءة الجماعة و هى الشائعة فى مصاحف بلادنا، ولكن أرجعناها إلى التكلم حسبما اختاره المفسر (٧) فى ظ: التحتانية (٨) فى مد: معادن (٩) فى ظ: نابعه، (١٠) فى ظ: عضه - كذا (١١) زيد من مد.

و لما

و لما كان اختصاصهم بالإرث عن النساء و الأطفال من الفوز عندهم، بل لم يكن الفوز [العظيم - [1]] عندهم إلا الاحتواء على الأموال و بلوغ ما فى البال منها من الآمال قال تعالى معظما بأداة البعد : ﴿ و ذلك ﴾ أى الأمر العالى المرتبة [2] من الطاعة المندوب إليها ﴿ الفوز العظيم ﴾ أى لا غيره من الاحتواء على ما لم يأذن به الله [2]، و هذا أنسب ٥ شىء لتقديم الترغيب لتسمح [3] نفوسهم بترك ما كانوا فيه مع ما فيه من التلطف بهذه الأمة و التبشير له صلى الله عليه و سلم بأنها مطيعة [4] راشدة .

و لما أشربت القلوب الصافية ذوات الهمم العالية حب نيل [5] هذا الفوز أتبعه الترهيب فطما لها عن تلك الفوائد بالكلية فقال : ﴿ و من يعص الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿ و رسوله ﴾ أى فى ذلك و غيره ١٠ ﴿ و يتعد حدوده ﴾ أى التى حدها فى هذه الأحكام و غيرها ، و أفرد العاصى فى النيران [6] فى قوله [6] : ﴿ يدخله نارا خالدا فيها ﴾ لأن الانفراد [7] المقتضى للوحشة من العذاب و الهوان . و لما كان منعهم للنساء و الأطفال من الإرث استهانة بهم ختم الآية بقوله : ﴿ و له عذاب مهين ﴾ .

و لما تقدم سبحانه فى الإيصاء بالنساء ، و كان الإحسان فى الدنيا ١٥ تارة يكون بالثواب ، و تارة يكون بالزجر و العتاب [8] ، لأن مدار الشرائع على العدل و الإنصاف ، و الاحتراز فى كل باب عن طرفى الإفراط

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من مـ ـد ، و فى الأصل : لتسمع ، و فى ظ : ليسمع (٤) فى ظ : وطيئة (٥) فى ظ : نقل (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الافراد (٨) فى مد : العقاب .

و التفريط ، و ختم سبحانه باهانة العاصي إحسانا إليه بكفه عن الفساد ، لئلا يلقيه ذلك إلى الهلاك أبد الآباد ، و كان من أفحش العصيان الزنا ، و كان الفساد فى النساء أكثر ، و الفتنة بهن أكبر ، و الضرر منهن أخطر ، و قد يُدخلن على الرجال من يرث منهم من غير أولادهم ؛
٥ قدمهن فيه اهتماما بزجرهن فقال : ﴿ و الّٰتى ﴾ و هو جمع ' التى ' و لعله عبر فيهن بالجمع إشارة إلى كثرتهن - كما أشار إلى ذلك "مثنى و ثلاث و رباع" و إلى كثرة الفساد منهن ﴿ يأتين ﴾ أى يفعلن - من[1] إطلاق السبب على المسبب ، و التعبير به أبلغ ﴿ الفاحشة ﴾ أى الفعلة الشديدة الشناعة ، و فى الآية - لأن من أعظم المرادات بنظمها عقب[2] [آيات - [3]]
١٠ الإرث و ما[4] تقدمها الاحتياط للنسب - إشارة بذكر عقوبة الزانية من غير تعرض لإرث الولد الآتى منها إلى أن الولد للفراش ، و أنه لا ينفى[5] بالمظنة ، بل بعد التحقق على ما فى سورة النور ، لأنه لا يلزم من وجود الزنا نفيه ، و كونه من الزنىّ ، قال أبو حيان فى النهر : و الفاحشة هنا الزنا باجماع المفسرين إلا ما ذهب إليه مجاهد و تبعه أبو مسلم الأصفهانى[6]
١٥ من أنها المساحقة[7] ، و من الرجال اللواط ، ثم بين الموصول بقوله :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ممن (٢) فى ظ عقيب (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى ظ : لما (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا ينبغى (٦) من ظ و مد و معجم المصنفين ٩/٩٧ ، و فى الأصل : الاصبهانى (٧) و هى ما يجرى فى النساء مجرى اللواط فى الرجال ، و فى تاج العروس : و قال الأزهرى : مساحقة النساء لفظة مولدة .

﴿ من نسآئكم ﴾ أى الحرائر ﴿ فاستشهدوا ﴾ أى فاطلبوا أن تشهدوا ﴿ عليهن اربعة ﴾ من الرجال .

و لما كان تعالى قد جعل هـــذه الأمة وسطا يقبلون على غيرهم و لا يقبل [1]غيرهم عليهـم[1] قال : ﴿ منكم ج ﴾ أى من عدول المسلمين بأنهن فعلنها ﴿ فان شهدوا ﴾ أى بذلك ﴿ فامسكوهن ﴾ أى فاحبسوهن ٥ ﴿ فى البيوت ﴾ أى و امنعوهن من الخروج ، فان ذلك أصون لهن ، و ليستمر هذا المنع ﴿ حتى يتوفهن الموت ﴾ أى يأتيهن و هن وافيات[2] / ٤٦٠ / الأعراض[3] ﴿ او يجعل الله[4] ﴾ المحيط علمه و حكمته ﴿ لهن سبيلا ﴾ أى للخروج قبل الموت بتبين الحد أو بالنكاح ، و إن لم يشهد[5] الأربعة لم يفعل بهن ذلك و إن تحقق الفعل . ١٠

و لما ذكر أمر النساء أتبعه حكم الرجال على وجه يعم النساء أيضا فقال : ﴿ و الّذن ﴾ و هو تثنية ’الذى‘ و شدد نونه ابن كثير تقوية له[6] ليقرب من الأسماء المتمكنـــة ﴿ ياتينها منكم ﴾ أى من بكر أوثيب ، أو رجل أو امرأة ، و يثبت ذلك بشهادة الأربعة - كما تقدم ﴿ فاذوهما ج ﴾ و قد بين مجمل الأذى الصادق باللسان و غيره آية الجلد و سنة الرجم ١٥ ﴿ فان تابا ﴾ أى بالندم و الإقلاع و العزم على عدم العود[7] ﴿ و اصلحا ﴾

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم غيره (٢) من مد : ، و فى الأصل : وافياض ، و فى ظ : باقيات - كذا (٣) فى ظ : الاغراض (٤) زيد فى ظ : اى (٥) فى مد : لم تشهد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفرد - كذا .

أي بالاستمرار على ما عزما عليه[١] ، و مضت مدة علم فيها الصدق فى ذلك ﴿ فاعرضوا عنهما ط ﴾ أى عن أذاهما ، و هو يدل على أن الأذى باللسان يستمر حتى[٢] يحصل الاستبراء ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ كان توابا ﴾ أى رجاعا بمن رجع ٥ عن عصيانه إلى ما كان فيه من المنزلة ﴿ رحيما ه ﴾ أى يخص من يشاء من عباده بالتوفيق لما يرضاه له ، فتخلقوا[٣] بفعله [سبحانه و ارحموا - [٤]] المذنبين[٥] إذا تابوا ، و لا يكن[٦] أذاكم لهم[٧] إلا لله[٨] ليرجعوا ، و ليكن أكثر كلامكم لهم الوعظ بما يقبل بقلوبهم[٩] إلى ما[٩] ترضاه الإلهية ، و يؤيد أن المراد بهذا البكر و الثيب من الرجال و النساء تفسيرُ النبى ١٠ صلى الله عليه و سلم بقوله فيما رواه مسلم و الأربعة و الدارمى عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه « قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة و تغريب عام و الثيب [بالثيب - [١٠]] [جلد مائة و - [١١]] الرجم » فالحديث مبين لما أجمل فى الآية من ذكر السبيل .

و لما ختم ذلك[١٢] بذكر توبة الزناة ، و كان الحامل على الزنا - على ١٥ ما يقتضيه الطبع البشرى[١٣] - شدة الشبق و قلة النظر فى العواقب ، و كان

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : حين (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتحلفوا . (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ : المومنين (٦) فى ظ : لم يكن (٧) فى ظ : له (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله (٩ - ٩) فى ظ : بما . (١٠) زيد من ظ و مد و الصحيح لمسلم - كتاب الحدود (١١) زيد من الصحيح لمسلم (١٢) زيد بعده فى ظ : بقوله (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : البشر .

ذلك

ذلك إنما هو فى الشباب[1]؛ وصل بذلك قوله تعالى معرفا بوقت التوبة و شرطها مرغبا فى تعجيلها مرهبا من تأخيرها: ﴿ انما التوبة ﴾ و هى رجوع العبد عن المعصية اعتذارا إلى الله تعالى، و المراد هنا قبولها، سماه باسمها[2] لأنها بدون القبول لا نفع لها، فكأنه لا حقيقة لها.

و لما شبه قبوله لها بالواجب من حيث أنه أخبر بها، لأنه لا يبدل ٥ القول لديه؛ عبر بحرف الاستعلاء المؤذن بالوجوب حثا عليها و ترغيبا فيها فقال: ﴿ على الله ﴾ أى الجامع بصفات الكمال ﴿ للذين يعملون السوٓء ﴾ أىّ سوء كان من فسق أو كفر، و قال: ﴿ بجهالة ﴾ إشارة إلى شدة قبح العصيان، لا سيما الزنا من المشايخ، لإشعار السياق ترهيبا بأن[3] الأمر فيهم ليس كذلك - كما صرح به النبى صلى الله عليه و سلم ١٠ فيما رواه البزار باسناد جيد عن سلمان رضى الله عنه « ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزانى، و الإمام الكذاب، و العائل المزهو[4] » و هو فى مسلم و غيره عن أبى هريرة رضى الله عنه « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة [و لا ينظر إليهم -[5]] و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم: شيخ زان، و ملك كذاب، و عائل مستكبر » و هو عن كثير من الصحابة من ١٥ طرق كثيرة، و ذلك لأن حضور الموت بالقوة القريبة من الفعل

---

(١) فى مد: الشاب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: باسماها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لان (٤) من مد - بمعنى التكبر، و فى الأصل و ظ: الزهو (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد و الصحيح لمسلم - كتاب الإيمان.

و إضعاف القوى[1] الموهنة لداعية الشهوة[2] قريبٌ من حضوره بالفعل ، و ذلك ينبغى أن يكون مذهبا لداعية الجهل ، ماحقا لعرامة[3] الشباب ، سواء قلنا : إن المراد بالجهالة [4]ضد الحلم[4] ، أو ضد العلم ؛ قال الإمام عبد الحق فى كتابه الواعى : قال أبو عبد الله - يعنى القزاز[5] : و الجاهلية
٥ الجهلاء اسم وقع على[6] أهل الشرك يكون مأخوذا من الجهل الذى هو ضد العلم و الذى هو ضد الحلم ، قال : و أصل الجهل من قولهم : استجهلت الريح الغصن - إذا حركته ، فكأن الجهل إنما هو حركة تخرج عن الحق و العلم - انتهى . فالمعنى حينئذ : يعملون السوء ملتبسين بسفه أو بحركة و خفة أخرجتهم[7] / عن الحق و العلم ، فكانوا كأنهم لا يعلمون - ٤٦١ /
١٠ بعملهم عملَ أهل الجاهلية الذين لا يعلمون ، و زاد فى التنفير من مواقعة السوء و التحذير بقوله : ﴿ ثم يتوبون ﴾ [أى يجددون التوبة -[8]] .

و لما كان المراد الترغيب فيها و لو قصر زمنها بمعاودة الذنب أثبت الجار فقال : ﴿ من ﴾ أى[9] من[10] بعض زمان ﴿ قريب ﴾ أى من زمن المعصية و هم فى فسحة من الأجل ، و ذلك كناية عن

(١) فى ظ : القوة (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : الشهرة (٣) من ظ ومد - بمعنى : الشدة و الشراسة ، و فى الأصل : لقوامة - كذا (٤ - ٤) فى ظ : ضيد الحكم - كذا (٥) فى ظ : العزاز (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجرحتهم - كذا (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، غير أن « أى » ليس فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد .

عدم الإصرار[1] إلى الموت ، و لعله عبر بثم إشارة إلى بُعد التوبة و لا سيما مع القرب ممن واقع المعصية ، لأن الغالب أن الإنسان إذا ارتبك فى حبائلها[2] لا يخلص إلا بعد عسر ، و لذلك أشار إلى تعظيمهم بأداة البعد فى قوله - مسببا عن توبتهم واعدا أنه فاعل ما أوجبه على نفسه لا محالة من غير خلف و إن كان لا يجب عليه شيء ، و لا يقبح منه شيء - : ٥ ﴿ فاولّٰئك ﴾ أى العظيمو الرتبة الصادقو الإيمان ﴿ يتوب الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليهم ط ﴾ أى يردهم إلى ما كانوا فيه عندهم من مكانة القرب قبل مواقعة الذنب ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط [3]علما و قدرة[3] ﴿ عليما ﴾ [4]أى بالصادقين فى التوبة و الكاذبين و بنياتهم[5] ، فهو يعاملهم بحسب ما يقتضيه حالهم ﴿ حكيما ﴾ فهو يضع الأشياء فى ١٠ أحكم محل لها ، فمهما فعله لم يمكن نقضه .

و لما بين سبحانه المقبول أتبعه المطرود فقال : ﴿ و ليست التوبة ﴾ أى قبولها ﴿ للذين يعملون السيّاٰت ج ﴾ أى واحدة بعد أخرى مصرين عليها ، فسقة[6] كانوا أو كفرة ، غير راجعين من قريب ، بل يمهلون ﴿ حتّى اذا حضر ﴾ و لما كان تقديم المفعول - على وجه يجوّز كل ١٥ سامع وقوعه عليه - أهول ، لكونه يصير مرتقبا حال فاعله ، خائفا من عاقبته قال : ﴿ احدهم الموت ﴾ أى بأن وصل إلى حد الغرغرة ، و هى

---

(١) من مد ، و فى الأصل وظ : الاضرار (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : حبايلها .
(٣-٣) فى ظ : قدرة وعلما (٤) العبارة من هنا إلى « يقتضيه حالهم » سقطت من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : بنيايهم - كذا (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : فسقه .

حالة المعاينة ﴿ قال ﴾ أى بلسانه كفرعون، أو قلبه[1] ﴿ أنى تبت الئن ﴾ فبين أن[2] ما قبل الاحتضار قريب مع الترغيب فى المسارعة جدا[3] بالتعبير بقريب ﴿ و لا الذين ﴾ أى و ليست التوبة للذين ﴿ يموتون و هم كفار ط ﴾ حقيقة أو مجازا، من غير أن يتوبوا، و لا عند الغرغرة، ٥ فسوى بين الفسق و الكفر تنفيرا من الفسق لصعوبة النزع عنه بعد مواقعته، [4] و لذلك جمعها[4] فى العذاب بقوله - جوابا لمن كأنه قال: فما جزاء هذين الصنفين -: ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء من الرحمة، الذين لم يتوبوا إلا حال الغرغرة، و الذين[5] ماتوا مصرين ﴿ اعتدنا ﴾ أى هيأنا و أحضرنا ﴿ لهم عذابا ﴾ و لما كان تأخير التوبة لذة نفسانية ختم بقوله[6]: ١٠ ﴿ اليما ه ﴾ أى نعذب به الكافرين و من شئنا من عصاة المؤمنين، لأن توبتهم فى تلك الحالة عدم[7]، و الميت من غير توبة من المؤمنين فى المشيئة.

و لما انقضى ما تخلل ذكرَ النساء الوالدات للوراث[8]، و ختمه بهذا التهديد الهائل لمن فعل ما لا يحل له؛ وصل الكلام فيهن بأمر من فعله، فهو زان مصر على الزنا إلى الموت إن اعتقد [حرمته، أو كافر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: قبله (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ و مد: حدا.
(٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و كذلك جمعها (٥) زيد بعده فى الأصل: صاروا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد بعده فى الأصل: لهم عذابا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: مهدم (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الوارث.

إن اعتقد - [1]] حله ، فقال مشيرا بتخصيص المؤمنين عقب[2] " و لا الذين يموتون و هم كفار" إلى أنه لايرث كافر من مسلم ، و إلا لقال : يٰأيها الناس[3] - مثلا ، منفرا من ذلك بالتقييد[4] بما هو لأدنى الإيمان: ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوا ﴾ أى فوقف بهم الإيمان عند[5] زواجرنا ﴿ لا يحل لكم ان ترثوا النسآء﴾ أى مالهن ﴿ كرها ﴾ أى كارهين لهن ، لا حامل لكم على ٥ نكاحهن إلا رجاء الإرث ، و ذلك أنهم كانوا ينكحون اليتامى لمالهن ، و ليس لهم فيهن رغبة إلا تربص الموت لأخذ مالهن ميراثا - كما سيأتى فى تفسير " و يستفتونك فى النسآء[6] " - الآية ، أو يكون الفعل و اقعا على نفس النساء ، و يكون " كرها " على هذا حالا مؤكدة ، أى كارهات ، أو[7] ذوات كره ، و ذلك لأن الرجل كان إذا مات و له امرأة جاء ابنه[8] ١٠ من غيرها أو قريبه[9] من عصبته فيلقى ثوبه عليها ، فيصير أحق بها من نفسها و من غيرها ، فان شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق/ الأول / ٤٦٢ الذى أصدقها الميت ، و إن شاء زوجها غيره و أخذ صداقها ، و إن شاء عضلها و منعها من الأزواج ، يضارها لتفتدى منه بما ورثت من الميت ، أو تموت هى فيرثها ، و كان أهل المدينة على هذا حتى توفى ١٥

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) فى ظ : اعقب (٣) زيد بعده فى الأصل : ضرب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعبيد - كذا (٥) فى ظ : عن (٦) سورة ٤ آية ١٢٧ (٧) سقط من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : ابنة (٩) فى مد : قريبة .

[أبو -[1]] قيس بن الأسلت ، ففعل ابنه[2] حصن هذا مع زوجة له ، فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأنزل الله هذه الآية ، روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانوا [إذا -[3]] مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، و إن ٥ شاؤا زوجوها ، و إن شاؤا لم يزوجوها ، و هم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك "لايحل لكم ان ترثوا النسآء كرها" و لهذا أتبعه سبحانه قوله : ﴿ و لا تعضلوهن ﴾ أى تمنعوهن من التزوج بعد طلاقكم لهن أو بعد موت أزواجهن ، أو تشددوا عليهن بالمضارة و هن [في -[4]] حبائلكم ؛ قال البيضاوي : و أصل العضل : التضييق ، يقال : ١٠ عضلت الدجاجة بيضها - انتهى . و الظاهر أن مدار مادته إنما هو على الاشتداد ، من[5] عضلة الساق ، و هي اللحمة التي في باطنه ، و نقل عبد الحق أنها كل لحم اجتمع ، قال : و قال الخليل : كل لحمة اشتملت على عصبة - انتهى . و تارة يكون الاشتداد[6] ناظرا إلى المنع ، و تارة إلى الغلبة و الضيق ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ لتذهبوا ببعض مآ ءاتيتموهن ﴾ أى ١٥ أنتم إن كن [7] أزواجا لكم [7] ، أو مورثوكم إن كن أزواجا لهم[8] وعضلتموهن[9] بعدهم ، ليذهب ذلك بسبب إنفاقهن له على أنفسهن في زمن العضل ،

---

(١) زيد من الإصابة ٧ / ١٥٨ ، و قد سقط من الأصول (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ابنة (٣) زيد من مد و الصحيح للبخاري (٤) زيد من مد . (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : الاسداد - كذا (٧-٧) في ظ : ازواجكم (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : لهن (٩) في ظ : عضلتموهم .

أو بسبب افتدائهن لأنفسهن به منكم، ثم استثنى من تحريم العضل في[1] جميع الحالات فقال: ﴿الآ ان﴾ أي لا تفعلوا ذلك لعلة من العلل إلا لعلة [أن -[2]] ﴿يأتين بفاحشة﴾ أي[3] فعلة زائدة القبح ﴿مبينة ج﴾ أي بالشهود الأربعة إن كانت [زنا -[2]]، فاعضلوهن بالإمساك في البيوت - كما مضى[4] - لأن من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه، أو بمن يقبل ٥ من الشهود إن كانت نشوزا و سوء عشرة، فلكم العضل حينئذ إلى الصلاح أو الافتداء بما تطيب[5] به النفس، و الأنسب لسياق الأمر في ﴿و عاشروهن﴾ أن[6] يكون "تعضلوهن" منهيا، لا معطوفا على "ان ترثوا" ﴿بالمعروف ج﴾ أي من القول و الفعل بالمبيت و النفقة و الموادة[7] قبل الإتيان بالفاحشة ﴿فان﴾ أي إن[8] كنتم لا تكرهونهن[9] فالأمر ١٠ واضح، و إن ﴿كرهتموهن﴾ فلا تبادروا إلى المضاجرة أو المفارقة، و اصبروا عليهن نظرا لما هو الأصلح، لا لمجرد الميل النفسي، فان الهوى شأنه أن لا يدعو إلى خير، ثم دل على هذه العلة بقوله: ﴿فعسىٰ﴾ و لوضوح دلالتها على ذلك صح جعلها جوابا للشرط ﴿ان تكرهوا شيئا﴾ أي من الأزواج أو غيرها، لم يقيده سبحانه تعميما تتميما للفائدة ١٥ ﴿و يجعل الله﴾ أي المحيط علما و قدرة، و غيّب بحكمته علمكم العواقب

(١) من مد، و في الأصل و ظ: من (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: او (٤) زيد بعده في ظ: من (٥) في ظ: يطيب (٦) من ظ و مد، و في الأصل: اى (٧) من ظ، و في الأصل و مد: الموادد (٨) سقط من ظ. (٩) من مد، و في الأصل: لا تكرهوهن، و في ظ: لا تكرهن - كذا.

لئلا تسكنوا [1] إلى مألوف [1] ، أو تنفروا من مكروه ﴿ فيه خيرا كثيرا ه ﴾

و لما نهى عن العضل تسببا إلى إذهاب [2] بعض ما [2] أعطيته المرأة أتبعه التصريح بالنهى عن أخذ شيء [3] منه فى غير الحالة التى أذن فيها فى المضارة فقال : ﴿ و ان ﴾ أى إن [4] لم تعضلوا المرأة ، بل ﴿ اردتم ٥ استبدال زوج ﴾ أى تنكحونها ﴿ مكان زوج لا ﴾ [أى - [5]] فارقتموها أو لا ، و لم يكن من قبلنا ما يبيح الضرار [6] .

و لما كان المراد بزوج [7] الجنس جمع فى قوله : ﴿ و اٰتيتم احدٰهن ﴾ أى إحدى النساء اللاتى [وقع - [8]] الإذن لكم فى جمعهن فى النكاح سواء كانت بدلا [9] أو مستبدلا بها [9] ﴿ قنطارا ﴾ أى مالا جما ﴿ فلا تاخذوا ١٠ منه شيئا ط ﴾ أى بالمضارة عن غير طيب نفس منها ، و لا سبب مباح ، ثم عظم أخذه باستفهام إنكار و توبيخ فقال : ﴿ ا تاخذونه ﴾ أى على ذلك الوجه ، و لما تقدم أن من صور النصب على الافتداء حال [10] الإتيان بالفاحشة شبه الأخذ فى هذه الحالة التى لا سبب [11] لها بالأخذ فى تلك الحالة ، فجعل الأخذ على هذه الصورة قائما [12]

(١ - ١) فى ظ : بمالوف (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضها .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : شيئا (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من مد .
(٦) فى مد : الضرر (٧) فى ظ : تزوج (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : و يستبدلانها - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : مال (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : سبيل (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قايم .

مقام

/ مقام القذف بما لا حقيقة له فلذلك[1] قال: ﴿ بهتانا و اثما مبينا ﴾ أى كذى / ٤٦٣
بهتان فى أخذه و إثم مبين - لكونه لا سبب له - يورث شبهة فيه،
ثم غلظ ذلك باستفهام آخر كذلك[2] فقال: ﴿ و كيف تاخذونه و قد ﴾
أى و الحال أنه قد ﴿ افضى ﴾ أى بالملامسة[3] ﴿ بعضكم الى بعض ﴾
أى فكدتم أن تصيروا[4] جسدا واحد ﴿ و اخذن ﴾ أى النساء ٥
﴿ منكم ﴾ أى بالإفضاء و الاتحاد ﴿ ميثاقا غليظا ﴾ قويا عظيما، أى
بتقوى الله فى المعاشرة بالإحسان و عدم الإساءة، لأن مبنى النكاح على
ذلك و إن لم يصرح به فيه.

و لما كرر ذكر الإذن فى نكاحهن و ما تضمنه منطوقا مفهوما،
و كان قد تقدم الإذن فى نكاح ما طاب من النساء، و كان الطيب ١٠
شرعا قد يحمل على الحل؛ مست الحاجة إلى ما يحل منهن [لذلك -[5]]
و ما يحرم فقال: ﴿ و لا تنكحوا ﴾ أى تتزوجوا [و تجامعوا -[5]]
﴿ ما نكح ﴾ أى بمجرد العقد فى الحرة، و بالوطء فى ملك اليمين
﴿ اٰبآؤكم ﴾ و بين "ما" بقوله: ﴿ من النساء ﴾ أى سواء كانت
إماء أو لا، بنكاح أو ملك يمين، و عبر بما دون 'من' لما فى النساء ١٥
غالبا من السفه المدنى لما [لا -[6]] يعقل.

و لما نهى عن ذلك فنزعت[7] النفوس عما[8] كان قد[9] أُلِفَت[10] بهاؤه[11]،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فكذلك (٢) فى ظ: لذلك (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بالملابسة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يصيروا (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فنزعته (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: هذا (١٠) فى ظ: الفت - كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لهانه، و فى ظ: بها، و فى مد: بهانه - كذا.

فلاح أنه فى غاية القباحة و أن الميل[1] إليه [2] إنما هو[2] شهوة بهيمية[3]، لا شيء فيها من عقل و لا مروة، و كانت عادتهم فى مثل ذلك مع التأسف على ارتكابه السؤال عما مضى منه - كما وقع فى استقبال بيت المقدس و شرب الخمر؛ أتبعه الاستثناء من لازم الحكم و هو: فانه ٥ موجب لمقت[4] من ارتكبه و عقابه فقال: ﴿ الا ما قد سلف ط ﴾ أى لكم من فعل ذلك فى أيام الجاهلية [5] كما قال الشافعى رحمه[6] الله فى الأم، قال السهيلى فى روضه[7]: و كان ذلك مباحا فى الجاهلية لشرع[8] متقدم، و لم يكن من الحرمات التى انتهكوها. ثم علل النهى بقوله: ﴿ انه ﴾ أى هذا النكاح ﴿ كان ﴾ أى الآن و ما بعده كونا راسخا ١٠ ﴿ فاحشة ﴾ أى و الفاحشة لا يقدم عليها تام العقل ﴿ و مقتا ط ﴾ أى أشر[9] ما يكون بينكم و بين ذوى الهمم لما انتهكتم من حرمة آبائكم ﴿ و سآء سبيلا ه ﴾ أى قبح طريقا طريقه.

و لما ابتدأ بتعظيم الآباء و احترامهم فى أن ينكح الأبناء أزواجهم[10] على العموم ثنى بخصوص الأم بقوله: ﴿ حرمت عليكم ﴾ و لما كان ١٥ أعظم مقصود من النساء النكاح، فكأن إضافة التحريم إلى أعيانهن لإفادة التأكيد غير قادح فى فهمه، و كان مع ذلك قد تقدم ما يدل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المثل (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: انه كان (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بهيمة (٤) فى مد: لمقته (٥) العبارة من هنا إلى « فى الجاهلية » سقطت من ظ (٦) سقط من مد (٧) من مد، و فى الأصل: روضة (٨) من مد، و فى الأصل: لنزع، و فى ظ: شرع - كذا. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اسر - كذا (١٠) فى ظ: ازواجهن.

على أن المراد النكاح، أسند[1] التحريم إلى الذات تأكيدا للتحريم فقال: ﴿ امهتكم ﴾ أى التمتع بهن بنكاح أو[2] ملك يمين، فكان تحريمها مذكورا مرتين تأكيدا له و تغليظا[3] لأمره فى نفسه و احتراما للأب و تعظيما لقدره ﴿ و بنتكم ﴾ أى و إن سفلن[4] لما فى ذلك من ضرار[5] أمهاتهن، و هذان الصنفان لم يحللن فى دين من الأديان ﴿ و اخوتكم ﴾ أى أشقاء ٥ أو لا ﴿ و عمتكم ﴾ كذلك ﴿ و خلتكم ﴾ أيضا، و الضابط لهما[6] أن كل ذكر رجع نسبك إليه فأخته عمتك، و قد تكون[7] من جهة الأم و هى أخت أبى أمك، و كل أنثى رجع نسبك إليها بالولادة فأختها خالتك، و قد تكون الخالة من جهة الأب و هى أخت أم أبيك ﴿ و بنت الاخ ﴾ شقيقا كان أو لا ﴿ و بنت الاخت ﴾ أى كذلك[8]، و فروعهن ١٠ و إن سفلن.

و لما انقضى أمر النسب و هو سبعة أصناف أتبعه أمر السبب و هو ثمانية: أوله أزواج الآباء، أفردها و قدمها تعظيما لحرمتها، لما كانوا استهانوا من ذلك، و آخره المحصنات، و بدأ من هذا القسم بالأم من الرضاع كما بدأ النسب بالأم فقال: ﴿ و امهتكم التى ارضعنكم ﴾ ١٥ تنزيلا له منزلة النسب، و لذلك سماها أما، فكل أنثى انتسبت[9] باللبن

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اشد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ «و». (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تعظيما (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سلفت - كذا (٥) فى ظ: ضرر (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: له (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يكون (٨) فى ظ: لذلك (٩) فى ظ: انتسب.

إليهـا فهى أمك ، و هى من أرضعتك ، أو أرضعت امرأة أرضعتك ، أو رجلا أرضعك [بلبانه من زوجته أو أم ولده ، وكل امرأة ولدت امرأة أرضعتك أو رجلا أرضعك -[١]] فهى أمك من الرضاعة ، و المراضَعة [٢] أختك ، و زوج المرضعة الذى أرضعت هى بلبانه أبوك

٥ و أبواه جداك ، و أخته[٣] عمتك ، و كل ولد[٣] ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع و بعده إخوة الأب ، و أم المرضعة جدتك / ، و أختها خالتك ، و كل من ولد لها من هذا الزوج إخوة لأب[٤] و أم ، [و -[١]] من ولد لها من غيره فهم إخوته و أخواته لأم ، فعلى ذلك ينزل قوله : ﴿ و اخوٰتكم من الرضاعة ﴾ كما فى النسب بشرط أن يكون[٥] خمس

١٠ رضعات و فى الحولين ، و بتسمية[٦] المرضعة أما و المشاركة فى الرضاع[٧] أختا عُلِم أن الرضاع كالنسب - كما بينه النبى صلى الله عليه و سلم بقوله «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» فالصورتان منبهتان[٨] على بقية[٩] السبع ؛ الأم منبهة[١٠] على البنت بجامع الولادة ، و الأخوات على العمات و الخالات و بنات الأخ[١١] و بنات الأخت بجامع الأخوة .

١٥ و لما انقضى ما هو كلحمة النسب أتبعه أمر ما بالمصاهرة فقال :

٤٦٤ /

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢ - ٢) سقطت من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : له - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اب (٥) فى ظ : تكون . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتيمية (٧) فى ظ : الرضاعة (٨) فى الأصول : منبهان - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقيته (١٠) من مد ، و فى الأصل : منه ، و فى ظ : مسه - كذا (١١) سقط من مد .

و امهٰت

﴿ وامهت نسآئكم ﴾ أى دخلتم بهن أو لا - لما فى ذلك من إفساد ذات البين غالبا ﴿ و ربآئبكم ﴾ و ذكر سبب الحرمة فقال: ﴿ الّتى فى حجوركم ﴾ أى بالفعل أو[1] بالقوة - لما فيهن من شبه[2] الأولاد ﴿ من نسآئكم ﴾ و لما كانت الإضافة تسوغ فى اللغة بأدنى ملابسة بين سبحانه أنه لا بد من الجماع الذى كنى عنه بالدخول لأنه ممكن لحكم ٥ الأزواج[3] الذى يصير به أولادها كأولاده فقال: ﴿ الّتى دخلتم بهن ز ﴾ قيد بالدخول لأن غيرة الأم من ابنتها دون غيرة البنت من أمها.

و لما أشعر هذا القيد بحل بنت من عقد عليها و لم يدخل بها أفصح به تنبيها على عظيم حرمة الإرضاع فقال: ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بهن ﴾ أى الأمهات ﴿ فلا جناح عليكم ز ﴾ أى فى نكاحهن؛ و لما افتتح ١٠ المحرمات على التأبيد بزوجة الأب ختمها بزوجة الولد فقال: ﴿ و حلآئل ابنآئكم ﴾ أي زوجة كانت أو موطوءة بملك يمين؛ و لما لم يكن المتبنى[4] مرادا قيد بقوله: ﴿ الذين من اصلابكم لا ﴾ أى و إن سفلوا، و[5] دخل ما[5] بالرضاع لأنه كلحمة[6] النسب فلم يخرجه القيد.

و لما انقضى التحريم المؤبد أتبعه الموقت فقال: ﴿ و أن ﴾ أى ١٥ و حرم عليكم أن ﴿ تجمعوا ﴾ بعقد[7] نكاح لأن مقصوده الوطئ،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: نسبة. (٣) فى مد: الزواج (٤) فى ظ: اتبنى (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: دخلها (٦) فى ظ: كلمحة - كذا بتقديم الميم على الحاء (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العقد.

أو بوطىء فى ملك يمين ﴿ بين الاختين[1] ﴾ فان كانت إحداهما[2] منكوحة و الأخرى[3] مملوكة حلت المنكوحة و حرمت المملوكة ما دام الحل، لأن النكاح أقوى، فاذا زال الحل حلت الأخرى و[4]لو فى[4] عدة التى كانت حلالا.

٥ و لما كان الجمع بين الأختين شرعا قديما قال: ﴿ الا ما قد سلف ط ﴾ أى فانه لا إثم عليكم فيه رحمةً من الله لكم، ثم علل رفع حرجه فقال: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ كان غفورا ﴾ أى ساترا لما يريد من أعيان الزلل و آثاره ﴿ رحيما لا ﴾ أى معاملا بغاية الإكرام الذى ترضاه الإلهية.

١٠ و لما ذكر مضارة الجمع أتبعه مضارة الإغارة على الحق، و الأول جمع بين [المنكوحتين و هذا جمع بين -[5]] الناكحين[6] فقال - عاطفا على النائب عن فاعل "حرمت" -:

(١) و المراد جمعهما فى النكاح، لا فى ملك اليمين، ولا فرق بين كونهما أختين من النسب أو الرضاعة حتى قالوا: لو كان له زوجتان رضيعتان أرضعتهما أجنبية فسد نكاحهما، و حكى عن الشافعى أنه يفسد نكاح الثانية فقط، ولا يحرم الجمع بين الأختين فى ملك اليمين، نعم جمعهما فى الوطء بملك اليمين ملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما فى المدار فيحرم عند الجمهور، وعليه ابن مسعود وابن عمر وعمار ابن ياسر رضى الله تعالى عنهم، و اختلفت الرواية عن على كرم الله تعالى وجهه فأخرج البيهقى و ابن أبى شيبة عنه أنه سئل عن رجل له أمتان أختان وطىء إحداهما، ثم أراد أن يطأ الأخرى! قال: لا حتى يخرجها من ملكه، و أخرجا من طريق أبى صالح عنه أنه قال فى الأختين المملوكتين: أحلتهما آية و حرمتهما آية ولا آمر و لا أنهى و لا أحلل و لا أحرم و لا أفعله أنا و لا أهل بيتى - روح المعانى ٢/٦٠ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: احدهما (٣) فى ظ: الاخر. (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اوطى فى - كذا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ: المنكوحين.

﴿ و المحصنت ﴾ أى الحرائر المزوجات لأنهن مُنِعَتْ فروجهن بالنكاح عن غير الأزواج ﴿ من النسآء الا ما ملكت ايمانكمج ﴾ أى من أزواج أهل الحرب، فان الملك بالأسر يقطع النكاح.

و لما أتم ذلك قال مؤكدا له و مبينا عظمته: ﴿ كتب الله ﴾ أى خذوا فرض الملك الأعظم الذى أوجبه عليكم إيجاب ما هو موصول ٥ فى الشيء بقطعه منه، و ألزموه غير ملتفتين إلى غيره، و زاد فى تأكيده[1] بأداة الوجوب فقال: ﴿ عليكمج ﴾ و لما أفهم ذلك حل ما سواه أفصح به احتياطا للايضاح[2] و تعظيما لحرمتها فى قوله: ﴿ و احل لكم ﴾ و بين عظمة هذا التحريم[3] بأداة البعد فقال: ﴿ ما ورآء ذٰلكم ﴾ أى الذى ذكر لكم من المحرمات العظيمة. ١٠

و لما كان الكلام فى المنع لم يصرح بالفاعل بل قال "حرمت"- ترفقا[4] فى الخطاب حثا على الآداب[5]، فلما وصل الأمر إلى الحل أظهره تطييبا للقلوب و تأنيسا[6] للنفوس فى قراءة ابن كثير و نافع و ابن عمرو و ابن عامر بفتح الهمزة و الحاء[7]، و أبهمه فى قراءة الباقين على نسق "حرمت" لأن فاعل الحل و الحرمة عند أهل [هذا -[8]] الكتاب ١٥ معروف أنه الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه أصلا، ثم أتبع التحليل[9] علته فقال: ﴿ ان ﴾ أى إرادة أن ﴿ تبتغوا ﴾ أى تطلبوا متبعين[10] من شئتم مما أحل لكم ﴿ باموالكم ﴾ اللاتى / تدفعونها[11] مهورا /٤٦٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تا[illegible] (٢) فى الأصول: للايضاع - كذا. (٣) فى ظ: التحذير (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: ترفعا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الاداة (٦) فى ظ: تاسيا - كذا (٧) من مد، و فى الأصل وظ: الهاء (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى مد: التحلل (١٠) فى ظ: منثنين، و لا يتضح فى مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: تدفعوها.

حال كونكم ﴿ محصنين ﴾ أي قاصدين بذلك العفة لأنفسكم و لهن ﴿ غير مسٰفحين ﴾ أي قاصدين قضاء الشهوة و صب الماء الدافق لذلك فقط ، و هو على هذا الوجه لا يكون إلا زنا سرا و جهرا ، فيكون فيه حينئذ إضاعة المال و إهلاك الدين ، و لا مفسدة أعظم مما يجمع هذين الخسرانين .

٥ و لما تقدم أول السورة و أثناءها الأمر بدفع الصداق و النهى عن أخذ شيء مما دفع إلى المرأة[١] ، و كان ذلك أعم من أن يكون بعد الدخول أو قبله ، مسمى[٢] [أو لا - [٣]] قال هنا مسببا عن الابتغاء المذكور : ﴿ فما استمتعتم ﴾ أي أوجدتم المتاع و هو الانتفاع ﴿ به منهن ﴾ بالبناء بها ، متطلبين لذلك[٤] من وجوهه الصحيحة راغبين فيه ﴿ فأتوهن اجورهن ﴾

١٠ أي عليه[٥] كاملة ، و هي المهور ﴿ فريضة ﴾ أي حال كونها واجبة من الله و مسماة مقدرة قدرتموها على أنفسكم[٦] ؛ و يجوز كونه تأكيدا لأ توا بمصدر من معناه ﴿ و لا جناح ﴾ أي حرج و ميل ﴿ عليكم فيما ترٰضيتم به[٧] ﴾ أي[٨] أنتم و الأزواج ﴿ من بعد الفريضة ﴾ أي من طلاق أو فراق أو زيادة أو نقص إن كانت موجودة مقدرة ، أو من مهر المثل من بعد

١٥ تقديره إن لم تكن مسماة فيمن عقد عليها من غير تسمية صداق .

و لما ذكر في هذه الآيات أنواعا من التكاليف هي[٩] في غاية الحكمة ، و التعبير عنها في الذروة العليا من العظمة ، و ختمها باسقاط الجناح عند الرضى و كان الرضى أمرا باطنا لا يطلع عليه حقيقة إلا الله تعالى ،

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : البراة - كذا (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : سمى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : كذلك (٥) في ظ : عيلة - كذا (٦) في ظ : نفسكم (٧) سقط من ظ (٨) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٩) في ظ : هن .

حث

حث على الورع فى شأنــه بنوط الحكم بغلبة الظن فقـال مرغبا فى امتثال أوامره و نواهيه: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة علما و قدرة ﴿ كان عليما ﴾ أى بمن يقدم[1] متحريا لرضى صاحبه أو غير متحر لذلك ﴿ حكيما ه ﴾ أى يضع الأشياء فى أمكن مواضعها من الجزاء على الذنوب و غيره . ٥

و لما مضى ذلك على هذا الوجه الجليل عرف أنه كله فى الحرائر لأنــه الوجه الأحكم فى النكاح، و أتبعه تعليم الحكمة فى نكاح الإماء؛ فقال - عاطفا على ما تقديره: هذا حكم من استطاع نكاح حرة -: ﴿ و من لم يستطع منكم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ طولا ﴾ أى سعة و زيادة ، عبر فيما قبله بالمال تهوينا لبذله بأنه ميال[2] ، لا ثبات له ، و هنا بالطول ١٠ الذى معناه: التى قل من يجدها ﴿ ان ﴾ أى لأن[3] ﴿ ينكح المحصنٰت ﴾ أى الحرائر ، فان الحرة مظنة [العفة - [4]] الجاعلة[5] لها فيما هو كالحصن على مريد الفساد ، لأن العرب كانوا يصونهن و هن[6] يصن[7] أنفسهن عن أن يكن كالإماء ﴿ المؤمنٰت ﴾ بسبب كـثرة المؤنة و غلاء المهر ﴿ فمن ﴾ أى فلينكح إن أراد من[8] ﴿ ما ملكت ايمانكم ﴾ أى مما ملك ١٥ غيركم من المؤمنين ﴿ من فـتيٰتكم ﴾ أى إمائكم ، و أطلقت الفتوة

(١) فى ظ : تقدم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : مثال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الان (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجاهلة (٦) من ظ ، و فى الأصل و مد : هم (٧) من مد ، و فى الأصل : يصنن ، و فى ظ : يضعن - كذا (٨) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

- و هي الشباب - على الرقيق لأنه يفعل ما يفعل الشاب لتكليف السيد له إلى
الخدمة و عدم توقيره و إن كان شيخا[١]، ثم وضح المراد بالإضافة فقال:
﴿ المؤمنٰت ﴾ أي لا من الحرائر الكافرات و لا مما [٢] ملكتم من الإماء
الكافرات[٢] و لا مما ملك الكفار حذرا من مخالطة كافرة[٣] خوفا من
٥ الفتنة - كما مضى في البقرة، و[٤] لئلا يكون الولد المسلم بحكم تبعية أمه
في الرق ملكا[٤] لكافر، هذا ما تفهمه العبارة و لكنهم قالوا: إن
تقييد المحصنات بالمؤمنات لا مفهوم له، و إلا لصار نكاح الحرة الكتابية
المباح بآية المائدة مشروطا بعقد[٥] مسلمة، حرة كانت أو أمة،
و لم يشترط ذلك؛ و مذهب الشافعي أنه لا يجوز نكاح الأمة مع القدرة
١٠ على حرة كتابية، و الظاهر أن فائدة التقييد الندب إلى مباعدة الكفار،
فلا ينكح منهن إلا لضرورة[٦]، فكأن هذه سورة[٧] المواصلة، أسقط فيها
أهل المباعدة، و المائدة سورة تمام الدين، فذكر فيها ما يجوز
[لأهله - [٨]] فلا ضرر في القيد، لأن المفهوم لا يقوى لمعارضة المنطوق
مع ما فيه من فائدة الندب إلى الترك، و هذا كما أن قيد الإحصان[٩] هنا
١٥ للندب إلى عدم نكاح الزواني مع جوازه بآية النور[١٠] "و انكحوا الايامى
منكم[١١]"- كما يأتي بيانه هناك إن شاء الله / تعالى . /٤٦٦

(١) في ظ : شبحنا - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ : الكافرة (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و في الأصل : بفقد، و في ظ : سقد - كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: الضرورة (٧) في الأصول : صورة (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، وفي الأصل وظ: الامكان (١٠) سورة ٢٤ (١١) آية ٣٢ .

و لما شرط فی هذا النكاح الإيمان، و عبر فيه بالوصف، و كان أمرا قلبيا، لا يطلع على حقيقته إلا الله؛ أعقبه ببيان أنه يكتفى فيه بالظاهر فقال: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة بالمعلومات و المقدورات ﴿ اعلم بايمانكم ﴾ فربما ظهر ضعف إيمان أحد و الباطن بخلافه، لكن فى التعبير به و بالوصف لا بالفعل إرشاد إلى مزيد التحرى ٥ من جهة الدين «فاظفر بذات الدين، تربت يداك!». و لما اشترط الدين كان[1] كأنه قيل: فالنسب؟ فأشير إلى عدم اشتراطه بقوله: ﴿ بعضكم من بعض ﴾ أى كلكم من آدم و إن تشعبتم بعده ﴿ فانكحوهن ﴾ أى بشرط العجز[2] ﴿ باذن اهلهن ﴾ أى من[3] مواليهن[4]، و لا يجوز نكاحهن من غير إذنهم[5]. ١٠

و لما كان مما لا يخفى أن السيد المالك للرقبة [6]مالك للنفعة[6] من باب الأولى [7]كان الأمر[7] بدفع المهور إليهن[8] مفيدا لندب السيد إلى جبرها به من غير أن يوهم أنها تملكه و هى لا تملك نفسها، فلذلك قال تعالى: ﴿ و اٰتوهن اجورهن ﴾ و هى المهور ﴿ بالمعروف ﴾ أى من غير ضرار[9]، لا عليكم و لا عليهن و لا على أهلهن، حال كونهن ١٥ ﴿ محصنٰت ﴾ أى عفائف بأنفسهن أو بصون الموالى لهن ﴿ غير مسٰفحٰت ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: المهر (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مواالهن (٥) فى ظ: اذنهن (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ: ملك للتعة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اليمين (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اضرار.

أى مجاهرات بالزنا لمن أراد، لا لشخص معين ﴿و لا متخذت اخدان ٤﴾ أى أخلاء[1] فى السر للزنا معينين، [2]لا تعدو ذات[2] الخدن خدنَها إلى غيره؛ قال الأصبهانى: و هو[3] - أى الخدن[4] - الذى يكون معك[5] فى كل ظاهر و باطن.

٥ و لما لم يتقدم بيان حد الإماء قال مبينا له[6]: ﴿فاذآ احصن﴾ مبنيا للفاعل فى قراءة حمزة و الكسائى و أبى بكر عن عاصم، و المفعول فى قراءة الباقين، أى انتقلن من حيز التعريض للزنا بالإكراه إلى حيز الحرائر بأن حفظن فروجهن بكراهتهن للزنا، أو حفظهن[7] الموالى بالرضى لهن بالعفة؛ و قال الشافعى فى أوائل الرسالة فى آخر الناسخ

١٠ و المنسوخ الذى يدل الكتاب على بعضه و السنة على بعضه: إن[8] معنى "احصن" هنا: أسلمن، لا نكحن فأصبن بالنكاح، و لا أعتقن و إن لم يصبن، و قال: فان قال قائل: أراك[9] توقع الإحصان[10] على معان مختلفة؟ قيل: نعم، جماع الإحصان أن يكون دون التحصين مانع [من تناول المحرم، فالإسلام مانع، و كذلك الحرية مانعة،

١٥ و كذلك التزوج و الإصابة[11] مانع -[12]] و كذلك الحبس فى البيوت

---

(١) فى ظ: اجلاء (٢-٢) من مد، و فى الأصل: لا تعدو ذوات، و فى ظ: لا تعد ذات (٣) فى ظ: هى (٤) من مد، و فى الأصل وظ: الخذلان - كذا. (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: معه (٦) سقط من ظ (٧) من مد، و فى الأصل وظ: حفظن (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اذ (٩) فى ظ: وان - كذا (١٠) زيد بعده فى ظ: لا (١١) ليس فى مد (١٢) زيد ما بين الحاجزين من مد و الرسالة ٢١.

مانع

مانع، و كل [1]ما منع[1] أحصن، و قد قال الله عز و جل "و علمنه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم[2]" و قال "لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة[3]" يعنى ممنوعة، قال: و آخر الكلام و أوله يدلان على أن معنى الإحصان المذكور عام[4] فى موضع دون غيره، إذ[5] الإحصان ههنا الإسلام دون النكاح و الحرية و التحصين بالحبس و العفاف، و هذه ٥ الأسماء التى يجمعها اسم الإحصان - انتهى. ﴿ فان اتين بفاحشة ﴾ و لا تكون[6] حينئذ إلا عن رضى من غير إكراه.

و لما كان من شأن النكاح تغليظ الحد، فغلظ[7] فى الحرائر بالرجم؛ بين تعالى أنه لا تغليظ على الإماء، بل حدهن بعده هو حدهن قبله، فقال: ﴿ فعليهن نصف ما على المحصنت ﴾ أى الحرائر لأنهن فى مظنة ١٠ العفة و إن كن بغير أزواج ﴿ من العذاب ﴾ أى الحد - كما كان ذلك عذابهن قبل الإحصان، و هذا يفهمه بطريق الأولى، و المراد هنا الجلد، لأن الرجم لا ينتصف.

و لما كان كأنه قيل: هل هذا لكل[8] عاجز عن الحرة؟ استؤنف جواب هذا السؤال بقوله تعالى مشيرا بأداة البعد إلى أنه مما لا يحسن ١٥ قربه: ﴿ ذلك ﴾ أى حل نكاح الإماء الذى ينبغى البعد منه ﴿ لمن خشى العنت ﴾ أى [9]الوقوع فى[9] الزنا الموجب للاثم المقتضى للهلاك

(١-١) فى ظ: مانع (٢) سورة ٢١ آية ٨٠ (٣) سورة ٥٩ آية ١٤ (٤) من الرسالة، و فى الأصول: عاما (٥) من الرسالة، و فى الأصول: ان (٦) فى ظ: لا يكون. (٧) فى مد: فقط (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الكل (٩-٩) فى ظ: فى وقوع.

بالعذاب فى الدنيا و الآخرة بما عنده من عظيم الداعية إلى[1] النكاح و مشقة الصبر عنه؛ قالوا: و أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة و ضرر؛ قال الأصبهانى: و قيل: إن الشبق الشديد و الغلمة العظيمة قد يؤدى بالإنسان[2] إلى الأمراض الشديدة، أما فى حق النساء فقد يؤدى إلى اختناق الرحم، و أما فى حق الرجال / فقد يؤدى إلى أوجاع[3] الوركين و الظهر.

٥ / ٤٦٧

و لما كان هذا التخفيف و التيسير خاصا بالمؤمنين [منا -[4]] قيد بقوله: ﴿منكم﴾.

و لما بين إباحته و أشار إلى البعد عنه لما فيه من استرقاق الولد صرح بالندب إلى حبس النفس عنه فقال: ﴿و ان تصبروا﴾ أى عن نكاحهن متعففين ﴿خير لكم﴾ أى لئلا تعيروا بهن، أو تسترق أولادكم منهن، ثم أتبع ذلك بتأكيده[5] لذوى البصائر و الهمم فى سياق دال على رفع الحرج[6] فقال: ﴿و الله﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿غفور﴾ أى لمن [7]لم يصبر[7]، و المغفرة [8]تشير إلى نوع تقصير ﴿رحيم ۝﴾ أى فاعل به فعل الراحم منكم بالإذن فى قضاء وطره و اللطف فيما[8] يتبع ذلك من المحذور.

و لما أتم سبحانه بيان الحلال و الحرام من هذه الحدود و الأحكام،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: بالاسناد (٣) فى ظ: اجماع (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بتاكيد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الجرح (٧-٧) فى ظ و مد: يصبر (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و ختمها بصفة الرحمة بين ما أراد بها من موجبات الرحمة تذكيرا بالنعمة لتشكر، و تحذيرا من أن تنسى فتكفر[١] فقال تعالى: ﴿ يريد الله ﴾ أى الملك الأعظم إنزال هذه الأحكام على هذا النظام ﴿ ليبين لكم ﴾ أى ليوقع لكم البيان الشافى فيما لكم و عليكم من شرائع الدين ﴿ و يهديكم ﴾ أى يعرفكم ﴿ سنن ﴾ أى طرق ﴿ الذين ﴾ و لما كان المراد بعض الماضين ٥ قال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى من أهل [الكتاب -[٢]]: الأنبياء و أتباعهم ﴿ و يتوب عليكم ﴾ أى يرجع بكم عن كل ما لا يرضيه، لا سيما ما يجر إلى المقاطعة[٣] - مثل منع[٤] النساء و الأطفال الإرث، و مثل نكاح ما يحرم نكاحه و غير ذلك، فأعلمهم بهذا أنهم لم يخصهم[٥] بهذه التكاليف، بل يسلك بهم فيها صراط الذين أنعم[٦] عليهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى ١٠ القبول و أعون على الامتثال، و ليتحققوا أن إلقاء أهل الكتاب الشبه إليهم و تذكيرهم بالأضغان[٧] لإرادة إلقاء العداوة محض حسد لمشاركتهم لهم فى منتهم [إذ -[٨]] هدوا[٩] لسننهم[١٠]، و ما أحسن ختم ذلك بقوله: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بأوصاف الكمال ﴿ عليم حكيم ۝ ﴾ فلا يشرع لكم [شيئا -[٨]] إلا و هو فى غاية الإحكام، فاعملوا به يوصلكم إلى ١٥ دار السلام[١١].

بيان ذلك أن ما فى هذه السورة الأمر بالتقوى و الحث عليها،

---

(١) فى ظ: تتفكر (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: العاطفة (٤) سقط من ظ (٥) فى مد: لم يختصهم (٦) فى مد: انعمت (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاحصان. (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و ا، كذا (١٠) من مد، و فى الأصل: لسنتهم، و فى ظ: السنتهم (١١) فى ظ: الاسلام.

و بيان الفرائض و أمر الزناة، و ما يحل و يحرم من النساء، و التحرى
فى الأموال، و الاحسان إلى الناس، لا سيما الأيتام و الوالدين، و الإذعان
للأحكام، و تحريم القتل، و الأمر بالعدل فى الشهادة و غيرها، و كل
ذلك مبين أصوله فى التوراة كما هو مبثوث[1] فى هذا الديوان عن نصوصها
٥ فى المواضع اللائقة به، لكن القرآن أحسن بيانا و أبلغ تبيانا و أبدع
شأنا و ألطف عبارة و أدق إشارة، و أعجب[2] ذلك أن سبب إنزال
فرائض الميراث فى شريعتنا النساء، ففى الصحيحين و غيرهما عن جابر
رضى الله عنه قال: مرضت فعادنى [3]رسول الله[3] صلى الله عليه و سلم،
فأتانى و قد أغمى علىّ، و فى رواية البخارى فى التفسير: عادنى النبى
١٠ صلى الله عليه و سلم و أبو بكر فى بنى سلمة ما شيين، فوجدنى النبى
صلى الله عليه و سلم لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ فصب علىّ وضوءه
فأفقت، فقلت: يا رسول الله! كيف أصنع فى مالى؟ - و فى رواية لمسلم:
إنما يرثنى كلالة - فلم يجبنى بشىء، و فى رواية الترمذى: و كانت لى[4] تسع
أخوات حتى نزلت آية الميراث، و فى رواية للبخارى[5]: فنزلت، و فى
١٥ رواية للترمذى: حتى نزلت "يوصيكم الله فى اولادكم" و فى رواية
للترمذى: حتى نزلت آية الميراث "يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة"-
الآية، و قال: حديث صحيح. و لأبى داود و الترمذى و ابن ماجه
و الدارقطنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: جاءت

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مثبوت (٢) فى ظ: اعب - كذا (٣-٣) فى
ظ: النبى (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٥) فى ظ: البخارى.

امرأة

امرأة سعد بن ربيع بابنتيها من سعد رضى الله عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت[1]: يا رسول الله! هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا، و إن عمهما أخذ مالهما فلم يدع[2] لهما مالا، و لا تنكحان[3] إلا و لهما مال، قال: يقضى[4] الله عز و جل فى ذلك، فنزلت آية الميراث - و فى رواية أبى داود: و نزلت الآية فى سورة النساء ٥ "يوصيكم الله فى / [5]اولادكم" و فى رواية الدارقطنى: فنزلت سورة النساء، / ٤٦٨ و فيها "يوصيكم الله فى اولادكم[5]" - إلى آخر الآية - فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عمهما فقال: أعط[6] ابنتى سعد الثلثين، و أعط أمهما الثمن، و ما بقى فهو لك؛ و فى رواية للدارقطنى[7]: إن امرأة سعد ابن الربيع قالت: يا رسول الله! إن سعدا هلك و ترك ابنتين و أخاه، ١٠ فعمد أخوه[8] فقبض ما ترك سعد، و إنما تنكح النساء على أموالهن، فلم يجبها رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مجلسه[9] ذلك، ثم جاءته[10] فقالت: يا رسول الله! ابنتا سعد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادعى لى أخاه! فجاء[11] فقال: ادفع إلى ابنتيه الثلثين، و إلى امرأته الثمن،

(١) من مد و الترمذى - الفرائض، و فى الأصل و ظ: فقال - كذا (٢) من مد و الترمذى، و فى الأصل و ظ: و لم يدع (٣) فى ظ: لاينكحان (٤) من ظ و مد و الترمذى، و وقع فى الأصل: يعنى - كذا مصحفا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ومد والترمذى، و فى الأصل: اعطى (٧) فى مد: الدارقطنى (٨) فى مد: عمها (٩) من سنن الدارقطنى - الفرائض، و فى الأصول: مجلسها (١٠) من ظ ومد والسنن، و فى الأصل: جاءت (١١) فى مد: فجاءه.

و لك ما بقى . و قال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل أحمد بن على بن حجر
فى الإصابة فى أسماء الصحابة : روى أبو الشيخ فى تفسيره من طريق
عبد الله بن الأجلح الكندى عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال : كان أهل الجاهلية [1]لا يورثون[1] البنات و لا الأولاد[2]
٥ الصغار حتى يدركوا ، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت ،
و ترك بنتين و ابنا صغيرا ، فجاء ابنا عمه خالد و عرفطة فأخذا ميراثه ،
فقالت امرأته للنبي صلى الله عليه و سلم [ذلك - [3]] ، فأنزل الله تعالى
" للرجال نصيب مما ترك الوالدن و الاقربون " فأرسل إلى خالد و عرفطة
فقال : لا تحركا [4]من الميراث شيئا[5] . و رواه أبو الشيخ من وجه آخر
١٠ فقال : قتادة و عرفطة ، و رواه الثعلبي فى تفسيره[6] فقال : سويد و عرفطة ،
[7]و وقع[7] عنده أنهما أخوا[8] أوس[9] ، و رواه مقاتل فى تفسيره فقال :
إن أوس بن مالك توفى يوم[5] أحد و ترك امرأته أم كجة[10] و بنتين -

(١-١) من ظ و مد و الإصابة ١/٨١ ، و فى الأصل : يورثون (٢) من الإصابة ، و فى الأصول : الموالى (٣) زيد من الإصابة (٤) العبارة من هنا إلى « قتادة و عرفطة » سقطت من مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد و الإصابة ، و فى الأصل : تفسير (٧-٧) فى ظ : فوقع (٨) فى ظ : اجزا - كذا (٩) من الإصابة ، و فى الأصول : و ين - كذا ، و زيد بعده فى الإصابة : و ذكر ابن منده فى ترجمته أنه أوس بن ثابت أخو حسان ، و هو خطأ لأن أوسا ليس له أحد من إخوته و لا من أعمامه يسمى عرفطة و لا خالدا (١٠) فى الأصل و مد : ام كحة ، و فى ظ : ام لحه - كذا ، و التصحيح من ترجمتها فى الإصابة ٨/٢٧٠ ، و أما هنا فقد ثبت فى الإصابة أيضا : أم كحة .

فذكر القصة . و ذكر شيخنا فى تخريج أحاديث الكشاف أن الثعلبي و البغوى ساقا بلا سند أن أوس بن الصامت الأنصارى ترك امرأته أم كجة [١] و ثلاث بنات ، فزوى [٢] ابنا عمه سويد و عرفطة أو قتادة و عرفجة ميراثه عنهن ، و كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء و لا الأطفال و يقولون : لا يرث إلا من طاعن بالرماح ، و ذاد عن الحوزة ، و حاز ٥ الغنيمة ، فجاءت أم كجة [١] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مسجد الفضيخ ، فشكت إليه ، فقال : ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله ، فنزلت " للرجال نصيب مما ترك الوالدن و الاقربون " فبعث إليهما : لا تفرقا من مال أوس شيئا ، فان الله قد جعل لهن نصيبا ، و لم يبين حتى نزلت " يوصيكم الله فى اولادكم [٣] " - الآية ، فأعطى أم كجة [١] الثمن و البنات ١٠ الثلثين و الباقى لابنى [٤] العم . و رواه الطبرانى من طريق ابن جريج عن عكرمة على غير هذا السياق ، و لفظه : نزلت فى أم كجة [١] و [٥] ابنة أم كجة [٥] و ثعلبة و أوس بن سويد ، و هم من الأنصار ، كان أحدهما زوجها و الآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله ! توفى زوجى و تركنى و ابنته فلم نورث [٦] ، فقال عم ولدها : إن ولدها لا يركب فرسا و لا يحمل كلا ١٥

(١) من الإصابة ، و فى الأصل و مد : ام كه ، و فى ظ : ام بلجه - كذا .
(٢) زوى الشيء عنه : منعه ، و فى الأصول : فروى ، و التصحيح من الكشاف ١٩٢/١ (٣) زيد بعده فى ظ : للذكر (٤) فى الكشاف : ابنى (٥-٥) فى الأصول : ابنه بجه ، و التصحيح من الإصابة ٨ / ٢٧١ ، حيث سيقت هذه الرواية إحالة على الطبرى بفرق يسير (٦) من مد و الإصابة ، و فى الأصل : فلم ترث ، و فى ظ : فلم نرث .

و لا ينكأ عدوا ، فنزلت " للرجال نصيب " - الآية ، و روى من طريق السدى ، قال فى قوله " يوصيكم الله فى اولادكم " - الآية : كانه[1] أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى و لا الضعفاء من الغلمان ، و لا يورثون إلا من أطاق القتال ، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر و ترك ٥ امرأة يقال لها أم كجة[2] ، و ترك خمس أخوات ، فجاءت الورثة فأخذوا ماله ، فشكت أم كجة[2] [ذلك -[3]] إلى النبى صلى الله عليه و سلم ، فأنزل الله " فان كن نسآء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك " ثم قال فى أم كجة[2] " و لهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد " - الآية .

فجميع هذه الروايات - كما ترى - ناطقة بأن سبب نزول آيات ١٠ الميراث النساء ، و يمكن أن يكون المجموع سببا - و الله أعلم ؛ و ذلك كما أن سبب إنزال الفرائض فى التوراة كان النساء أيضا ، و ذلك أنه[4] جل[5] أمره و عز اسمه و تعالى جده لما أمات من نكص عن أمره من بنى إسرائيل و منّ آلافهم فى التيه[6] /و أخرج أبناءهم منه ؛ أمر موسى عليه /٤٦٩ الصلاة و السلام بقسمة أرض الكنعانيين بين بنيهم[7] بعد معرفة عددهم ١٥ على منهاج ذكره[8] ، و لم يذكر البنات ، و كان فيهم بنات [9]لا أب[9]

(١) من مد و الإصابة ، و فى الأصل و ظ : قال (٢) من الإصابة ، و فى الأصول : ام كحة (٣) زيد من الإصابة ، و العبارة من بعده إلى « عليه و سلم » ساقطة من مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : اية (٥) فى ظ : حلى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : النية - كذا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بينهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرهم (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاب .

لهن

[لهن - [1]] فسألن ميراث أبيهن ، فأنزل الله حكمهن ؛ قال في السفر الرابع من التوراة ما نصه: و لما كان بعد[2] الموت[3] الفاشي[4] قال الرب لموسى و لليعازر[5] بن هارون الحبر : احفظا[6] عدد جماعة بني إسرائيل من ابن عشرين سنة إلى فوق ، كل من خرج للمحاربة من بين بني إسرائيل ، فكلما[7] الجماعة في [8]عربات مؤاب[8] التي عند أردن أريحا ، و أخبراهم ٥ بقول الرب ، ثم أحصياهم ، فكان عددهم[9] ستمائة ألف و سبعمائة و ثلاثين رجلا غير اللاويين[10] سبط موسى فانهم[11] كانوا لحفظ قبة الزمان و خدمتها ، و كانوا ثلاث[12] قبائل : أحدهم قهث[13] فولد له عمران[14] ، و كان اسم امرأة عمران[14] حنة[15] ابنة لوى ، ولدت له بأرض مصر هارون

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد . و في الأصل: بعض (٣) سقط من ظ . (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الفاسي - كذا (٥) من مد و تاريخ اليعقوبي ١ / ٤١ ، و في الأصل: للعادر ، و في ظ : للعازر (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : احفظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل: فكلما (٨-٨) في الأصل : عربية مواب ، و في ظ : عربته مرات ، و في مد : عزنية مواب ، و التصحيح من كتاب أسفار موسى الخمسة المطبوعة ببيروت سنة ١٨٦٢ م - الإصحاح الثاني والعشرون من السفر الرابع (٩) زيد في الأصل و مد : احدى و ، و في ظ : احدا و - كذا (١٠) من مد ، و في الأصل : الاوبين ، و في ظ : اثنين - كذا (١١) من مد ، و في الأصل و ظ : بانهم (١٢) في الأصول: ثلاثة (١٣) من تاريخ اليعقوبي ١ / ٣٣ ، و في الأصل: فافات ، و في ظ و مد: قاهات (١٤) من التاريخ ، و في الأصل و مد: عمرم ، و في ظ : عموم - كذا (١٥) من التاريخ ١ / ٦٨ ، و في الأصل و ظ : يوحان ، و في مد: يوحانا .

و موسى و مريم ، و كان عددهم فى هذا الوقت ثلاثة و عشرين ألفا ، كل ذكر منهم ابن شهر فما فوق ، و لم يكن فى هؤلاء ممن أحصاه موسى و هارون حيث عدا[1] بنى إسرائيل فى برية سيناء ، لأن الرب قال لهم: يقتلون[2] فى هذه المفازة ، و لا يبقى منهم رجل ما خلا [3] كلاب بن

٥ يوفنا[3] و يوشع[4] بن نون ، و دنا بنات[5] صلفحد[6] من قبيلة منشى[7] ابن يوسف و قلن : أبونا توفى فى البرية و لم يخلف ابنا ، أعطنا[8] ميراثنا ، فرفع موسى أمرهن إلى الرب ، فقال الرب لموسى : الحق قلن[9]! [10]أعطهن ميراثا[10] مع أعمامهن ليتبين ميراث أبيهن ، و قل لبنى إسرائيل : أى رجل مات و لم يخلف [ابنا - [11]] يعطى ميراثه ابنته ، و إن لم يكن

١٠ له[9] ابنة[12] يعطى ميراثه إخوته ، و من لم يكن له إخوة يعطى ميراثه أعمامه و من لم يكن له أعمام يعطى[13] ميراثه لمن كان قرابته من أهل عشيرته ، و تكون هذه سنة لبنى إسرائيل فى أحكامهم كما أمر الرب موسى ؛ و قال فى السفر الثالث منها ما نصه « سنة الخطايا[14] التى[15] إذا ارتكبها إنسان

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل: عد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقتلون . (٣-٣) من تاريخ الطبرى ١/٢٢٦ ، و فى الأصل و مد : كالاب بن يوفنا ، و فى ظ : كالاب بن يوفنا (٤) من تاريخ الطبرى ، و فى الأصل و ظ : يسوع ، و فى مد : يشوع (٥) فى ظ : بنات - كذا (٦) فى مد : صلفد (٧) من ظ و مد و تاريخ اليعقوبى ١/٣١ ، و فى الأصل: سنا (٨) فى ظ : منشا - كذا (٩) سقط من ظ (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعظمهن ميراث (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ : ابنه ، و فى مد : بنت (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيعطى (١٤) فى ظ : الخطا (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل: الذى .

عوقب بالموت» : وكلم الرب موسى و قال له : كلم بنى إسرائيل ، و قل لهم : أنا الله ربكم ! لا تعملوا مثـل أعمال أهل مصر التى سكنتموها ، و لا تعملوا مثل أعمال أهل كنعان التى أدخلكم إليها و لا تسيروا سنتهم[1] و لكن اعملوا بأحكامى ، و احفظوا وصاياى ، و سيروا بها ، أنا الله ربكم ! احفظوا شرائعى و أحكامى . لأن الذى يعمل بها يعيش ، أنا الرب ٥ و ليس إله غيرى ! و لا يجسرن[2] الرجل منكم أن يكشف عورة[3] قرابته ، أنا الرب و ليس إله[4] غيرى ! و لا تكشفن[5] عورة أبيك [[6]- و لا عورة أمك ، لأنها أمك ، و لا تفضح امرأة ابنك و لا تكشف عورتها ، لأن عورتها عورة ابنك[7]] ، و لا تفضح أختك من أبيك و من أمك التى ولدت من أبيك ، أو أختك من أمك لا من أبيك ، لا تكشف ١٠ عورتها ، لأن فضيحتها فضيحتك ، و لا تكشف عورة بنت امرأة أبيك التى ولدت من أبيك ، لأنها أختك ، و لا تكشف عورة عمتك ، لأنها أخت أبيك ، و لا تكشف[8] عورة خالتك ، لأنها أخت أمـك ، و لا تكشف[8] عورة امرأة عمك و لا تدن من امرأته ، لأنها امرأة عمك ، و لا تكشف عورة كنتك[9] ، لأنها [10]امرأة ابنك[10] ، و لا تكشف ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينتهم ـ كذا (٢) فى ظ و مد : لا يخسرن .
(٣) فى ظ : عورته (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تكشف (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) فى ظ و مد : ابيك ـ كذا.
(٨) فى مد : لا تكشفن (٩) فى ظ : ابنتك (١٠-١٠) فى ظ : ابنتك ، و العبارة من بعده إلى « لا تزوج بهما » ساقطة من ظ .

عورة امرأة أخيك، لأن فضيحتها فضيحة أخيك، و لا تكشف عورة امرأة و بنتها، أي لا تتزوج بهما، و لا تكشف عورة بنت الابن و لا بنت البنت، لأن فضيحتهما فضيحتك، و لا تكشف عورتهما، هن[1] قرابتك و ارتكابهن إثم، و لا تتزوج أخت امرأتك في حياتها فتحزنها[2]، ٥ و لا تكشف عورتها جميعا في حياة امرأتك، و المرأة إذا حاضت و طمثت[3] لا تدن لتكشف عورتها، و لا تسفح بامرأة صاحبك و لا تَنْجَسْ[4]، و لا تُنَجِّسْ[5] اسم[6] إلهك، أنا الله ربكم! لا تضاجعن[7] الذكر[8]، و لا ترتكب من الذكر ما ترتكب من المرأة، لأنه فعل [نجس، و لا بهيمة، و لا تلق زرعك فيها فتنجس بها، و المرأة أيضا لا تقوم بين يدى ١٠ بهيمة تطأها، لأنه فعل –[9]] نجس، لا تنجسوا منها بشيء، فبهذه كلها تنجست[10] الشعوب التى أهلكتها من بين أيديكم، وتنجست أرضهم بفعلهم، و عاقبتها بإثمها[11]، و تعطلت الأرض من سكانها لحال[12] خطاياهم؛ احفظوا / عهودى و أحكامى، و لا ترتكبوا شيئا من هذه الخطايا [لأن أهل البلاد التى ترثونها فعلوا هذه الأفاعيل كلها

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : من (٢) من مد، و فى الأصل : فتحريمها، و فى ظ : تحرمها (٣) فى ظ : طمت (٤) من مد، و فى الأصل : لا تتحسن، وفى ظ : لا تحسن – كذا (٥) فى ظ : لا نحس – كذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : ام (٧) فى ظ : لا يضاجعن (٨) فى مد : الذكور (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : تنجس (١١) من مد، و فى الأصل و ظ : باسمها (١٢) فى ظ : بحال.

و تنجست

و تنجست الأرض بهم، و لا تنجسوا الأرض لئلا تعطل منكم كما تعطلت من[1] الشعوب التي كانوا فيها قبلكم، لأن كل من يفعل هذه الخطايا - [2]] يهلك[3]؛ احفظوا شرائعي و لا ترتكبوا[4] شيئا من سير[5] الخطايا التي فعلها من كان قبلكم، و لا تنجسوا بها، أنا الله ربكم!

ثم كلم الرب موسى و قال له: كلم جميع بني إسرائيل و قل لهم: ٥ تقدسوا، لأني قدوس[6]، أنا الله ربكم! يهاب كل امرئ منكم والديه و يكرمهما، و احفظوا وصاياي، لأني أنا الله ربكم! لا تقبلوا إلى الشيطان و لا تتخذوا آلهة مسبوكة، أنا الله ربكم. و قال في السفر الثاني[7]: و لا تصدقن الخبر الكاذب، لا توالِ الخبيث لتكون له شاهد زور، و[8] لا تتبعن هوى الكبير فتنسى، و لا تشايعن الكبراء[9] الذين يحيفون ١٠ في القضاء فتحيف[10] معهم، و لا تعن المسكين على الظلم، لا تحيفن[11] في قضاء المسكين و تباعد عن القول الكاذب. و قال في السفر الخامس: و دعا موسى بجميع بني إسرائيل و قال لهم: اسمعوا يا بني إسرائيل السنن و الأحكام التي أتلو عليكم لتعلموها و تحفظوها و تعملوا بها، و تعلمون

(١) ليس في ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٣) من مد، و في الأصل وظ: يملك (٤) في مد: لا تركبوا (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: مسير (٦) في الأصول: قدس، و التصحيح من كتاب أسفار موسى الخمسة - الإصحاح التاسع عشر من السفر الثالث (٧) في ظ: الرابع (٨) سقطت الواو من مد. (٩) من مد، و في الأصل: الكبير، و في ظ: الكثير (١٠) من مد، و في الأصل: فيحيف، و في ظ: فتحيف - كذا (١١) في ظ: لا تحفين.

أن الله ربنا عاهدنا عهدا[1] بأرض حوريب، و لم يعاهد الله آباءنا[2] بهذا العهد، بل إنما عاهدنا[3]، نحن الذين ههنا أحيانا سالمين، وجها قبل وجه كلمنا الرب فى النار عن الجبل، فأنا كنت قائما بين يدى الرب و بينكم لأظهر لكم ذلك الزمان أقوال الله ربكم، حيث فرقتم من النار و لم تصعدوا ٥ إلى الجبل، و قال الرب: أنا الله ربكم الذى أخرجتكم[4] من أرض مصر و خلصتكم من العبودية! لا يكون لكم إله غيرى، و لا تتخذوا أصناما و لا أشباها، و لا تقسم باسم ربك كذبا، لأن الرب لا يزكى من °يحلف باسمه° كذبا، احفظوا يوم السبت و طهروه[6] - إلى أن قال: لا تعملوا فيه عملا ليستريح عبيدكم و إماؤكم معكم، و اذكروا أنكم ١٠ كنتم عبيدا بأرض مصر فأخرجكم الله ربكم من هناك بيد[7] منيعة و ذراع عظيمة، لذلك أمركم ربكم أن تحفظوا يوم السبت، فيكرم كل امرئ منكم والديه كما أمركم[8] الله ربكم لتطول[9] أعماركم، و ينعم عليكم فى الأرض التى يعطيكم، لا تقتلوا، لا تزنوا، لا تسرقوا، لا يشتهين الرجل منكم امرأة صاحبه - إلى أن قال: و لا شيئا[10] مما لصاحبك - هذه الآيات

(١) زيد بعده فى الأصل: رض - كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها.
(٢) من ظ ومد، وفى الأصل: امانا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يعاهدنا.
(٤) فى مد: اخرجكم (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حلف بأحد - كذا.
(٦) فى ظ: ظهوره - كذا (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: بيد - كذا (٨) فى ظ: امر (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ليطول (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: سببا.

التى أمر بها الرب بنى إسرائيل ، و كلمهم بها فى الجبل من النار بالسحاب و الضباب بصوت عظيم لا يوصف و لا يحد[١]، و هى التى كتبها على لوحى الحجارة و دفعها إلى موسى النبى - فلما سمعتم صوتا من الظلمة و رأيتم نارا تشتعل[٢] فى الجبل تقدم إلىّ رؤساؤكم[٣]، و قالوا : قد أرانا[٤] الله ربنا مجده و كرامته و عظمته، اليوم رأينا أن كلم الله الناس و عاشوا ، إن ٥ عدنا نسمع صوت الله ربنا متنا ، تقدم أنت و اسمع ما يقول الله ربنا و قص علينا ، [فسمع الرب صوت كلامكم حين كلمتمونى -[٥]] و قال لى[٦] الرب : قد سمعت صوت الشعب و ما قالوا لك[٧]، نعم ما تكلموا به ! و[٨] يا ليت تكون لهم قلوب هكذا[٨]، فتكون تسمع و تطيع و تتقوى ، و يفزعون[٩] من قولى ، و يحفظون جميع وصاياى ، كلها ١٠ احفظوا ، و اعملوا بما[١٠] أمركم الله ربكم و لا تحيدوا يمنة و لا يسرة ، بل سيروا فى كل الطريق الذى[١١] أمركم ربكم لتعيشوا ، و ينعم عليكم ، و تطول

---

(١) من مد ، و فى الأصل وظ : لا يجحد (٢) فى ظ : تشعل (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : روساوه (٤) فى ظ : رانا (٥) زيد ما بين الحاجزين من كتاب أسفار موسى الخمسة لتستقيم العبارة - الإصحاح الخامس من السفر الخامس . (٦) فى ظ : فى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٨-٨) فى الأصول: انت تكون لهم - كذا ، و مبنى التصحيح ما ورد فى أسفار موسى : يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يفزعن ، و فى مد : تفزعون - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذين .

مدتكم فى الأرض التى ترثون - هـذه السنن و الوصايا و الأحكام التى أمرنى[1] الله ربكم أن أعلمكم لتعلموا و تتقوا الله ربكم [أنتم و بنوكم كل [2]أيام حياتكم[2] فتطول أعماركم، اسمعوا يا بنى إسرائيل! الله ربنا واحد، أحبوا الله ربكم -[3]] فى كل قلوبكم، و لتكن هذه الآيات التى أمركم فى قلوبكم أبدا، و علموها / بنيكم، و تكلموا[4] بها إذا حضرتم فى منازلكم، و إذا سافرتم، و إذا رقدتم، و إذا قمتم، و [5]شدوها علامة[5] على أيديكم، و يكون ميسما بين أعينكم، و اكتبوها على قوائم[6] بيوتكم و على أبوابكم، لا تنسوا الله ربكم، و إياه فاعبدوا، [و -[3]] باسمه فأقسموا[7]، و لا تتبعوا الآلهة الأخرى التى تعبدها[8] الشعوب التى حولكم، لأن الله ربكم الحالّ فيكم هو إله غيور فاتقوه، لا يشتد[9] غضبه عليكم، و يهلككم عن حديد الأرض، و لا تجربوا الله ربكم كما جربتموه بالبلايا، و لكن احفظوا وصية الله ربكم و شهادته[10] و سننه التى أمركم بها، فاعملوا الحسنات، و أنصفوا و اعدلوا لينعم عليكم، و تدخلوا و ترثوا[11] الأرض المخصبة

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : امركم (٢ - ٢) فى ظ : يوم جائكم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) فى ظ : تعلموا (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل : سدوها طلامة - كذا (٦) من أسفار موسى - الإصحاح السادس من السفر الخامس، و فى الأصول : معاقم - كذا (٧) فى ظ : اقتسموا (٨) فى ظ : يعبدها (٩) فى مد : لا تشتد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : شهادة.
(١١) من ظ و مد، و فى الأصل : ترلوا - كذا.

التى

التى أقسم الله لآبائكم، و يكسر[1] جميع أعدائكم و يهزمهم قدامكم[2] كما قال الرب، فاذا سألكم بنوكم غدا و قالوا: ما الشهادة و السنة و الحكومة التى أمركم الله بها؟ قولوا لبنيكم: إنا كنا عبيدا لفرعون بأرض مصر، و أخرجنا الرب من أرض مصر [بيد منيعة، و أنزل بأهل مصر بلاء شديدا، و فعل ذلك بفرعون و جميع أهل بيته تجاهنا -[3]]، و أخرجنا ٥ الرب من هناك ليدخلنا و يعطينا الأرض التى أقسم لآبائنا، و أمرنا الرب أن نعمل هذه السنن كلها، و أن نتق الله ربنا لينعم كل أيامنا[4]، و يحيينا بالخير[5] و النعم، و يكون ربنا[6] بنا برا[6] إذا حفظنا هذه الوصية كلها، و علمناها[7] أمام الله ربنا كما أمرنا. و قال فى السفر الخامس[8]: و لا تكف[9] يدك عن العطاء و الصدقة على[10] أخيك المسكين، و لكن ١٠ يصدق بعضكم على بعض، و يعطى بعضكم بعضا، و لا يضيق قلبك، و لا تحزن[11] إذا صدقت على أخيك، لأنك إذا فعلت هذا القول و أوسعت على أخيك يبارك الله[12] لك[13] فى جميع أعمالك، و فى كل ما تمد يدك إليه، من أجل أن الأرض لا تعدم[14] المساكين، فلذلك

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تكسر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اقدامكم (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: ابايننا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بخير - كذا (٦-٦) فى ظ: تنا برا - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عملناها (٨) فى ظ: السادس (٩) فى ظ: لانطلت - كذا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (١١) فى ظ: لا يحزن (١٢) فى ظ: اللهم (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لكم (١٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لا تقدم.

آمرك - و العزم[1] إليك - أن تمد يدك[2] إلى أخيك المسكين، و تصدق على الفقير فى الأرض. و قال فيه: أنصفوا بين إخوتكم و احكموا بالحق و لا تحيفوا فى القضاء، و اسمعوا من الصغير كما تسمعون من الكبير، و لا تهابوا الرجل و لو عظم شأنه و كثرت أمواله، لأن القضاء لله.
٥ و قال فيه: صيروا لكم قضاة[3] و كتابا فى جميع قراكم، و تقضون للشعب قضاء العدل و البر[4]، و لا تحيفن[5] فى القضاء، و لا تحابوا و لا ترتشوا، لأن الرشوة تعمى[6] أعين الحكام فى القضاء، و لكن أقضى بالحق لتعيشوا و تبقوا[7] و ترثوا الأرض التى يعطيكم الله ربكم - فقد علم من هذا أصول غالب ما ذكره تعالى فى هذه السورة مع ما تقدم من إشكاله
١٠ فى البقرة عند قوله تعالى "و اذ اخذنا ميثاق بنى اسراءيل لا تعبدون الا الله[8]"، و غيرها من الآيات، و فى آل عمران أيضا، و أما حد الزانى و أمر القتل و الجراح فسيذكر إن شاء الله تعالى فى المائدة.

و لما قرر سبحانه و تعالى إرادته إصلاحهم و رغب فى اتباع الهدى بعلمه و حكمته عطف على ذلك قوله: ﴿و الله﴾ بلطف[9] منه و عظم[10]
١٥ سلطانه ﴿يريد﴾ أى بإنزاله هذا الكتاب العظيم و إرساله هذا الرسول

(١) فى ظ: انقدم (٢) فى ظ: يديك (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: قضاه (٤) فى ظ: الامير - كذا (٥) من مد، و فى الأصل: لا تحيفن، و فى ظ: لا يحفن - كذا (٦) فى ظ: يعمى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تتبعوا. (٨) آية ٨٣ (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: بلطيف (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عظيم.

الكريم ﴿ ان يتوب عليكم ﴾ أى[1] يرجع لكم بالبيان الشافى عما كنتم عليه من طرق الضلال لما كنتم فيه من العمى بالجهل، و زادهم فى ذلك رغبة بقوله: ﴿ و يريد الذين يتبعون ﴾ أى على سبيل المبالغة و الاستمرار ﴿ الشهوٰت ﴾ أى من أهل الكتابين و غيرهم كشاش[2] بن قيس و غيره من الأعداء[3] ﴿ ان تميلوا ﴾ أى عن سبيل الرشاد ﴿ ميلا عظيما ﴾ ٥ أى إلى أن تصيروا إلى ما كنتم فيه من الشرك و الضلال، فقد أبلغ سبحانه فى الحمل على الهدى بموافقة الولى المنعم[4] الجليل الذى لا تلحقه[5] شائبة نقص، و مخالفة العدو[6] الحسود الجاهل النازل من أوج العقل إلى حضيض طباع البهائم.

و لما كان الميل / متعبا لمرتكبه أخبرهم أن علة بيانه للهداية و إرادته ١٠ / ٤٧٢ التوبة الرفق بهم فقال[7]: ﴿ يريد الله ﴾ أى [و - [8]] هو الذى له الجلال و الجمال و جميع العظمة و الكمال ﴿ ان يخفف عنكم ﴾ أى يفعل[9] فى هذا البيان و هذه الأحكام فعل من يريد ذلك، فيضع عنكم الآصار التى كانت على من كان قبلكم الحاملة [10] على الميل [10]، و يرخص لكم فى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: كساس (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الاعداد (٤) سقط من ظ، و زيد بعده فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ: لا يلحقه. (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) زيدت الواو من ظ و مد (٩) زيد بعده فى ظ: هنا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.

بعض الأشياء كنكاح الأمة - على ما تقدم ، و دل على علة[1] ذلك بالواو العاطفة ؛ لأنكم خلقتم ضعفاء يشق عليكم الثقل ﴿ و خلق الانسان ﴾ أي الذي أنتم بعضه ﴿ ضعيفا ه ﴾ مبناه الحاجة ، فهو لا يصبر عن[2] النكاح و لا غيره من الشهوات ، و لا يقوى على فعل[3] شيء إلا بتأييد منه

٥ سبحانه .

و لما كان غالب ما مضى مبنيا[4] على الأموال تارة بالإرث ، و تارة بالجعل في النكاح ، حلالا[5] أو حراما ؛ قال تعالى - إنتاجا مما مضى بعد أن بين الحق من الباطل ، و بين ضعف هذا النوع كله ، فبطل تعليلهم لمنع النساء و الصغار من الإرث بالضعف ، و بعد أن بين كيفية التصرف

١٠ في [أمر -[6]] النكاح بالأموال و غيرها حفظا للأنساب[7] ، ذاكرا كيفية[8] التصرف في الأموال ، تطهيرا للانسان[9] ، مخاطبا لأدنى الأسنان في الإيمان ، ترفيعا[10] لغيرهم عن مثل هذا الشأن[11] - : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أي أقروا بالإيمان و التزام الأحكام .

و لما كان الأكل أعظم المقاصد بالمال ، و كان العرب يرون

١٥ التهافت على الأكل أعظم العار و إن كان حلالا ؛ كنى به التناول

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : على (٣) زيد بعده في الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و في الأصل : مثبتا ، و في ظ : مبينا . (٥) في ظ : حالا (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : للانسان . (٨) في ظ : لفية (٩) في مد : للاسباب ، و في ظ : الأسباب (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ : ترفيقا (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : النبيان - كذا .

فقال: ﴿ لا تاكلوآ ﴾ أى تتناولوا ﴿ اموالكم ﴾ أى الأموال التى جعلها[1] الله قياما للناس ﴿ بينكم بالباطل ﴾ أى من التسبب فيها بأخذ نصيب النساء و الصغار من الإرث، و بعضل [بعض -[2]] النساء و غير ذلك مما تقدم النهى عنه و غيره.

و لما نهى عن[3] الأكل بالباطل، استدرك ما ليس كذلك[4] فقال: ٥ ﴿ الآ ان تكون ﴾ أى المعاملة المدارة المتداولة بينكم ﴿ تجارة ﴾ هذا فى قراءة الكوفيين بالنصب، و على قراءة غيرهم: إلا أن توجد تجارة كائنة ﴿ عن تراض منكم قف ﴾ أى غير منهى عنه من الشارع، و لعل الإتيان بأداة الاستثناء المتصل - و المعنى على المنقطع - للاشارة إلى أن تصرفات الدنيا كلها جديرة بأن يجرى[5] عليها اسم الباطل و لو لم يكن ١٠ إلا [6]معنيا بها[6] تزهيدا فيها و صدا عن الاستكثار[7] منها، و ترغيبا فيما يدوم نفعه ببقائه، [و -[8]] هكذا كل[9] استثناء منقطع فى القرآن، من[10] تأمله حق التأمل وجد للعدول عن الحرف الموضوع له - و هو 'لكن' - إلى صورة الاستثناء حكمة بالغة - و الله الموفق.

و لما كان المال عديل الروح و نهى عن إتلافه بالباطل، نهى عن ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عنه (٤) فى ظ: اذلك (٥) فى الأصل: مجرى، و فى ظ و مد: يجرى - كذا (٦-٦) فى الأصل و مد: بفنيها، و فى ظ: معنابها - كذا (٧) فى مد: الاستكبار (٨) زيدت الواو من ظ و مد (٩) زيد بعده فى ظ: من (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: منه.

إتلاف النفس ، لكون أكثر إتلافهم لها بالغارات لنهب الأموال و ما كان بسببها[1] و تسبيبها[2] على أن من أكل ماله ثارت نفسه فأدى ذلك إلى الفتن التي ربما كان آخرها القتل ، فكان النهي عن ذلك أنسب شيء لما بنيت[3] عليه السورة من التعاطف و التواصل فقال تعالى:

٥ ﴿ و لا تقتلوآ انفسكم ط ﴾ أي حقيقة بأن يباشر الإنسان قتل نفسه ، أو مجازا بأن يقتل بعضكم بعضا ، فان الأنفس[4] واحدة ، و ذلك أيضا يؤدي إلى قتل نفس القاتل ، فلا تغفلوا[5] عن حظ أنفسكم من الشكر ، فمن غفل عن حظها فكأنما[6] قتلها ، [ثم علله -[7]] بما يلين أقسى الناس فقال : ﴿ ان الله ﴾ أي مع ما له من صفات العظمة التي لا تدانيها

١٠ عظمة ﴿ كان بكم ﴾ أي خاصة حيث خفف عليكم ما شدده[8] على من كان قبلكم ﴿ رحيما ه ﴾ أي بليغ الرحمة حيث يسر لكم الطاعة و وفقكم لها فأبلغ[9] سبحانه الترغيب في الامتثال ؛ ثم قال ترهيبا من مواقعة الضلال : ﴿ و من يفعل ذلك ﴾ أي المنهي عنه من القتل و غيره العظيم الإبعاد عن حضرات الإله ﴿ عدوانا و ظلما ﴾ أي بغير حق ،

١٥ و عطفه للوصف بالواو يدل على تناهي كل منهما ، هذا مع ما أفهمه صفة الفعلان[10] من المبالغة ، فكان المراد العدو الشديد المفرط المتجاوز

---

(١) في ظ : سببها (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : تشبيها (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : ينبت (٤) في ظ : الانسان (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فلا تقتلوا (٦) من ظ . و في الأصل و مد : فطانها (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : شدد (٩) في ظ : فاذا بلغ (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : الفعلات - كذا .

للحدود الناشئ عن العهد و تناهى / الظلم الذى لا شائبة فيه للحق / ٤٧٣
﴿ فسوف نصليه نارا[4] ﴾ أى ندخله إياها بوعيد لا خلف فيه و إن
طال إمهاله[1] ﴿ و كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى توعد[2] به
﴿ على الله ﴾ أى الذى له الجلال و الجمال ﴿ يسيرا ۝ ﴾ أى لأنه لا ينقصه
من ملكه شيئا ، و لا يمنع منه مانع . ٥

و لما بين تعالى ما لفاعل[3] ذلك تحذيرا ، و كان قد تقدم جملة[4]
من الكبائر ، أتبعه ما للمنتهى تبشيرا[5] جوابا لمن كأنه قال: هذا للفاعل
فما للمجتنب ؟ فقال على وجه عام: ﴿ ان تجتنبوا ﴾ أى تجهدوا أنفسكم
بالقصد الصالح فى أن تتركوا تركا عظيما و تباعدوا ﴿ كبآئر ما تنهون
عنه ﴾ أى من أكل المال و القتل بالباطل و الزنا و غير ذلك مما تقدم ، ١٠
روى البزار - قال الهيثمى: و رجاله رجال الصحيح - عن عبد الله
- يعنى ابن مسعود - أنه سئل عن الكبائر فقال: ما بين أول سورة النساء
إلى رأس ثلاثين . قال الأصبهانى : و كل ذنب عظم الشرع[6] الوعيد
عليه بالعذاب و شدده[7] ، أو عظم ضرره فى الخمس الضرورية: حفظ
الدين و النفس و النسب و العقل و المال ، فهو كبيرة ، و ما عداه صغيرة ١٥
﴿ نكفر عنكم سيأتكم ﴾ أى التى هى دون الكبائر كلها ، فان ارتكبتم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهماله (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يوعد .
(٣) فى ظ : لفعل - كذا (٤) فى ظ : حمله ، و فى مد : حملة (٥) من ظ و مد ،
و فى الأصل : بشيرا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : السرع (٧) من ظ و مد ،
و فى الأصل : سدده .

شيئا من الكبائر و أتيتم بالمكفرات من الصلوات الخمس و الجمعة و صوم رمضان و الحج، أو فرطتم في شيء منها فمنّ الله عليكم بأن أتاكم بالمرض؛ كفر ذلك المأتي به الصغائر، و لم يقاوم تلك الكبيرة فلم يكفر جميع السيئات، لعدم إتيانه على تلك الكبيرة ﴿و ندخلكم مدخلا كريما ه﴾ ٥ أي يجمع الشرف و العمل و الجود و كل معنى حسن، و من فاته جميع ذلك لم يكفر عنه سيئاته، و لم يدخله هذا المدخل، و يكفي في انتفائه[1] حصول القصاص في وقت ما؛ و قال الإمام أحمد: المسلمون كلهم في الجنة - لهذه[2] الآية و قول النبي صلى الله عليه و سلم «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فالله تعالى يغفر ما دون الكبائر، فالنبي صلى الله ١٠ عليه و سلم يشفع في الكبائر، فأي ذنب على المسلمين! ذكره عنه الأصبهاني، و هذا الحديث أخرجه أبو داود و الترمذي و غيرهما عن أنس رضي الله عنه.

و لما نهى عن القتل [و - [3]] عن الأكل بالباطل بالفعل و هما من أعمال الجوارح، ليصير الظاهر طاهرا[4] عن المعاصي الوخيمة؛ نهى ١٥ عن التمني [5]الذي هو[5] مقدمة الأكل، ليكون نهيا عن الأكل بطريق الأولى، فان التمني قد يكون حسدا، و هو المنهي عنه هنا كما هو ظاهر الآية، [و هو - [6]] حرام و الرضى بالحرام حرام، و التمني[7] على[8] هذا

---

(١) في ظ: ابتغايه (٢) في ظ: بهذه (٣) زيدت الواو من ظ و مد (٤) من مد، و في الأصل و ظ: ظاهرا - كذا بالظاء المعجمة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و في الأصل و ظ: النهي - كذا. (٨) في ظ: عن.

الوجه يجر إلى الأكل، و الأكل يعود إلى القتل، فان من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه، و النهى هنا للتحريم عند أكثر العلماء فقال: ﴿ و لا تتمنوا ﴾ أى تتابعوا أنفسكم فى ذلك ﴿ ما فضل الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها، فلا ينقصه شيء ﴿ به ﴾ أى [1]من المال[1] و غيره ﴿ بعضكم على بعض ﴾ أى فى الإرث[2] و غيره من جميع الفضائل النفسانية ٥ المتعلقة[3] بالقوة النظرية كالذكاء التام و الحدس الكامل و زيادة المعارف بالكمية و الكيفية، أو بالقوة العملية كالعفة التى هى وسط بين الجمود و الفجور، و الشجاعة التى هى[4] وسط بين التهور و الجبن، و السخاء / الذى هو[5] وسط بين الإسراف و البخل، و كاستعمال هذه[6] القوى على ٤٧٤ / الوجه الذى ينبغى و هو العدالة، أو[7] الفضائل البدنية كالصحة و الجمال ١٠ و العمر الطويل مع اللذة و البهجة، أو[8] الفضائل الخارجية مثل كثرة الأولاد الصلحاء، و كثرة العشائر و الأصدقاء و الأعوان، و الرئاسة التامة و نفاذ القول، و كونه محبوبا للناس حسن الذكر فيهم؛ فهذه مجامع السعادات، و بعضها نظرية لا مدخل للكسب فيها، و بعضها كسبية، و متى[9] تأمل العاقل فى ذلك وجده[10] محض عطاء من الله، فمن ١٥

(١ - ١) من مد، و فى الأصل و ظ: بالمال (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الادب (٣) زيد بعده فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هو (٥) فى ظ: هى (٦) فى ظ: هذا.
(٧) فى ظ و مد «و» (٨) فى ظ «و» (٩) فى ظ: من (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: وحده.

شاهد غيره أرفع منه [فى - [1]] شيء من هذه الأحوال تألم قلبه و كانت [له - [1]] حالتان : إحداهما أن يتمنى حصول مثل تلك السعادة [له - [2]] ، و الأخرى أن يتمنى زوالها عن صاحبها ، و هذا هو الحسد المذموم ، لأنه كالاعتراض على الله الذى قسم هذه القسمة ، فان اعتقد أنه أحق ٥ منه فقد فتح على نفسه باب الكفر ، و استجلب ظلمات البدعة ، و محا نور الإيمان ، فان الله فعال لما يريد ، لا يسئل عما يفعل فلا اعتراض عليه ، [و - [3]] كما أن الحسد سبب الفساد فى الدين فهو سبب الفساد فى الدنيا ؛ فعلى[4] كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ذلك[5] مصلحة ، و لو كان غير ذلك فسد ، فان ذلك كله قسمة من الله صادرة ١٠ عن حكمه[6] و تدبيره و علمه بأحوال العباد فيما يصلحهم و يفسدهم . و أما تمنى المثل فان كان دينيا[7] كان حسنا[8] ، كما قال صلى الله عليه و سلم « لا حسد إلا فى اثنتين[9] » ، و إن كان دنيويا فمن الناس من جوز ذلك ، و منهم من قال - و هم المحققون : لا يجوز ذلك ، لأن تلك[10] النعمة ربما كانت مفسدة فى حقه فى الدين و مضرة فى الدنيا كقصة[11] قارون - قال ١٥ معنى ذلك الإمام الرازى .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) زيدت الواو من ظ و مد .
(٤) فى الأصول : فعل (٥) فى ظ : صالحه - كذا (٦) فى مد : حكمة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مبينا - كذا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : حسدا .
(٩) من مسند الإمام أحمد ٢/٩ ، و فى الأصول : اثنين (١٠) سقط من ظ .
(١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لقصة - كذا .

و لما نهى سبحانه عن ذلك علله بما ينبه على السعي في الاسترزاق و الإجمال في الطلب، كما قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه أحمد و الترمذي و ابن ماجه عن شداد بن أوس رضي الله عنه «الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من[1] أتبع نفسه هواها و تمنى على الله»، و كما قال صلى الله عليه و سلم [فيما رواه مسلم -[2]] و النسائي ٥ و ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه «المؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، و في كل خير احرص على ما ينفعك[3]، و استعن بالله [و لا تعجز -[4]]، و إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت [كان -[5]] كذا و كذا، و لكن قل[6]: قدر الله، و ما شاء فعل، فان[7] 'لو' تفتح عمل الشيطان» فقال مشيرا إلى أنه لا ينال أحد جميع ١٠ ما يؤمل[8]: ﴿للرجال نصيب﴾ أي قد فرغ من تقديره فهو بحيث لا يزيد و لا ينقص، و بين سبحانه أنه ينبغي الطلب و العمل، كما أشار إليه الحديث [فقال -[2]]: ﴿مما اكتسبوا﴾ أي كلفوا أنفسهم و أتعبوها[9] في كسبه من أمور الدارين من الثواب و أسبابه من الطاعات و من الميراث و[10] السعي في المكاسب و الأرباح «جعل رزقي تحت ١٥

(١) من ظ ومد و مسند الإمام أحمد ٤/١٢٤، و في الأصل: و ان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد و الصحيح لمسلم - كتاب القدر، و في الأصل: يتعدى - كذا (٤) زيد من ظ و مد و الصحيح لمسلم (٥) زيد من الصحيح لمسلم (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: ان (٨) من ظ و مد، و في الأصل: يرسل (٩) من ظ، و في الأصل و مد: اتبعوها (١٠) سقطت الواو من ظ.

ظل رمحي[١]»، «لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا و تروح بطانا»
﴿و للنسآء نصيب مما اكتسبن ط﴾ [٢]أي و كذلك[٢]، فالتمني حينئذ
غير نافع[٣]، فالاشتغال[٤] به مجرد عناء.

و لما أشار بالتبعيض إلى أن الحصول بتقديره، لا بالكسب الذي
٥ جعله سببا، فانه تارة ينجحه و تارة يخيبه[٥]، فكان التقدير: فاكتسبوا
و لا تعجزوا فتطلبوا[٦] بالتمني؛ / أمر بالإقبال - في الغنى وكل[٧] شيء - عليه ٤٧٥ /
إشارة إلى تحريك السبب مع الإجمال في الطلب فقال: ﴿و سئلوا الله﴾
أي[٨] الذي له جميع صفات الكمال.

و لما كان سبحانه و تعالى عظمته لا ينقصه شيء و إن جل قال:
١٠ ﴿من فضله ط﴾ أي من خزائنه التي[٩] لا تنفد و لا يقضيها[١٠] شيء، و في
ذلك تنبيه على عدم التعيين[١١]، لأنه ربما كان سبب الفساد، بل يكون
الطلب لما هو له[٨] صلاح، و أحسن الدعاء المأثور، و أحسنه "ربنا آتنا
في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[١٢]" ثم علل ذلك

(١) في ظ: رمي (٢ - ٢) في ظ و مد: لذلك (٣) في مد: منافع (٤) من ظ
و مد، و في الأصل: فالانتقال - كذا (٥) من ظ و مد، و في الأصل:
ينجيه - كذا (٦) في ظ: و اطلبوا (٧) من ظ و مد، و في الأصل: في.
(٨) سقط من مد (٩) من مد، و في الأصل و ظ: الذي - كذا (١٠) في
الأصل: لا يفيضها، و في ظ: لا يقتضيها، و في مد: لا يقيضها - كذا.
(١١) من مد، و في الأصل: التعبير، و في ظ: اليقين - كذا (١٢) سورة ٢
آية ٢٠١.

بقوله

بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى بيده مقاليد كل شيء ﴿ كان بكل شيء عليما ﴾ أى فكان على كل شيء قديرا، فان كمال العلم يستلزم شمول القدرة - كما سيبين إن شاء الله تعالى فى سورة طٰهٰ، و المعنى أنه قد فعل بعلمه ما يصلحكم فاسألوه[1] بعلمه و قدرته ما ينفعكم، فانه يعلم ما يصلح كل عبد و ما يفسده. و عطف على ذلك ما هو من جملة ٥ العلة فقال: ﴿ و لكل ﴾ أى من القبيلتين صغارا كانوا أو كبارا ﴿ جعلنا ﴾ بعظمتنا التى لا تضاهى ﴿ موالى ﴾ أى حكمنا بأنهم هم الأولياء، أى الأنصار و الأقرباء لأجل الإرث، هم الذين يلون المال و يرثونه، سواء كانوا عصبة خاصة و هم الوراث[2]، أو[3] عصبة عامة و هم المسلمون.

و لما كان الاهتمام بتوريث الصغار أكثر قال: ﴿ مما ﴾ أى من ١٠ أجل ما ﴿ ترك ﴾ أى خلفه ﴿ الوالدٰن ﴾ أى لكم، ثم أتبع ذلك ما يشمل حق الأصل [و الفرع فقال - [4]]: ﴿ و الاقربون[4] ﴾ أى إليكم، ثم [عطف - [5]] على ذلك قوله: ﴿ و الذين ﴾ أى و ما ترك[6] الذين ﴿ عقدت[7] ايمانكم ﴾ أى مما تركه[8] من تدلون إليه بنسب أو سبب بالحلف[9] أو[3] الولاء أو الصهر[10]، و ذكر اليمين لأن العهد يكون مع ١٥

---

(١) فى الأصول: فسالوه (٢) فى مد: الوارث (٣) فى ظ «و» (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد: تركه (٧) قرأ الكوفيون "عقدت" بغير ألف، و الباقون "عاقدت" بالألف، و قرأ بالتشديد أيضا - راجع روح المعانى ٢/٨٣ (٨) فى ظ ومد: ترك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و الحلف. (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: الضمير.

المصافحة بها، ثم سبب عن ذلك قوله: ﴿ فاتوهم ﴾ أى الموالى و إن كانوا صغارا أو[1] إناثا على ما بينت[2] لكم فى آية المواريث السابقة، و اتركوا كل ما خالف[3] ذلك فقد نسخ بها ﴿ نصيبهم ﴾ أى الذى فرضناه لهم من الإرث موفرا غير منقوص، و لا تظنوا[4] أن غيرهم أولى منهم أو مساوٍ
٥ لهم، ثم رهب من المخالفة، و أكد الأمر وعدا و وعيدا بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ كان على كل شيء شهيدا ﴾ أى فهو يعلم الولى من غيره و الخائن من غيره و إن اجتهد فى الإخفاء، لأنه لا يخفى عليه شيء، لأنه لا يغيب عن شيء و لا يغيب عنه شيء، فالمعنى[5]: إنا[6] لم نفعل سوى ما قصدتم من إعطاء المال لمن يحمى الذمار
١٠ و يذب عن الحوزة، و أنتم كنتم غير منزليه حق منازله لغيبتكم[7] عن حقائق الأمور و غيبتها[8] عنكم، فانا لم نخرج شيئا منه لغير الموالى - أى الأنصار - إما بالقرابة أو بالمعاقدة بالولاء أو المصاهرة، فالحاصل أنه لمن[9] يحمى بالفعل، أو بالقوة القريبة منه، أو البعيدة الآئلة إلى القرب، و أما التفضيل[10] فى الأنصباء فأمر استأثرنا[11] بعلم مستحقيه، و فى البخارى فى
١٥ التفسير عن ابن عباس: موالى: ورثة و الذين عاقدت [ايمانكم -[12]]،

---

(١) فى ظ «و» (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يثبت (٣) من ظ، و فى الأصل: حالف، و فى مد: جالف (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تظلموا. (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: ليغتكم - كذا (٨) فى ظ: عينها (٩) فى ظ: لم (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: التفصيل (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: استاثرنا - كذا (١٢) زيد من صحيح البخارى.

كان[1] المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري[2] دون ذوي رحمه[3] للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه و سلم بينهم ، فلما نزلت "و لكل جعلنا [موالي - [4]]" نسخت ، ثم قال "و الذين عاقدت [ايمانكم - [4]]" من النصر و الرفادة[5] و النصيحة[6] ، و قد ذهب الميراث ، و يوصى له .

ثم بين سبحانه وجه استحقاق بعض المفضلين ، فقال - جوابا ٥ لسؤال من كأنه قال : ما للرجال فضلوا ؟ - : ﴿ الرجال قوّمون ﴾ أي قيام الولاة ﴿ على النسآء ﴾ في التأديب و التعليم و كل أمر و نهي ، و بين سبب ذلك بقوله : ﴿ بما فضل الله ﴾ أي [الذي - [7]] له الحكمة البالغة و الكمال الذي لا يداني ، هبة منه و فضلا من غير تكسب ﴿ بعضهم ﴾ و هم الرجال ، في العقل و القوة و الشجاعة ، و لهذا كان فيهم الأنبياء ١٠ و الولاة و الإمامة[8] الكبرى و الولاية في النكاح و نحو ذلك من كل أمر يحتاج إلى فضل قوة في البدن / و العقل و الدين ﴿ على بعض ﴾ /٤٧٦ يعني النساء ، فقال للرجال "انفروا خفافا و ثقالا[9]" و قال للنساء "و[10] قرن في بيوتكن[11]" .

(١) من ظ و مد و صحيح البخاري ، و في الأصل : فان (٢) من ظ و مد و صحيح البخاري ، و في الأصل : الأنصار (٣) من ظ و مد و صحيح البخاري ، و في الأصل : رحمة (٤) زيد من صحيح البخاري (٥) في ظ و مد : الزيادة - كذا (٦) في ظ : النصحة (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد ، و في الأصل وظ : الاقامة (٩) سورة ٩ آية ٤١ (١٠) سقطت الواو من ظ (١١) سورة ٣٣ آية ٣٣ .

و لما ذكر السبب الموهبي أتبعه الكسبي فقال: ﴿و بمآ انفقوا﴾ أى من المهور و الكسى[1] و غيرها ﴿من اموالهم﴾ أى عليهن ، فصارت الزيادة فى أحد[2] الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر .

و لما بان بذلك[3] فضلهم ، [4]فأذعنت النفس[4] لما فضلوا به فى[5] الإرث
٥ و غيره ، وكان قد تقدم ذكر نكاحهم للنساء و الحث على العدل فيهن ؛ حسن بيان ما يلزم الزوجات من حقوقهم و تأديب من جحدت الحق ، فقال مسببا لما يلزمهن من حقوقهم عما ذكر من فضلهم: ﴿فالصّٰلحٰت قٰنتٰت﴾ أى مخلصات فى طاعة الأزواج ، و لذلك ترتب عليه ﴿حٰفظٰت للغيب﴾ أى لحقوق الأزواج من الأنفس و البيوت و الأموال فى غيبتهم
١٠ عنهن ﴿بما﴾ أى بالأمر الذى ﴿حفظ الله﴾ أى المحيط علما و قدرة به غيبتهم بفعله فيه فعلَ من يحفظ من الترغيب فى طاعتهم فيما[6] يرضى الله ، و الترهيب[7] من عصيانهم بما يسخطه ، و رعى الحدود التى أشار إليها سبحانه فى البقرة ، و شرحتها سنة[8] [9]رسول الله[9] صلى الله عليه و سلم .

و لما عرف[10] بالصالحات لاستحقاق الإنفاق فى اللوازم أتبعه حكم
١٥ غيرهن فقال: ﴿و الّٰتى تخافون نشوزهن﴾ أى ترفعهن[11] عليكم عن

(١) جمع كُسوة و كِسوة ، و فى الأصول: الكساوى - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : احدى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٤ - ٤) فى ظ و مد : فادعت الانفس (٥) فى ظ : من (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فما (٧) فى ظ : الترغيب (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٩-٩) فى مد : نبيه (١٠) فى ظ : عرق (١١) فى ظ : ترفعن .

الرتبة

الرتبة التى أقامهن الله بهـا ، و عصيانهن لكم فيما جعل الله لكم من الحق ، و أصل النشوز : الانزعاج فى ارتفـاع ، قال الشافعى : دلالات النشوز قد تـكون[1] قولا ، و قد تـكون[1] فعلا ، فالقول مثل أن كانت تلبيه إذا دعاها ، و تخضع له بالقول إذا خاطبها، ثم تغيرت؛ و الفعل مثل[2] أن كانت تقوم له إذا دخل إليها ، أو[3] كانت تسارع إلى أمره ، و تبادر إلى فراشه ٥ باستبشار إذا التمسها[4] ، ثم إذا[5] تغيرت فحينئذ ظن نشوزها ؛ و مقدمات هذه الأحوال توجب خوف النشوز ﴿ فعظوهن ﴾ أى ذكروهن من أمر الله بما يصدع قلوبهن و [6]يرققها و يخيفهن[6] من جلال الله .

و لما كان الوعظ موجبا لتحقق الطاعة أو[3] المعصية قال: ﴿ و اهجروهن ﴾ أى إن لم يرجعن بالوعظ ﴿ فى المضاجع ﴾ أى التى ١٠ كنتم تبيتون معهن فيها من البيت ، و فى ضمن الهجر امتناعه من كلامها؛ قال الشافعى : و لا يزيد فى هجرة الكلام على ثلاث ﴿ و اضربوهن ج ﴾ أى إن أصررن[7] ضرب تأديب غير مبرح ، و هو ما لا يكسر عظما و لا يشين عضوا ، و يكون مفرقا على بدنها[8] و لا يوالى به فى موضع واحد ، و يتقى الوجه لأنه يجمع[9] المحاسن ، و يكون دون الأربعين ؛ قال الشافعى: ١٥ الضرب مباح و تركه أفضل ﴿ فان اطعنكم ﴾ أى بشىء من الوعظ ،

---

(١) فى ظ : يكون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : لمسها .
(٥) فى مد : انها (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : يرنقها و يحيفهن ، و فى ظ : يرققنها و يخيفن - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصررت (٨) فى ظ : ندبها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجمع - كذا .

و الهجر فى موضع المبيت من البيت، أو الضرب ﴿ فلا تبغوا ﴾ أى
تطلبوا ﴿ عليهن سبيلا ﴾ أى طريقا إلى الأذى على ما سلف من العصيان
من توبيخ على ما سلف و نحوه، بما لكم عليهن من العلو، بل اغفروا[1]
لهن ما سلف، و لا يحملنكم ما منحكم الله من العلو على المناقشة، ثم علل
٥ ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى و قد علمتم ما له من الكمال ﴿ كان ﴾
و لم يزل ﴿ عليا كبيرا ه ﴾ أى له العلو و الكبر على الإطلاق بكمال القدرة
و نفوذ المشيئة، فهو[2] لا يحب الباغى و لا يقره على بغيه، و قدرته
عليكم أعظم من قدرتكم عليهن، و هو مع ذلك يعفو عمن[3] عصاه
- و إن ملأ الأرض خطايا - إذا أطاعه، و لا يؤاخذه بشىء مما فرط فى
١٠ حقه، بل يبدل سيئاته حسنات، فلو أخذكم بذنوبكم أهلككم، فتخلقوا
بما قدرتم عليه من صفاته لتنالوا[4] جليل هباتـــه، و خافوا سطواته،
و احذروا عقوبته، بما له من العلو و الكبر.

/٤٧٧ / و لما بين حال الوفاق و ما خالطه من شىء من الأخلاق التى يقوم
باصلاحها الزوج، أتبعه حال المباينـــة و الشقاق المحوج إلى من ينصف
١٥ أحدهما[5] من الآخر فقال: ﴿ و ان خفتم ﴾ أى أيها المتقون القادرون
على الإصلاح من الولاة و غيرهم ﴿ شقاق بينهما ﴾ أى الزوجين المفهومين
من السياق، يكون كل واحد منهما فى شق[6] غير الشق[6] الذى فيه الآخر،

---

(١) فى ظ: انفروا (٢) فى ظ: فانه (٣) من مد، و فى الأصل: عن، و فى ظ:
من (٤) فى ظ: لتعالوا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: احدهم (٦-٦) سقط
ما بين الرقمين من ظ.

و لا يكون ذلك إلا و أحدهما على باطل ، و أضاف الشقاق إلى البين
ليفيد أن هذا العمل إنما يكون عند الخوف من شقاق خاص ، و هو أن
يكون البَيْنَ [١] المضاف إليهما - و هو الذى يميز كل واحد منهما من الآخر -
لا تمكن فى العادة [١] إزالته ليكونا [٢] شيئا واحدا كما كانا [٣] لا بين لهما ،
و ذلك بظن [٤] أنه لا صلاح فى اجتماعهما ﴿ فابعثوا ﴾ أى إليهما للاصلاح ٥
بينهما بانصاف المظلوم من الظالم ﴿ حكما من اهله ﴾ أى الزوج ﴿ و حكما
من اهلها ج ﴾ أى الزوجة ، هذا أكمل لأن أهلها [٥] أقرب إلى إزالة أسباب
الشقاق من بينهما ، لأنهم أجدر [٦] بالاطلاع على بواطن أمورهما و على
حقائق أحوالهما ، و الزوجان [٧] أقرب إلى اطلاعهما إن كانا قريبين على
ضمائرهما ، و أقرب إلى إخفاء ذلك عن الأجانب ؛ و فائدة الحكمين أن ١٠
يخلو كل منهما بصاحبه و يستكشف حقيقة الحال ليعرف [٨] وجه الصلاح .

ثم أجاب من كأنه قال : و ما ذا عسى أن يضيفا ؟ بقوله : ﴿ ان [٩]
يريدآ ﴾ أى الحكمان ﴿ اصلاحا ﴾ أى بينهما ، و كأنه نكره لأن
الإخلاص و [١٠] وجود الكمال قليل ﴿ يوفق الله ﴾ الذى له الإحاطة بعلم
الغيب و الشهادة ﴿ بينهما ط ﴾ أى الزوجين لأن [١١] صلاح النية أكبر معين ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليكون.
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يظن.
(٥) فى ظ : اهلها (٦) فى ظ : احذر (٧) فى ظ : الزوجات (٨) فى ظ و مد :
لتعرف (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١١) فى
ظ : لا .

على بلوغ المقاصد، و هذا دال على أنه لا يكون شيء إلا بالله، و أن الأسباب إنما هى محنة من الله، يسعد بها[1] من يباشرها و يعتمد على الله دونها، و يشقى[2] بها من يجعلها محط قصده[3]، فيعتمد عليها.

و لما كان المصلح قد يظن مفسدا [لصدعه -[4]] بمر الحق من غير مداراة[5]، و المفسد قد يعد مصلحا لما[6] يرى منه من المداهنة و المراءاة[7] و المكر، فيظن من يخلف الوعد بالتوفيق غير ما فى نفس الأمر؛ قال تعالى مزيلا لهذا الوهم مرغبا و مرهبا: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ كان عليما ﴾ أى مطلقا على ما يمكن الاطلاع عليه و إن غاب عن غيره ﴿ خبيرا ه ﴾ أى لا يخفى عليه من ذلك خفى، و لا يغيب عنه خبء، فصارت هذه الآيات كفيلة بغالب أحوال النكاح، و لم يذكر سبحانه و تعالى الطلاق عند ما[8] ذكر الشقاق لتقدمه فى البقرة، و لأن مبنى هذه السورة على التواصل[9] و التواد دون التفاصل و التراد - كما قال ابن الزبير، و لهذا - أى لبناء السورة على التواصل[9] و الائتلاف دون[10] التفاصل و الاختلاف - خصت من حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح و العدالة[11] إبقاء لذلك التواصل، فلم يكن الطلاق

---

(١) زيد بعده فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى ظ: يسقى (٣) فى ظ: قاصده - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: مدارة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٧) فى الأصول: المراياه - كذا. (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: نا - كذا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من مد. (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ و مد: المعدلة.

ليناسب

ليناسب هذا، فلم يقع له هنا[1] ذكر و لا إيماء إلا قوله "و ان يتفرقا يغن الله كلا من سعته" - انتهى .

و لما كثرت في هذه السورة الوصايا من أولها إلى هنا بنتيجة التقوى: العدل و الفضل[2]، و الترغيب في نواله، و الترهيب من[3] نكاله - إلى أن ختم ذلك بارشاد الزوجين إلى المعاملة بالحسنى، و ختم الآية بما هو في الذروة من حسن الختام من صفتي العلم و الخبر، و كان ذلك في معنى ما ختم[4] به الآية الآمرة بالتقوى من الوصف بالرقيب، اقتضى ذلك تكرير التذكير بالتقوى التي افتتحت السورة بالأمر بها، فكان التقدير حتما: فاتقوه؛ عطف عليه، أو على نحو "و سئلوا الله من فضله"، أو[5] على "اتقوا ربكم" الخُلقَ المقصود[6] من الخَلق المبثوثين على تلك الصفة، و هو العبادة الخالصة التي هي الإحسان في معاملة الخالق، و أتبعها الإحسان في معاملة الخلائق فقال: ﴿ و اعبدوا الله ﴾ أي أطيعوا - الذي له الكمال كله فلا يشبهه / شيء - طاعة محضة من غير شائبة خلاف مع الذل و الانكسار، لأن ملاك ذلك كله التعبد بامتثال[7] الأوامر و اجتناب الزواجر .

/ ٤٧٨

و لما كان سبحانه غنيا لم يقبل إلا الخالص، فقال مؤكدا لما أفهمه

(١) من مد، و في الأصل و ظ : هناك (٢) من مد، و في الأصل و ظ : الفصل (٣) من ظ و مد، و في الأصل : في (٤) من مد، و في الأصل و ظ : تختم (٥) في ظ «و» (٦) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ، و لم تكن في مد فحذفناها (٧) في ظ : بالامتثال .

ما قبله: ﴿ و لا تشركوا به شيئا ﴾ .

و لما أمر للواحد الحقيق بما ينبغي له ، و كان لذلك درجتان : أولاهما[1] الإيمان ، و أعلاهما الإحسان ، فصار المأمور بذلك مخلصاً في عبادته ؛ أمره بالإحسان في خلافته ، و بدأ بأولى الناس بذلك ، و هو من جعله سببا لإيجاده ، فقال - مشيرا إلى أنه لا يرضى له من[2] ذلك إلا ٥ درجة الإحسان ، و إلى أن من أخلص له أغناه عن كل ما سواه ، فلا يزال منعما على من عداه - : ﴿ و بالوالدين ﴾ أي و أحسنوا بهما ﴿ احسانا ﴾ وكفى دلالة على تعظيم أمرهما جعل برهما قرينَ الأمر بتوحيده سبحانه .

و لما كان مبنى السورة على الصلة لا سيما[3] لذي الرحم ، قال مفصلا لما ذكر أول السورة تأكيدا له[4] : ﴿ و بذي القربىٰ ﴾ لتأكد حقهم بمزيد ١٠ قربهم[5] ، و لاقتضاء هذه السورة مزيدَ الحث على التعاطف أعاد الجار ، ثم أتبع ذلك من تجب مراعاته لله ، أو لمعنى تفسد[6] بالإخلال به ذاتُ البين ، و بدأ بما [لله - [7]] لأنه إذا صح تبعه غيره فقال : ﴿ و اليتٰمىٰ و المسٰكين ﴾ أي و إن لم تكن[8] رحمهم معروفة ، و خصهم لضعفهم ، و قدم اليتيم لأنه أضعف ، لأنه[9] لصغره يضعف عن دفع حاجته و رفعها ١٥ إلى غيره ﴿ و الجار ذي القربى ﴾ أي لأن له حقين[10] ﴿ و الجار الجنب ﴾

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : اولاً وهما - كذا (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : منه (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : لا - كذا (٤) سقط من ظ . (٥) في ظ : قرنهم (٦) في ظ : يفسد (٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : لم يكن (٩) سقط من مد (١٠) في ظ : معنى - كذا .

أى الذى لا قرابة له، للبلوى بعشرته[1] خوفا من بالغ مضرته «اللهم! إنى أعوذ بك من جار[2] السوء فى دار المقامة، فان جار البادية يتحول» ﴿و الصاحب بالجنب﴾ أى الملاصق المخالط فى أمر من الأمور الموجبة لامتداد العشرة ﴿و ابن السبيل﴾ أى المسافر لغربته و قلة ناصره و وحشته ﴿و ما ملكت ايمانكم﴾ أى من العبيد و الإماء كذلك، ٥ فان الإحسان إليهم طاعة عظيمة «آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه و سلم الصلاة و ما ملكت أيمانكم».

و لما ذكر الإحسان الذى عماده التواضع و الكرم، ختم الآية ترغيبا فيه و تحذيرا من[3] منعه معللا للأمر [به -[4]] بقوله: ﴿ان الله﴾ أى بما له من الأسماء الحسنى و الصفات العلى[5] ﴿لا يحب﴾ أى لا يفعل ١٠ فعل المحب مع[6] ﴿من كان مختالا﴾ أى متكبرا معجبا بنفسه متزينا[7] بحليته مرائيا بما آتاه الله تعالى من فضله على وجه العظمة و إحتقار الغير، يأنف من أن ينسب إليه أقاربه الفقراء، و يقذر[8] جيرانه إذا كانوا ضعفاء، فلا يحسن إليهم لئلا يلمّوا به فيعيّر بهم.

و لما كان المختال ربما أحسن رياء، قال معلما أنه لا يقبل إلا الخالص: ١٥ ﴿فخوراء﴾ مبالغا[9] فى التمدح بالخصال، يأنف من عشرة الفقراء،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بعثرته (٢) فى ظ: الجار (٣) فى ظ: عمن.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: العليا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: مرمشا - كذا (٨) من مد، و فى الأصل: يقدم، و فى ظ: يعذر - كذا (٩) فى ظ: بالا - كذا.

و فى ذلك أتم[1] ترهيب من الخلق المانع من الإحسان ، و هو الاختيال على عباد الله و الافتخار عليهم ازدراء بهم، فانه لا مقتضى لذلك[2] لأن الكل من نفس واحدة ، و الفضل نعمة منه سبحانه ، يجب شكرها بالتواضع لتدوم ، و يحذر[3] كفرها بالفخار خوفا من أن تزول .

٥ و لما كان الاختيال و الفخر[4] على الفرح بالأعراض الفانية و الركون إليها و الاعتماد عليها ، فكانا حاملين[5] على البخل خوفا من زوالها؛ قال واصفا لهم بجملة من الأخلاق الرديئة الجلية[6]، ذلك منشأها : ﴿ الذين يبخلون ﴾ أى[7] يوقعون البخل بما حملهم من المتاع الفانى على الفخار ، و قصره ليعم[8] كتم العلم و نحوه؛ ثم تـلا ذلك بأسوء منه فقال:

١٠ ﴿ و يامرون النـاس بالبخل ﴾ مقتا للسخاء ، و فى التعبير بما هو من النوس إشارة إلى أنهم لا يعلقون[9] أطماعهم بذلك إلا بذوى الهمم السافلة و الرتب القاصرة ، و يحتمل أن يكون الأمر كناية عن حملهم غيرهم على البخل بما يرى من اختيالهم و افتخارهم عليهم ؛ ثم أتبع ذلك أخبث[10] منه ، و هو الشح بالكلام الذى لا يخشى نقصه و جحد النعمة و إظهار

/٤٧٩ ١٥ الافتقار فقال/ : ﴿ و يكتمون مآ اٰتٰهم الله ﴾ أى[11] الذى له الجلال

(١) فى ظ : ثم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : يجدر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفخرة التى - كذا ، و العبارة من بعده إلى « عليها فكانا » ساقطة من ظ (٥) فى ظ : حالين (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحلية (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : لتعم (٩) فى ظ : لا يعقلون (١٠) فى ظ : احتب - كذا (١١) سقط من ظ و مد .

و الإكرام

و الإكرام ﴿ من فضله [١] ﴾ أى من العلم جاحدين أن يكون لهم شيء يجودون به . قال الأصبهانى : ثم إن هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر ، مثل أن يظهر الشكاية لله [١]سبحانه و تعالى[١] و لا يرضى بالقضاء . ثم عطف على " ان الله لا يحب " ملتفتا إلى مقام التكلم ، دلالة على تناهى الغضب و تعيينا للتوعد ، مصرحا بمظهر العظمة الذى دل عليه هناك ٥ بالاسم الأعظم قوله : ﴿ و اعتدنا ﴾ أى أحضرنا و هيأنا ، و كان الأصل : لهم ، و لكنه قال - تعميما [٢] و تعليقا للحكم بالوصف ، و إعلاما بأن ذلك حامل على الكفر - : ﴿ للكفرين ﴾ أى بفعل هذه الخصال [٣] كفرا حقيقيا بما أوصلهم إليه لزوم الأخلاق الدنية ، أو مجازيا [٤] بكتمان النعمة ﴿ عذابا مهينا ﴾ أى بما اغتروا بالمال الحامل على الفخر و الكبر ١٠ و الاختيال «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر» .

و لما ذم المقترين ، أتبعه ذم المسرفين المبذرين فقال - عطفا على " الكفرين " أو " الذين يبخلون " معرفا [٥] أن الذين لا يحسنون على الوجه المأمور به فيمن تقدم الأمر بالاحسان إليهم [٦] فرقتان : فرقة يمنعون النفقة أصلا ، و فرقة يمنعون وصفها و يفعلونها [٧] رياء ، فيعدمون [٨] بذلك ١٥ روحها - : ﴿ و الذين ينفقون ﴾ و أشار إلى عظيم رغبتهم فى نفقتهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الخصا - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجازا (٥) فى ظ : متعرفا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليه (٧) فى ظ : يفعلون كما - كذا (٨) فى ظ : فيقدمون .

بقوله : ﴿ اموالهم ﴾ و دل على خسة[1] مقاصدهم و سفول[2] هممهم بقوله: ﴿ رئآء الناس ﴾ أى لقصور نظرهم و تقيده بالمحسوسات كالبهائم التى لا تدرك إلا الجزئيات المشاهدات .

و لما ذكر إخراج المال على وجه لا يرضاه ذو عقل ، ذكر الحامل ٥ عليه[3] مشيرا إلى أنهم حقروا أنفسهم بما عظموها به ، و ذلك أنهم تعبدوا للعبيد ، و تكبروا على خالقهم العزيز المجيد فقال : ﴿ و لا يؤمنون بالله ﴾ و هو الملك الأعظم . و لما كان المأمور بالإحسان إليهم هنا من الوالدين و من ذكر معهم أخص ممن[4] أشير إليهم فى البقرة، أكد بزيادة النافى فقال : ﴿ و لا باليوم الأخر ﴾ الحامل على كل خير[5]، و النازع عن ١٠ كل شر[6] .

و لما كان التقدير : فكان[7] الشيطان قرينهم ، لكفره باعجابه و كبره؛ عطف [عليه -[8]] قوله : ﴿ و من يكن الشيطن ﴾ أى[9] و هو عدوه البعيد من كل خير ، المحترق بكل ضير[10] ﴿ له قرينا ﴾ فانه يحمله[11] على كل شر ، و يبعده عن كل خير ؛ و إلى ذلك أشار بقوله[12] : ١٥ ﴿ فسآء قرينا ﴾ .

و لما كان التقدير : فما ذا لهم فى الكفر و الإنفاق رياء لمن لا ضر[13]

---

(١) فى ظ : حسية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : صقول - كذا (٣) تأخر فى الأصل عن « مشيرا » و الترتيب من ظ و مد (٤) فى ظ : من (٥) فى ظ : حير (٦) فى ظ : شي (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : و كان (٨) زيد من ظ و مد (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : ضر (١١) فى مد : تحمله (١٢) فى ظ و مد : قوله (١٣) فى ظ : ضرر .

و لا نقع بيده؟ عطف عليه قوله تعنيفا لهم [١]و إنكارا عليهم[١] : ﴿ و ما ذا عليهم ﴾ أى من حقير الأشياء و جليلها ﴿ لو اٰمنوا بالله ﴾ أى الذى له كل كمال، و بيده كل شيء ﴿ و اليوم الأخر ﴾ الحامل على كل صلاح ﴿ و انفقوا ﴾ .

و لما وصفهم بانفاق جميع أموالهم للعدو الحقير أشار إلى شحهم[٢] ٥ فيما هو لله[٣] العلى الكبير بشيء يسير يحصل[٤] لهم به خير كثير، فقال: ﴿ مما رزقهم الله ﴾ الذى له الغنى المطلق و الجود الباهر . و لما كان التقدير : فقد كان الله عليهم لما بذروا أموالهم قديرا[٥] ، عطف عليه قوله : ﴿ و كان الله ﴾ أى[٦] المحيط [٧]بصفات الكمال[٧] ﴿ بهم ﴾ أى فى كلتا الحالتين ﴿ عليما ه ﴾ أى بليغ العلم، و للاعلام[٨] بعظمة العلم بهم[٩] قدم ١٠ الجار المفيد للاختصاص فى غير هذا الموضع .

و لما فرغ من توبيخهم قال معللا : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له كل كمال، فهو[١٠] الغنى المطلق ﴿ لا يظلم ﴾ أى لا يتصور أن يقع منه ظلم ما[٣] ﴿ مثقال ذرة ج ﴾ أى فما دونها، و إنما ذكرها لأنها كناية عن العدم، لأنها مثل فى الصغر، أى فلا ينقص أحدا شيئا مما عمله، ١٥ و لا يثيب[١١] عليه شيئا لم يعمله، فما ذا على من آمن به و هو

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : شحيم - كذا (٣) سقط من ظ. (٤) فى مد : تحصل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قدرا (٦) سقط من مد. (٧-٧) فى ظ و مد: بالكمال (٨) فى ظ : الاعلام (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) من مد، وفى الأصل : فهى ، و فى ظ : و هو (١١) فى ظ : لا يثبت .

بهذه الصفة العظمى.

و لما ذكر التخلى من الظلم، أتبعه التحلى بالفضل فقال عاطفا على ما تقديره: فان تلك الذرة سيئة لم يزد عليها، و لا يجزى بها[1] إلا مثلها: ﴿و ان﴾ و لما كان تشوف السامع / إلى ذلك عظيما، حذف منه النون /٤٨٠
٥ بعد حذف المعطوف عليه تقريبا لمرامه[2] فقال: ﴿تك﴾ أى مثقال الذرة، و أنثه لإضافته إلى مؤنث، و تحقيرا له، ليفهم تضعيف ما فوقه من باب الأولى[3]، و هذا يطرد فى قراءة الحرميين برفع[4] ﴿حسنة﴾ [أى - [5]] و إن صغرت ﴿يضعفها﴾ أى من جنسها بعشرة أمثالها إلى سبعين إلى سبعمائة [ضعف - [6]] إلى أزيد من ذلك بحسب ما يعلم من حسن
١٠ العمل بحسن النية ﴿و يؤت من لدنه﴾ أى من غريب ما عنده فضلا من غير عمل لمن يريد. قال الإمام: و بالجملة فذلك التضعيف إشارة إلى السعادات الجسمانية، و هذا الأجر إلى السعادات الروحانية ﴿اجرا عظيما﴾ و سماه أجرا - و هو من غير جنس تلك الحسنة - لابتنائه[7] على الإيمان، أى فمن كان هذا شأنه لا يسوغ لعاقل توجيه[8] الهمة
١٥ إلا إليه[9]، و لا الاعتماد أصلا بانفاق و غيره إلا عليه.

و لما تم تحذيره من اليوم الآخر و ما ذكره من إظهار العدل

(١) فى ظ: لها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لمرامها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اولى (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: لاسانه - كذا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: توجب. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لمية - كذا.

و استقصائه

و استقصائه فيه كان سببا للسؤال عن حال المبكتين فى هذه الآيات [1]إذ ذاك[1]، فقال[2]: ﴿ فكيف ﴾ أى يكون حالهم و قد حملوا أمثال الجبال من مساوى الأعمال ! ﴿ اذا جئنا ﴾ على عظمتنا ﴿ من كل امة بشهيد ﴾ أى يشهد[3] عليهم ﴿ و جئنا بك ﴾ و أنت أشرف خلقنا ﴿ على هٰؤلآء ﴾ أى الذين أرسلناك إليهم و جعلناك شهيدا عليهم ٥ ﴿ شهيدا ﴾ و فى التفسير من البخارى عن عبد الله[4] رضى الله تعالى عنه قال: قال [لى -[5]] رسول الله صلى الله عليه و سلم « اقرأ علىّ » قلت : أقرأ عليك و عليك أنزل ؟ قال « إنى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت " فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا " قال « أمسك » فاذا عيناه ١٠ تذرفان . ثم استأنف الجواب عن ذلك بقوله : ﴿ يومئذ ﴾ أى تقوم[6] الأشهاد ﴿ يود الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما تهدى إليه العقول من آياته ، و بين أنهم مخاطبون بالفروع فى قوله : ﴿ و عصوا الرسول ﴾ بعد ستر ما أظهر من بيناته ﴿ لو تسوى بهم الارض ﴾ أى تكون مستوية معتدلة بهم ، و لا تكون كذلك إلا و قد غيبتهم[7] و استوت بهم ، ١٥

(١ - ١) فى ظ : ارذال - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : شهيد (٤) زيد بعده فى الأصل : بن عمر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و صحيح البخارى فحذفناها ، لأنه : ابن مسعود ، كما صرح به المحشى بين سطرى الصحيح معزيا إلى « قس » أى شرح البخارى للخطيب القسطلانى رحمه الله (٥) زيد من الصحيح (٦) فى ظ : يقوم (٧) فى ظ : عينهم .

و لم يبق[1] فيها شيء من عوج و لا نتو[2] بسبب[3] أحد منهم و لا شيء من أجسامهم؛ و إنما ودوا ذلك خوفا مما يستقبلهم من الفضيحة بعتابهم [4]ثم الإهانة بعقابهم[4].

و لما كان التقدير: فلا تسوى[5] بهم، عطف عليه قوله:
٥ ﴿و لا يكتمون الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿حديثا ه﴾ أى شيئا أحدثوه بل يفتضحون بسيء أخبارهم، و يحملون جميع أوزارهم، جزاء لما[6] كانوا يكتمون من آياته و ما نصب للناس من بيناته[7].

و لما وصف الوقوف بين يديه فى يوم العرض و الأهوال الذى أدت فيه سطوة الكبرياء و الجلال إلى تمنى[8] العدم، و منعت قوة يد
١٠ القهر و الجبر[9] أن يكتم حديثا، و تضمن وصفه أنه لا ينجو فيه إلا من كان طاهر القلب و الجوارح بالإيمان به و الطاعة لرسوله صلى الله عليه و سلم؛ وصف الوقوف بين يديه فى الدنيا فى مقام الأنس و حضرة القدس المنجى من هول الوقوف فى ذلك اليوم، و الذى خطرت معانى اللطف و الجمال فيه الالتفاتُ إلى غيره، و أمر بالطهارة
١٥ فى حال التزين به عن الخبائث فقال: ﴿يآيها الذين ءامنوا﴾ أى أقروا بالتصديق بالرسل و ما أتوا به عن الله، و أوله [4]و أولاه[4]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يبق (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: سو - كذا (٣) فى الأصل: تسبب، و فى ظ ومد: سبب - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: فلا يسوى (٦) فى ظ: بما (٧) فى ظ: تبيانه (٨) فى ظ: تمين - كذا (٩) من ظ، و فى الأصل: الخير، و فى مد: الخير.

أن لا تشركوا به شيئا من الإشراك ﴿لا تقربوا الصلوٰة﴾ أى بأن لا تكونوا في موضعها فضلا عن أن تفعلوها ﴿وانتم﴾ أى و الحال أنكم ﴿سكٰرٰى﴾ أى غائبو العقل [١] من الخمر أو نحوها، فانه يوشك أن يسبق اللسان - بتمكن الشيطان بزوال العقل [١] - إلى شيء من الإشراك، ٥ فيكون شركا لسانيا و إن كان القلب / مطمئنا بالإيمان، فيوشك أن ٤٨١ / يعرض ذلك[٢] عليه يوم الوقوف الأكبر، فان من أنتم[٣] بين يديه لا يكتم حديثا، فيود[٤] من نطق لسانه بذلك - لما يحصل له من الألم - لو كان من أهل العدم! و أصل السكر في اللغة: سد الطريق؛ و سبب نزولها ما رواه مسدد باسناد - قال شيخنا البوصيرى: رجاله ثقات - عن ١٠ على رضى الله تعالى عنه أن رجلا من الأنصار دعاه و عبد الرحمٰن بن عوف رضى الله تعالى عنه فسقاهما قبل أن تحرم[٥] الخمر، فأمهم على رضى الله تعالى عنه فى المغرب و قرأ "قل يٰأيها الكٰفرون[٦]" فنزلت، هكذا رواه، و قد رواه أصحاب السنن الثلاثة و أحمد و عبد بن حميد و البزار و الحاكم و الطبرى، فبينوا المراد، و هو أن الذى صلى بهم ١٥ قرأ: أعبد ما تعبدون، [و فى رواية الترمذى: و نحن نعبد ما تعبدون -[٧]].

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: ابيتم، و فى ظ: اسم - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فيودى. (٥) فى ظ: تخمر (٦) سورة ١٠٩ آية ١ (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

و لما أفهم النهى عن قربانها فى هذا الحال زواله بانقضائه ، صرح به فى قوله : ﴿ حتى ﴾ أى و لا يزال هـــذا النهى قائما حتى ﴿ تعلموا ﴾ بزوال السكر ﴿ ما تقولون ﴾ فلا يقع منكم حينئذ تبديل ؛ و عند الشافعى رضى الله تعالى عنـه أن المراد بالصلاة نفسها و موضعها و هو المسجد ، ٥ و ذلك من أدلته على استعمال الشيء فى حقيقته و مجازه ؛ نهى السكران أن يصلى إلى أن [1] يفهم ، أى [1] يصحو ، و نهى [2] كل واحد [3] أن يكون فى المسجد و هو جنب بقوله عطفا على محل "و انتم سكٰرٰى" : ﴿ و لا ﴾ أى و لا تقربوا الصلاة بالكون فى محالها [4] فضلا عنها ﴿ جنبا ﴾ أى ممنين بالفعل أو القوة القريبة منه بالتقاء الختانين ، لأن الجنابة المنى [5] ١٠ سواء كان عن جماع أو لا فى حال من أحوال الجنابة ﴿ الا عابرى سبيل ﴾ أى مارين مرورا من غير مكث و لا صلاة ؛ و لما غيا منع الجنابة بقوله : ﴿ حتى تغتسلوا [4] ﴾ أى تغسلوا البدن عمدا ، و [لما - [6]] كان للإنسان حالات يتعسر أو يتعذر فيها [7] عليه [8] استعمال الماء ؛ ذكرها فقال مرتبا لها على الأحوج إلى الرخصة فالأحوج : ﴿ و ان كنـتم مرضىٰ ﴾ أى ١٥ بجراحة أو غيرها مرضا يمنع من طلب الماء أو استعماله ﴿ او على سفر ﴾ كذلك [9] سواء كان السفر طويلا أو قصيرا ﴿ او جآء احد منكم ﴾ أى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : احد .
(٤) فى ظ : مكانها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٦) زيد من ظ .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيهما (٨) فى ظ و مد : غلبة (٩) فى ظ و مد : لذلك .

أيها

أيها المؤمنون! و لو كان حاضرا صحيحا ﴿ من الغآئط ﴾ أى المكان المطمئن من الأرض الواسع الذى يقصد للتخلى[١]، [أى: أو جاء من التخلى -[٢]] فقضى حاجته التى لا بد له منها، فهو بها أحوج إلى التخفيف عما بعده.

و لما تقدم أمر الجنابة التى هى المنى أعم من أن تكون[٣] بجماع ٥ أو غيره، ذكر هنا ما يعمها و غيرها من وجه فقال: ﴿ او لمستم النسآء ﴾ أى[٤] بمجرد التقاء البشرتين أو بالجماع سواء حصل إنزال أو لا، و أخر [٥]هذا لأنه[٥] مما منه بد، و[٦] لا يتكرر [تكرر -[٢]] قضاء[٧] الحاجة ﴿ فلم تجدوا مآء ﴾ أى إما بفقده أو بالعجز عن استعماله ﴿ فتيمموا ﴾ أى اقصدوا قصدا صادقا بأن تلابسوا ناوين[٨] ﴿ صعيدا ﴾ أى ترابا ١٠ ﴿ طيبا ﴾ أى طهورا خالصا فهو بحيث ينبت " و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه[٩] " ﴿ فامسحوا ﴾ و هذه عبادة خاصة بنا.

و لما كان التراب لا يتمكن من جميع العضو و إن اجتهد الإنسان فى ذلك أدخل الباء قاصرا للفعل فى قوله: ﴿ بوجوهكم ﴾ أى أوقعوا المسح بها سواء عم[١٠] التراب منبت الشعر أم لا ﴿ و ايديكم ﴾ أى منه، ١٥

(١) فى ظ: المتخلى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ: يكون. (٤) زيد بعده فى ظ: اعم (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: هذه الأمة - كذا (٦) سقطت الواو من ظ (٧) فى ظ: القضا (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: ماوين (٩) سورة ٧ آية ٥٨ (١٠) من ظ، و فى الأصل و مد: هم.

كما صرح به فى المائدة، لا فيه و لا عليه مثلا ، ليفهم التمعك ، أو أن الحجر[1] مثلا يكفى ، و الملامسة جوز الشافعى رضى الله تعالى عنه أيضا أن يراد بها المس - أى ملاقاة البشرتين - الذى هو حقيقة اللمس و الجماع الذى هو مسبب[2] عن المس ، أو[3] هو مماسة خاصة ، فهو من تسمية الكل ٥ باسم البعض حينئذ .

و لما نهى عما يدنى من[4] وقوع صورة الذنب الذى هو جرى اللسان بما لا يليق به سبحانه و تعالى ، و خفف ما كان شديدا بالتيمم ؛ ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى[4] الذى اختص بالكمال ﴿ كان عفوا ﴾ أى بترك العقاب / [5]على الذنب ، وكأن هذا راجع إلى ما وقع حالة السكر ٤٨٢ / ١٠ ﴿ غفورا ه ﴾ أى بترك العقاب[5] و بمحو الذنب حتى لا يذكر بعد ذلك أصلا ، وكأن هذا راجع إلى التيمم ، فان الصلاة معه حسنة ، و لو لاه كانت سيئة مذكورة ومعاقبا عليها ، إما على تركها لمشقة[6] استعمال الماء عند التساهل ، أو على فعلها بغير طهارة فى بعض وجوه[7] التنطع ، و ذلك معنى قوله سبحانه و تعالى فى المائدة " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج[8] " ١٥ و من كانت عادته العفو و المغفرة كان ميسرا غير معسر .

و لما أفهم ختام هذه الآية أن التشديد فى الأحكام تكون سببا للأجرام ، فيكون سببا فى الانتقام ؛ قرر ذلك بحال اليهود الذين أوجبت

---

(١) فى ظ : الحر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبب (٣) فى ظ « و » .
(٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : المشقة .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجوده (٨) آية ٦ .

لهم الآصار عذاب النار[1] فقال - ليكون ذلك مرغبا فى تقبل ما مر من التكاليف ليسره[2] و لرجاء الثواب، و مرهبا من تركها خوفا من العقاب، و ليصير الكلام حلوا رائقا بهجا بتفصيل نظمه تارة بأحكام، و تارة بأقاصيص عظام، فينشط الخاطر و تقوى القريحة -: ﴿ الم تر ﴾ أو يقال: إنه لما حذر[3] سبحانه و تعالى فيما مضى من أهل الكتاب بقوله سبحانه و تعالى ٥ "و يريد الذين يتبعون الشهوٰت ان تميلوا ميلا عظيما" و مر إلى أن أنزل[4] هذه فيمن[5] حرف فى الصلاة لسانُه فقط لا عن عمد[6] الكلَم[7] عن مواضعه؛ أتبعها التصريح بالتعجيب[8] من حال المحرفين بالقلب و اللسان عمدا و عدوانا اجتراء على الله سبحانه و تعالى، الملوح إليهم بالآية السابقة أنهم [9]يريدون لنا[9] الضلال عما هدينا إليه من سننهم، فقال: "الم تر". ١٠

و لما كانوا بمحل البعد[10] - بما لهم من اللعن - عن حضرته الشريفة، عبر بأداة الانتهاء، بصرية كانت الرؤية[11] أو[1] قلبية، فقال: ﴿ الى الذين اوتوا ﴾ و حقر أمرهم بالبناء للفعول و[1] بقوله: ﴿ نصيبا من الكتٰب ﴾ أى[1] كشاس[12] بن قيس الذى أراد الخلف بين الأنصار، و فى ذلك أن أقل شيء من الكتاب يكفى فى ذم الضلال، لأنه كاف فى الهداية ١٥

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لبسره - كذا (٣) فى ظ: قدر (٤) فى ظ: نزل (٥) فى ظ: من (٦) فى ظ: عهد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الكلام (٨) فى ظ: بالتعجب (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يريه و المقاذ - كذا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: التعمد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الرويا (١٢) فى ظ: كساس.

﴿ يشترون ﴾ أى يتكلفون و يلحون[١] - بما هم فيه من رئاسة الدنيا من المال و الجاه - أن يأخذوا ﴿ الضلٰلة ﴾ معرضين عن الهدى [٢]غير ذاكريه[٢] بوجه ، و سبب كثير من ذلك ما فى دينهم من الآصار و الأثقال ، كما أشار إليه [قوله -[٣]] سبحانه و تعالى " فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوٰة[٤] " أى[٥] بسبب ما شدد عليهم فيها بأنها لا تفعل إلا فى الموضع المبنى لها ، و بغير ذلك من أنواع الشدة ، و كذا غيرها[٦] المشار إليه بقوله سبحانه و تعالى " فبما نقضهم ميثاقهم[٧] " و غير ذلك ، و من أعظمه ما يخفون من صفة النبى صلى الله عليه و سلم ، ليتقربوا بذلك إلى أهل دينهم ، و يأخذوا منهم الرشى على ذلك ، و يجعلوهم عليهم رؤساء .

و لما ذكر ضلالهم المتضمن لإضلالهم ، أتبعه ما يدل على إعراقهم فيه ، فقال مخاطبا لمن يمكن توجيه هممهم باضلال إليه : ﴿ و يريدون [٨]ان تضلوا[٨] ﴾ أى يايها الذين آمنوا ﴿ السبيل ﴾ حتى تساووهم ، فلذلك يذكرونكم بالأحقاد و الأضغان و الأنكاد - كما فعل شاس - لا محبة فيكم ، و يلقون[٩] إليكم الشبهة[١٠] ، فالله سبحانه و تعالى [أعلم -[٣]] بهم حيث

(١) فى ظ : يلحقون (٢-٢) فى ظ : عن ذاكرته - كذا (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) سورة ١٩ آية ٥٩ (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و زيد « هذا » فى ظ ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) سورة ٤ آية ١٥٥ .
(٨-٨) تأخر فى ظ عن « الذين آمنوا » (٩) فى ظ : يلقوا (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : السنة - كذا .

حذركم

حذركم[1] منه بقوله "لا يالونكم خبالا[2]" و ما بعده[3] إلى هنا ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علمه و قدرته ﴿ اعلم ﴾ أى من كل أحد ﴿ باعدآئكم[4] ﴾ أى كلهم هؤلاء و غيرهم، بما يعلم من البواطن، فمن حذركم منه كائنا من كان فاحذروه.

و لما كان [4]كل من[4] قبيلتى الأنصار قد [5]والوا ناسا[5] من اليهود ٥ ليعتزوا بهم و ليستنصروهم، قال تعالى قاطما[6] لهم عن موالاتهم: ﴿ و كفى ﴾ أى و الحال أنه كفى به - هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر الاسم [الأعظم - [7]] لتستحضر[8] عظمته، فيستهان أمر الأعداء فقال: ﴿ بالله وليا ﴾ أى قريبا بعمل جميع[9] ما يفعله القريب الشفيق.

و لما كان الولى قد/ تكون[10] فيه قوة النصرة[11]، و النصير قد ١٠ / ٤٨٣ لا يكون له شفقة الولى، و كانت النصرة أعظم ما يحتاج إلى[12] الولى فيه؛ أفردها بالذكر إعلاما باجتماع الوصفين مكررا الفعل و الاسم الأعظم اهتماما بأمرها فقال: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى[12] الذى له العظمة كلها ﴿ نصيرا ه ﴾ أى لمن والاه فلا يضره عداوة أحد، فثقوا بولايته و نصرته دونهم، و لا تبالوا[13] بأحد منهم و لا من غيرهم، فهو يكفيكم الجميع. ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: حذرهم (٢) سورة ٣ آية ١١٨ (٣) فى ظ: بعد (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من كل (٥-٥) فى ظ: اولو مناسبا - كذا (٦) فى ظ: ناظما (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ: ليستحضر (٩) فى ظ: بجميع (١٠) فى ظ: يكون (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: النصر. (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لا ينالوا.

و لما وفرت هذه الآيات الدواعى على تعيين[1] هؤلاء الذين يريدون الإضلال، قال بعد الاعتراض بما بين المبين و المبيَّن من الجمل لمزيد الاهتمام به: ﴿من الذين هادوا﴾ ثم بين ما يضلون به و يضلون بقوله - و يجوز أن يكون استئنافا بمعنى: بعضهم، أو منهم من[2] -: ﴿يحرفون الكلم﴾ [3]أى الذى[3] أتى به شرعهم من صفة النبى الأمى[2] صلى الله عليه و سلم و صفة دينه و أمته و غير ذلك مما يريدون[4] تحريفه لغرض، فيتألفون فى[5] إمالته و تغييره عن حده و طرفه إلى حد[6] آخر مجاوزين به ﴿عن﴾ و لما كانت الكلمة [7]إذا غيرت[7] تبعها الكلام و هو المقصود بالذات، نبه على ذلك بتذكير الضمير فقال: ﴿مواضعه﴾ أى التى هى به[8] أليق، فيتم ضلالهم و إضلالهم، و هو يشمل ما إذا كان المعنى المغير إليه بعيدا عن المغير أو[9] قريبا، فالذى فى المائدة أخص.

و لما كان سبحانه و تعالى عالما بجميع تحريفهم، أشار إليه بالعطف على ما تقديره: فيقولون كذا [7]و يقولون كذا[7]: ﴿و يقولون سمعنا﴾ أى ما تقول[10] ﴿و عصينا﴾ موهمين أنهم يريدون أن ذلك حكاية ما وقع لأسلافهم قديما، و إنما يريدون أنهم هم سمعوا [11]ما تقول[11] و خالفوه عمدا ليظن من سمع ذلك أنهم على بصيرة فى المخالفة بسبب ما عندهم

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: تغيير (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فالذى (٤) فى مد: يرون (٥) فى ظ: من (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: احد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: بها (٩) فى ظ: ام (١٠) من مد، و فى الأصل: يقولون، و فى ظ: يقول (١١-١١) فى ظ: لما يقول.

من العلم الرباني ليورثهم ذلك شكا في أمره و حيرة في شأنه ﴿ و اسمع ﴾ حال كونك ﴿ غير مسمع ﴾ موهمين عدم إسماعه ما يكره[1] من قولهم: فلان أسمع فلانا[2] الكلام، و إنما يريدون الدعاء، كما يقال: اسمع لا سمعت! ﴿ و راعنا ﴾ موهمين إرادة المراعاة لهم و الإقبال عليهم، و إنما يريدون الشتم بالرعونة؛ و قال الأصفهاني: و يحتمل شبه كلمة ٥ عبرانية كانوا يتسابون[3] بها و هي: راعينا، فكانوا - سخرية بالدين و هزءا برسول الله صلى الله عليه و سلم - يكلمونه بكلام محتمل، ينوون به الشتيمة[4] و الإهانة و يظهرون التوقير و الإكرام، و لذلك قال: ﴿ ليا بألسنتهم ﴾ أي صرفا لها عن مخارج الحروف التي تحق[5] لها في العربية إلى ما يفعله[6] العبرانيون من تغليظ بعض الحروف و شوب[7] ١٠ بعضها بغيره، لإرادة معان عندهم قبيحة[8] مع احتمالها لإرادة معان غير تلك يقصدها العرب مليحة ﴿ و طعنا في الدين ﴾ أي بما يفسرونها به لمن يطمعون[9] فيه من تلك المعاني الخبيثة.

و لما ذكر هذه الكلمات الموجهة[10]، بين ما كان عليهم لو وقفوا[11]

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: يكون (٢) من ظ، و في الأصل ومد: فلان.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: يتسامون (٤) في ظ: الشتمة (٥) في الأصل: تحى، و في ظ: يحق، و في مد: بحق (٦) من مد، و في الأصل: يفعلها، و في ظ: يفعل (٧) في ظ: صوب (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: يطعمون - كذا بتقديم العين على الميم (١٠) من مد، و في الأصل و ظ: الموجهة (١١) من ظ، و في الأصل: وتقوا، و في مد: وبعوا - كذا.

فقال قاطعا جدالهم[1]: ﴿ و لو انهم قالوا ﴾ أي[2] في الجواب له صلى الله عليه و سلم ﴿ سمعنا و اطعنا ﴾ أي بـــدل الكلمة الأولى ﴿ و اسمع و انظرنا ﴾ بدل ما بعدها ﴿ لكان ﴾ أي هذا القول ﴿ خيرا لهم ﴾ أي من ذلك، لعدم[3] استيجابهم الإثم ﴿ و اقوم لا ﴾ أي لعدم الاحتمال[4]
٥ الذم[5] ﴿ و لـكن لعنهم الله ﴾ أي طردهم الذي له جميع صفات العظمة و الكمال، و أبعدهم عن الخير ﴿ بـكفرهم ﴾ أي بدناءتهم بما يغطون من أنوار الحق و دلائل الخير، فلم يقولوا ذلك.

و لمـا سبب عن طردهم استمرار كفرهم قال: ﴿ فلا يؤمنون ﴾ أي يتجدد لهم إيمان ﴿ الا قليلا ه ﴾ أي منهم؛ استثناء من الواو، فانهم
١٠ يؤمنون، أو[6] هو استثناء مفرغ من مصدر "يؤمن" أي[7] من إيمـانهم ببعض الآيات [8]الذي / لا ينفعها[8] لـكفرهم بغيره. / ٤٨٤

و لمـا بكتهـم على [9]فعلهم و قولهم[9] و صرح بلعنهم، خوّفهم إظهار ذلك في الصور المحسوسة فقال مقبلا عليـهم إقبـال الغضب: ﴿ يـٰأيها الذين ﴾ مناديا لهم من محل البعد ﴿ اوتوا الـكتٰب ﴾ و لم يسند
١٥ الإيتاء إليه تحقيرا لهم، و لم يكتف بنصيب[10] منه لأنه لا يكفي[11] في العلم

(١) في ظ : لجدالهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و في الأصل : العدم.
(٤) في ظ : احتمال (٥) من ظ و مد، و في الأصل : الخدم (٦) في ظ «و».
(٧) من ظ و مد، و في الأصل : ان (٨-٨) في ظ : التي لا تنفعهم (٩-٩) من ظ و مد، و في الأصل : قولهم و فعلهم (١٠) من ظ و مد، و في الأصل : نصيب (١١) في ظ : لا يلتقى.

بالمصادقة إلا الجميع ﴿ اٰمنوا بما نزلنا ﴾ أى تدريجا كما[1] نزلنا التوراة كذلك ، على ما لنا من العظمة التى ظهرت فى إعجازه و إخباره بالمغيبات و دقائق العلوم مما عندكم و غيره على رشاقته و إيجازه ؛ و أعلم بعنادهم و حسدهم بقوله : ﴿ مصدقا لما معكم ﴾ من حيث أنهم له مستحضرون ، و به [فى - [2]] حد ذاته مُقِرّون . ٥

و لما أمرهم و قطع حجتهم ، حذرهم فقال - مخففا عنهم بالإشارة بحرف الجر إلى أنه متى وقع منهم إيمان فى زمن مما قبل الطمس أخره عنهم - : ﴿ من قبل ان نطمس ﴾ أى نمحو ﴿ وجوها ﴾ فان الطمس فى اللغة : المحو ؛ و هو يصدق بتغيير بعض الكيفيات ، ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فنردها ﴾ فالتقدير : من قبل أن نمحو أثر وجوه[3] بأن نردها ١٠ ﴿ علىٰ ادبارهآ ﴾ أى بأن نجعل ما إلى جهة القبل [4]من الرأس إلى جهة الدبر ، و ما إلى الدبر إلى جهة القبل[4] مع إبقاء صورة الوجه على ما هى عليه ، أو[5] يكون المراد بالرد على الدبر النقل[6] من حال إلى ما دونها من ضدها بجعلها على حال القفا ، ليس فيها معلم من فم و لا غيره ، ليكون المعنى بالطمس مسح ما فى الوجه من المعانى ؛ قال ابن هشام : نطمس : ١٥ نمسحها[7] فنسويها ، فلا يرى فيها عين و لا أنف و لا فم و لا شيء مما يرى فى الوجه ، و كذلك " فطمسنا اعينهم[8] " ، المطموس العين : الذى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجوده (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ « و » .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : القبل (٧) سقط من ظ (٨) سورة ٥٤ آية ٣٧ .

ليس بين جفنيه شق[1]، و يقال: طمست الكتاب و الأثر[2] فلا يرى منه شيء. و يكون الوجه فى هذا التقدير على حقيقته؛ ثم خوفهم نوعا آخر من الطمس فقال عاطفا على "نردها": ﴿ او نلعنهم ﴾ أى نبعدهم جدا عن صورة البشر بأن نقلب وجوههم أو جميع ذواتهم على
٥ صورة القردة[3] ﴿ كما لعنآ اصحٰب السبت[4] ﴾ إذ قلنا لهم "كونوا قردة خسئين[4]" و يكون الوجه فى هذا التقدير الأخير عبارة عن الجملة، فهو إذن مما استعمل فى حقيقته و مجازه، و يجوز أن يكون واحد الوجهاء[5]، فيكون عود الضمير إليه استخداما، و يكون المراد بالرد على الأدبار[6] جعلهم أدنياء صغرة[7] من الأسافل - و الله سبحانه و تعالى أعلم.
١٠ و لما كان ذلك أمرا غريبا و مقدورا عجيبا، و كان التقدير: فقد كان أمر الله فيهم بذلك - كما علمتم - نافذا؛ أتبعه الإعلام بأن قدرته شاملة، و أن وجوه مقدوراته لا تنحصر، فقال عاطفا على ما قدرته: ﴿ و كان امر الله ﴾ أى حكمه[8] و قضاؤه و مراده فى كل شيء شاء منهم و من غيره بذلك و بغيره، لأن له العظمة التى لا حد لها و الكبرياء
١٥ التى تعيي الأوصاف[9] دونها ﴿ مفعولا ﴾ أى كائنا حتما، لا تخلف[10]

---

(١) من ظ و سيرة ابن هشام ١/٢٠٣، و فى الأصل و مد: شيء - كذا.
(٢) فى ظ: الاثرى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القرد (٤) سورة ٢ آية ٦٥.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اوجها - كذا (٦) زيدت الواو بعده فى ظ.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: صغيرة (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: حكمة (٩) زيد بعده فى ظ: فى (١٠) فى ظ: لا يخلف.

له أصلا، فلا بد من وقوع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا، و قد آمن بعضهم فلم يصح أنهم لم يؤمنوا، لأنه قد وقع منهم إيمان.

و لما كانوا[1] مع ارتكابهم العظائم[2] يقولون: سيغفر لنا، و كان امتثالهم لتحريف أحبارهم و رهبانهم شركا بالله - كما قال سبحانه و تعالى "اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله[3]"، قال - معللا لتحقيق ٥ وعيدهم، معلما أن ما أشير إليه من تحريفهم أداهم إلى الشرك -: ﴿ان الله﴾ أى الجامع لصفات العظمة ﴿لا يغفر ان يشرك به﴾ أى على سبيل التجديد المستمر إلى الموت سواء كان المشرك من أهل الكتاب أم لا، و زاد ذلك حسنا أنه فى سياق "و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا[4]". ١٠

و لما أخبر بعدله أخبر بفضله فقال: ﴿و يغفر ما دون ذلك﴾ الأمر الكبير العظيم من كل معصيته سواء كانت[5] / صغيرة أو كبيرة، ٤٨٥ / سواء تاب[6] فاعلها أو لا، و رهب بقوله - إعلاما بأنه مختار، لا يجب عليه شيء -: ﴿لمن يشآء ج﴾.

و لما كان التقدير: فان من أشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا، ١٥ عطف عليه قوله: ﴿و من يشرك﴾ أى يوجد منه شرك فى الحال[7] أو[8] المآل، و أما الماضى فجبته التوبة ﴿بالله﴾ أى الذى كل شيء

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: كان (٢) فى ظ: العظيم (٣) سورة ٩ آية ٣١. (٤) سورة ٤ آية ٣٦ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٦) فى ظ: يات - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الحالة (٨) فى ظ «و».

دونه ﴿ فقد افترىٰ ﴾ أى تعمد كذبا ﴿ اثما عظيماه ﴾ أى ظاهرا فى نفسه من جهة عظمه[1] أنه قد ملأ أقطار نفسه و قلبه و روحه و بدنه مظهرا للغير أنه إثم، فهو فى نفسه منادٍ بأنه باطل مصر، فلم يدع للصلح موضعا، فلم تقتض[2] الحكمة العفو عنه، لأنه قادح فى الملك، و إنما ٥ طوى مقدمة[3] الضلال و ذكر مقدمة[3] الافتراء - لكون السياق لأهل الكتاب الذين ضلالهم على علم منهم و تعمد و عناد، بخلاف ما يأتى عن العرب، و فى التعبير بالمضارع استكفاف مع استعطاف و استجلاب فى استرهاب .

و لما كان فى ذلك إشارة إلى أن المرادين[4] بهذه الآيات من ١٠ أهل الكتاب أضل الناس، و كانوا يقولون: إنهم أهدى الناس؛ عجب منهم منكرا عليهم بعد افترائهم تزكية أنفسهم فقال: ﴿ الم تر ﴾ و أبعدهم بقوله: ﴿ الى الذين يزكون انفسهم[5] ﴾ أى بما ليس لهم من قولهم "لن تمسنا النار الا اياما معدودة[6]" و قولهم "لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصرىٰ[7]" و قوله[8] "[و - [9]] يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا"، ١٥ "و يريد الذين يتبعون الشهوٰت ان تميلوا ميلا عظيما[10]" فان إبعاد[11] غيرهم

(١) من مد، و فى الأصل: عظمة، و فى ظ: عظيمة (٢) فى ظ: فلم يقتض.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: المراد (٥) فى ظ: لما.
(٦) سورة ٢ آية ٨٠ (٧) سورة ٢ آية ١١١ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: قولهم (٩) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن المجيد - سورة ٣ آية ١٨٨.
(١٠) سورة ٤ آية ٢٧ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: العباد.

فى

فى الميل مصحح لتزكيتهم أنفسهم بالباطل و نحو ذلك مما تقدم و غيره.

و لما كان معنى الإنكار : ليس لهم ذلك لأنهم كذبوا فيه و ظلموا ، أشار[1] إليه بقوله : ﴿ بل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يزكى من يشآء ﴾ أى بما له من العلم التام و القدرة الشاملة و الحكمة البالغة و العدل السوى بالثناء عليه و بخلق معانى الخير الظاهرة فيه [2]لتنشأ ٥ عنها[2] الأعمال الصالحة ، فاذا زكى أحدا[3] من أصفيائه بشيء[4] كالنبوة ، [5]كان له أن يزكى نفسه بذلك حملا على ما ينفع الناس به عن الله ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أن الذين[6] يزكيهم أو يدسيهم[7] [لا -[8]] ﴿ يظلمون فتيلا ﴾ أى مقدار ما فى شق النواة من ذلك الشيء المفتول ، أى قليلا و لا كثيرا ، لأنه عالم بما يستحقون و هو الحكم العدل الغنى عن الظلم ، ١٠ لأن له صفات الكمال .

و لما أخبر تعالى أن التزكية إنما هى إليه[4] بما له من [العظمة -[9]] و العلم الشامل ، و كان ذلك أمرا لا نزاع فيه ، و شهد عليهم بالضلال ، و ثبت أن ذلك كلامه بما له من الإعجاز فى حالتى الإطناب و الإيجاز ؛ ثبت[10] كذبهم فزاد فى توبيخهم فقال - معجبا لرسوله صلى الله عليه و سلم ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اشارة (٢-٢) فى ظ : لاتساعها (٣) فى ظ : احد (٤) سقط من ظ (٥) زيدت الواو هنا فى الأصل و مد ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى الأصول : الذى (٧) دسا يدسو و دسى يدسى : نقيض نما و زكا ، و دسّى الرجل : أفسده و أغواه (٨) زدناه و بد منه (٩) زيد من ظ . (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : فثبت .

من وقاحتهم و اجترائهم على من يعلم كذبهم ، و يقدر على معاجلتهم بالعذاب ، مبينا أنه صلى الله عليه و سلم فى الحضرة بعد بيان بُعدهم - : ﴿ انظر كيف يفترون ﴾ أى يتعمدون ﴿ على الله ﴾ أى[1] الذى لا يخفى عليه شيء و لا يعجزه شيء ﴿ الكذب[4] ﴾ أى من غير خوف منهم

٥ لذلك عاقبة[2] ﴿ و كفى ﴾ أى و الحال أنه كفى ﴿ بـه ﴾ أى بهذا الكذب ﴿ اثما مبينا ۝ ﴾ أى واضحا فى نفسه و مناديا عليها بالبطلان .

و لما عجب من كذبهم دل عليه بقوله : ﴿ الم تر ﴾ و كان الأصل : إليهم ، و لكنه قال - لزيادة التقريع و التوبيخ و الإعلام بأن كفرهم عناد لكونه عن علم - : ﴿ الى الذين ﴾ و عبر بـالى دلالة على بعدهم

١٠ عن الحضرات الشريفة ﴿ اوتوا نصيبا من الكتب ﴾ أى الذى هو الكتاب فى الحقيقة لكونه من الله ﴿ يؤمنون بالجبت ﴾ و هو الصنم و الكاهن و الساحر[3] و الذى لا خير [فيه - [4]] و كل ما عبد من دون الله ﴿ و الطاغوت ﴾ و هو اللات و العزى و الكاهن و الشيطان و كل رأس ضلال و الأصنام و كل ما عبد من دون الله ؛ و كل هذه

١٥ المعانى تصح إرادتها هنا ، و هى مما نهى عنه فى كتابهم - و أصله و مداره مجاوزة الحد عدوانا ، و هو واحد / و قد يكون جمعا ، قال سبحانه و تعالى "اولّيئهم الطاغوت يخرجونهم[5]" - و الحال أن أقل نصيب من الكتاب كافٍ فى النهى عن ذلك و تكفير فاعله .

/٤٨٦

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عافية (٣) فى ظ : الساحر - كذا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٥٧ .

و لما دل على ضلالهم دل على إضلالهم بقوله - معبرا بصيغة المضارع دلالة على عدم توبتهم - : ﴿ و يقولون للذين كفروا ﴾ و دل بالتعبير بالإشارة دون الخطاب على أنهم يقولون ذلك فيهم حتى فى غيبتهم، حيث لا حامل لهم على القول إلا محض الكفر فقال : ﴿ هٰؤلآء ﴾ أى[1] الكفرة العابدون للأصنام ﴿ اهدى ﴾ أى أقوم[2] فى الهداية ﴿ من الذين ٥ اٰمنوا ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة، فيفهم ذمهم بالتفضيل[3] على الذين يؤمنون و من فوقهم من باب الأولى[4] ﴿ سبيلا ه ﴾ مع أن فى كتابهم من إبطال الشرك و هدمه و عيب مدانيه و ذمه فى غير موضع تأكيدا[5] [أكيدا - [6]] و[7] أمرا عظيما شديدا .

و لما أنتج ذلك خزيهم قال : ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء عن الحضرات[8] ١٠ الربانية ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ أى طردهم بجميع ما له من صفات الكمال طردا هم جديرون بأن يختصوا به . و لما كان قصدهم بهذا القول مناصرة المشركين لهم، و كان التقدير : فنالوا[9] بذلك اللعن الذل و الصغار، عطف عليه قوله : ﴿ و من يلعن الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله منهم و من غيرهم ﴿ فلن تجد له نصيرا ه ﴾ أى فى وقت من الأوقات أصلا، ١٥ و كرر التعبير بالاسم الأعظم لأن المقام يقتضيه إشعارا لتناهى الكفر

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اقوام (٣) من ظ، و فى الأصل و مد : بالتفصيل .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اولى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : تاكيد .
(٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : او (٨) فى ظ : حضرات (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : فسالوا .

الذى هو أعظم المعاصى بتناهى الغضب .

و لما كان التقدير : كذلك[1] كان[2] من إلزامهم الذل و الصغار، [عطف عليه قوله - [3]] : ﴿ ام ﴾ [4]أى ليس[4] ﴿ لهم نصيب ﴾ [أى - [3]] واحد من الأنصباء ﴿ من الملك فاذًا ﴾ أى فيتسبب عن ذلك
٥ أنهم إذا كان لهم أدنى نصيب منه ﴿ لا يؤتون الناس ﴾ [أى الذين آمنوا - [3]] ﴿ نقيرا ۞ ﴾ أى شيئا من [5]الدنيا و لا الآخرة[5] من هدى و لا من غيره ، و النقير : النقرة فى ظهر[6] النواة ، [4]قيل : غاية فى القلة[4] ؛ [فهو كناية عن العدم ، فهو بيان لأنهم لإفراط بخلهم لا يصلحون إلا لما هم فيه من الذل - [3]] [7]فكيف بدرجة الملك لأن الملك و البخل
١٠ لا يجتمعان[7] ﴿ ام ﴾ [أى - [8]] ليس لهم نصيب ما من الملك، [9]بل ذلهم لازم و صغارهم أبدا كائن دائم ، فهم[9] ﴿ [10]يحسدون الناس ﴾ أى[11] محمدا صلى الله عليه و سلم الذى جمع فضائل الناس كلهم [من - [12]] الأولين و الآخرين و زاد عليهم ما شاء الله ، أو العرب[13] الذين لا ناس

---

(١) فى ظ : الذى (٢) سقط من مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥-٥) فى ظ و مد : دنيا و لا آخرة.
(٦) فى ظ و مد : ظاهر (٧ - ٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « ﴿ام﴾ أى ليس » (٨) زيد من مد (٩ - ٩) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « اى واحد » (١٠) زيد فى الأصل : ام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (١٢) زيد من ظ (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل : القرب .

الآن

الآن غيرهم، لأنا فضلناهم على العالمين - بأن يتمنوا دوام ذلهم كما دام لهم هم[1]، و دل على نهاية حسدهم بأداة الاستعلاء في قوله: ﴿ على مآ اٰتٰهم الله ﴾ أي بما له من صفات الكمال ﴿ من فضله ج ﴾ حسدوهم لما رأوا من إقبال جدهم و ظهور سعدهم و أنهم سادة الناس و قادة أهل الندى[2] و البأس: ٥

إن العرانين[3] تلقاها محسدة و لن ترى[4] للئام الناس حسادا

و قد آتاهم الله سبحانه و تعالى جميع أنواع الملك، فانه[5] على ثلاثة أقسام: ملك على الظواهر و البواطن معا، و هو للأنبياء عليهم الصلاة و السلام بما لهم من غاية الجود و الكرم و الرحمة و الشفقة و الشفاعة[6] و البر و اللطف التي كل منها سبب للانقياد، و ذلك مع ما لهم بالله سبحانه ١٠ و تعالى من تمام الوصلة؛ و ملك على الظواهر فقط، و هو ملك الملوك؛ و ملك على البواطن فقط، و هو ملك العلماء.

و لما ذمهم سبحانه و تعالى أولا بالجهل و مدح النفس تشبعا بما لم يعطوا، و ذلك سبب لجميع[7] النقائص، و ثانيا بأعظم منه: منع الحق [8]من أهله[8] بخلا، و ثالثا بأعظم منهما: تمنى ألا يصل إلى أحد نعمة ١٥ و إن كانت لا تنقصهم، فحازوا[9] بذلك أعلى[10] خلال الذم، و كانت

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: هر - كذا (٢) من ظ و مد، و في الأصل: الندم (٣) من عيون الأخبار للدينورى ٢/٩، و في الأصول: العرابين - كذا. (٤) في عيون الأخبار: لا ترى (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و في الأصل: الشجاعة (٧) من ظ و مد، و في الأصل: لجمع (٨-٨) في ظ: منه. (٩) من مد، و في الأصل و ظ: بجازوا (١٠) في ظ: على.

المساوى تضع و المحاسن ترفع، تسبب عن هذا توقع السامع [١]لإعلاء العرب[١] و إدامة ذل اليهود و موتهم بحسدهم فقال[٢]: ﴿ فقد ﴾ أى فتسبب عن هذا و تعقبه أنا قد آتيناهم - هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر للتنبيه على التوصيف الذى شاركوهم به فى استحقاق الفضائل فقال:

٥ ﴿ اٰتينآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اٰل ابرٰهيم ﴾ أى / الذى[٣] أعلمناكم فى كتابكم أنا أقسمنا له أنا نعز[٤] ذريته و نهديهم و نجعل ابنه إسماعيل حالاً[٥] على جميع حدود إخوته، و يده[٦] فى جميع الناس و يده على كل [٧]أحد و يد كل[٧] به ﴿ الكتٰب ﴾ أى الذى لا كتاب إلا هو لما له من الحفظ و الفضل بالإعجاز و الفصل ﴿ و الحكمة ﴾ أى النبوة التى ثمرتها العمل

١٠ المتقن بالعلم[٨] المحرر المحكم ﴿ و اٰتينٰهم ﴾ مع ذلك ﴿ ملكا عظيما ﴾ أى[٩] ضخما واسعا باقيا إلى أن تقوم الساعة ﴿ فنهم ﴾ أى من آل إبراهيم ﴿ من اٰمن به ﴾ و هم أغلب العرب ﴿ و منهم من صد عنه ﴾ أى أعرض بنفسه، و صد غيره كبنى إسرائيل و بعض العرب.

و لما كان قد علم من السياق أن الطاعن فيه ميت بحسده من غير

١٥ أن يضره بأمر دنيوى، و كان التقدير لبيان أمرهم فى الآخرة: فحكمنا أن تسعر بهم النار[١٠] بعد الذل فى هذه الدار و الهوان و الصغار، عطف

(١-١) فى ظ: لاعلى القرب - كذا (٢) فى الأصول: قال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الذين (٤) فى ظ: نعز - كذا (٥) فى ظ: كمالا (٦) من نص التوراة الوارد فى نظم الدرر ٢/١٧٤، و فى الأصول: يد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: بالعمل (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الناس.

عليه قوله: ﴿ و كفى بجهنم سعيرا ﴾ أى توقدا و التهابا فى غاية الإحراق و العسر و الإسراع إلى الأذى، و فى آية الطاغوت أنهم سمحوا ببدل الدين - و هو لا أعز منه عند الإنسان - فى شهادتهم للكفرة بالهداية، و فى آية الملك الإيماء إلى أنهم فى الحضيض من الشح بالخسيس الفانى، و فى آية الحسد أنه[1] لم يكفهم التوطن فى حضيض الشح بما أوتوا مع ٥ الغنى حتى سفلوا[2] عنه إلى أدنى من ذلك بالحسد لمن آتاه الله ما لا ينقصهم.

و لما أثبت لمن صد عنه النار علله بقوله: ﴿ ان الذين كفروا بآيتنا ﴾ أى ستروا ما[3] أظهرته عقولهم بسببها ﴿ سوف نصليهم ﴾ أى [4]بوعيد ثابت و إن طال معه الإمهال[4] ﴿ نارا[4] ﴾ و لما كانت النار - على ما نعهده[5] - مفنية[6] ماحقة، استأنف قوله ردا لذلك[7]: ﴿ كلما نضجت ١٠ جلودهم ﴾ [8]أى صارت[8] بحرّها[9] إلى حالة اللحم النضيج الذى [8]أدرك أن يؤكل، فصارت كاللحم الميت الذى[8] يكون فى الجرح، فلا يحس[10] بالألم ﴿ بدلنهم ﴾ أى [11]جعلنا لهم[11] ﴿ جلودا غيرها ﴾ أى غير النضيجة بدلا منها بأن أعدناها إلى ما كانت عليه قبل تسليط النار عليها،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: سلفوا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لما.
(٤-٤) موضع ما بين الرقمين فى ظ «معنيه مامقه استانف قوله ردا لذلك» كذا، و سيأتى بعد «ما نعهده» (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يعهده (٦) فى ظ: خفيه - كذا (٧) زيد بعده فى الأصل: نارا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: نحوها - كذا.
(١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: فلا يجبر - كذا (١١-١١) من ظ و مد، و فى الأصل: جعلناهم.

[كما إذا صُغتَ من خاتم خاتما على غير هيئته، فانه[1] هو الأول لأن الفضة واحدة، و هو غيره لأن الهيئة متغايرة، و هكذا الجلد الثانى مغاير للنضيج فى الهيئة -[2]] ﴿ليذوقوا﴾ [أى أصحاب الجلود المقصودون بالعذاب -[2]] ﴿العذاب[4]﴾ أى ليدوم لهم تجدد ذوقه، فتجدد[3] لهم
٥ مشاهده الإعادة بعد البلى[4] كل وقت، كما كانوا يجددون التكذيب بذلك كل وقت، ليكون الجزاء من جنس العمل، [فانه لو لم يُعِدْ منهم ما وَهِيَ لأداه وهيُه إلى البلى[5]، و لو بلى منهم شيء لبلوا كلهم فانقطع عذابهم -[2]].

و لما كان هذا أمرا[5] لم يعهد مثله، دل على قدرته عليه[6] بقوله:
١٠ ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿كان﴾ و لم يزل ﴿عزيزا﴾ أى يغلب كل [شيء -[2]] و لا يغلبه شيء ﴿حكيما ه﴾ أى يتقن صنعه، فجعل عذابهم على قدر ذنوبهم، لأن عزائمهم[7] كانت على دوامهم على ما استحقوا به ذلك ما بقوا.

و لما ذكر الترهيب بعقاب الكافرين أتبعه الترغيب بثواب المؤمنين
١٥ فقال: ﴿و الذين امنوا﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿و عملوا﴾ بيانا لصدقهم فيه ﴿الصلحت سندخلهم﴾ أى بوعد لا خلف فيه، و ربما أفهم التنفيس[8] لهم بالسين دون سوف - كما فى الكافرين - أنهم أقصر الأمم

---

(١) فى ظ و مد: فان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: فيتجدد (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها. (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى ظ: بقدرته (٧) فى ظ: عذابهم (٨) من ظ و مد - أى الإمهال، و فى الأصل: التعيس.

مدة، أو[1] أنهم أقصرهم أعمارا إراحة[2] لهم من دار الكدر إلى محل الصفاء، [و أنهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من أهل الموقف -[3]] ﴿ جنّت ﴾ أى بساتين، و وصفها بما يـديم بهجتها و يعظم نضرتها و زهرتها فقال: ﴿ تجرى من تحتها الانهر ﴾ أى ان أرضها فى غاية الرىّ، كل موضع منها صالح لأن تجرى منه نهر . ٥

و لما ذكر قيامها و ما به دوامها، أتبعه ما تهواه النفوس من استمرار الإقامة بها فقال[4]: ﴿ خلدين فيهآ ابدا ﴾ .

و لما وصف حسن الدار ذكر حسن الجار فقال: ﴿ لهم فيهآ ازواج ﴾ [و المطرد فى وصف جمع[5] القلة لمن يفضل الألف و التاء[6]، فعدل هنا[7] عن ذلك إلى الوحدة لإفهام أنهن لشدة الموافقة فى الطهر ١٠ كذات واحد[8] فقيل - [3]]: ﴿ مطهرة ﴾ أى متكرر طهرها، لا توجد وقتا ما على غير ذلك . و لما كانت الجنان فى الدنيا لا تحسن[9] إلا بتمكن الشمس[10] منها، و كانت الشمس تنسخ الظل فتخرج[11] إلى التحول إلى مكان آخر، و ربما آذى حرها، أمّن من ذلك فيها بقوله: ﴿ و ندخلهم ﴾ أى فيها / ﴿ ظلا ﴾ [أى عظيما، و أكده[12] بقوله - [3]]: ﴿ ظليلا ﴾ ١٥ / ٤٨٨

(١) فى ظ «و» (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: رادة - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٤) فى ظ: قال (٥) فى ظ: جميع (٦) فى ظ: الباء .
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: واحدة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يحسن.
(١٠) فى ظ: الشيء (١١) فى ظ: ليخرج (١٢) من مد، و فى ظ: اكدها .

أى [متصلا لا فرج[1] فيه، منبسطا لا ضيق معه دائما -[2]] لا تصيبه[3] الشمس يوما [ما -[4]]، و [لا حر فيه و لا برد، بل هو فى غاية الاعتدال[5].

و لما -[2]] تقدم فى هذه السورة الأمر بالإحسان و العدل فى
٥ [6]النساء و[6] اليتامى فى الإرث و غيره، و فى غير ذلك من الدماء و الأموال و الأقوال و الأفعال، و ذكر خيانة[7] أهل الكتاب و ما أحل بهم لذلك من العقاب، و ذكر أنه آتى هذه الأمة الملك المقتضى للحكم، و آتاهم الحكمة بعد جهلهم و ضعفهم؛ أقبل عليهم بلذيذ[8] خطابه بعد ما وعدهم على امتثال أمره من كريم ثوابه[9] بما ختمه بالظل الموعود على العدل
١٠ [فى حديث «سبعة يظلهم الله فى ظله» -[2]] فقال: ﴿ان الله﴾ [أى الذى له صفات الكمال -[2]] ﴿يامركم﴾ أى أيتها[10] الأمة! ﴿ان تؤدوا الامنت الى اهلها﴾ أى من غير خيانة[11] ما، كما فعل أهل الكتاب [فى كتمان ما عندهم و الإخبار بغيره، و الأمانة: كل ما وجب لغيرك عليك.

١٥ و لما أمر بما يحق للانسان فى نفسه، أمر بما يحق له فى معاملة غيره -[2]]،

(١) فى ظ: فرخ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تقلبه (٤) زيد من مد (٥) فى ظ: الاعتداد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: جناية (٨) فى ظ: بلين (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بقرابة - كذا (١٠) فى ظ: ايها (١١) فى مد: جناية.

وحقق لهم[١] ما لم يكونوا يرومونه[٢] من أمر الملك بقوله بأداة القطع [عاطفا شيئين على شيئين -[٣]]: ﴿ وإذا حكمتم ﴾ وبين عموم ملكهم لسائر[٤] الأمـم بقوله: ﴿ بين الناس ﴾ [وبين المأمور به بقوله -[٥]]: ﴿ ان تحكموا بالعدل[٦] ﴾ أى [السواء بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه إلى من هو له -[٥]]، فان ذلك من أعظم الصالحات الموجبة ٥ لحسن المقيل فى الظل[٦] الظليل، أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل » الحديث.

ولما أخبرهم بأمره[٧] زادهم رغبة[٨] بقوله: ﴿ ان الله ﴾ [٩]معبرا أيضا بالاسم الأعظم ﴿ نعما ﴾ [أى نعم شيئا عظيما -[١٠]] ﴿ يعظكم به[٦] ﴾. ١٠ وحثهم على المبادرة إلى حسن الامتثال بقوله: ﴿ ان الله ﴾ مكررا لهذا الاسم الشريف [ليجتهدوا فى الترقى فى طهارة الأخلاق إلى حد لم يبلغه غيرهم. ولما كان الرقيب فى الأمانات لا بد له من[١١] أن يكون له من يد سمع وعلم قال -[٥]]: ﴿ كان ﴾ [أى ولم يزل[١٢] ولا يزال -[٥]]

(١) فى ظ: له (٢) من مد، وفى الأصل وظ: يرمونه (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد، وموضعه فى ظ: سين على سين - كذا (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ساير (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: بامرهم (٨) سقط من ظ. (٩) العبارة من هنا إلى "ان الله" سقطت من ظ (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) سقط من مد (١٢) فى ظ: لم تزل.

﴿ سميعا ﴾ أى بالغ السمع لكل ما يقولونه جوابا لأمره و غير ذلك ﴿ بصيرا ه ﴾ أى بالغ البصر و العلم بكل ما يفعلونه فى ذلك و غيره من امتثال و غيره .

و لما أمر سبحانه بالعدل و رغب فيه[1]، و رهب من تركه[2]؛ أمر

٥ بطاعة المتصبين لذلك[3] الحاملة لهم على الرفق بهم و الشفقة عليهم فقال : ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ أى أقروا بالإيمان ، و بدأ بما هو العمدة فى الحمل على ذلك فقال : ﴿ اطيعوا ﴾ أى [بموافقة الأمر - [4]] تصديقا لدعواكم الإيمان[5] ﴿ الله ﴾ أى [فيما أمركم به فى كتابه - [4]] مستحضرين ما له من الأسماء الحسنى ، و عظم رتبة نبيه صلى الله عليه و سلم باعادة العامل

١٠ فقال : ﴿ و اطيعوا الرسول ﴾ [فيما حده لكم فى سنته عن الله و[6] بينه من[6] كتابه - [4]] لأن منصب[7] الرسالة مقتض[8] لذلك ، و لهذا[9] عبر به دون النبي ﴿ و اولى الامر منكم ج ﴾ أى الحكام ، فان طاعتهم [فيما لم يكن معصية - كما أشير إلى ذلك بعدم إعادة العامل - [4]] من طاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و طاعته من طاعة الله عز و جل ؛ [و العلماء من

١٥ أولى الأمر أيضا ، و هم العاملون فانهم يأمرون بأمر الله و رسوله

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترك . (٣) فى ظ : كذلك (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) زيد بعده فى الأصل : ايكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦-٦) فى ظ : نبيه و - كذا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تنصيب (٨) من مد ، و فى الأصل : مقض ، و فى ظ : مقتضى (٩) فى ظ : كذا ، و فى مد : لذا .

صلى الله عليه و سلم .

و لما أبان هذا الحكم[1] الأصول الثلاثة أتبعها القياس، فسبب عما تقديره: هذا - [2]] فى الأمور البينة [من الكتاب و السنة و التى وقع الإجماع[3] عليها، قوله - [2]]: ﴿ فان تنازعتم فى شىء ﴾ أى لإلباسه [فاختلفت فيه آراؤكم - [2]] ﴿ فردوه الى الله ﴾ [أى المحيط علما و قدرة ٥ بالتضرع بين يديه بما شرعه لكم من الدعاء و العبادة، ليفتح لكم ما أغلق منه و يهديكم إلى الحق منه - [2]] ﴿ و الرسول ﴾ أى [الكامل الرسالة - [2]] بالبحث عن آثار رسالته من نص [فى ذلك بعينه - [2]] أو[4] أولى قياس، [و دلت الآية على ترتيب الأصول الأربعة على ما هو فيها و على إبطال ما سواها، و علم من إفراده تعالى و جمع النبى صلى الله عليه و سلم مع ١٠ أعلام أمته أن الأدب توحيد الله حتى فى مجرد ذكره - [2]]، و أكد البيان لدعوى الطاعة بقوله: ﴿ ان كنتم تؤمنون ﴾ أى دائمين على الإيمان بتجديده[5] فى كل أوان ﴿ بالله ﴾ [أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له - [2]] ﴿ و اليوم الأخر[4] ﴾ الحامل على الطاعة الحاجز عن المعصية، ثم دل على عظمة هذا الأمر[6] و عميم نفعه بقوله [مخصصا رسوله ١٥ صلى الله عليه و سلم - [2]]: ﴿ ذلك ﴾ [أى الأمر العالى الرتبة - [2]] ﴿ خير ﴾ أى و غيره[7] شر ﴿ و احسن تاويلا ﴾ أى [عاقبة أو - [2]]

(١) ليس فى ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ : الا - كذا. (٤) فى ظ «و» (٥) فى ظ : بتجديد (٦) زيد بعده فى ظ : العظيم .
(٧) فى ظ : غير .

ترجيعا [و ردا - [1]] من ردكم إلى ما يقتضيه قويم العقل من غير ملاحظة لآثار[2] الرسالة من الكتاب و السنة[3]، فان فى[3] الأحكام ما لا يستقل العقل بادراكه[4] إلا بمعونة الشرع ، [روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت هذه الآية "اطيعوا الله" فى عبد الله ٥ ابن حذافة[5] بن قيس بن عدى [6]إذ بعثه[6] النبى صلى الله عليه و سلم فى سرية - يعنى فأمرهم أن يدخلوا فى النار - [1]] .

و لما كان التقدير - كما أفهمه آخر الآية [و - [1]] أشعر به أولها [بعد أن جمع الخلق على طاعته بالطريق الذى ذكره - [1]] : فمن أبى ذلك فليس بمؤمن ، دل عليه بقوله[3] معجبا[7] مخاطبا لأكمل الخلق الذى ١٠ عرفه الله المنافقين فى لحن القول : ﴿ الم تر ﴾ و أشار إلى بعدهم عن على حضرته[8] بقوله : ﴿ الى الذين ﴾ و إلى كذبهم و دوام نفاقهم بقوله : ﴿ يزعمون انهم اٰمنوا ﴾ [أى أوجدوا هذه الحقيقة و أوقعوها فى أنفسهم - [1]] ﴿ بمآ انزل اليك ﴾ [و دل على أن هذا الزاعم المنافق كان من أهل الكتاب قبل ادعاء الإسلام بقوله - [1]] : ١٥ ﴿ و مآ ﴾ أى و يزعمون أنهم آمنوا بما ﴿ انزل من قبلك ﴾ أى من التوراة و الإنجيل ، [قال الأصبهانى : و لا يستعمل - أى[3] الزعم - فى الأكثر

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الآثار (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بادراك (٥) فى ظ : حوابه - كذا (٦ - ٦) فى ظ : اذا بعثهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعجبا (٨) زيد فى ظ و مد : السماء .

إلا فى القول الذى لا يتحقق ، يقال : زعم فلان - إذا شك فيه فلم يعرف كذبه أو صدقه ، و المراد أن هؤلاء قالوا قولا هو عند من لا يعلم البواطن أهل لأن يشك فيه بدليل أنهم -[1]] ﴿ يريدون ان يتحاكموآ ﴾ أى هم و غرماؤكم ﴿ الى الطاغوت ﴾ أى إلى[2] الباطل المعرق فى البطلان ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنهم قد ﴿ امروآ ﴾ ممن له الأمر[3] ﴿ ان يكفروا به[4] ﴾ فى كل ما أنزل من كتابك و ما قبله ، [و متى تحاكموا إليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله ، و هو معنى قوله -[1]] : ﴿ و يريد / الشيطن ﴾ بإرادتهم ذلك التحاكم ﴿ ان يضلهم ﴾ [أى بالتحاكم إليه -[1]] ﴿ ضللا بعيدا ﴾ بحيث لا يمكنهم معه الرجوع إلى الهدى[4] . [و هذه الآية سبب تسمية عمر رضى الله عنه بالفاروق لضربه عنق منافق لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قصة ذكرها الثعلبى من رواية الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما -[1]] .

٥ ٤٨٩ / ١٠

و لما ذكر ضلالهم[5] بالإرادة و رغبتهم فى التحاكم إلى الطاغوت ، ذكر فعلهم فيه فى نفرتهم عن[6] التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ أى من أى قائل كان ﴿ تعالوا ﴾ أى أقبلوا رافعين أنفسكم من وهاد الجهل إلى شرف العلم ﴿ الى مآ انزل الله ﴾ ١٥

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ : الاوامر (٤) زيد بعده فى الأصل : الهدى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضلالهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من.

أى الذى عنده كل شيء ﴿ و الى الرسول ﴾ أى الذى تجب[1] طاعته لأجل مرسله مع أنه أكمل الرسل الذين هم أكمل الخلق رسالة، رأيتهم - هكذا[1] كان الأصل، و لكنه أظهر الوصف الذى دل على كذبهم فيما زعموه من الإيمان فقال: ﴿ رايت المنفقين يصدون ﴾ أى
٥ يعرضون ﴿ عنك ﴾ و أكد ذلك بقوله: ﴿ صدودا ج ﴾ أى هو فى أعلى طبقات الصدود.

و لما تسبب عن هذا تهديدهم، قال - مهولا لوعيدهم بالإبهام و التعجيب منه بالاستفهام، معلما بأنهم سيندمون حين لا ينفعهم الندم، و لا يغنى عنهم الاعتذار -: ﴿ فكيف ﴾ أى يكون حالهم ﴿ اذآ
١٠ اصابتهم[1] مصيبة ﴾ أى عقوبة هائلة ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ مما ذكرنا و من غيره[2]. و لما كان الذى ينبغى أن يكون تناقضهم بعيدا[3]، لأن الكذب عند العرب كان شديدا[4]؛ قال: ﴿ ثم جآءوك ﴾ أى خاضعين بما لينت[5] منهم تلك المصيبة حال كونهم ﴿ يحلفون ق بالله ﴾ أى الحاوى لصفات الكمال من الجلال و الجمال غير مستحضرين لصفة من صفاته
١٥ ﴿ ان ﴾ أى [ما - [6]] ﴿ اردنآ ﴾ أى فى جميع أحوالنا و بسائر[7] أفعالنا ﴿ الآ احسانا و توفيقا ه ﴾ أى أن تكون[8] الأمور على الوجه الأحسن و الأوفق لما رأينا فى ذلك مما خفى على غيرنا - و قد كذبوا فى جميع ذلك.

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعيد (٤) فى ظ: شديد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لنت.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: سائرنا - كذا (٨) فى ظ: يكون.

و لما

و لما ذكر سبحانه و تعالى بعض ما يصدر منهم من التناقضات و هم غير محتشمين و لا هائبين، قال معلما بشأنهم معلما لما [1] يصنع بهم [1]: ﴿ اولّٓئك ﴾ أي البعداء عن الخير ﴿ الذين يعلم الله ﴾ أي الحاوي لنعوت العظمة ﴿ ما في قلوبهم ق ﴾ أي من شدة البغض للاسلام و أهله و إن اجتهدوا في إخفائه عنه [2]، [ثم سبب - [3]] تعليما لما يصنع بهم ٥ و إعلاما بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم قوله: ﴿ فاعرض عنهم ﴾ أي عن عقابهم و عن الخشية منهم و عن عتابهم، لأنهم أقل من أن يحسب [4] لهم حساب ﴿ و عظهم ﴾ أي و إن ظننت أن ذلك لا يؤثر، لأن القلوب بيد الله سبحانه و تعالى يصطنعها لما أراد متى أراد ﴿ و قل لهم في انفسهم ﴾ أي بسببها و ما يشرح أحوالها و يبين [5] نقائصها من نفائسها، ١٠ أو خاليا معهم، فان ذلك أقرب إلى ترقيقهم ﴿ قولا بليغا ه ﴾ أي يكون في غاية البلاغة في حد ذاته.

و لما أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه و سلم، و ذم من حاكم إلى غيره و هدده، و ختم تهديده بأمر النبي صلى الله عليه و سلم بالإعراض عنه و الوعظ له، فكان التقدير: فما أرسلناك و غيرك من الرسل إلا ١٥ للرفق بالأمة و الصفح عنهم و الدعاء لهم على غاية الجهد و النصيحة، عطف عليه قوله: ﴿ و مآ ارسلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة، و دل على الإغراق في الاستغراق بقوله: ﴿ من رسول ﴾. و لما كان ما يؤتيهم

(١-١) في ظ: يضع لهم - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و وقع في الأصل: يحب - كذا مصحفا (٥) في ظ: يتبين.

سبحانه و تعالى من الآيات و يمنحهم به من المعجزات حاملا فى ذاته على الطاعة ، شبهه بالحامل على إرساله فقال : ﴿ الا ليطاع ﴾ أى لأن[1] منصبه[2] الشريف مقتضٍ لذلك آمر به داعٍ إليه ﴿ باذن الله[1] ﴾ أى بعلم الملك الأعظم الذى له الإحاطة بكل شىء فى تمكينه من أن يطاع ، ٥ لما جعلنا له من المزية بالصفات العظيمة[3] و المناصب الجليلة و الأخلاق الشريفة كما قال صلى الله عليه و سلم « ما من الأنبياء نبى إلا و[4] قد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه .

و لما كان التقدير : فلو أطاعوك / لكان خيرا لهم ، عطف عليه ١٠ قوله : ﴿ و لو انهم اذ ﴾ أى [حين ﴿ ظلموآ انفسهم ﴾ أى بالتحاكم إلى الطاغوت أو غيره ﴿ جآءوك ﴾ أى مبادرين ﴿ فاستغفروا الله ﴾ أى -[5]] عقبوا [6]مجيئهم بطلب المغفرة من الملك الأكرم[7] لما استحضروه له من الجلال ﴿ و استغفر لهم الرسول ﴾ أى ما فرطوا بعصيانه فيما استحقه عليهم من الطاعة ﴿ لوجدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ توابا ١٥ رحيما ﴾ أى بليغ التوبة على عبيده[8] و الرحمة ، لإحاطته بجميع صفات الكمال ، فقبل توبتهم و محا ذنوبهم و أكرمهم .

/٤٩٠

(١) زيد بعده فى ظ : من (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : منصب (٣) فى ظ : العلية (٤) سقطت الواو من ظ و مد (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « من الجلال » سقطت من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : الاكرام (٨) فى ظ : غيره .

و لما أفهم ذلك أن إباءهم لقبول حكمه و الاعتراف بالذنب لديه سبب مانع لهم من الإيمان، قال - مؤكدا للكلام غاية التأكيد بالقسم المؤكد لإثبات مضمونه و "لا" النافية لنقيضه -: ﴿ فلا و ربك ﴾ أى المحسن إليك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى يوجدون هذا الوصف و يجددونه ﴿ حتى يحكموك ﴾ أى يجعلوك حكما ﴿ فيما شجر ﴾ أى اختلط و اختلف ٥ ﴿ بينهم ﴾ من كلام بعضهم لبعض للتنازع حتى كانوا كأغصان الشجر فى التداخل و التضايق.

و لما كان الإذعان للحكم بما[1] يخالف الهوى فى غاية الشدة على النفس، أشار[2] إليه بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا ﴾ أى نوعا من الضيق ﴿ مما قضيت ﴾ أى عليهم به، و أكد ١٠ إسلامهم[3] لأنفسهم بصيغة التفعيل فقال: ﴿ و يسلموا ﴾ أى يوقعوا التسليم البليغ لكل ما[4] هو لهم من أنفسهم و غيرها لله و رسوله صلى الله عليه و سلم خالصا عن شوب كره؛ ثم زاده تأكيدا بقوله: ﴿ تسليما ﴾ و فى الصحيح أن الآية نزلت فى الزبير و خصم له من الأنصار، فلا التفات إلى من قال: إنه حاطب رضى الله تعالى عنه. ١٥

و لما كان التقدير: فقد كتبنا عليهم طاعتك و التسليم لك فى هذه الحنيفية السمحة التى دعوتهم إليها و حملتهم عليها، عطف عليه قوله: ﴿ و لو انا كتبنا عليهم ﴾ أى هذا المخاصم للزبير رضى الله تعالى عنه

---

(١) فى ظ: كما (٢) فى ظ: اشارة (٣) فى ظ: سلامهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مما.

و أشباه هذا المخاصم ممن ضعف إيمانه كتابة[1] مفروضة ﴿ ان اقتلوآ انفسكم ﴾
أى كما كان فى التوراة فى كفارة بعض الذنوب مباشرة حقيقة[2]، و كما
فعل المهاجرون بتعريض أنفسهم لذلك ثلاث عشرة سنة، [هم - [3]]
فيها عند أعداء الله مضغة لحم بين يدى نسور يتخاطفونها ﴿او اخرجوا﴾
٥ كما فعل المهاجرون - [4] رضى الله تعالى عنهم[4] - الذين الزبير من رؤوسهم
﴿ من دياركم ﴾ أى التى هى لأشباحكم كأشباحكم لأرواحكم - توبة لربكم
﴿ ما فعلوه ﴾ أى لقصور إيمانهم و ضعف إيقانهم، و لو كتبناه عليهم
و لم يرضوا به كفروا، فاستحقوا [القتل - [3]].

و لما كان كل كدر لا يخلو عن خلاصه، قال: ﴿ الا قليل منهم ﴾
١٠ أى و هم [5] العالمون بأن الله سبحانه و تعالى خير[5] لهم من أنفسهم، و أن
حياتهم إنما هى فى طاعته[6]؛ روى أن من هؤلاء ثابت بن قيس بن شماس[7]
رضى الله تعالى عنه، قال: أما و الله! إن الله ليعلم منى الصدق. لو أمرنى
محمد أن أقتل نفسى لقتلتها! و كذا قال ابن مسعود و عمار بن ياسر
رضى الله تعالى عنهما، و روى عن[8] عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال:
١٥ و الله لو أمرنا ربنا لفعلنا! و الحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك. و لا ريب
فى أن التقدير: و لكنا لم نكتب عليهم فليشكروا لنا و يستمسكوا[9]

---

(١) فى ظ: باية - كذا (٢) فى ظ: حقيقية (٣) زيد من ظ ومد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥-٥) فى ظ: العاملون بالله تعالى خيرا - كذا. (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ و مد و تهذيب التهذيب، و وقع فى الأصل: شهاب - مصحفا (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: نستمسكوا.

بهذه الحنيفية السمحة.

و لما كان مبنى السورة على الائتلاف و كان السياق للاستعطاف[1]، قال مرغبا: ﴿ و لو انهم ﴾ أى هؤلاء المنافقين ﴿ فعلوا ما يوعظون ﴾ أى يجدد لهم الوعظ فى كل حين ﴿ به لكان ﴾ أى[2] فعلهم ذلك ﴿ خيرا لهم ﴾ أى مما اختاروه لأنفسهم ﴿ و اشد تثبيتا ﴾ أى مما ثبتوا[3] ٥ به أنفسهم بالأيمان الحانثة[4] ﴿ و اذًا لاتينهم ﴾ أى و إذا فعلوا ما يوعظون به[1] آتيناهم بما لنا من العظمة إيتاء مؤكدا لا مرية فيه. و أشار بقوله: ﴿ من لدنآ ﴾ إلى أنه من غرائب ما[5] عنده من خوارق[1] العادات و نواقض نواقض[1] المطردات[6] ﴿ اجرا عظيما ﴾ و لهدينهم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ صراطا مستقيما ﴾ أى يوصلهم / إلى مرادهم، ١٠ / ٤٩١ و قد عظم سبحانه و تعالى هذا الأجر ترغيبا فى الطاعة أنواعا من العظمة[7]، منها التنبيه بـ 'اذًا' و الإتيان بصيغة العظمة و 'لدن' مع العظمة و الوصف بالعظيم.

و لما رغب فى العمل بمواعظه، و كان الوعد[8] قد يكون لغلظ فى الموعوظ[9]، و كان ما[1] قدمه فى وعظه أمرا مجملا، رغب بعد ترقيقه ١٥ بالوعظ[10] فى مطلق الطاعة التى المقام كله لها، مفصلا [11]إجمال ما وعد[11]

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ: يجدد (٣) فى ظ: اثبتوا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الجائية (٥) فى ظ: كما (٦) فى ظ: المطرودات (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العظيمة (٨) فى ظ: الوعظ (٩) فى ظ: الواعظ. (١٠) زيد بعده فى الأصول: رغب (١١ - ١١) فى ظ: اجمالا ما وعى.

عليها فقال: ﴿ و من يطع الله ﴾ أي في امتثال أوامره و الوقوف
عند زواجره مستحضرا عظمته - طاعة هي على سبيل التجدد و الاستمرار
﴿ و الرسول ﴾ أي في كل ما أراده[1] ، فإن منصب الرسالة يقتضي
ذلك ، لا سيما من بلغ نهايتها ﴿ فاولّـئك ﴾.[أي - [2]] العالو[3] الرتبة
٥ العظيمو الشرف ﴿ مع الذين انعم الله[3] ﴾ أي بما له من صفات الجلال
و الجمال ﴿ عليهم ﴾ أي معدود من حزبهم[4] ، فهو بحيث إذا أراد زيارتهم
أو رؤيتهم وصل إليها بسهولة ، لا أنـــه يلزم أن يكون في درجاتهم
و إن كانت أعماله قاصرة . ثم بينهم بقوله: ﴿ من النبيّن ﴾ أي الذين
أنبأهم الله بـدقائق الحكم ، و أنبأوا[5] الناس بجلائل الـكلم ، بما لهم من
١٠ طهارة الشيم و العلو و العظم ﴿ و الصديقـين ﴾ أي الذين صدقوا أول
الناس ما[6] أتاهم عن الله و صدقوا هم في أقوالهم و أفعالهم ، فكانوا قدوة
لمن بعدهم ﴿ و الشهـــدآء ﴾ أي الذين لم يغيبوا أصلا[7] عن حضرات
القدس و مواطن الأنس طرفة عين ، بل هم مع الناس بجسومهم و مع الله
سبحانه و تعالى بحلومهم [و علومهم - [8]] سواء شهدوا لدين الله بالحق ،
١٥ و لسواه بالبطلان بالحجة أو[9] بالسيف ، ثم قتلوا في سبيل[10] الله ﴿ والصّٰلحين ج ﴾
أي الذين لا يعتريهم في ظاهر و لا باطن بحول الله فساد أصلا ، و إلى

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : ارادة (٢) زيد من مد (٣) سقط من ظ .
(٤) في ظ : حرنهم - كذا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : انبساط - كذا .
(٦) من مد ، و في الأصل و ظ : بما (٧) في ظ : ابدا (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) من ظ ، و في الأصل و مد : لو (١٠) سقط من ظ و مد .

هذا يشير كلام العارف الشيخ رسلان[1] [حيث - [2]] قال: ما صلحت ما دامت فيك بقية لسواه. و قد تجتمع[3] الصفات الأربع فى شخص و قد لا تجتمع، و أبو بكر رضى الله تعالى عنه أحق الأمة بالصديقية و إن قلنا: إن عليا و زيدا رضى الله تعالى عنهما أسلما قبله، لأنه - [4] لكبره و كونه[4] لم يكن قبل الإسلام تابعا للنبي صلى الله عليه و سلم - كان قدوة ٥ لغيره، و لذلك كان سببا [لإسلام - [2]] ناس[5] كثير و أولئك كانوا سببا لإسلام غيرهم، فكان له مثل أجر الكل، و كان فيه حين إسلامه قوة الجهاد فى الله سبحانه و تعالى بالمدافعة عن النبي صلى الله عليه و سلم - و غير ذلك من الأفعال الدالة على صدقه، و لملاحظة هذه الأمور كانت رتبتها تلى رتبة النبوة، و لرفع[6] الواسطة بينهما وفق[7] الله سبحانه ١٠ و تعالى هذه الأمة التى اختارها بتولية الصديق رضى الله تعالى عنه بعد نبيهم صلى الله عليه و سلم و دفنه إلى جانبه، و من عظيم رتبتهم تنويه[8] النبي صلى الله عليه و سلم فى آخر عمره بهم فقال «مع الرفيق الأعلى»، روى البخارى فى التفسير عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا ١٥

(١) من مد و الأعلام للزركلى، و فى الأصل: مرسلان، و فى ظ: زسلان - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يجتمع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لكونه و كبره (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لناس (٦) فى ظ: رفع (٧) فى ظ: قوة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ثبوته.

و الآخرة »، و كان فى شكواه الذى قبض فيه أخذته بحة[1] شديدة، فسمعته يقول " مع الذين انعم الله عليهم من النبيّن و الصديقين و الشهداء و الصلحين " فعلمت أنه خُيّر .

و لما أخبر أن المطيع مع هؤلاء، لم يكتف[2] بما أفهم ذكرهم من
٥ جلالهم و جلال من معهم، بل زاد فى بيان علو مقامهم و مقام كل من معهم بقوله : ﴿ و حسن ﴾ أى و ما أحسن ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو الأخلاق السابقون يوم السباق ﴿ رفيقا ﴾ من الرفق، و هو لغة : لين الجانب و لطافة الفعل، و هو مما يستوى واحده[3] و جمعه . ثم أشار إلى تعظيم ما منحهم به مرغبا فى العمل بما[4] يؤدى إليه بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك
١٠ الفضل ﴾ و زاد فى الترغيب فيه بالإخبار عن هذا الابتداء [بالاسم -[5]] الأعظم فقال : ﴿ من الله ﴾ .

و لما كان مدار التفضيل على العلم، قال - بانيا[6] / على ما تقديره : لما يعلم من صحة بواطنهم اللازم منها شرف ظواهرهم - : ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليما ﴾ يعلم من [7]الظواهر و الضمائر[7]
١٥ ما يستحق به التفضيل[8] مَنْ فضله على غيره .

/٤٩٢

و لما دل على درجة الشهادة بعد ما ذكر من ثواب من قبل موعظته

(١) أى خشونة و غلظ فى الصوت، و فى ظ : بعد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يكن (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : واحدة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : ثانيا (٧-٧) فى ظ و مد : الضماير و الظواهر (٨) فى ظ : التفضل .

و لو

و لو فى قتل نفسه ، و ذم من أبى ذلك بعد ما حذر من الأعداء من أهل الكتاب و المشركين و المنافقين المخادعين ، فتوفرت دواعى الراغبين فى المكارم على ارتقابها[1]؛ التفت إلى المؤمنين ملذذا لهم بحسن[2] خطابه[3] نادبا إلى الجهاد مع الإرشاد إلى الاستعداد له [4]بما يروع[4] الأضداد ، فقال سبحانه و تعالى - منبها بأداة البعد و صيغة المضى إلى أن الراسخ لا ينبغى ٥ له أن يحتاج إلى تنبيه على مثل هذا - : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان .

و لما كان سبحانه و تعالى قد خلق للانسان عقلا يحمله على التيقظ و التحرز[5] من الخوف ، فكان [6]كالآلة له[6] ، و كان - لما عنده من السهو و النسيان فى غالب الأوقات - مهملا له ، فكان كأنه قد ترك آلة[7] ١٠ كانت منه؛ قال سبحانه و تعالى : ﴿ خذوا حذركم ﴾ أى من الأعداء الذين[8] ذكرتهم لكم و حذرتكم منهم : المشاققين[9] منهم و المنافقين[10] ﴿ فانفروا ﴾ أى اخرجوا تصديقا لما ادعيتم إلى جهادهم مسرعين ﴿ ثبات ﴾ أى جماعات متفرقين سرية فى إثر سرية ، لا تملوا ذلك أصلا[10] ﴿ او انفروا جميعا ﴾ أى عسكرا واحدا ، و لا تخاذلوا[11] تهلكوا ، فكأنه قال : خففت ١٥؛

(١) فى ظ : ارتهابها (٢) فى ظ : حسن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : خطابة .
(٤-٤) فى ظ : من يردع (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التحرر (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالادلة - كذا (٧) فى ظ : اله (٨) فى ظ : الذى .
(٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسافقين (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : لا تجادلوا .

عنكم قتل الأنفس على الصفة التى كتبتها علـــى من قبلكم ، و لم آمركم [إلا - [1]] بما تألفونه [و تتمادحون به - [2]] فيما بينكم و تذمون تاركه ، من موارد القتال ، الذى [3] هو مناهج الأبطال ، و مشارع لفحول الرجال ، و جعلت للباقى منكم المحبوبين من الظفر و حل [4] المغنم ، و للماضى أحب
٥ المحبوب ، و هو الدرجة التى ما بعدها إلا درجة النبوة ، مع أنه لم ينقص من أجله شىء ، و لو لم يقتل فى ذلك السبيل المرضى لقتل [5] فى غيره فى ذلك الوقت .

و لما كان التقدير : فان منكم الخارج إلى الجهاد عن غير حزم و لا حذر ، عطف عليه قوله - مبينا لما هو من أجلّ مقاصد هذه الآيات
١٠ من تبكيت [6] المنافقين للتحذير منهم ، و وصفهم ببعض ما يخفون ، مؤكدا لأن كل من ادعى الإيمان ينكر أن يكون كذلك - : ﴿ و ان منكم ﴾ أى يا أيها الذين آمنوا و عزتنا [7] ﴿ لمن ليبطئن ج ﴾ [8] أى يتثاقل [8] فى نفسه عن الجهاد لضعفه فى الإيمان أو نفاقه ، و يأمر غيره بذلك أمرا مؤكدا إظهارا للشفقة عليكم و هو عين الغش [9] فانـــه يثمر الضعف المؤدى إلى
١٥ جرأة العدو المفضى إلى التلاشى .

و لما كان لمن يتثاقل عنهم حالتا نصر و كسر [10] ، سبب عن تثاقله [11]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : التى (٤) فى ظ : على . (٥) فى ظ : للقتل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنكيب (٧) فى ظ : غربت - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : النفس (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : كب - كذا (١١) فى ظ : تشاقله .

مقسما لقوله[1] فيهما: ﴿ فان اصابتكم مصيبة ﴾ أي في وجهكم الذي قعدوا عنه ﴿ قال ﴾ ذلك القاعد جهلا منه وغلظة ﴿ قد انعم الله ﴾ أي الملك الأعظم، ذاكرا لهذا الاسم غيرَ عارف بمعناه ﴿ عليّ اذ ﴾ أي حين، أو لأني[2] ﴿ لم اكن معهم شهيدا ه ﴾ أي حاضرا، ويجوز أن يريد الشهيد الشرعي، ويكون إطلاقه من باب التنزل، فكأنه يقول: هـذا الذي ٥ هو أعلى ما عندهم أعدّ فواته مني نعمة عظيمة ﴿ و لئن اصابكم فضل ﴾ أي فتح[2] وظفر وغنيمة ﴿ من الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي كل شيء بيده.

ولما كان تحسره إنما هو على فوات الأغراض الدنيوية أكد قوله: ﴿ ليقولن ﴾ أي في غيبتكم، واعترض بين القول ومقوله[3] ١٠ تأكيدا لذمهم بقوله: ﴿ كان ﴾ أي كأنه ﴿ لم ﴾ أي مشبها حاله حال من [لم -[4]] ﴿ يكن[5] بينكم و بينه مودة ﴾ أي بسبب قوله: ﴿ يٰليتنى كنت معهم فافوز ﴾ أي بمشاركتهم في ذلك ﴿ فوزا عظيما ه ﴾ وذلك لأنه لو كان ذا مودة لقال حال المصيبة: يا ليتها لم تصبهم[6]! ولو كنت معهم لدافعت عنهم! وحال الظفر: لقد سرني عزهم، ولكنه لم يجعل ١٥

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: لقول (٢) سقط من ظ (٣) من مد، و في الأصل: مقولة، و في ظ: مقولهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) قرأ ابن كثير و حفص عن عاصم و رويس عن يعقوب بالتاء الفوقانية لتأنيث لفظ المودة - كما هي في مصاحفنا المتداولة؛ و قرأ الباقون بالياء للفصل و لأنها بمعنى الود.
(٦) من مد، و في الأصل: لم بصبهم، و في ظ: لم نضيم - كذا.

محط همه فى كلتا الحالتين غير المطلوب الدنيوى، و لعله خص الحالة
الثانية بالتشبيه لأن ما نسب إليه فيها / لا يقتصر عليه محب، و أما الحالة /٤٩٣
الأولى فربما اقتصر المحب فيها على ذلك قصدا للبقاء لأخذ الثأر[1] و نكال
الكفار، و ذكر المودة لأن المنافقين كانوا يبالغون فى إظهار الود
٥ و الشفقة و النصيحة للمؤمنين.

و لما بين أن محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا، علم أن قصد
المجاهد الآخرة. فسبب عن ذلك قوله: ﴿ فليقاتل فى سبيل الله ﴾ أى
بسبب تسهيل طريق الملك الذى له الأمر كله و حفظ الناس عليه
﴿ الذين يشرون ﴾ أى يبيعون[2] برغبة و لجاجة و هم المؤمنون، أو يأخذون
١٠ و هم المنافقون - استعمالا للمشترك[3] فى مدلوليه[4] ﴿ الحيوة الدنيا ﴾
فيتركونها ﴿ بالأخرة ﴾.

و لما كان التقدير: فانه من قعد عن الجهاد فقد رضى فى الآخرة
بالدنيا، عطف عليه قوله: ﴿ و من يقاتل فى سبيل الله ﴾ أى فيريد
إعلاء كلمة الملك المحيط بصفات [5]الجمال و الجلال[5] ﴿ فيقتل ﴾ أى
١٥ فى ذلك الوجه و هو على تلك النية بعد أن يغلب القضاء و القدر على
نفسه ﴿ او يغلب ﴾ أى الكفار فيسلم ﴿ فسوف نؤتيه[6] ﴾ أى بوعد
لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير و الشر، و الآية من الاحتباك:

(١) فى الأصول: النار (٢) فى ظ: يبغون (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: للشترى (٤) من ظ، و فى الأصل و مد: مدلوله (٥-٥) فى ظ و مد: الجلال و الجمال (٦) فى ظ: يؤتيه.

ذكر

ذكر القتل أولا دليل على السلامة ثانيا، و ذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية أولا ؛ و ربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالبا - خلافا لما يتوهمه كثير من الناس - إعلاما بأن المدار على فعل الفاعل المختار، لا على الأسباب ﴿ اجرا عظيما ﴾ أى فى الدارين على اجتهاده[1] فى إعزاز[2] دين الله سبحانه و تعالى، و اقتصاره على هذين القسمين حث ٥ على الثبات و لو كان العدو أكثر من الضعف " فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة[3] " " و الله يؤيد بنصره من يشاء[4] " " و الله مع الصبرين[3] ".

و لما كان التقدير: فما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله لهذا الأجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد، و كانوا يقولون[5]: إنا لا نعطى الميراث إلا لمن يحمى الذمار، و يذب عن الجار، و يمنع الحوزة؛ قال عاطفا ١٠ على هذا المقدر[6] ملهبا لهم و[7] مهيجا، و مبكتا[7] للقاعدين و موبخا: ﴿ و ما ﴾ أى و أى شيء ﴿ لكم ﴾ من دنيا أو آخرة حال كونكم ﴿ لا تقاتلون ﴾ أى تجددون القتال فى كل وقت، لا تملونه ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب تسهيل طريق الملك الذى له العظمة الكاملة و الغنى المطلق و بسبب خلاص ﴿ و[8] المستضعفين ﴾ أى[9] المطلوب من الكفار ١٥ ضعفهم حتى صار موجودا، و يجوز - و هو أقعد - أن يكون منصوبا

(١) فى ظ : اجهاده (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : اعذار (٣) اقتباس من سورة ٢ آية ٢٤٩ (٤) سورة ٣ آية ١٣ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يقولون (٦) من مد، و فى الأصل : المقدار، و فى ظ : مقدر (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل : يهيجا و بكيا - كذا (٨) سقط من مد (٩) سقط من ظ .

على الاختصاص تنبيها على أنه من أجلّ ما في[1] سبيل الله .

و لما [كان - [2]] الإنكاء من هذا ما لمن كان رجاء نفعه أعظم[3]، ثم ما لمن يكون العار به أقوى و أحكم؛ رتبهم هذا الترتيب فقال: ﴿ من الرجال و النسآء و الولدان ﴾ أي المسلمين الذين[1] حبسهم الكفار عن الهجرة، و كانوا[4] يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم[5]، و كل منهما كافٍ في بعث ذوي الهمم العالية و المكارم على القتال . ثم وصفهم بما يهيج إلى نصرهم و يحث[6] على غياثهم فقال: ﴿ الذين يقولون ﴾ أي لا يفترون ﴿ ربنآ ﴾ أي أيها المحسن إلينا باخراجنا من الظلمات إلى النور ﴿ اخرجنا من هذه القرية ﴾ ثم وصفوها بالحامل على هذا الدعاء فقالوا: ﴿ الظالم اهلها ج ﴾ أي بما تيسره لنا من الأسباب ﴿ و اجعل لنا من لدنك ﴾ أي من أمورك العجيبة في الأمور الخارقة للعادات ﴿ وليا لا ج ﴾ يتولى مصالحنا .

و لما كان الولي قد لا يكون فيه قوة النصر قالوا: ﴿ و اجعل لنا ﴾ و لما كانوا يريدون[7] أن يأتيهم خوارق [كرروا قولهم[8]: ﴿ من لدنك نصيرا ط ﴾ أي بليغ النصر إلى حد تعجب منه المعتادون - [9]] للخوارق، [10]فكان بهذا الكلام[10] كأنه سبحانه و تعالى [قال - [9]]: قد جعلت لكم

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و في الأصل و مد: عظم - كذا (٤) في ظ و مد: فكانوا (٥) من ظ و مد، و في الأصل: دينه (٦) في ظ: يجب - كذا (٧) في ظ: يريد (٨) في ظ: قوله (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الحظ الأوفر من الميراث، فما لكم لا تقاتلون في سبيلي[1] شكرا لنعمتي! و أين ما تدّعون من الحمية و الحماية! ما لكم لا تقاتلون[2] / في نصر هؤلاء / ٤٩٤ الضعفاء لتحقق[3] حمايتكم للذمار[4] و منعكم للحوزة و ذبكم عن الجار!

و لما أخبر عن افتقارهم إلى الأنصار و تظلمهم[5] من الكفار، استأنف[6] الإخبار عن الفريقين فقال مؤكدا للترغيب في الجهاد: ﴿ الذين ٥ ءامنوا ﴾ أي صدقوا في دعواهم الإيمان ﴿ يقاتلون ﴾ أي تصديقا لدعواهم من غير فترة أصلا ﴿ في سبيل الله ج ﴾ أي الذي له الإحاطة بجميع صفات الكمال قاصدين وجهه [7]بحماية الذمار[7] و غيره، و أما من لم يصدق دعواه بهذا فما[8] آمن ﴿ و الذين كفروا يقاتلون ﴾ أي كذلك ﴿ في سبيل الطاغوت ﴾ فلا ولي لهم و لا ناصر. ١٠

و لما كان الطاغوت الشيطان أو من زينه[9] الشيطان، و كان كل من عصى الله منه و[10] من أغواه حقيرا؛ سبب عن ذلك قوله: ﴿ فقاتلوآ اولياء الشيطن ج ﴾ ثم علل الجرأة عليهم بقوله: ﴿ ان كيد الشيطن ﴾ أي الذي هو رأس العصاة ﴿ كان ﴾ جبلة و طبعا ﴿ ضعيفا ع ﴾.

و لما عرفهم هذه المفاوز الأخروية و المفاخر الدنيوية، و ختم بما ١٥

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ: سبيل الله (٢) زيد بعده في ظ: في سبيل الله.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: ليتحقق (٤) في ظ: للدما - كذا (٥) في ظ: يظلمهم (٦) زيدت الواو قبله في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها.
(٧-٧) في ظ: لحماية الدما - كذا (٨) في ظ: نهل (٩) من ظ و مد، و في الأصل: رينة (١٠) في ظ: او.

ينهض الجبان[1]، و يقوى الجنان، و رغبهم بما شوق إليه من نعيم الجنان؛ عجب من حال من توانى بعد ذلك و استكان، فقال تعالى مقبلا بالخطاب على[2] أعبد خلقه[2] له[3] و أطوعهم لأمره: ﴿ الم تر ﴾ و أشار إلى أنهم بمحل بعد عن[3] حضرته تنهيضا[4] لهم بقوله: ﴿ الى الذين قيل لهم ﴾ أى ٥ جوابا لقولهم: إنا نريد أن نبسط[5] أيدينا إلى الكفار بالقتال لأن امتحاننا[6] بهم قد طال ﴿ كفوآ ايديكم ﴾ أى و لا تبسطوها إليهم[7] فانا لم نأمر بهذا ﴿ و اقيموا الصلوٰة ﴾ أى صلة بالخالق[8] و[3] استنصارا[9] على المشاقق[10] ﴿ و اٰتوا الزكوٰة ج ﴾ منماة للمال و طهرة للأخلاق و صلة للخلائق ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ أى الذى طلبوه و هم يؤمرون بالصفح، كتابة[3] ١٠ لا تنفك[11] إلى آخر الدهر ﴿ اذا فريق منهم ﴾ أى ناس تلزم[12] عن فعلهم الفرقة، فأحبوا[13] هذا الكتب بأنهم ﴿ يخشون الناس ﴾ أى الذين هم مثلهم، أن يضروهم[14]، و الحال أنه يقبح عليهم أن يكونوا أجرأ منهم و هم ناس مثلهم ﴿ كخشية الله ﴾ أى مثل ما يخشون الله الذى هو القادر لا غيره.

---

(١) من مد، و فى الأصل: الحنان، و فى ظ: الجنان (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عبد خليفة (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سسفعا - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يبسط (٦) فى الأصول: امتحانا - كذا (٧) زيد بعده الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) فى ظ: للخالق (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: استبصارا (١٠) فى ظ: التشاقق (١١) فى ظ: لا تفعل (١٢) فى ظ و مد: يلزم (١٣) فى مد: فاحثوا (١٤) فى مد: لا يضروهم، و فى ظ: لا يضرهم.

و لما

و لما كان كفهم عن القتال شديدا يوجب لمن يراه منهم[1] أن يظن بهم من الجبن ما يتردد به فى الموازنة بين[2] خوفهم من الناس و خوفهم من الله، عبر بأداة الشك فقال: ﴿ او اشد خشية ج ﴾ أى أو كانت خشيتهم لهم عند الناظر لهم أشد من خشيتهم من الله، فقد أفاد هذا أن خوفهم من الناس ليس بأقل من خوفهم من الله جزما بل إما مثله أو أشد ٥ منه؛ و قد يكون الإبهام للتفاوت[3] بالنسبة إلى وقتين، فيكون خوفهم منه[4] فى وقت متساويا، و فى آخر أزيد[5]، فهو متردد بين هذين الحالين؛ و يجوز أن يكون ذلك كناية عن كراهتهم القتال فى ذلك الوقت و تمنيهم لتأخيره إلى وقت ما. و أيد ما تقدم من الظن بقوله ما هو كالتعليل للكراهة: ﴿ و قالوا ﴾ جزعا من الموت أو المتاعب[6] - إن كانوا مؤمنين، ١٠ أو اعتراضا - إن كانوا منافقين، على تقدير صحة ما يقول الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا القريب منا ﴿ لِمَ[7] كتبت علينا القتال ج ﴾ أى و نحن الضعفاء[8] ﴿ لو لآ ﴾ أى [هلا -[9]] ﴿ اخرتنآ ﴾ أى عن الأمر بالقتال ﴿ الى اجل قريب ط ﴾ أى لنأخذ راحة مما كنا فيه[10] من الجهد من الكفار بمكة، و سبب نزولها أن عبد الرحمن بن ١٥ عوف و المقداد بن الأسود الكندى و قدامة بن مظعون و سعد بن

---

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: منه (٢) فى ظ: تبين (٣) من مد، و فى الأصل: بالتفاوت، و فى ظ: للتفاوب - كذا (٤) فى ظ: منهم (٥) فى ظ: ايد (٦) فى ظ: الباعث (٧) تقدم فى الأصل على «اى ايها» (٨) من ظ، و فى الأصل: الاضعفاء، و فى مد: ضعفاء (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ: منه.

أبي وقاص و جماعة رضي الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيرا[1] قبل أن يهاجروا ، و يقولون : يا رسول الله ! ائـذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا ، / فيقول [لهم - [2]] رسول الله صلى الله عليـه و سلم ‹ كفوا أيديكم ، فاني لم أومر بقتالهم ، و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة › ٤٩٥ /

٥ فلما هاجروا إلى المدينة و أمرهم الله سبحانه و تعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم - حكاه البغوي عن الكلبي ، و حكاه الواحدي عنه بنحوه ، و روى بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عبد الرحمن بن عوف و أصحابه رضي الله تعالى عنهم أتوا النبي صلى الله عليه و سلم بمكة فقالوا : يا رسول الله ! كنا في عز و نحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ،

١٠ فقال ‹ إني أمرت بالعفو ، فلا تقاتلوا القوم › فلما حوله الله تعالى إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا ، فأنزل الله عز و جل "الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم" - الآية . و هذا يفهم أن نسبة القول إليهم إنما هي لأن حالهم في التأخر عن المبادرة إلى القتال حال من يقول ذلك ، فالمراد من الآية إلهابهم إلى القتال و تهييجهم[3] ، ليس غير .

١٥ و لما عجب[4] عليه الصلاة و السلام منهم إنكارا عليهم كان كأنه قال : فما أقول لهم ؟ أمره[5] بوعظهم و تضليل عقولهم و تفييل[6] آرائهم[7]

(١) في الأصول : كثير (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ و مد : تهيجهم . (٤) في الأصل و مد : يعجبه ، و في ظ : تعجبه - كذا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فامر (٦) فيل رأيه : خطأه و قبحه ، و في الأصل : تصبل ، و في ظ : تقبيل ، و في مد : تفبيل - كذا (٧) في ظ : اكرامهم .

بقوله: ﴿قل متاع الدنيا قليل ج﴾ أى و لو فرض أنه مدّ فى آجالكم إلى أن تملوا الحياة، فان كل منقطع قليل، مع أن نعيمها غير محقق الحصول، و إن حصل كان منغصا بالكدورات ﴿و الأخرة خير لمن اتقى قف﴾ أى لأنها لا يفنى نعيمها مع أنه محقق و لا كدر فيه، و هى شر من الدنيا لمن لم يتق[1]، لأن عذابها طويل[2] لا يزول ﴿و لا تظلمون ٥ فتيلا ه﴾ أى لا فى دنياكم بأن تنقص آجالكم بقتالكم، و لا أرزاقكم باشتغالكم[3]، و لا فى آخرتكم بأن يضيع[4] شيء من ثوابكم على ما تنالونه[5] من المشقة، لأنه سبحانه و تعالى حكيم لا يضع شيئا فى غير موضعه[6]، و لا يفعل شيئا إلا على قانون الحكمة، فما لكم تقولون قول المتهم: لم فعلت؟ أ تخشون [الظلم فى إيجاب ما لم يجب عليكم و فى نقص الرزق ١٠ و العمر؟ تعالى الله عن ذلك! بل هو - مع أن سنته -[7]] العدل و له أن يفعل ما[8] شاء، "لا يسئل عما يفعل" - يحسن[9] و يعطى من تقبل[10] إحسانه أتم الفضل.

و لما زهدهم فى دار المتاعب و الأكدار[11] على تقدير طول البقاء،

---

(١) زيد بعده فى ظ: عذابها (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: باشغالكم (٤) فى ظ: يطيع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تنالوه (٦) فى ظ: محله (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٨) زيد فى ظ: لا. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بحسن (١٠) فى ظ: يقبل (١١) فى ظ: الاقدار.

و كانوا كأنهم يرجون بترك القتال الخلود ، أو تأخير موت يسببه[1]
القتال ؛ نبههم على ما يتحققون من أن المنية منهل لا بد من وروده فى
الوقت الذى قدر له [و -[2]] إن امتنع[3] الإنسان منه فى الحصون[4]،
أو رمى نفسه فى المتالف ، فقال تعالى - مبكتا من قال ذلك ، مؤكدا
٥ بما النافية لنقيض ما تضمنه الكلام لأن حالهم حال من ينكر الموت بغير
القتال ، مجيبا[5] بحاق[6] الجواب بعد ما أورد الجواب [الأول -[7]] على
سبيل التنزل - : ﴿ اين ما تكونوا ﴾ أيها الناس كلكم مطيعكم و عاصيكم
﴿ يدركم الموت ﴾ أى فانه طالب ، لا يفوته هارب ﴿ و لو كنتم فى
بروج ﴾ أى حصون برج داخل برج ، أو كل واحد[8] منكم فى برج .
١٠ و لما كان ذلك جمعا ناسب التشديد المراد به الكثرة فى ﴿مشيّدة﴾
أى مطولة ، كل واحد[8] منها شاهق فى الهواء منيع ، و هو مع ذلك
[9]مطلى بالشيد[9] أى بالجص ، فلا خلل فيه أصلا ، و يجوز أن يراد
بالتشيد مجرد الإتقان[10] ، يعنى أنها مبالغ فى تحصينها - لأن السياق أيضا
يقتضيه ، فاذا كان لا بد من الموت فلأن يكون فى الجهاد الذى يستعقب
١٥ السعادة الأبدية أولى من أن يكون فى غيره .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسبب (٢) زيدت الواو من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لامتنع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحصول . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : محيبا - كذا (٦) فى ظ : بخلق . و الحاق : الكامل فى الشيء (٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩-٩) فى ظ : بطل بالسيد - كذا (١٠) فى ظ : بالاتقاق - كذا .

م

ثم عطف ما بقي من أقوالهم على ما سلف منها في قوله " ربنا لم كتبت " - إلى آخره و إن كان هذا الناس منهم غير الأولين، و يجوز أن يقال: إنه لما أخبر أن الحذر لا يغني من القدر أتبع ذلك حالا لهم [1]مبكتا به لمن[1] توانى في أمره، مؤذنا بالالتفات إلى الغيبة إعراضا عن خطابهم بعض غضب، لأنهم جمعوا إلى الإخلال بتعظيمهم لله تعالى ٥ الإخلالَ[2] بالأدب مع الرسول صلى الله عليه و سلم الذي أرسله ليطاع بإذن الله فقال: ﴿ و ان ﴾ أي قالوا ذلك و الحال أنه إن ﴿ تصبهم ﴾ [أي - [3]] بعض المدعوّين من الأمة، و هم من كان في قلبه مرض ﴿ حسنة ﴾ أي شيء [4]يعجبهم، و يحسن[4] وقعه عندهم من أي شيء كان ﴿ يقولوا هذه من عند الله ج ﴾ أي الذي له الأمر كله، لا دخل لك فيها ١٠ ﴿ و ان تصبهم سيئة ﴾ أي حالة تسوءهم [5]من أي[5] جهة كانت ﴿ يقولوا هذه من عندك ط ﴾ أي من جهة حلولك في هذا البلد تطيرا بك .

و لما كان هذا أمرا فادحا، و للفؤاد محرقا و قادحا، سهل عليه بقوله: ﴿ قل كل ﴾ أي[6] من السيئة و الحسنة في الحقيقة دنيوية كانت أو أخروية ﴿ من عند الله ط ﴾ أي الذي له كل شيء، و لا شيء لغيره، ١٥ و ذلك كما قالوا لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار رضي الله تعالى عنه[7] عند ما هاجر النبي صلى الله عليه و سلم،

(١-١) في ظ: مسكتا به من (٢) من ظ ومد، و في الأصل: الاجلال (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) في ظ: تعجبهم و تحسن (٥-٥) في ظ: اي من (٦) سقط من ظ (٧) من مد، و في الأصل و ظ: عنهم .

[1] فقال النبي صلى الله عليه و سلم[1] - كما في السيرة - : بئس الميت أبو أمامة ليهود[2] و منافقي العرب ! يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه، و لا أملك [لنفسي و لا لصاحبي من الله شيئا - [3]] .

[و لما تسبب عن هذا معرفة أنهم أخطأوا في ذلك - [4]] ، فاستحقوا ٥ الإنكار قال منكرا عليهم : ﴿ فما ﴾ و حقرهم بقوله : ﴿ لـهؤلاء ﴾ و كأنه قال[5] : ﴿ القوم ﴾ الذي هو دال على القيام و الكفاية ، إما تهكما بهم ، و إما نسبة لهم إلى قوة الأبدان[6] و ضعف المكان ﴿ لا يكادون يفقهون ﴾ لا يقربون من أن يفهموا ﴿ حديثا ه ﴾ أي يلقى إليهم أصلا فهما جيدا .

١٠ و لما أجابهم بما هو الحق إيجادا عليهم ما هو الأدب لملاحظة السبب فقال مستأنفا : ﴿ مآ اصابك من حسنة ﴾ أي نعمة دنيوية أو أخروية ﴿ فمن الله ز ﴾ أي إيجادا و فضلا ، و الإيمان أحسن الحسنات ، قال الإمام : إنهم يقولون[5] : [إنهم - [7]] اتفقوا على أن قوله " و من احسن قولا ممن دعا الى الله[8] " المراد به كلمة الشهادة ﴿ و مآ اصابك ﴾ ١٥ و أنت خير الخلق ﴿ من سيئة ﴾ أي بلاء ﴿ فمن نفسك ط ﴾ أي بسببها[9] فغيرك بطريق الأولى .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) في ظ : اليهود (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و سيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: الايذان - كذا (٧) زيد من ظ (٨) سورة ٤١ آية ٣٣ (٩) في ظ : ليمها - كذا .

و لما اقتضى قولهم إنكار رسالته[1] صلى الله عليه و سلم إلا إن فعل كل خارقة ، و أخبر سبحانه و تعالى بأنه مستو مع الخلق فى القدرة قال سبحانه و تعالى مخبرا بما اختصه به عنهم : ﴿ و ارسلنك ﴾ أى مختصين لك بعظمتنا ﴿ للناس ﴾ أى كافة ﴿ رسولا[ط] ﴾ أى تفعل[2] ما على الرسل من البلاغ و نحوه ، و قد اجتهدت فى البلاغ و النصيحة ، و لم نجعلك ٥ إليها تأتى[3] [بما -[4]] يطلب منك من خير و شر ، فان أنكروا رسالتك فالله يشهد بنصب المعجزات و الآيات البينات[3] ﴿ و كفى بالله ﴾ المحيط علما و قدرة ﴿ شهيدا ه ﴾ لك بالرسالة [والبلاغ ، و لما نفى علمهم فى التخلف عن طاعته إلى أن ختم بالشهادة برسالته ؛ قال مرغبا -[5]] مرهبا على وجه عام يسكن قلبه ، و يخفف من دوام عصيانهم له ، [6]دالا على[6] ١٠ عصمته فى جميع حركاته و سكناته : ﴿ من يطع الرسول ﴾ أى كما هو مقتضى حاله ﴿ فقد اطاع الله ج ﴾ الملك الأعظم الذى لا كفوء له ، لأنه داع إليه ، و هو لا ينطق عن الهوى ، إنما يخبر بما يوحيه إليه ﴿ و من تولى ﴾ أى عن[7] طاعته .

و لما كان التقدير : فانما عصى الله ، و الله سبحانه و تعالى عالم به ١٥ و قادر عليه ، فلو أراد[8] لرده و لو شاء لأهلكه بطغيانه ، فاتركه و ذاك[3] !

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : برسالته (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : نفعل (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد . (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٧) فى ظ : على (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : اراده .

عبر عن ذلك كله بقوله: ﴿ فما أرسلنك ﴾ أى بعظمتنا ﴿ عليهم حفيظا ﴾ إنما أرسلناك داعيا .

و لما كان من شأن الرسول صلى الله عليه و سلم أن يحفظ من أطاعه و من عصاه ليبلغ ذلك من أرسله ، و كان سبحانه و تعالى قد ٥ أشار له إلى الإعراض عن ذلك ، لكونه لا يحيط بذلك علما و إن اجتهد ؛ شرع يخبره ببعض ما يخفونه فقال حاكيا لبعض أقوالهم مبينا لنفاقهم فيه و خداعهم : ﴿ و يقولون ﴾ أى إذا أمرتهم بشيء من أمرنا و هم بحضرتك ﴿ طاعة ﴾ أى كل[1] طاعة منا لك دائما، نحن ثابتون على ذلك ، و التنكير للتعظيم بالتعميم[2] ﴿ فاذا / برزوا ﴾ أى خرجوا ﴿ من عندك /٤٩٧ ١٠ بيت طآئفة ﴾ هم فى غاية التمرد ﴿ منهم ﴾ أى قدرت و زورت على غاية من التقدير و التحرير[3] مع الاستدارة و التقابل كفعل من يدبر الأمور و يحكمها و يتقنها ليلا ﴿ غير الذى تقول ﴾ أى تجدد قوله لك فى كل حين من الطاعة التى أظهروها [أو غير قولك الذى بلغته لهم ، و أدغم أبو عمرو[4] و حمزة[5] التاء بعد تسكينها استثقالا لتوالى الحركات -[6]] فى ١٥ الطاء لقرب المخرجين ، و الطاء تزيد بالإطباق ، فحسن إدغام الأنقص فى الأزيد ؛ و أظهر الباقون ، و الإدغام أوفق لحالهم ، و الإظهار أوفق[7] لما[8]

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : بالعميم (٣) فى ظ : التحذير.
(٤) من نثر المرجان ١/٦٢٩ ، و فى ظ : الومر ، و فى مد : الومروا - كذا .
(٥) من مد و نثر المرجان ، و فى ظ : هزة - كذا بالهاء (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) فى ظ : اظهر (٨) زيد بعده فى الأصل : صلح ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فصح من محالـهم.

و لما كان الإنسان من عادته إثبات الأمور التى يريد تخليدها بالكتابة أجرى الأمر على ذلك فقال: ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك المستجمع لصفات الكمال ﴿ يكتب ما يبيتون ج ﴾ أى يجددون تبيته[1] كلما فعلوه، و هو غنى عنه و لكن ذلك ليقربهم[2] إياه يوم يقوم الأشهاد، ٥ و يقيم به الحجة عليهم على ما جرت به عاداتهم، أو يوحى بـــه[3] إليك فيفضحهم[4] بكتابتـــه و تلاوته[5] مدى الدهر، فلا يظنوا أن تبييتهم[6] يغنيهم[7] شيئا .

و لما تسبب عن ذلك كفايته صلى الله عليه و سلم هذا المهم قال: ﴿ فاعرض عنهم ﴾ أى فانهم بذلك لا يضرون إلا أنفسهم ﴿ و توكل ﴾ ١٠ أى فى شأنهم و غيره ﴿ على الله ط ﴾ أى الذى لا يخرج شىء عن مراده ﴿ و كفى بالله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ وكيلا ه ﴾ فستنظر كيف تكون[3] العاقبة فى أمرك و أمرهم .

و لما كان سبب إبطانهم خلاف ما يظهرونه[8] اعتقاد أنه صلى الله عليه و سلم رئيس، لا يعلم إلا ما أظهروه، [9]لا رسول[9] من الله الذى ١٥ يعلم السر و أخفى؛ [سبب - [10]] عن ذلك على وجه الإنكار إرشادهم

---

(١) فى ظ : تبعيته ، و فى مد : بتبعيته - كذا (٢) فى ظ : لقولهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ليفضحهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تلاوة (٦) فى ظ : تبعيتهم (٧) من مد ، و فى الأصل : بيتهم . و فى ظ : بغيهم - كذا (٨) فى مد : يظهرون (٩-٩) فى ظ : لرسول (١٠) زيد من ظ و مد .

إلى الاستدلال على رسالته بما يزيح الشك و يوضح الأمر، و هو تدبر[1] هذا القرآن المتناسب المعانى، المعجز المبانى، الفائت لقوى الخالئق، المظهر لخفاياهم[2] على اجتهادهم فى إخفائها، فقال سبحانه و تعالى دالا على وجوب النظر فى القرآن و الاستخراج للمعانى منه: ﴿ أفلا يتدبرون ﴾

٥ أى يتأملون، يقال: تدبرت الشيء - إذا تفكرت فى[3] عاقبته و آخر أمره ﴿ القرآن[4] ﴾ أى الجامع لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من الباطل على نظام لا يختل و نهج لا يمل؛ قال المهدوى[5]: و هذا دليل على وجوب[6] تعلم معانى القرآن و فساد قول من قال: لا يجوز أن يؤخذ منه إلا ما ثبت عن النبى صلى الله عليه و سلم، و منع أن يتأول

١٠ على ما يسوغه لسان العرب، و فيه دليل على النظر و الاستدلال.

و لما كان التقدير: فلو كان من عند غير الله لم يخبر بأسرارهم، عطف عليه قوله: ﴿ و لو كان من عند غير الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة - كما زعم الكفار ﴿ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ أى فى المعنى بالتناقض و التخلف عن الصدق فى الإخبار بالمغيبات أو بعضها،

١٥ و فى النظم بالتفاوت فى الإعجاز؛ فاذا علموا أنه من عند الله بهذا الدليل القطعى حفظوا سرائرهم كما يحفظون علانياتهم، لأن الأمر بالطاعة مستو عند السر و العلن؛ و التقيید بالكثير يفيد أن المخلوق عاجز عن

---

(١) فى ظ: يدبر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لخفايهم (٣) فى ظ: على.

(٥) و هو أحمد بن عمار بن أبى العباس المغربى أبو العباس، نحوى لغوى مقرئ مفسر - كما فى معجم المؤلفين ٢/٢٧.

التحرز من النقص العظيم بنفسه[1]، و إفهامُه - عند استثناء[2] نقيض التالى - وجود الاختلاف اليسير فيه تدفعه الصرائح .

و لما أمر سبحانه و تعالى بالنفر إلى الجهاد على الحزم و الحذر، و أولاه الإخبار بأن من الناس المغرر [و المخذل -[3]] تصريحا بالثانى و تلويحا إلى الأول، و حذر منهما و من غيرهما إلى أن ختم بأمر ٥ الماكرين، و بأن القرآن قيم لا عوج فيه[2]؛ ذكر أيضا المخذلين و المغررين على وجه أصرح من الأول مبينا ما كان عليهم فقال: ﴿و اذا جآءهم﴾ أى هؤلاء المزلزلين ﴿امر من الامن﴾ من غير / ثبت ﴿او الخوف﴾ /٤٩٨ كذلك ﴿اذاعوا﴾ أى أوقعوا الإذاعة لما يقدرون عليه من المفاسد ﴿به[4]﴾ أى بسببه من غير علم منهم بصدقه من كذبه، و حقه من ١٠ باطله، و متفقه من مختلفه، فيحصل[4] الضرر البالغ لأهل الإسلام، أقله قلب الحقائق؛ قال فى القاموس: أذاعه و به: أفشاه و نادى به فى الناس. و ذلك كما قالوا فى أمر الأمن حين انهزم أهل الشرك بأحد، فتركوا المركز الذى وضعهم[5] به [6]رسول الله[6] صلى الله عليه و سلم، و خالفوا أمره و أمر أميرهم، فكان سبب كرة المشركين و هزيمة المؤمنين، ١٥ و فى أمر الخوف حين صاح الشيطان: إن محمدا قد قتل، فصدقوه و أذاعه بعضهم لبعض، و انهزموا و أرادوا الاستجارة بالكفار من أبى سفيان

---

(١) من مد و فى الأصل: نفسه، و فى ظ: بنقصه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: ليحصل (٥) فى ظ: وصفهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و أبي عامر، و كذا ما أشاعوه[1] عند الخروج إلى [2] بدر الموعد من أن أبا[2] سفيان قد جمع لهم ما لا يحصى كثرة، و أنهم إن لقوه لم يبق منهم أحد - إلى غير ذلك من الإرجاف إلى أن صارت المدينة تفور بالشر فوران المرجل، حتى أحجموا[3] كلهم - أو إلا أقلهم - حتى[4] قال النبي

٥ صلى الله عليه و سلم: و الله لأخرجن و لو لم يخرج معي أحد! فاستجابوا حينئذ، و أكسبهم هذا القول شجاعة و أنالهم طمأنينة، فرجعوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء كما وعدهم الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم إن صبروا و اتقوا، فكذب[5] ظنهم و صدق الله و رسوله، و في هذا إرشاد إلى الاستدلال على كون القرآن من عنده

١٠ سبحانه و تعالى بما يكذب من أخبارهم هذه[6] التي يشيعونها[7] و يختلف، و أن [ما - [8]] كان من غيره تعالى فمختلف - و إن تحرى فيه متشبه[9] - و إن جل عقله و تناهى نبله إلا إن استند[10] عقله إلى ما ورد عن العالم بالعواقب، المحيط بالكوائن على لسان الرسل عليهم الصلاة و السلام و التحية و الإكرام، و إلى أن القياس حجة، و أن تقليد القاصر للعالم

١٥ واجب، و أن الاستنباط واجب على العلماء، و النبي صلى الله عليه و سلم

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ: شياعوه (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين في الأصل بعد «احد الى» (٣) من ظ و مد، و في الأصل: احجحوا - كذا (٤) في ظ: من (٥) من ظ و مد، و في الأصل: فكذبوا (٦) من مد، و في الأصل: هذا، و قد سقط من ظ (٧) في ظ: تشيعونها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و في الأصل: منسبه - كذا (١٠) في ظ: اشتد.

رأس العلماء، و إلى ذلك يومى قوله تعالى: ﴿و لو ردوه﴾ أى ذلك الأمر الذى لا نص فيه من قبل أن يتكلموا بــه ﴿الى الرسول﴾ أى نفسه إن كان موجودا، و أخباره[1] إن كان مفقودا ﴿و الىٓ اولى الامر منهم﴾ أى المتأهلين لأن يأمروا و ينهوا من الأمراء بالفعل[2] أو بالقوة من العلماء و غيرهم ﴿لعلمه﴾ أى ذلك الأمر على حقيقته و هل هو مما ٥ يذاع أو لا ﴿الذين يستنبطونه﴾ أى يستخرجونه بفطنتهم و تجربتهم كما يستخرج الإنباط المياه و منافع الأرض ﴿منهمؕ﴾ أى من الرسول و أولى الأمر.

و لما كان التقدير: فلو لا فضل الله عليكم و رحمته بالرسول و ورّاث[3] علمه [4]لاستبيحت باشاعاتهم[4] هذه بيضة الدين و اضمحلت أمور المسلمين؛ ١٠ عطف عليه قوله: ﴿و لو لا فضل الله عليكم﴾ أى أيها المتسمون بالإسلام بانزال الكتاب و تقويم العقول ﴿و رحمته﴾ بارسال الرسول ﴿لاتبعتم الشيطن﴾ أى المطرود[5] المحترق ﴿الا قليلا ۵﴾ أى منكم فانهم لا يتبعونه[6] حفظا من الله سبحانه و تعالى بما وهبهم من صحيح العقل من غير واسطة رسول؛ و هذه الآية من المواضع المستصعبة[7] على الأفهام ١٥ بدون توقيف على المراد بالفضل إلا عند من آتاه الله سبحانه و تعالى علما بالمناسبات، و فهما ثاقبا بالمراد بالسياقات، و فطنة بالأحوال و المقامات

---

(١) فى ظ: اختاره (٢) فى ظ: با - كذا (٣) فى ظ: وارث (٤-٤) فى ظ: لاستبيحيت باشاعتهم (٥) فى ظ: المطر - كذا (٦) زيد بعده فى الأصل: بهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى ظ و مد: المستعصبة.

تقرب من الكشف ، و ذلك ان من المقرر أنه لا بد من مخالفة[١] حكم المستثنى [٢]لحكم المستثنى[٢] منه ، و هو هنا من وجد عليهم الفضل و الرحمة فاهتدوا ، و مخالفة المستثنى لهم تكون بأحد أمور ثلاثة كل / منها[٣] فاسد ، إما بأن يعدموا الفضل فيتبعوه[٤] ، و يلزم عليه أن يكون الضال أقل من المهتدى، و هو خلاف المشاهد ؛ أو[٥] بأن يعدموه[٥] فلا يتبعوه ، فيكونوا مهتدين من غير فضل ؛ أو بأن يوجد عليهم الفضل فيتبعوه ، فيكونوا ضالين مع الفضل و الرحمة اللذين كانا سببا فى امتناع الضلال عن المخاطبين . فيكونان تارة مانعين ، و تارة غير مانعين . فلم يفيدا إذن مع أنه أيضا يلزم عليه أن يكون الضال أقل من المهتدى ؛ فاذا حمل الكلام على أن المراد بالفضل الإرسال وضح المعنى و يكون التقدير : و لو لا إرسال الرسول لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم ، [٦]فانهم لا يتبعونه[٦] من غير إرشاد الرسول ، بل بهداية من الله سبحانه و تعالى و فضل بلا واسطة كقس[٧] بن ساعدة و زيد بن عمرو بن نفيل و ورقة بن نوفل ؛ و الدليل[٨] على هذا المقدر[٨] أن السياق لرد الأشياء كلها إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ، و المنع من الاستقلال بشيء دونه .

و لما بين سبحانه و تعالى نفاقهم المقتضى لتقاعدهم عن الجهاد بأنفسهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمخالفة ـ كذا (٢ – ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما (٤) فى ظ : فيتبعونه (٥–٥) من مد ، و فى الأصل : بان يعدموا ، و فى ظ : فلا يعدموه (٦–٦) فى ظ : فانكم لا تتبعونه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كقيس (٨) سقط من ظ .

و تنشيطهم لغيرهم، كان ذلك سببا لأن يمضي صلى الله عليه و سلم لأمره سبحانه و تعالى[1] من غير التفات إليهم وافقوا أو نافقوا، فقال سبحانه و تعالى بعد الأمر بالنفر ثبات و جميعا، و بيان أن منهم المبطئ، مشيرا إلى أن الأمر باق و إن بطّأ الكل: ﴿فقاتل في سبيل الله ج﴾ أي الذي له الأمر كله و لو كنت وحدك. ٥

و لما كان كأنه قيل: فما أفعل فيمن أرسلت إليهم إن لم يخرجوا؟ قال - معلما بأنه [2]قد جعله[2] أشجع الناس و أعلمهم بالحروب و تدبيرها، و هو مع تأييده بذلك قد تكفل بنصرته و لم يكله إلى أحد -: ﴿لا تكلف الا نفسك﴾ [أي ليس عليك - [3]] إثم أتباعك لو تخلفوا عنك، و قد أعاذهم الله سبحانه و تعالى من ذلك، و لا ضرر عليك في الدنيا أيضا ١٠ من تخليهم، فان الله سبحانه و تعالى ناصرك وحده[4]، و ليس النصر إلا بيده سبحانه و تعالى، و ما[5] كان سبحانه و تعالى ليأمره بشيء إلا و هو كفوء له، فهو ملئ بمقاتلة الكفار كلهم[6] وحده و إن كانوا أهل الأرض كلهم، و لقد عزم في غزوة بدر الموعد - التي قيل: إنها سبب نزول هذه الآية - على الخروج إلى الكفار و لو لم يخرج معه أحد، و قد ١٥ اقتدى به صاحبه الصديق[6] رضي الله تعالى عنه في قتال أهل الردة فقال للصحابة رضي الله تعالى عنهم: و الله لو لم أجد إلا هاتين - يعني ابنتيه:

(١) زيد بعده في ظ: فقال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد، غير أن «أي» غير موجود في ظ (٤) في ظ: وحدك (٥) من ظ ومد، و في الأصل: لما (٦) سقط من ظ.

عائشة و أسماء رضى الله تعالى عنهما - لقاتلتهم[1] بهما .

و لما كان ذلك قد يفتر عن الدعاء قال[2]: ﴿ و حرض المؤمنين ج ﴾ أي مُرهم بالجهاد و انههم عن تركه و عن مواصلة كل من يثبطهم عنه [و عظهم -[3]] و اجتهد فى أمرهم حتى يكونوا مستعدين للنفر متى ندبوا ٥ حتى كأنهم لشدة[4] استعدادهم حاضرون[4] فى الصف دائما . ثم استأنف الذكر لثمرة ذلك فقال: ﴿ عسى الله ﴾ أي الذى استجمع صفات الكمال ﴿ ان يكف ﴾ بما له من العظمة ﴿ باس الذين كفروا ط ﴾ أي عن أن[5] يمنعوك من إظهار الدين بقتالك و قتال من تحرضه[6]، و لقد فعل سبحانه و تعالى ذلك، فصدق وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، ١٠ حتى ظهر الدين، و لا يزال ظاهرا حتى يكون آخر ذلك على يد عيسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كان السامع ربما فهم أنه لا يتأتى [كفهم -[7]] إلا بذلك، قال ترغيبا و ترهيبا و احتراسا: ﴿ و الله ﴾ أي الذى لا مثل له ﴿ اشد باسا ﴾ أي عذابا و شدة من المقاتِلين و المقاتَلين[8] ﴿ و اشد تنكيلا ﴾ ١٥ أي تعذيبا بأعظم العذاب، ليكون ذلك مهلكا للعذب و مانعا لغيره عن مثل فعله؛ قال الإمام أبو عبد الله القزاز: [يقال -[7]]: نكلته تنكيلا - إذا عملت به عملا يكون نكالا لغيره، أي عبرة فيرجع عن المراد من

(١) فى ظ : لقاتلهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : استعداده حاضرين (٥) سقط من مد (٦) فى ظ : محرصه - كذا غير منقوط (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى ظ : المقابلين .

أجله

أجله، و هو أن الناظر إليه و الذى يبلغه ذلك يخاف[1] أن يحل به مثله، أى فيكون له ذلك قيدا عن الإقدام؛ و النكل - بالكسر: القيد.

و لما كان/ ذلك موجبا للرغبة فى طاعة النبى صلى الله عليه و سلم / ٥٠٠ لا سيما فى الجهاد، و للرغبة فيمن كان بصفة المؤمنين من الإقبال على الطاعة، و الإعراض عن كل من كان بصفة المنافقين، و الإدامة لطردهم و إبعادهم ٥ و الغلظة[2] عليهم، و الحذر من مجالستهم حتى يتبين إخلاصهم، و كان بين كثير[3] من خلص الصحابة رضى الله تعالى عنهم و بينهم قرابات توجب العطف المقتضى للشفقة عليهم، الحاملة للشفاعه فيهم، إما بالإذن فى التخلف عن الجهاد لما يزخرفون القول[4] من الأعذار الكاذبة، [أو - [5]] فى العفو عنهم عند العثور على نقائصهم، أو فى إعانتهم أو إعانة ١٠ غيرهم بالمال و النفس فى أمر الجهاد عند ادعاء أن المانع له عنه[6] العجز - و فى غير ذلك، و كانت التوبة معروضة[7] لهم و لغيرهم، و كان البر ما سكن إليه [8]القلب، و الإثم ما حاك فى الصدر، و الإنسان على نفسه بصيرة، و كانت[8] البواطن لا يعلمها إلا الله سبحانه و تعالى، و كان الإنسان ربما أظهر[9] شرا[10] فى صورة[11] خير؛ رغب سبحانه و تعالى فى البر، ١٥ و حذر[12] من الإثم بقوله - معمما مستأنفا فى جواب من كأنه قال:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يخالف (٢) فى ظ: الغلظ (٣) فى ظ: بكثير.
(٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: عند (٧) فى ظ: مفروضة (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: سرا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: سورة (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: حذرا.

أما تقبل فيهم شفاعة - : ﴿ من يشفع ﴾ أى يوجد و يجدد[1] ، كائنا من كان ، فى أى وقت كان ﴿ شفاعة حسنة ﴾ أى يقيم بها عذر المسلم فى كل ما يجوز[2] فى الدين ليوصل إليه خيرا ، أو[3] يدفع عنه ضيرا[4] ﴿ يكن له نصيب منها ج ﴾ بأجر تسببه فى الخير ﴿ و من يشفع ﴾ كائنا من كان ،
٥ فى أى زمان كان ﴿ شفاعة سيئة ﴾ أى بالذب عن مجرم فى أمر لا يجوز ، و التسبب فى إعلائه و جبر[5] دائه ؛ و عظّم الشفاعة السيئة لأن درء[6] المفاسد أولى من جلب المصالح ، فقال - معبرا بما يفهم النصيب و يفهم أكثر منه تغليظا فى الزجر[7] - : ﴿ يكن له كفل منها ط ﴾ و هذا بيان لأن الشفاعة فيهم سيئة إن تحقق إجرامهم ، حسنة إن علمت توبتهم
١٠ و إسلامهم .

و لما كان كل من تحريض المؤمنين على الجهاد و الشفاعة الحسنة من وادى «من سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة» حَسُنَ[8] اقترانهما جدا ، و النصيب قدر متميز[9] من الشيء[10] يخص من هو له ، و كذا الكفل إلا أن الاستعمال يدل على أنه أعظم من النصيب ،
١٥ و يؤيده ما قالوا من أنه قد يراد به الضعف ، فكأنه نصيب متكفل بما هو له

(١) من ظ ، و فى الأصل : يجد ، و فى مد : تحـد - كذا (٢) فى ظ : تجوز .
(٣) فى ظ «و» (٤) فى ظ : ضير (٥) فى ظ : حنو ، و فى مد : حبر - كذا .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : وزر - كذا (٧) فى ظ : الرر - كذا .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسنة (٩) فى ظ : مميز (١٠) زيد بعده فى ظ : ممن هو له .

من إسعاد و إبعاد؛ قال أهل اللغة: النصيب: الحظ، والكفل - بالكسر[١]: الضعف و النصيب و الحظ، و مادة "نصب[٢]" يدور على العلم المنصوب، و يلزمه الرفع و الوضع و التمييز[٣] و الأصل و المرجع و التعب، فيلزمه الوجع، و من لوازمه أيضا الحد و الغاية و الجد[٤] و الوقوف؛ و مادة "كفل" تدور على الكفل - بالتحريك و هو العجز أو ردفه، و يلزمه ٥ الصحابة و اللين و الرفق و التأخر؛ و قال الإمام: الكفل هو النصيب الذى عليه يعتمد الإنسان فى تحصيل المصالح لنفسه و دفع المفاسد عن نفسه، و المقصود هنا حصول ضد ذلك كقوله "فبشرهم بعذاب اليم" و الغرض منه التنبيه على أن الشفاعة المؤدية[٥] إلى سقوط الحق و قوة الباطل تكون عظيمة العقاب[٦] عند الله سبحانه و تعالى - انتهى. و ما غلظ ١٠ هذا[٧] الزجر إلا للعلم بأن أكثر النفوس ميالة بأصحابها للشفاعة بالباطل.

و لما كان الأليق بالرغبة أن لا يقطع فى موجبها [و إن عظم -[٨]] بالحقية[٩]، ليكون[١٠] ذلك زاجرا عن مقارفة[١١] شيء منها و إن صغر؛ عبر [١٢]فى الحسنة[١٢] بالنصيب، و[١٣] فى السيئة بالكفل[١٤]؛ و يؤيد إرادة هذا أنه

(١) فى ظ: و الكسر (٢) فى ظ: نصيب (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: التميز (٤) فى الأصول: الحد، و مبنى التصحيح ما ورد فى القاموس: نصبه الهم: أتعبه، و الرجل: جد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المودى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لعقاب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بهذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: بالفوز - كذا (١٠) فى ظ: لئلا يكون (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: مفارقة (١٢-١٢) فى ظ: بالحسنة (١٣) سقطت الواو من ظ. (١٤) فى الأصول: بالكفيل.

تعالى لما ذكر ما يوجب الجنة من الإيمان و التقوى ، و كان فى سياق الوعظ لأهل الكتاب الذين هم على شرع أصله حق بتشريع[1] رسول من عند الله ، فتركهم لذلك بعيد يحتاج إلى زيادة ترغيب؛ عبر بالكفل فقال تعالى " يآيها الذين امنوا / اتقوا الله و امنوا برسوله يؤتكم كفلين /٥٠١

٥ من رحمته[2] " - إلى آخرها .

و لما كان النصيب مبهما[3] بالنسبة [إلى علمنا لتفاوته بالنسبة -[4]] إلى قصور الشافعين ، و إقدامهم على الشفاعة على علم أو جهل و غير ذلك مما لا يمكن الإحاطة به إلا الله سبحانه و تعالى علما و قدرة؛ قال تعالى مرغبا و[5] مرهبا: ﴿ و كان الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام[6] ﴿ على

١٠ كل شيء ﴾ من الشافعين و غيرهم و جزاء الشفاعة ﴿ مقيتا ه ﴾ أى حفيظا و شهيدا و قديرا على إعطاء ما يقوت من أخلاق النفوس و أحوال القلوب و أرزاق الأبدان و جميع ما به القوام جزاء و ابتداء من جميع الجهات ، و على تقدير ما يستحق كل أحد[7] من الجزاء على الشفاعة و كل خير و شر .

١٥ و لما كان ذلك موجبا للاعراض عنهم[8] رأسا و منابذتهم قولا و فعلا ، بين سبحانه و تعالى أن التحية ليست من وادى الشفاعة ، و أن الشفاعة تابعة للعلم ، و التحية تابعة للظاهر ، فقال سبحانه و تعالى عاطفا

---

(١) فى ظ : تشريع (٢) سورة ٥٧ آية ٢٨ (٣) فى ظ : منهما (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، غير أن « إلى » ليس فى ظ (٥) سقطت الواو من ظ و مد (٦) فى مد : الجمال (٧) فى ظ : واحد (٨) زيدت الواو بعده فى ظ .

على

على ما تقديره : فلا تشفعوا فيهم و أنتم تعلمون سوء مقاصدهم، فقال معبرا بأداة التحقق بشارة لهم بأنهم يصيرون - بعد ما هم فيه الآن من النكد - ملوكا، و فى حكم الملوك، يحيون و يشفع عندهم، و حثا على التواضع: ﴿ و اذا حييتم بتحية ﴾ أى [أىّ تحية كانت - [1]]
إذا كانت مشروعة، و أصل التحية الملك، و اشتقاقها من الحياة، فكأن ٥
حياة الملك هى الحياة، و ما عداها عدم[2]، ثم أطلقت على كل دعاء يبدأ به عند اللقاء؛ و قال الأصبهانى: لفظ التحية صار كناية عن الإكرام، فجميع أنواع الإكرام تدخل[3] تحت لفظ التحية ﴿ فحيوا باحسن منهآ ﴾ كأن تزيدوا[4] عليها ﴿ او ردوها ﴾ أى من غير زيادة و لا نقص،
و ذلك دال[5] على وجوب رد السلام - من الأمر، و على الفور - من الفاء[6]، ١٠
و الإجماع موافق لذلك، و ترك الجواب إهانة، و الإهانة ضرر، و الضرر حرام؛ قال الأصبهانى: و المبتدئ يقول: السلام عليكم، و المجيب يقول[7]: و عليكم السلام، ليكون الافتتاح و الاختتام بذكر الله سبحانه و تعالى. و ما أحسن جعلها تالية لآية الجهاد إشارة إلى أن من بذل
السلام وجب الكف عنه و لو كان فى الحرب، على أن من مقتضيات ١٥
هاتين الآيتين [أن مبنى هذه السورة على الندب إلى الإحسان و التعاطف

---

(١) زيد من ظ و مد، غير أن «اى» ليس فى ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عدمهم (٣) فى ظ: يدخل (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: يزيدوا.
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: الالفاء - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بقوله.

و التواصل، و سبب ذلك إما المال و قد تقدم الأمر به فى قوله تعالى "و اذا حضر القسمة" - الآية ، و إما غيره و من أعظمه القول، لأنه[1] ترجمان القلب الذى به العطف ، و من أعظم ذلك الشفاعة و التحية ، قال عليه الصلاة و السلام فيما أخرجه مسلم و الأربعة عن أبى هريرة رضى الله عنه «و الذى نفسى بيده[2]! لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، و لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أ فلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم» فناسب ذكر هاتين الآيتين -[3]] بعد ذكر آية الجهاد المختتمة بالبأس و التنكيل .

و لما كانت الشفاعة أعظمها فى الإحسان قدمت و لا سيما و[4] موجبها الإعراض ، و مقصد السورة التواصل ، فشأنها أهم و النظر إليها آكد ، ثم رغب فى الإحسان فى الرد ، و رهب من تركه بقوله معللا : ﴿ان الله﴾ أى الذى [له -[3]] الإحاطة علما و قدرة ﴿كان﴾ أى أزلا و أبدا ﴿على كل شىء حسيباه﴾ أى محصيا لجميع المتعددات دقيقها و جليلها، كافيا[5] لها فى أقواتها و مثوباتها ، محاسبا بها ، مجازيا عليها، و ذلك كله شأن المقيت ؛ ثم علل ذلك بقوله دالا على تلازم التوحيد و العدل : ﴿الله﴾ أى الذى لا مثل له ﴿لآ الـه الا هو ط﴾ أى و قد أمركم بالعدل فى الشفاعه و السلام ، فان لم تفعلوه[6] - لما لكم من النقائص

---

(١) فى ظ: لان (٢) من مد و مسند الإمام أحمد ١/١٦٧ ، و فى ظ : به (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى مد: كاينا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يفعلوه .

التى منها عدم الوحدانية - فهو فاعله و لا بد ، فاحذروه لأنه واحد ،
فلا معارض له فى شيء من الحساب و لا غيره ، و لا يخفى عليه شيء ،
فالحكم على البواطن إنما هو له تعالى ، و أما أنتم فلم تكلفوا إلا بالظاهر .
و لما تبين أنه لا معارض له أنتج قوله مبينا[1] لوقت الحساب الأعظم :
﴿ ليجمعنكم ﴾ و أكده باللام و النون دلالة على تقدير القسم لإنكار ٥
المنكرين له ، و لما كان التدريج بالإماتة شيئا فشيئا ، عبر بحرف الغاية
فقال : ﴿ الى يوم القيمة ﴾ و الهاء للمبالغة ، ثم أكده بقوله : ﴿ لا ريب
فيه ﴾ أى فيفصل بينكم و بين من أخبركم بهم من المنافقين و نقد أحوالهم
و بين محالهم ، فيجازى كلا بما يستحق .
و لما كان التقدير : فمن أعظم من الله قدرة ! عطف عليه قوله : ١٠
﴿ و من اصدق من الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فلا شوب[2] نقص[3]
يلحقه ﴿ حديثا ع ﴾ و هو قد وعد بذلك لأنه عين الحكمة ، و أقسم
/ عليه ، فلا بد من وقوعه ، و إذ قد تحرر بما مضى أن المنافقين كفرة ، /٥٠٢
لا لبس فى أمرهم ، و كشف سبحانه و تعالى الحكم فى باطن أمرهم
بالشفاعة و ظاهره بالتحية ، و حذر من خالف ذلك بما أوجبته على نفسه ١٥
حكمته من الجمع ليوم الفصل للحكم بالعدل ، و ختم بأن الخبر عنهم و عن
جميع ذلك صدق[4] ، كان ذلك سببا[5] لجزم القول بشقاوتهم و الإعراض

---

(١) زيد بعده فى الأصول : و الهاء للمبالغة ، و ستأتى الزيادة بعد قوله تعالى " الى يوم القيامة " و هو محلها فحذفناها من ههنا (٢) فى ظ : سوب - كذا (٣) سقط من ظ (٤) زيد بعده فى ظ : لا يدانيه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبب.

عنهم و البعد عن الشفاعة فيهم ، و الإجماع على ذلك من كل مؤمن و إن كان مبنى السورة على التواصل ، لأن ذلك إنما هو حيث لا يؤدى إلى مقاطعة أمر الله ، فقال تعالى مبكتا لمن توقف عن الجزم بابعادهم : ﴿ فما لكم ﴾ [أيها المؤمنون - [1]] ﴿ فى المنٰفقين ﴾ أى [أىّ - [2]] شيء
٥ لكم من أمور الدنيا أو[3] الآخرة فى افتراقكم فيهم ﴿ فئتين ﴾ بعضكم يشتد عليهم و بعضكم يرفق بهم .

و لما كان هذا ظاهرا فى بروز الأمر المطاع بيت[4] القول بكفرهم وضحه[5] بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الذى لا أمر لأحد معه ﴿ اركسهم ﴾ أى ردهم منكوسين مقلوبين ﴿ بما كسبوا ﴾ أى بعد
١٠ إقرارهم بالإيمان من مثل هذه العظائم ، فاحذروا ذلك و لا تختلفوا فى أمرهم بعد هذا البيان ؛ و فى غزوة أحد و التفسير من البخارى عن زيد ابن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : لما خرج النبى صلى الله عليه و سلم إلى أحد رجع ناس ممن خرج[6] معه ، و كان أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم [فرقتين - [7]] : فرقة تقول : نقاتلهم[8] ، و فرقة تقول : لا نقاتلهم ،
١٥ فنزلت : "فما لكم فى المنٰفقين" - الآية ، و قال : إنها طيبة تنفى[9] الذنوب - و فى رواية : الخبيث - كما تنفى النار خبث الفضة - انتهى . فالمعنى حينئذ : اتفقوا على أن تسيروا[10] فيهم بما ينزل عليكم فى هذه الآيات .

(١) زيد من ظ (٢) زيد من مد (٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : ثبت (٥) فى ظ : اوضحه (٦) سقط من ظ (٧) زيد من صحيح البخارى - باب غزوة أحد (٨) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : يقاتلهم (٩) فى ظ : تبقى (١٠) من مد ، و فى الأصل : تصيروا ، و فى ظ : يسيروا .

و لما كان[1] حال من يرفق بهم حال من يريد هدايتهم، أنكر سبحانـــه و تعالى ذلك عليهم صريحا لبتّ الأمر فى كفرهم فقـال: ﴿ اتريدون ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان تهدوا[2] ﴾ أى توجدوا الهداية فى قلب ﴿ من اضل الله[1] ﴾ أى و هو الملك الأعظم الذى لا يرد له أمر، و هو معنى قوله: ﴿ و من ﴾ أى و الحال أنه من[1] ﴿ يضلل الله ﴾ ٥ أى بمجامع أسمائه و صفاته ﴿ فلن تجد ﴾ أى أصلا أيها المخاطب كائنا من كان ﴿ له سبيلا ه ﴾ أى إلى ما أضله عنـه أصلا، و المعنى: إن كان رفقكم[3] بهم رجاء هدايتهم فذلك أمر ليس إلا لله[4]، و إنما عليكم أنتم الدعاء، فمن أجاب صار أهلا للواصلة، و من أبى صارت مقاطعته دينا، و قتله[5] قربة، و الإغلاظ عليه واجبا. ١٠

و لما أخبر بضلالهم و ثبـاتهم عليه، أعلم باعراقهم فيـه فقال: ﴿ ودوا ﴾ أى أحبوا و تمنوا تمنيا واسعا ﴿ لو تـكفرون ﴾ أى توجدون الـكفر و تجددونه و تستمرون عليه دائما ﴿ كما كفروا ﴾ و لما لم يكن بـين ودهم لـكفرهم و كونهم مساوين لهم تـلازم، عطف [على - [6]] الفعل المودود[7] - و لم يسبب - قوله: ﴿ فتـكونون ﴾ أى [و - [6]] ودوا ١٥

(١) سقط من ظ (٢) من القرآن المجيد، و فى الأصول: تهتـدوا (٣) من ظ ومد، و فى الأصل: رفقكم - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الله.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: قتلته (٦) زيـد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: المودوه - كذا.

أن[1] يتسبب عن ذلك و يتعقبه أن تكونوا أنتم و هم ﴿ سوآء ﴾ أى فى الضلال، أى توجدون الكفر و تجددونه و تستمرون عليه دائما، فأنتم ترجون فى زمان الرفق بهم[2] هدايتهم و هم يودون فيه كفركم[3] و ضلالكم، فقد تباعدتم فى المذاهب و تباينتم فى المقاصد.

٥ و لما أخبر بهذه[4] الودادة، سبب عنه أمرهم بالبراءة منهم حتى يصلحوا، بيانا لأن قولهم فى الإيمان لا يقبل ما لم يصدقوه بفعل فقال: ﴿ فلا تتخذوا ﴾ أى [5]أيها المؤمنون[5] ﴿ منهم اولياء ﴾ أى أقرباء منكم ﴿ حتى يهاجروا[6] ﴾ أى يوقعوا[7] المهاجرة ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى يهجروا[8] من خالفهم فى ذات من لا شبه[9] له، و يتسببوا فى

١٠ هجرانه لهم إن كانوا فى دار الحرب فبتركها، و إن كانوا عندكم فبترك موادة الكفرة و الموافقة[10] لهم فى أقوالهم و أفعالهم و إن كانوا أقرب أقربائهم، و هجرتهم فى جميع ذلك بمواصلتكم[11] فى جميع أقوالكم و أفعالكم؛ و الهجرة العامة هى[12] ترك ما نهى الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه / و سلم عنه.

/٥٠٣

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٢) فى ظ: نهم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: كفرهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عن هذه (٥-٥) من ظ و مد، و وقع فى الأصل: يهجروا من - كذا مصحفا (٦) فى ظ: تهاجروا (٧) فى ظ: توقعوا (٨) فى ظ: تهجروا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: يشبه (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الموادة (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: بواصلتهم - (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: فى.

و لما نهى عن موالاتهم و [غيّ - [1]] النهى بالهجرة ، سبب عنه قوله : ﴿ فان تولوا ﴾ أى عن الهجرة المذكورة ﴿ فخذوهم ﴾ أى اقهروهم بالأسر و غيره ﴿ و اقتلوهم حيث وجدتموهم ص ﴾ أى فى حل أو حرم . و لما كانوا فى هذه الحالة لا يوالون المؤمنين إلا تكلفا قال: ﴿ و لا تتخذوا ﴾ أى تتكلفوا أن تأخذوا ﴿ منهم وليا ﴾ أى من تفعلون[2] ٥ معه فعل المقارب المصافى ﴿ و لا نصيرا ۝ ﴾ اى [على - [1]] أحد من أعدائكم[3] ، بل جانبوهم مجانبة كلية .

و لما كان سبحانه و تعالى قد أمر فيهم على تقدير توليهم بما أمر، استثنى منه فقال: ﴿ الا الذين يصلون ﴾ فرارا منكم، و هم من الكفار عند الجمهور ﴿ الى قوم بينكم و بينهم ميثاق ﴾ أى عهد وثيق بأن ١٠ لا تقاتلوهم و لا تقاتلوا من لجأ[4] إليهم أو دخل فيما دخلوا فيه، فكفوا حينئذ عن أخذهم و قتلهم ﴿ او ﴾ الذين ﴿ جآءوكم ﴾ حال كونهم[5] ﴿ حصرت ﴾ أى ضاقت و هابت و أحجمت[6] ﴿ صدورهم ان[7] ﴾ أى عن أن ﴿ يقاتلوكم ﴾ أى لأجل دينهم و قومهم ﴿ او يقاتلوا قومهم ط ﴾ أى لأجلكم فرارا أن[8] يكفوا عن قتالكم و قتال قومهم فلا تأخذوهم ١٥ و لا تقاتلوهم ، لأنهم كالمسالمين[9] بترك القتال ، و لعله عبر بالماضى فى "جاء"

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يفعلون (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعدايهم (٤) فى ظ : الجأ (٥) فى الأصل : كونها ، و فى ظ و مد : كونكم - كذا . (٦) فى الأصل : احمحت ، و فى ظ و مد : اجمحت - كذا (٧) سقط من ظ . (٨) من ظ ، وفى الأصل : او ، وفى مد : اى (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : كالمساكين .

إشارة إلى أن شرط مساواتهم للواصلين إلى المعاهدين عدم التكرر، فان[1] تكرر ذلك منهم فهم الآخرون الآتي حكمهم.

[2]و لما كان[2] التقدير: فلو شاء الله لجعلهم مع قومهم إلبا[3] واحدا [عليكم - [4]]، عطف عليه قوله: ﴿ و لو ﴾ أي[5] يكون المعنى: و الحال ٥ أنه لو ﴿ شآء الله ﴾ أي و هو المتصف بكل كمال ﴿ لسلطهم ﴾ أي هؤلاء الواصلين و الجائين[6] على تلك[7] الحال من الكفار ﴿ عليكم ﴾ بنوع من أنواع التسليط، تسليطا جاريا على الأسباب و مقتضى العوائد، لأن بهم[8] قوة على قتالكم ﴿ فلقٰتلوكم ج ﴾ أي فتسبب عن هذا التسليط أنهم قاتلوكم منفردين أو مع[9] غيرهم من أعدائكم، و اللام فيه جواب ١٠ 'لو' على التكرير، أو البدل من 'سلط[10]'.

و لما كان المغني على النهي عن قتالهم[11] حينئذ، صرح به في قوله: ﴿ فان اعتزلوكم ﴾ أي هؤلاء الذين أمرتكم بالكف عنهم من المنافقين، فكفوا عنكم ﴿ فلم يقاتلوكم ﴾ منفردين و لا مجتمعين مع غيرهم ﴿ و القوا اليكم السلم لا ﴾ أي الانقياد ﴿ فما جعل الله ﴾ أي الذي

---

(١) في ظ: فانه (٢ - ٢) من ظ و مد، و في الأصل: و لو كانوا ان - كذا. (٣) الإلب: القوم تجمعهم عداوة واحد، يقال: هم عليّ إلب واحد (٤) زيد من مد (٥) في ظ: او، و زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٦) في ظ: الخاسين - كذا (٧) من ظ و مد، و في الأصل: ذلك (٨) في ظ: لهم (٩) من ظ و مد، و في الأصل: سمع - كذا (١٠) في ظ: سلطوا (١١) من ظ و مد، و في الأصل: قتالكم.

[لا - [1]] أمر لأحد معه بجهة من الجهات ﴿ لكم عليهم سبيلا ﴾ أى إلى شيء من أخذهم و لا قتلهم .

و لما كان كأنه قيل : هل بقي من أقسام المنافقين شيء ؟ قيل : نعم! ﴿ ستجدون ﴾ أى عن قرب بوعد لا شك فيه ﴿ اٰخرين ﴾ أى من المنافقين ﴿ يريدون ان يامنوكم ﴾ أى فلا يحصل لكم منهم ضرر ٥ ﴿ و يامنوا قومهم ﴾ كذلك[2] ، لضعفهم عن كل منكم ، فهم يظهرون لكم الإيمان إذا لقوكم ، و لهم الكفر إذا لقوهم ، و هو معنى ﴿ كلما ردوآ الى الفتنة ﴾ أى الابتلاء[3] بالخوف عند المخالطة ﴿ اركسوا ﴾ أى قلبوا منكوسين ﴿ فيها ج ﴾ .

و لما كان هؤلاء أعرق[4] فى النفاق و أردى و أدنى من الذين قبلهم ١٠ و أعدى ، صرح بمفهوم ما صرح به فى أولئك ، لأنه أغلظ و هم أجدر[5] من الأولين بالإغلاظ ، و طوى ما صرح به ، [6] ثم قال[6] : ﴿ فان لم يعتزلوكم ﴾ و لما كان الاعتزال خضوعا لا كبرا ، صرح به فى قوله : ﴿ و يلقوآ اليكم السلم ﴾ [أى - [1]] الانقياد . و لما كان الإلقاء[7] لا بد له من قرائن يعرف بها قال : ﴿ و يكفوآ ايديهم ﴾ أى عن قتالكم ١٥ و أذاكم ﴿ فخذوهم ﴾ أى اقهروهم بكل نوع من أنواع القهر تقدرون عليه ﴿ و اقتلوهم ﴾ .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : لذلك (٣) فى ظ : بالابتلاء (٤) فى ظ : اعرف (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : احذر (٦-٦) فى ظ : فقال (٧) سقط من ظ .

و لما كان نفاقهم - كما تقدم - فى غاية الرداءة ، و أخلاقهم فى نهاية الدناءة، أشار[1] إلى الوعد بتيسير التمكين[2] منهم فقال: ﴿ حيث ثقفتموهم ﴾
/٥٠٤ فان معناه : صادفتموهم و أدركتموهم و أنتم ظافرون بهم ،/ حاذقون فى قتالهم ، فطنون[3] به ، خفيفون فيه ، فان الثقف : الحاذق الخفيف الفطن ،
٥ و لذلك[4] أشار إليهم بأداة البعد فقال: ﴿ و اولئكم ﴾ أى البعداء عن منال[5] الرحمة من النصر و النجاة و كل خير ﴿ جعلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ لكم عليهم سلطنا ﴾ أى تسلطا ﴿ مبينا ﴾ أى ظاهرا قوته و تسلطه . و هذه الآيات منسوخة بآيـــة براءة ، فانها متأخرة النزول فانها بعد تبوك .

١٠ و لما بين أقسامهم بيانا ظهر منه أن أحوالهم ملبسة ، و أمر بقتالهم مع الاجتهاد فى تعرف[6] أحوالهم ، و ختم بالتسلط عليهم ، و كان ربما قتل[7] من لا يستحق القتل بسبب الإلباس ؛ أتبع ذلك بقوله المراد [8]به التحريم[8] ، مخرجا له فى صورة النفى المؤكد بالكون لتغليظ الزجر عنه لما للنفوس عند الحظوظ من الدواعى إلى القتل : ﴿ و ما كان لمؤمن ﴾
١٥ أى يحرم عليه ﴿ان يقتل مؤمنا﴾ أى فى حال من الحالات ﴿الا خطأ ج﴾ أى فى حالة الخطأ بأن لا يقصد[9] القتل ، أو لا يقصد الشخص ، أو يقصده

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل: اشارة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: التمكن.
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : فظنون - كذا (٤) فى ظ : كذلك (٥) من مد ، و فى الأصل : و ظ : مثال (٦) فى ظ : تفرق (٧) فى ظ : قيل (٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتحريم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقصد .

بما لا يقصد به زهوق الروح، أو[1] لا يقصد ما هو ممنوع منه كمن يرمى إلى صف الكفار و فيهم مسلم، أو بأن يكون غير مكلف، فان القتل على هذا الوجه ليس بحرام، و هذا الذى ذكره فى أقسام المنافقين إشارة إلى أنه ينبغى التثبت[2] و التحرى فى جميع أمر القتل متى احتمل أن يكون القاتل مؤمنا احتمالا لا تقضى العادة بقربه، فلزم من ذلك بيان حكم ٥ الخطأ، و لام الاختصاص قد تطلق على ما لا مانع منه « فانما[3] هى لك أو لأخيك أو للذئب » و كأنه عبر به ليفيد بايجاب الكفارة و الدية غايةَ الزجر عن قتل المؤمن، لأنه إذا كان هذا جزاء ما هو له فما الظن بما ليس له! فقال تعالى: ﴿و من قتل مؤمنا﴾ صغيرا كان أو كبيرا، ذكرا كان أو أنثى، و لعله عبر سبحانه و تعالى بالوصف تنبيها على ١٠ [أنه - [4]] إن لم يكن كذلك[5] فى نفس الأمر [6]لم يكن عليه شىء فى نفس الأمر[6] و إن ألزم به فى الظاهر ﴿خطأ﴾.

و لما كان الخطأ مرفوعا عن هذه الأمة، فكان لذلك[7] يظن أنه لا شىء على المخطئ؛ بين أن الأمر [6]فى القتل ليس كذلك حفظا[6] للنفوس، لأن الأمر فيها خطر جدا، فقال - مغلظا عليه حثا على زيادة ١٥ النظر و التحرى عند فعل ما قد يَقْتُل - : ﴿فتحرير﴾ أى فالواجب عليه تحرير ﴿رقبة﴾ أى نفس، عبر بها عنها لأنها لا تعيش بدونها

(١) من مد، و فى الأصل و ظ « و » (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: التعبث - كذا (٣) فى ظ: فانسا - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: لذلك.
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: كذلك.

كاملة الرق ﴿ مؤمنة ﴾ و لو بيبع[١] الدار أو البساتين[٢]، سليمة عما يخل بالعمل، و قدم التحرير هنا حثا على رتق ما خرق من حجاب العبد، و إيجاب ذلك فى الخطأ إيجاب له فى العمد بطريق الأولى[٣]، و كأنه لم يذكره فى العمد لأنه تخفيف فى الجملة و السياق للتغليظ ﴿ و دية مسلّمة ﴾
٥ أى مؤداة بيسر و سهولة ﴿ الىٓ اهلهٖٓ ﴾ أى ورثته[٤] يقتسمونها كما يقسم الميراث ﴿ الآ ان يصّدّقوا ﴾ أى يجب ذلك عليه فى كل حال إلا فى حال تصدقهم بالعفو عن القاتل بابرائه من الدية، فلا شيء عليه حينئذ، و عبر بالصدقة ترغيبا ﴿ فان كان ﴾ أى المقتول ﴿ من قوم ﴾ أى فيهم منعة[٥] ﴿ عدو لكم ﴾ أى محاربين ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ مؤمن
١٠ فتحرير ﴾ أى فالواجب على القاتل تحرير ﴿ رقبة مؤمنة ﴾ و كأنه عبر بذلك إشارة إلى التحرى فى جودة إسلامها، و قد أسقط هذا حرمة نفسه بغير الكفارة بسكناه فى دار الحرب التى هى دار الإباحة أو وقوعه فى صفهم، و لعده[٦] فى عدادهم، قال: "من" و معناه[٧] - كما قال[٨] الشافعى و غيره تبعا لابن عباس رضى الله تعالى عنهما -: 'فى' ﴿ و ان
١٥ كان ﴾ أى[٩] المقتول ﴿ من قوم ﴾ أى كفرة أيضا عدو لكم ﴿ بينكم و بينهم ميثاق ﴾ و هو كافر مثلهم ﴿ فدية ﴾ أى فالواجب فيه كالواجب

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: تبيع (٢) من ظ، و فى الأصل: السابى - كذا، و لا يتضح فى مد (٣) فى ظ: الاول (٤) زيدت الواو بعده فى ظ.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منعه (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لعدة.
(٧) فى ظ و مد: معناها (٨) فى ظ: قاله (٩) سقط من ظ.

/ فى المؤمن المذكور قبله دية ﴿ مسلّمة اٰ اهله ﴾ على حسب دينه، إن ‏/ ٥٠٥
كان كتابيا فثلث دية المسلم، و إن كان مجوسيا فثلثا عشرها[١] ﴿ و تحرير
رقبة مؤمنة ج ﴾ و كأنه قدم الدية هنا إشارة إلى[٢] المبادرة بها حفظا
للعهد، و لتأكيد أمر التحرير بكونه ختاما كما كان افتتاحا حثا[٣] على الوفاء
به، لأنه أمانة [٤]لا طالب له[٤] إلا الله؛ و قال الأصبهانى: إن سر ذلك ٥
أن إيجابه[٥] فى المؤمن أولى من الدية، و بالعكس ههنا - انتهى . و كان
سره[٦] النظر إلى خير الدين[٧] فى المؤمن، [٨]و إلى[٨] حفظ العهد فى الكافر
﴿ فمن لم يجد ﴾ أى الرقبة و لا[٣] ما يتوصل به إليها ﴿ فصيام ﴾ أى
فالواجب عليه صيام ﴿ شهرين متتابعين ز ﴾ حتى لو أفطر يوما [واحدا-[٩]]
بغير حيض أو[١٠] نفاس وجب الاستئناف، و علل ذلك بقوله عادا ١٠
للخطأ - بعد التعبير عنه باللام[١١] المقتضية أنه مباح - ذنبا[١٢] تغليظا للحث
على مزيد الاحتياط: ﴿ توبة ﴾ أى أوجب ذلك عليكم لأجل قبول
التوبة ﴿ من الله ط ﴾ أى الملك الأعظم الذى كل شىء فى قبضته .

و لما كان الكفارات من المشقة على النفس بمكان، رغب فيها[١٣]
سبحانه و تعالى بختم الآية بقوله: ﴿ و كان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ١٥

---

(١) فى مد: عشره (٢) زيد فى ظ: ان (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ: لا يطالب به (٥) فى ظ: ايجابه - كذا (٦) فى ظ: سيرة - كذا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الدنيا (٨-٨) فى ظ: اولى (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (١١) أى فى قوله "و ما كان لمؤمن" (١٢) فى ظ و مد: دينا (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فيه .

﴿ عليما ﴾ أى بما يصلحكم فى الدنيا و الآخرة ، و بما يقع خطأ فى نفس الأمر أو عمدا ، فلا يغتر أحد بنصب الأحكام بحسب الظاهر ﴿حكيما ﴾ فى[1] نصبه[2] الزواجر بالكفارات و غيرها، فالزموا أوامره و باعدوا زواجره لتفوزوا بالعلم و الحكمة .

٥ و لما ساق تعالى[3] الخطأ[4] مساق ما هو للفاعل منفرا عنه هذا التنفير ، ناسب كل المناسبة أن يذكر ما ليس له من ذلك ، إذ[5] كان ضبط النفس بعد إرسالها شديدا ، فربما سهلت قتل من تحقق إسلامه إحنة ، و جرت إليه [6]ضغينة و قوت[6] الشبه فيه شدة شكيمة[7] ، و لعمرى إن الحمل على الكف بعد الإرسال أصعب من الحمل على الإقدام ! و إنما

١٠ يعرف ذلك من جرب النفوس حال الإشراف على[8] الظفر و اللذاذة بالانتقام مع القوى و القدرة فقال : ﴿ و من يقتل مؤمنا ﴾ و لعله أشار بصيغة المضارع إلى دوام العزم على ذلك لأجل الإيمان ، و هو لا يكون إلا كفرا ، و ترك الكلام محتملا زيادة تنفير من قتل المسلم ﴿ متعمّدا ﴾ أى و أما الخطأ فقد تقدم حكمه فى المؤمن و غيره ﴿ فجزآؤه ﴾ أى

١٥ على ذلك ﴿ جهنم ﴾ أى[9] تتلقاه بحالة كريهة جدا كما تجهم[10] المقتول

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٢) من مد ، و فى الأصل : بصعبة ، و لا يتضح فى ظ (٣) زيد فى ظ : الى (٤) زيد فى ظ : ما هو (٥) فى ظ : اذا. (٦-٦) فى ظ : ضيعته و قويت - كذا (٧) فى ظ : سليمة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكى (١٠) جهَمه و جَهِمه و تجهّمه و تجهّم له : استقبله بوجه عبوس كريه .

﴿ خلداً[1] فيها ﴾ أي ماكثا إلى ما لا آخر له ﴿ و غضب الله ﴾ أي الملك الأعلى الذى لا كفوء له مع ذلك ﴿ عليه و لعنه ﴾ أي و أبعده من رحمته ﴿ و اعد له عذابا عظيما ﴾ أي لا تبلغ معرفته عقولكم، و إن عمم القول فى هذه الآية كان الذى خصها ما قبلها[2] و ما بعدها من قوله تعالى " و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء[3] " لا[4] آية الفرقان[5] فانها مكية ٥ و هذه مدنية .

[6]و لما تبين[6] بهذا المنعُ الشديد من قتل العمد، و ما فى قتل الخطأ من المؤاخذة الموجبة للتثبت، و كان الأمر قد برز[7] بالقتال و القتل فى الجهاد مؤكدا بأنواع التأكيد، وكان ربما التبس الحال؛ أتبع ذلك التصريح بالأمر بالتثبت جوابا لمن كأنه قال: ماذا نفعل بين أمرى ١٠ الإقدام و الإحجام؟ فقال: ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوآ ﴾ مشيرا بأداة البعد و التعبير بالماضى الذى هو لأدنى الأسنان إلى أن الراسخين غير محتاجين إلى مزيد التأكيد فى التأديب، و ما أحسن التفاته إلى قوله تعالى " و حرض المؤمنين " / إشارة منه تعالى إلى أنهم يتأثرون[8] من تحريضه صلى الله ٥٠٦ /

(١) من ظ و مد و القرآن المجيد، و فى الأصل: خالدين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خصهما (٣) سورة ٤ آية ٤٨ و ١١٦ (٤) فى الأصول: الا - كذا (٥) أي قوله تعالى " و لا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق و لا يزنون و من يفعل ذلك يلق اثاما * يضعف له العذاب يوم القيمة و يخلد فيه مهانا * الا من تاب " - الآيات ٦٨ - ٧٠ (٦-٦) من مد، و فى الأصل: وكانت من، و قد سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: يراد، و فى مد: يذب - كذا . (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يتالوون - كذا .

عليه و سلم و ينقادون لأمره، بما دلت عليه كلمة "إذا" فى قوله تعالى[1]:
﴿ اذا ضربتم ﴾ أى سافرتم و سرتم فى الأرض ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى
الذى له الكمال كله، لأجل وجهه خالصا ﴿ فتبينوا ﴾ أى اطلبوا [2] بالتأنى
و التثبت[2] بيان الأمور و الثبات فى تلابسها[3] و التوقف الشديد عند
٥ منالها[4]، و ذلك بتميز بعضها من بعض و انكشاف لبسها غاية الانكشاف؛
و لا تقدموا إلا على ما بان لكم ﴿ و لا تقولوا ﴾ قولا فضلا عما هو
أعلى[5] منه ﴿ لمن القى ﴾ أى كائنا من كان ﴿ اليكم السلم ﴾ أى بادر
بأن حياكم بتحية الإسلام ملقيا قياده[6] ﴿ لست مؤمنا ج ﴾ أى بل
متعوذ[7] - لتقتلوه .
١٠ و لما كان اتباع الشهوات عند العرب فى غاية الذم قال موبخا
منفرا عن مثل هذا فى موضع الحال من فاعل " تقولوا ": ﴿ تبتغون ﴾
أى حال كونكم تطلبون طلبا حثيثا[8] بقتله ﴿ عرض الحيوٰة الدنيا ز ﴾
أى بأخذ ما معه من الحطام الفانى و العرض الزائل، أو بادراك ثأر
كان لكم قبله[9]؛ روى البخارى[10] فى التفسير[10] و مسلم فى آخر كتابه عن
١٥ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما "و لا تقولوا لمن القى اليكم السلم" قال:

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، ولم تكن فى مد و القرآن المجيد فحذفناها.
(٢-٢) من مد، و فى الأصل: بالتانى و انقلبت، و فى ظ: ثانيا لثانى و التثليت - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نفسها (٤) من مد، و فى الأصل: مسالما، و فى ظ: مزالها - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اذعلى (٦) من مد، و فى الأصل: قداده، و فى ظ: قتادة - كذا (٧) فى ظ: متوعد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: خبيثا (٩) فى ظ: قبلهم (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.

كان

كان رجل [1] فى غنيمة له [1]، فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه و أخذوا غنيمته، فأنزل الله سبحانه و تعالى [فى - [2]] ذلك - إلى قوله "عرض الحيوٰة الدنيا [3]". و رواه الحارث بن أبى أسامة عن سعيد بن جبير و زاد: "كذلك كنتم من قبل" تخفون إيمانكم و أنتم مع المشركين، "فمن الله عليكم" و أظهر الإسلام "فتبينوا" ثم علل ٥ النهى عن هذه الحالة بقوله: ﴿ فعند الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ مغانم كثيرة [4] ﴾ أى يغنيكم بها عما تطلبون من العرض مع طيبها؛ ثم علل النهى من أصله بقوله: ﴿ كذلك ﴾ أى [4] مثل هذا الذى قتلتموه بجعلكم [5] إياه بعيدا عن [6] الإسلام ﴿ كنتم [7] ﴾ [و بعّض زمان القتل - كما هو الواقع - بقوله - [8]]: [9]﴿ من قبل ﴾ أى [9] [قبل ما نطقتم ١٠ بكلمة الإسلام - [8]] ﴿ فمنّ الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليكم ﴾ أى بأن ألقى فى قلوب المؤمنين قبول ما أظهرتم امتثالا لأمره سبحانه و تعالى بذلك، فقوى أمر الإيمان [10] فى قلوبكم قليلا قليلا

(١-١) من صحيح البخارى، و فى الأصل: لحل، و فى ظ و مد: فى عتبة - كذا. (٢) زيد من صحيح البخارى (٣) سقط من ظ (٤) تقدم فى الأصل على «كذلك» و الترتيب من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يجعلكم (٦) فى ظ و مد: من (٧) تقدم فى الأصل على «كذلك اى»، و الترتيب من ظ و مد. (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٩ - ٩) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «"كذلك" أى مثل»، و الترتيب من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: المومنين.

حتى صرتم إلى ما أنتم عليه فى الرسوخ فى الدين و الشهرة بـه و العز ، و لو شاء لقسى قلوبكم و سلطهم عليكم فقتلوكم ، فاذا كان الأمر كذلك فعليكم[1] أن تفعلوا بالداخلين فى الدين من القبول ما فعل [بكم - [2]] ، و هو معنى ما سبب عن الوعظ من قوله تأكيدا لما مضى إعلاما بفظاعة[3]
٥ أمر القتل : ﴿ فتبينوا[4] ﴾ أى الأمور و تثبتوا فيها حتى تنجلي ؛ ثم علل هذا الأمر بقوله مرغبا مرهبا : ﴿ ان الله ﴾ أي المختص بأنه عالم الغيب و الشهادة ﴿ كان بما تعملون خبيرا ه ﴾ أى يعلم ما أقدمتم عليه عن[4] تبيين [و - [2]] غيره فاحذروه بحفظ بواطنكم و ظواهركم .

و لما ناسبت هذه الآية ما قبلها من آية القتل العمد ، و التفتت إلى
١٠ "و حرض المؤمنين" و إلى آية التحية ، فاشتد[5] اعتناقها لهما ، و علم بها أن فى الضرب فى سبيل الله هذا الخطر ، فكان ربما فتر عنه ؛ بين فضله لمن كأنه قال : فحينئذ نقعد عن الجهاد لنسلم ، بقوله : ﴿ لا يستوى القعدون ﴾ أى عن الجهاد حال كونهم[6] ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الفريقين فى الإيمان ، ليفيد التصريح بتفضيل المؤمن[7] المجاهد على المؤمن[8]
١٥ القاعد لئلا يخصه أحد بالكافر الجاحد .

و لما كان من الناس من عذره سبحانه و تعالى برحمته استثناهم[9] ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : مقاصعة - كذا (٤) فى ظ : من (٥) فى ظ : فاسند (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : كونكم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الومنين من - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل و مد : المومنين (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : استلناهم .

فقال واصفا للقاعدين[1] أو مستثنيا منهم: ﴿غير اولى الضرر﴾ أى[2] المانع أو العائق عن الجهاد فى سبيل الله من عوج أو مرض أو عمى ونحوه، و بهذا بان [أن -[3]] الكلام فى المهاجرين؛ / و فى البخارى /٥٠٧ فى التفسير عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أملى عليه "لا يستوى القعدون من المؤمنين و المجهدون فى ٥ سبيل الله" فجاءه ابن أم مكتوم و هو يملها [علىّ -[4]] فقال: يا رسول الله! و الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى؛ فأنزل الله عز و جل على رسوله و فخذه على فخذى فثقلت علىّ حتى خفت أن ترض فخذى، ثم سرى عنه فأنزل الله "غير اولى الضرر" و أخرجه فى فضائل القرآن عن البراء رضى الله تعالى عنه قال: لما نزلت "لايستوى القعدون" - الآية، قال ١٠ النبى صلى الله عليه و سلم: ادع [لى -[5]] زيدا و ليجئ باللوح[6] و الدواة [و الكتف -[4]]؛ ثم قال: اكتب - فذكره، و حديث زيد أخرجه أيضا أبو داود و الترمذى و النسائى، و فى رواية أبى داود: قال: كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه و سلم فغشيته السكينة فوقعت [فخذ -[7]] رسول الله صلى الله عليه و سلم على فخذى[8]، فما وجدت شيئا[9] أثقل من ١٥ فخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم سرى عنه فقال لى[10]: اكتب،

(١) فى مد: للقاعدون (٢) فى ظ: او (٣) زيد من مد (٤) زيد من صحيح البخارى (٥) زيد من ظ و صحيح البخارى (٦) زيد فى ظ: و القلم (٧) زيد من ظ و مد و سنن أبى داود - كتاب الجهاد (٨) فى ظ: فخذه (٩) فى السنن: ثقل شىء (١٠) ليس فى السنن.

فكتبت فى كتف " لا يستوى القٰعدون " - إلى آخرها ؛ فقام ابن أم مكتوم - وكان رجلا أعمى - لما سمع فضيلة المجاهدين فقال : يا رسول الله صلى الله عليه و سلم ! فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين ؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه و سلم السكينة ، فوقعت فخذه على ٥ فخذى ، و وجدت من ثقلها فى المرة الثانية كما وجدت فى المرة الأولى ، فسرى[1] عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : اقرأ يا زيد ! فقرأت "لا يستوى القٰعدون من المؤمنين" فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم " غير اولى الضرر " - الآية كلها ، قال زيد : أنزلها[2] الله وحدها فألحقتها[3] و الذى نفسى بيده لكأنى أنظر إلى ملحقها عند صدع [فى -[4]] كتف . و رواه ١٠ أبو بكر بن أبى شيبة و أبو يعلى الموصلى و فيه : إن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا نزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه ، و فرغ[5] سمعه و قلبه لما يأتيه من الله عز و جل .

و لما ذكر القاعد أتبعه قسيمه المجاهد بقوله[6] : ﴿ و المٰجهدون فى سبيل الله ﴾ أى دين الملك الأعظم الذى [من -[7]] سلكه ١٥ وصل إلى رحمته ﴿ باموالهم و انفسهم ﴾ و لما كان نفى المساواة[8] سببا لترقب كل من الحزبين الأفضلية[9]، لأن القاعد و إن فاته الجهاد فقد تخلف الغازى فى أهله ، إذ يحيى الدين بالاشتغال[10] بالعلم و نحوه ؛ قال

(١) فى السنن : ثم سرى (٢) فى السنن : فانزلها (٣) من مد و السنن ، و فى الأصل : فالحقتها ، و فى ظ : فالحقها (٤) زيد من السنن (٥) فى ظ : فرع (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : المناواة (٩) فى ظ : الافضل له - كذا .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاشغال .

مستأنفا: ﴿ فضل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ المجهدين ﴾ و لما كان المال فى أول الأمر ضيقا قال مقدما للمال: ﴿ بأموالهم و انفسهم ﴾ أى جهادا كائنا بالفعل ﴿ على القعدين ﴾ أى عن ذلك و هم متمكنون منه بكونهم فى دار الهجرة ﴿ درجة ط ﴾ أى واحدة كاملة لأنهم لم يفوقوهم[1] بغيرها، و[2] فى البخارى[2] فى المغازى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: ٥ لايستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر و الخارجون إلى بدر.

و لما شرك[3] بين المجاهدين و القاعدين بقوله: ﴿ و كلا ﴾ أى من الصنفين ﴿ وعد الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام أجرا على إيمانهم ﴿ الحسنى ط ﴾ بين أن القاعد المشارك إنما هو الذى فيه قوة الجهاد القريبة من الفعل، و هو التمكن[4] من تنفيذ الأمر بسبب هجرته لأرض[5] الحرب ١٠ وكونه بين أهل الإيمان، و أما القاعد عن[6] الهجرة مع التمكن[4] فليس بمشارك فى ذلك، بل هو ظالم لنفسه فانه ليس متمكنا من تنفيذ / الأوامر ٥٠٨ / فلا هو مجاهد بالفعل و لا بالقوة القريبة منه، فقال: ﴿ و فضل الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له فلا يجبر عليه ﴿ المجهدين ﴾ أى بالفعل مطلقا بالنفس أو المال ﴿ على القعدين ﴾ أى عن الأسباب الممكنة من ١٥ الجهاد و من[7] الهجرة ﴿ اجرا عظيما لا ﴾ ثم بينه بقوله: ﴿ درجت ﴾

(١) من مد، و فى الأصل: لم تعوقوهم، و فى ظ: لم يفوقوا - كذا.
(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) كذا فى الأصول، و لعله: أشرك.
(٤) فى ظ: المتمكن (٥) بين سطرى ظ: دار (٦) فى ظ: من (٧) فى ظ: فى.

و عظمها بقوله: ﴿ منه ﴾ و هی درجة الهجرة ، و درجة التمكن[1] من الجهاد بعد الهجرة [و - [2]] درجة مباشرة الجهاد بالفعل .

و لما كان الإنسان لا يخلو عن زلل و إن اجتهد فی العمل قال: ﴿ و مغفرة ﴾ أی محوا لذنوبهم بحيث أنها لا تذكر و لا يجازی عليها ٥ ﴿ و رحمة ط ﴾ أی كرامة و رفعة ﴿ و كان الله ﴾ أی المحيط بالأسماء الحسنى و الصفات العلى ﴿ غفورا رحيما ع ﴾ أزلا و أبدا ، لم يتجدد له ما لم يكن ؛ ثم علل ذلك بأبلغ حث على الهجرة [3] فقال : ﴿ ان الذين توفٰهم الملٰٓئكة[4] ﴾ أی تقبض أرواحهم كاملة على ما عندهم من نقص بعض المعانی بما تركوا من ركن الهجرة بما أشار إليه حذف التاء[5] ، و فی ١٠ الحذف إرشاد إلى أنه إذا ترك[6] من يسعى فی جبره بصدقة أو حج و نحوه من أفعال البر جُبر ، لأن الأساس الذی تبنى عليه الأعمال الصالحة موجود و هو الإيمان[7] ﴿ ظالمیٓ انفسهم ﴾ أی بالقعود عن الجهاد بترك الهجرة و الإقامة فی بلاد الحرب حيث لا يتمكنون من إقامة شعائر[8] الدين كلها ﴿ قالوا ﴾ أی الملائكة موبخين لهم ﴿ فيم كنتم ط ﴾ أی فی ١٥ أیّ شیء من الأعمال و الأحوال كانت إقامتكم فی بلاد الحرب .

و لما كان المراد من هذا السؤال التوبيخ لأجل ترك الهجرة

(١) زيد بعده فی الأصل: و لما كان ، و لم تكن الزيادة فی ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيدت الواو من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «ركن الهجرة» سقطت من ظ .
(٤) سقط من مد (٥) فی ظ : الباء (٦) فی الأصول : تركه (٧) زيد بعده فی ظ : الذين تتوفاهم الملائكة ، و زيد فی مد: الملائكة (٨) فی ظ : شرايع .

﴿ قالوا ﴾ معتذرين[١] ﴿ كنا مستضعفين فى الارض ﴾ أى أرض[٢] الكفار ، [لا نتمكن من إقامة الدين ، و كأنهم أطلقوها إشارة إلى أنها عندهم لاتساعها لكثرة الكفار - [٣]] هى[٤] الأرض كلها ، فكأنه قيل : هل[٥] قنع منهم بذلك ؟ فقيل : لا ، لأنهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة ، [فكأنه قال : فما قيل لهم ؟ فقيل - [٦]] : ﴿ قالوا[٧] ﴾ [أى الملائكة ٥ بيانا لأنهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة - [٦]] إلى موضع يأمنون فيه على دينهم ﴿ الم تكن ارض الله ﴾ أى المحيط بكل شيء ، الذى له كل شيء ﴿ واسعة فتهاجروا ﴾ أى بسبب اتساعها كلٌ من يعاديكم فى الدين ضاربين[٨] ﴿ فيها ﴾ أى[٥] إلى حيث يزول عنكم المانع ، فالآية من الاحتباك : ذكر الجهاد أولا فى[٥] "و فضل الله المجهدين" دليل على حذفه ثانيا ١٠ بعد "ظالمى انفسهم" ، و ذكر الهجرة ثانيا دليل على حذفها أولا بالقعود عنها ، و لذلك خص الطائفة الأولى بوعد الحسنى .

و لما وبخوا[٩] على تركهم الهجرة ، سبب عنه جزاؤهم فقيل : ﴿ فاولـٓئك ﴾ أى البعداء من اجتهادهم[١٠] لأنفسهم ﴿ ماوٰىهم جهنم ﴾ [أى - [٣]] لتركهم الواجب و تكثيرهم سواد الكفار و انبساطهم فى ١٥

---

(١) فى ظ : متعذرين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الارض (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) زيد بعده فى ظ : من (٥) سقط من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) تأخر فى الأصل عن «على دينهم» و سقط من مد. (٨) فى ظ و مد: صارمين (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : وبحو- كذا . (١٠) فى ظ : اجهادهم .

وجوه أهل النار ﴿ و سآءت مصيرا ﴾ روى البخارى فى التفسير و الفتن عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، يأتى السهم[1] يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يضرب فيقتل ، ٥ فأنزل الله تعالى " ان الذين توفهم[2] " - الآية .

و لما توعد على ترك الهجرة ، أتبع ذلك بما زاد القاعد عنها تخويفا بذكر من لم يدخل فى المحكوم عليه بالقدرة على صورة الاستثناء تنبيها على أنهم [3] جديرون بالتسوية[3] فى الحكم لو لا فضل الله عليهم[4] ، فقال بيانا لأن المستثنى منهم[5] كاذبون فى ادعائهم الاستضعاف : ﴿ الا المستضعفين ﴾ ١٠ أى الذين وجد ضعفهم فى نفس الأمر و عُدُّوا ضعفاء و تقوى عليهم غيرهم ﴿ من الرجال و النسآء و الولدان ﴾ ثم بين ضعفهم بقوله : ﴿ لا يستطيعون حيلة ﴾ أى فى إيقاع الهجرة ﴿ و لا يهتدون سبيلا ﴾ أى إلى ذلك .

و لما كانت الهجرة شديدة ، و كان ربما تركها بعض الأقوياء ١٥ و اعتل بالضعف ، و ربما ظن القادر مع[6] المشقة أنه ليس بقادر ؛ نفر من ذلك بالإشارة إليهم بأداة البعد [فقال - [7]] : ﴿ فاولٓئك ﴾ و لما كان الله[8] سبحانه و تعالى [أن - [7]] يفعل ما يشاء ، لا يجب عليه شيء

(١) فى ظ : اليهم (٢) فى ظ : تتوفاهم (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جدير بالتوبة (٤) فى ظ : عليكم (٥) فى ظ : فيهم (٦) فى ظ : على (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الله .

و لا يقبح منه شيء، بل / له أن يعذب الطائع و ينعم العاصي، و يفعل /٥٠٩
و يقول[1] ما يشاء، "لا يسئل عما يفعل"؛ أحل هؤلاء المذورين محل
الرجاء إيذانا بأن ترك الهجرة في غايــة الخطر فقال: ﴿ عسى الله ﴾
أي المرجو و الخليق و الجدير من الملك المحيط بأوصاف الكمال ﴿ ان
يعفو عنهم ﴾ أي و لو آخذهم[2] لكان له ذلك، و كل ما جاء في القرآن ٥
من نحو هذا فهو للاشارة إلى هذا المعنى، و قول ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما: إن 'عسى' من الله واجبة، معناه أنه مع أن له أن يفعل ما يشاء
لا يفعل إلا ما يقتضيه الحكمة على ما يستصوبــه منهاج العقل السليم
﴿ و كان الله ﴾ أي الملك الذي له كل شيء فلا اعتراض عليــه أزلا
و أبدا ﴿ عفوا ﴾ أي يمحو الذنب إذا أراد فلا يعاقب عليه و قد يعاتب ١٠
عليه ﴿ غفورا ﴾ أي يزيل أثره أصلا و رأسا بحيث لا يعاقب عليه
و لا يعاتب و لا يكون بحيث يــذكر أصلا، و لعل العفو راجع إلى
الرجال، و الغفران إلى النساء و الولدان.

و لما رهب من ترك الهجرة، رغب فيها بما يسلي[3] عما قد يوسوس
به الشيطان من أنه لو فارق رفاهية الوطن وقع في شدة الغربة، و أنه[4] ١٥
ربما تجشم المشقة فاخترم[5] قبل بلوغ القصد، فقال تعالى: ﴿ و من
يهاجر ﴾ أي يوقع الهجرة لكل ما أمر الله سبحانه و تعالى و رسوله
صلى الله عليه و سلم بهجرتـه ﴿ في سبيل الله ﴾ أي الذي لا أعظم من

(١) من ظ و مد، و في الأصل: بقوله (٢) في النسخ: واخذهم - كذا.
(٣) من مد، و في الأصل و ظ: يسمى - كذا (٤) في ظ: انما (٥) في ظ: واحترم.

ملكه و لا أوضح من سبيله و لا أوسع ﴿ يجد فى الارض ﴾ أى فى[1] ذات الطول و العرض ﴿ مرٰغما ﴾ أى مهربا و مذهبا و مضطربا[2] يكون موضعا للمراغمة، يغضب الأعداء به و يرغم أنوفهم بسبب ما يحصل له من الرفق و حسن الحال، فيخجل [3]مما جروه[3] من سوء معاملتهم له؛
٥ من الرغم و هو الذل و الهوان، و أصله: لصوق الأنف بالرغام و هو التراب، تقول: راغمت[4] فلانا، أى هجرته و هو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك. و لما كان ذلك الموضع و إن كان واحدا فانه لكبره ذو أجزاء عديدة، وصف بما يقتضى العدد فقال: ﴿ كثيرا ﴾.

و لما كانت المراغمة لذة الروح، فكانت أعز من لذة البدن فقدمها؛
١٠ أتبعها قوله: ﴿ و سعة ﴾ أى فى الرزق، كما[5] قال صلى الله عليه و سلم «صوموا تصحوا[6]، و سافروا تغنموا[7]»، أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه و لفظه «و اغزوا تغنموا، و هاجروا تفلحوا».

و لما كان ربما مات المهاجر قبل وصوله إلى النبى صلى الله عليه و سلم فظن أنه لم يدرك الهجرة مع تجشمه لفراق[8] بلده قال: ﴿ و من
١٥ يخرج من بيته ﴾ أى فضلا عن بلده ﴿ مهاجرا الى الله ﴾ أى رضى الملك

---

(١) ليس فى مد (٢) فى ظ: مطربا - كذا (٣-٣) من مد، و فى الأصل: مهاجرون، و فى ظ: مهاجروه - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: راغب. (٥) سقط من ظ (٦) رواه الإمام أحمد فى مسند أبى هريرة رضى الله عنه ٢/٣٨٠ بما نصه «سافروا تصحوا و اغزوا تستغنوا» (٧) فى ظ: تغضوا - كذا، و العبارة من هنا إلى «و اغزوا تغنموا» ساقطة منه (٨) فى ظ: بفراق.

الذى له الكمال كله ﴿ و رسوله ﴾ أى ليكون عنده ﴿ ثم يدركه الموت ﴾
أى بعد خروجه من بيته و لو قبل الفصول[1] من بلده ﴿ فقد وقع اجره ﴾
أى فى هجرته بحسب الوعد فضلا ، لا بحسب الاستحقاق عدلا ﴿ على الله ﴾
أى الذى له تمام الإحاطة فلا ينقصه شيء، و كذا كل من نوى خيرا
و لم يدركه « لا حسد إلا فى اثنتين » فهو موفيه إياه توفية ما يلتزمه ٥
الكريم منكم .

و لما كان بعضهم[2] ربما قصر به عن البلوغ توانيه فى سيره أو عن
خروجه من بلده فظن أن هجرته هذه لم تَجبُر تقصيرَه قال : ﴿ و كان الله ﴾
أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ غفورا ﴾ أى لتقصير إن كان
﴿ رحيما[4] ﴾ يكرم[3] بعد المغفرة بأنواع الكرامات . ١٠

و لما أوجب السفر للجهاد و الهجرة ، و[4] كان مطلق السفر مظنة
المشقة فكيف بسفرهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء؛
ذكر تخفيف الصلاة بالقصر بقوله سبحانه و تعالى : ﴿ و اذا ضربتم ﴾
أى بالسفر ﴿ فى الارض ﴾ أىّ سفر كان لغير معصية . و لما كان القصر
رخصة غير عزيمة ، بينه بقوله : ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أى إثم و ميل[5] ١٥
فى ﴿ ان تقصروا ﴾ و لما كان القصر خاصا ببعض / الصلوات ، أتى / ٥١٠
بالجار لذلك[6] و لإفادة[7] أنــه فى [8]الكم لا فى[8] الكيف فقال : ﴿ من

---

(١) فى ظ : الوصول (٢) فى ظ : بعضكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكرم (٤) سقطت الواو من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثل (٦) فى ظ : كذلك (٧) من مد ، و فى الأصل : الافادة ، و فى ظ : لا فائـدة ـ كذا .
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الصلوٰة ﴾ أى فاقصروا إن أردتم و أتموا إن أردتم، و بينت السنة أعيان الصلوات المقصورات، و كم يقصر منها من ركعة، و أن[1] القصر من الكمية [2]لا من الكيفية[2] بالإيماء[3] مثلا فى صلاة الخوف بقول عمر رضى الله تعالى عنه ليعلى بن أمية - حين قال له: كيف تقصر و قد أمنا -:
٥ عجبت مما عجبت منه [فسألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك - [4]]، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم « صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته » و هذا هو حقيقة القصر و الذى دلت عليه "من"، و أما الإيماء[5] و نحوه من كيفيات صلاة الخوف فابدال لا قصر، و السياق كما ترى مشير إلى شدة الاهتمام بشأنها، و أنه لا يسقطها عن[6] المكلف شىء،
١٠ و قاض بأن المخاطرة بالنفس و المال لا تسقط الجهاد و لا الهجرة إذ الخوف و الخطر مبنى أمرهما و محط قصدهما، فهذا سر قوله: ﴿ ان خفتم ان يفتنكم ﴾ أى يخالطكم مخالطة مزعجة ﴿ الذين كفروا ﴾ لا[7] أنه شرط فى القصر، كما بينت[8] نفى شرطيته السنة، و الحاصل أن هذا الشرط ذكر لهذا المقصد[9]، لا لمخالفة المفهوم للمنطوق[10] بشهادة السنة؛
١٥ و قد كانت الصلاة قبل الهجرة ركعتين [ركعتين - [11]]، فأتمت بعد الهجرة إشارة[12] إلى أن المدينة دار الإقامة و ما قبلها كان محل سفر و نقلة؛

---

(١) زيد بعده فى ظ: كان (٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: للايماء (٤) زيد من الصحيح لمسلم - المسافرين (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الايمان (٦) فى ظ: على (٧) فى ظ: الا (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: بين. (٩) فى ظ: القصد (١٠) فى ظ: المنطوق (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ: باشارة.

روى

روى الشيخان و أحمد - و هذا لفظه - عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: فرضت الصلاة[1] ركعتين ركعتين، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة[2] أقرت صلاة السفر و زيد فى صلاة الحضر[2].

و لما ذكر الخوف منهم، علله مشيرا بالإظهار موضع الإضمار، و باسم الفاعل إلى أن من تلبس بالكفر ساعة ما، أعرق فيه، أو إلى[3] أن المجبول[3] على العداوة المشار إليه بلفظ الكون إنما هو الراسخ فى الكفر المحكوم بموته عليه فقال[4]: ﴿ان الكٰفرين﴾ أى الراسخين منهم فى الكفر ﴿كانوا﴾ أى جبلة و طبعا. و لعله أشار إلى أنهم مغلوبون بقوله: ﴿لكم﴾ دون "عليكم" ﴿عدوا﴾ و لما كان العدو مما يستوى فيه الواحد و الجمع قال: ﴿مبينا ۝﴾ أى ظاهر العداوة، يعدون عليكم لقصد الأذى مهما وجدوا لذلك سبيلا، فربما وجدوا الفرصة فى ذلك عند طول الصلاة فلذلك قصرتها، و لو لا أنها لا رخصة[5] فيها بوجه لوضعتها عنكم فى مثل هذه الحالة، أو جعلت التخفيف فى الوقت فأمرت بالتأخير، و لكنه لا زكاء للنفوس بدون فعلها على ما حددت[6] من الوقت و غيره.

---

(١) زيد بعده فى ظ: قبل الهجرة (٢ - ٢) ما بين الرقمين لفظ الشيخين فى صحيحيهما، و لفظ أحمد فى مسنده ٦ / ٢٤١: زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا المغرب فانها وتر النهار و صلاة الفجر لطول قراءتها، قال: و كان إذا سافر صلى الصلاة الأولى (٣-٣) فى ظ: المحبول (٤) فى ظ: قال (٥) فى ظ: خطة.
(٦) فى ظ: جددت.

و لما أتم سبحانه و تعالى بيان القصر فى الكمية مقرونا بالخوف لما ذكر، و كان حضور النبى صلى الله عليه و سلم مظنة الأمن بالتأييد بالملائكة و وعد العصمة من الناس، و ما شهر به من الشجاعة و نصر به من[1] الرعب و غير ذلك من الأمور القاضية بأن له العاقبة؛ بين سبحانه ٥ و تعالى حال الصلاة فى الكيفية عند الخوف، و أن صلاة الخوف تفعل عند الأنس بحضرته كما تفعل عند الاستيحاش[2] بغيبته صلى الله عليه و سلم، فجوازها لقوم ليس هو صلى الله عليه و سلم فيهم مفهوم موافقة، فقال سبحانه و تعالى: ﴿ و اذا كنت ﴾ حال الخوف الذى تقدم فرضه ﴿ فيهم ﴾ أى فى أصحابك سواء كان ذلك فى السفر أو فى الحضر ١٠ ﴿ فاقمت ﴾ أى ابتدأت و أوجدت ﴿ لهم الصلوٰة ﴾ أى الكاملة و هى المفروضة ﴿ فلتقم طآئفة منهم معك ﴾ أى فى الصلاة و لتقم الطائفة الأخرى وجاه العدو، و يطوفون فى كل موضع يمكن أن يأتى منه العدو ﴿ و ليـاخذوآ ﴾ أى المصلون لأنهم المحتاجون إلى هذا الأمر لدخولهم فى حالة هى بترك السلاح أجدر[3] ﴿ اسلحتهم قف ﴾ كما يأخذها ١٥ من هو خارج الصلاة، و سبب الأمر بصلاة الخوف - كما فى صحيح مسلم و غيره عن جابر رضى الله تعالى عنه - أنهم غزوا مع النبى صلى الله عليه و سلم فقاتلوا قوما من جهينة فقاتلوا / قتالا شديدا، قال جابر رضى الله تعالى عنه[4]: فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم[5]، /٥١١

(١) زيد بعده فى ظ: الحرب (٢) فى ظ و مد: الاستيجاش (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اجدل (٤) زيد بعده فى ظ: انهم غزوا مع النبي صلى الله عليه و سلم (٥) من ظ و مد و الصحيح لمسلم - صلاة الخوف، و فى الأصل: لا اقتطعناهم - كذا.

فأخبر جبرئيل عليه الصلاة و السلام رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك ، فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : و قالوا[١] : إنه[٢] ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد[٣] ، فلما حضرت العصر صفنا صفين و المشركون بيننا و بين القبلة - الحديث . ﴿ فاذا سجدوا ﴾ يمكن أن يكون المراد بالسجود ظاهره ، فيكون الضمير في ﴿ فليكونوا ﴾ للجمع ٥ - الذين[٤] منهم هذه الطائفة - المذكورين بطريق الإضمار في قوله " و اذا كنت فيهم " و في " فلتقم منهم[٥] " أي فاذا سجد[٦] الذين قاموا معك في الصلاة فليكن الحدث عنهم و هم الباقون الذين أنت فيهم و هذه الطائفة منهم ﴿ من ورآئكم ص ﴾ فاذا أتمت هذه الطائفة صلاتها فلتذهب إلى الحراسة ﴿ و لتات طآئفة اخرى ﴾ أي من الجماعة ﴿ لم يصلوا فليصلوا ١٠ معك ﴾ كما صلت الطائفة الأولى ، فان كانت الصلاة ثنائية و لم تصل بكل طائفة جميع الصلاة فلتسلم بالطائفة الثانية ، و إن كانت رباعية و لم تصل بكل فرقة جميع الصلاة فلتتم[٧] صلاتها ، و لتذهب إلى وجاه العدو و لتأت طائفة أخرى - و هكذا حتى تتم الصلاة ؛ و يمكن أن يكون المراد بالسجود[٨] الصلاة - من إطلاق اسم الجزء على الكل ، فكأنه قال : فاذا ١٥ صلوا ، أي أتموا صلاتهم - على ما مضت الإشارة إليه ، و الضمير حينئذ

---

(١) في ظ : قال (٢) من الصحيح ، و في الأصول : انها (٣) من الصحيح ، و في الأصل و مد : الاول ، و في ظ : الاولى (٤) في ظ : الذى (٥) زيد بعده في ظ "طائفة" (٦) في ظ : سجدوا (٧) من مد ، و في الأصل : فليتم ، و في ظ : فلتقم. (٨) زيدت الواو بعده في ظ .

فى "فليكونوا" للطائفة الساجدة، و قوله ﴿و ليأخذوا﴾ يمكن أن يكون[1] ضميره للكل، لئلا يتوهم أن الأمر بذلك يختص بالمصلى، لأن غيره لا عائق له عن الأخذ متى شاء، أى و لتأخذ جميع الطوائف الحارسون و المصلون ﴿حذرهم و اسلحتهم ج﴾ فى حال صلاتهم وحراستهم
٥ و إتيانهم إلى الصلاة و انصرافهم منها، فجعل الحذر الذى هو التيقظ[2] و التحرز باقبال الفكر على ما يمنع كيد العدو كالآلة المحسوسة، و خص فى استعماله فى الصلاة [3]فى شأن العدو و خص آخر الصلاة[3] بزيادة الحذر إشارة إلى أن العدو فى أول الصلاة قلما يفطنون لكونهم فى الصلاة بخلاف الآخر، فلهذا خص بمزيد الحذر، و هذا الكلام على [4]وجازته
١٠ محتمل[4] - كما ترى - لجميع الكيفيات [المذكورة - [5]] فى الفقه لصلاة الخوف إذا لم يكن العدو فى وجه[6] القبلة على أنها تحتمل التنزيل على ما إذا كان فى وجه القبلة بأن يحمل الوراء على ما وراه[6] السجود عنكم و إتيان الطائفة الأخرى على الإقبال على المتابعة للامام فى الأفعال " و لم يصلوا " أى بقيد المتابعة له فيها - و الله سبحانه و تعالى الهادى . و ما
١٥ أحسن اتصال ذلك بأول آيات الجهاد فى هذه السورة "يايها الذين امنوا خذوا حذركم" فهو[8] من رد المقطع على المطلع، ثم علل أمره بهذه الكيفية على هذا الاحتياط و الحزم بقوله مقويا لترغيبهم فى ذلك باقبال الخطاب

(١) فى ظ : تكون (٢) فى ظ : التقيظ - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) فى ظ : وجاز به يحتمل (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ . (٧) فى ظ : وراء (٨) فى ظ : نهى .

 عليهم

عليهم: ﴿ود﴾ أى تمنى تمنيا عظيما ﴿الذين كفروا﴾ أى باشروا الكفر وقتا ما، فكيف بمن هو غريق فيه ﴿لو تغفلون﴾ أى [١] تقع لكم [١] غفلة فى وقت ما ﴿عن اسلحتكم﴾.

و لما كانت القوة بالآلات [٢] مرهبة للعدو و منكبة قال: ﴿و امتعتكم﴾ و لما كانت الغفلة ضعفا ظاهرا، تسبب [٣] عنها قوله: ﴿فيميلون﴾ و أشار ٥ إلى العلو و الغلبة بقوله: ﴿عليكم﴾ و أشار إلى سرعة الأخذ بقوله: ﴿ميلة﴾ [و أكده بقوله - [٤]]: ﴿واحدة [٤]﴾.

و لما كان الله - و له المن - قد رفع عن هذه الأمة الحرج، و كان [٥] المطر و المرض شاقين قال: ﴿و لا جناح﴾ أى حرج ﴿عليكم ان كان بكم اذى﴾ أى و إن كان يسيرا ﴿من مطر﴾ أى لأن حمل ١٠ السلاح حينئذ يكون سببا لبلّه ﴿او كنتم مرضى﴾ أى متصفين بالمرض، و كأن التعبير بالوصف إشارة إلى أن أدنى شىء منه لا يرخص ﴿ان / تضعوآ اسلحتكم﴾ أى لأن حملها يزيد المريض وهنا. / ٥١٢

و لما خفف ما أوجبه أولا من أخذ السلاح برفع الجناح فى حال العذر، فكان التقدير: فضعوه إن شئتم؛ عطف عليه بصيغة الأمر ١٥ إشارة إلى وجوب الحذر منهم فى كل حال قوله: ﴿و خذوا حذركم [٥]﴾ أى فى كل حالة، فان ذلك نفع لا يتوقع منه ضرر؛ ثم علل ذلك بما بشر فيه بالنصر تشجيعا للمؤمنين، و إعلاما بأن الأمر بالحزم [٦] إنما هو

(١-١) فى ظ: يقع له (٢) فى ظ: بالات (٣) فى ظ: فتسبب (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بالجزم.

للجرى[1] على ما رسمه من الحكمة فى قوله - ربط المسببات بالأسباب ، فهو من باب[2] «اعقلها و توكل[3]» فقال: ﴿ ان الله ﴾ المحيط علما و قدرة ﴿ اعد ﴾ أى فى الأزل[4] ﴿ للكٰفرين ﴾ أى الدائمين[5] على الكفر ، لا من اتصف به وقتا ما و تاب منه ﴿عذابا مهينا ه ﴾ أى يهينهم[6] به ، ٥ من أعظمه حذركم الذى لا يدع لهم عليكم مقدما ، و لا تمكنهم[7] معه منكم فرصة .

و لما علمهم بما[8] يفعلون فى الصلاة حال الخوف ، أتبع ذلك ما يفعلون بعدها لئلا يظن أنها تغنى عن مجرد الذكر ، فقال مشيرا إلى تعقيبه [به -[9]] : ﴿ فاذا قضيتم الصلوٰة ﴾ أى فرغتم من فعلها و أديتموها ١٠ على حالة الخوف أو غيرها ﴿ فاذكروا الله ﴾ أى بغير الصلاة لأنه لإحاطته بكل شىء يستحق أن يراقب فلا ينسى ﴿ قيٰما و قعودا و على جنوبكم ج ﴾ أى فى كل حالة ، فان ذكره حصنكم فى كل حالة من كل عدو ظاهر أو باطن .

و لما كان الذكر أعظم حفيظ للعبد[10] ، و حارس من[2] شياطين الإنس ١٥ و الجن ، و مسكن للقلوب " الا بذكر الله تطمئن القلوب[11] " ، أشار[12]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للحرى (٢) سقط من ظ (٣) راجع جامع الترمذى - ابواب الزهد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاول (٥) فى ظ : القائمين (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تهينهم (٧) فى ظ : لا يمكنهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : للعبيد .
(١١) سورة ١٣ آية ٢٨ (١٢) فى ظ : اشارة .

إلى ذلك بالأمر بالصلاة[1] حال الطمأنينة، تنبيها على عظم قدرها[2]، و بيانا لأنها أوثق عرى الدين و أقوى دعائمه و أفضل مجليات القلوب و مهذبات النفوس، لأنها مشتملة على مجامع الذكر "ان الصلوٰة تنهى عن الفحشآء و المنكر و لذكر الله اكبر[3]" فقال: ﴿فاذا اطمانتم﴾ أى عما كنتم فيه من الخوف ﴿فاقيموا الصلوٰة ج﴾ أى ٥ فافعلوها قائمة المعالم[4] كلها على الحالة التى كنتم تفعلونها قبل الخوف؛ ثم علل الأمر بها فى الأمن و الخوف[5] و السعة و الضيق سفرا أو حضرا بقوله: ﴿ان الصلوٰة﴾ مظهرا لما كان الأصل فيه الإضمار[6] تنبيها على عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده ﴿كانت على المؤمنين كتبا﴾ [7]أى هى - مع كونها فرضا - جامعة على الله جمعا لا يقارنها فيه غيره[7] ١٠ ﴿موقوتا ه﴾ أى و هى - مع كونها محدودة - مضبوطة بأوقات مشهورة، فلا يجوز إخراجها عنها فى أمن و لا خوف فوت - بما أشارت إليه مادة 'وقت' للأبدان[8] بما تسبب من الأرزاق. و للقلوب بما تجلب[9] من المعارف و الأنوار[10].

و لما عرف من ذلك أن آيات الجهاد فى هذه السورة معلمة[11] ١٥ للحذر خوف الضرر، مرشدة إلى إتقان المكائد للتخلص من الخطر،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالصلاح (٢) فى ظ: قدرتها (٣) سورة ٢٩ آية ٤٨ (٤) فى ظ: العلم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: الا اضمار (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: للايذان (٩) فى ظ: تجلت (١٠) فى ظ: الاقدار (١١) فى ظ: معللة.

و كان ذلك مظنة لمتابعة النفس و المبالغة فيه، و هو مظنة للتوانى فى أمر الجهاد؛ أتبع ذلك قوله تعالى منبها على الجد فى أمره، و أنه لم يدع فى الصلاة و لا غيرها ما يشغل عنه، عاطفا على نحو: فافعلوا ما أمرتكم به، أو على "فاقيموا الصلوٰة": ﴿ و لا تهنوا ﴾ أى [1]تضعفوا و تتوانوا[1] بالاشتغال ٥ بذكر و لا صلاة، فقد يسرت[2] ذلك لكم تيسيرا لا يعوق عن [3]شيء من[3] أمر الجهاد ﴿ فى ابتغآء القوم ﴾ أى طلبهم بالاجتهاد و إن كانوا فى غاية القوة و القيام بالأمور؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان تكونوا تالمون ﴾ أى يحصل لكم ألم و مشقة بالجهاد من القتل[4] و ما دونه ﴿ فانهم يالمون كما تالمون ج ﴾ أى[5] [لأنهم -[6]] يحصل [لهم من ذلك ١٠ ما يحصل -[6]] لكم، فلا يكونن على باطلهم أصبر منكم على حقكم.

و لما بين ما يكون مانعا[7] لهم من الوهن دونهم، لأنه مشترك بينهم[8]؛ بيّن ما يحملهم على الإقدام لاختصاصه به فقال: ﴿ و ترجون ﴾ أى أنتم ﴿ من الله ﴾ أى الذى له جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى ﴿ ما لا يرجون ط ﴾ أى من النصر و العزم و الكرم / و اللطف، لأنكم ٥١٣ / ١٥ تقاتلون فيه و هم يقاتلون [فى الشيطان -[6]]، و هـذا لكل من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر سواء كان ذلك[9] فى جهاد الكفار أو لا.

(١ - ١) فى ظ: يضعفوا و يتوانوا (٢) زيد بعده فى ظ: لكم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: القتيل (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) فى ظ: من نعا - كذا. (٨) زيدت الواو بعده فى الأصول، فحذفناها لكى ينتسق الكلام (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: كان.

و لما كان العلم مبنى كل خير، و كانت الحكمة التى هى نهاية العلم و غاية القدرة بجمع[١] الصفات العلى قال تعالى: ﴿ و كان الله ﴾ أى الآمر لكم بهذه الأوامر و هو المحيط بكل شيء ﴿ عليما ﴾ أى بالغ العلم فهو لا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن مصلحا للدين و الدنيا ﴿ حكيما ﴾
فهو يتقن لمن يأمره الأحوال، و يسدده[٢] فى المقال و الفعال، فمن علم منه ٥ خيرا أراده و رقاه فى درج[٣] السعادة، و من علم منه شرا كاده فنكس مبدأه [٤]و معاده[٤].

و لما كان أول هذه القصص[٥] التعجيب من حال الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فى ضلالهم و إضلالهم، ثم التعجيب من إيمانهم بالجبت و الطاغوت، ثم التعجيب من حال من ادعى الإيمان بهذا الكتاب مع ١٠ الكتب السالفة، ثم رضى بحكم غيره، و ساق سبحانه و تعالى أصول ذلك و فروعه، و نصب الأدلة حتى علت على الفرقدين، و انتشر ضياؤها على جميع الخافقين، و ختم ذلك بمجاهدة المبطلين بالحجة و السيف، و سوّر ذلك بصفتى العلم و الحكمة؛ ناسب أتم مناسبة الإخبار بأنه أنزل هذا[٦] الكتاب بالحق، و بين فائدته التى عدل عنها المنافقون فى استحكام ١٥ غيره فقال: ﴿ انآ انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة التى تتقاصر دونها كل عظمة ﴿ اليك ﴾ أى خاصة و أنت أكمل الخلق ﴿ الكتب ﴾ أى الكامل الجامع لكل خير ﴿ بالحق ﴾ أى ملتبسا بما يطابقه الواقع

(١) فى ظ: بجميع (٢) فى ظ: يسدد (٣) فى ظ: درجة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: القصة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: هذه.

﴿لتحكم بين الناس﴾ أى عامة، لأن دعوتك عامة فلا أضل ممن عدل عن [١]حكمك و ابتغى[١] خيرا من غير كتابك، و أشار إلى أنه لا ينطق عن الهوى بقوله: ﴿ بمآ ارٰىك الله ط﴾ أى عرفكه الذى له القدرة الشاملة و العلم الكامل، فان كان قد بين لك شيئا غاية البيان فافعله، و إلا ٥ فانتظر منه البيان؛ ثم شرع سبحانه و تعالى فى إتمام ما بقى من أخبارهم، و كشف ما بطن من أسرارهم، و بيان علاماتهم ليعرفوا، و يجتنبها المؤمنون لئلا يوسموا بميسمهم.

و لما كان سبحانه و تعالى قد خفف عليه صلى الله عليه و سلم [[٢]- بأن شرع له القناعة فى الحكم بالظاهر و عدم التكليف بالنقب ١٠ عن[٣] سرائرهم -[٤]] بالدفع عن طعمة بن أبيرق، لأن أمره كان مشكلا، فانه سرق درعا و أودعها[٥] عند يهودى، فوجدت عنده فادعى أن طعمة أودعها عنده، و لم يثبت ذلك على طعمة حتى أنزل الله سبحانه و تعالى الآية، فأراد تعالى إنزاله فى هذه النازلة و غيرها مما يريده سبحانه و تعالى فى المقام الخضرى من الحكم بما فى نفس الأمر مما[٦] لا يعلمه إلا الله ١٥ سبحانه و تعالى إذ كان الصحيح الذى عليه الجمهور - كما نقله شيخنا قاضى الشافعية بمصر أبو الفضل[٧] أحمد بن على بن حجر رحمه الله تعالى

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: حلمك و يبغى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ: على (٤) زيد بعده فى ظ أيضا: صلى الله عليه و سلم (٥) فى ظ: اودعه، و الدرع مؤنث و قد يذكر (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بما. (٧) فى ظ: أبو بكر - كذا، و هو إمام الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى المعروف بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

في الإصابة في أسماء[1] الصحابة - أن الخضر عليه الصلاة و السلام نبي ، و كان نبينا[2] صلى الله عليه و سلم قد أعطى مثل جميع معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم مع ما اختص به دونهم - على جميعهم أفضل الصلاة و أتم التسليم و البركات ، فقال تعالى عاطفا على ما علم[3] تقديره من نحو : فاحكم[4] بما نريك[5] من بحار العلوم التي أودعناها هذا الكتاب : ﴿ و لا ٥ تكن للخآئنين ﴾ أي [لأجلهم -[6]] ، من طعمة و غيره ﴿ خصيما ﴾ أي مخاصما لمن يخاصمهم ، و أتبع ذلك قوله : ﴿ و استغفر الله ﴾ أي اطلب مغفرة من له الكمال كله من الهم بالذب عنه . ثم علل بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أي الذي له الإحاطة التامة و الغنى المطلق ﴿ كان ﴾ أي أزلا و أبدا ﴿ غفورا رحيما ﴾ و هذا الاستغفار لا عن ذنب إذ هو ١٠ منزه[7] عن ذلك ، معصوم[8] منه ، و لكن عن مقام عال تام للارتقاء إلى أعلى منه و أتم ؛ و قد روى الترمذي سبب نزول هذه الآيات إلى قوله تعالى " فقد ضل ضلالا بعيدا " من / وجه مستقص[9] مبين بيانا شافيا ، ٥١٤ / و سمى [10]بني أبيرق[10] بشرا[11] و بشيرا[12] و مبشرا ، و لم يذكر طعمة - و الله

(١) كذا ، و اسم الكتاب كما هو الصواب « الإصابة في تمييز الصحابة » - راجع كشف الظنون ١/ ١١٠ (٢) في ظ : نبيا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : فالحكم (٥) في ظ : يريك - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : منزله (٨) في ظ : مفهوم (٩) في ظ : مستثنى - كذا . (١٠ - ١٠) في ظ : بين العرب - كذا (١١) من ظ و مد و جامع الترمذي - أبواب التفسير ، و في الأصل : مشبرا - كذا (١٢) في ظ : مبشيرا - كذا .

سبحانه و تعالى أعلم، قال: عن قتادة[١] بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر و بشير و مبشر، فكان[٢] بشير رجلا منافقا يقول الشعر[٣] يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، [٤- ثم ينحله بعض العرب، [٥]ثم يقول: قال فلان كذا و كذا[٥]، فاذا سمع أصحاب
٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم] ذلك الشعر قالوا: و الله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث! [قال: -[٦]] و كانوا أهل بيت حاجة و فاقة فى الجاهلية و الإسلام[٧]، فقدمت ضافطة[٨] من الشام، فابتاع عمى رفاعة بن زيد حملا من الدرمك[٩] فجعله فى مشربة[١٠] له، و فى المشربة سلاح درع و سيف، فعدى عليه [من تحت البيت -[٦]] فنقبت المشربة، و أخذ الطعام
١٠ و السلاح، فلما أصبح أتانى[١١] [عمى رفاعة -[٦]] فقال: يا ابن أخى! إنه قد عدى[١٢] علينا فى ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا، و ذهب بطعامنا و سلاحنا، [قال: -[٦]] فتحسسنا فى الدار، فقيل لنا: قد رأينا [بنى -[٤]] أبيرق

---

(١) فى ظ: هناذلة - كذا (٢) من الجامع، و فى الأصول: و كان (٣) فى ظ: السفر (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و الجامع (٥ - ٥) ليس ما بين الرقمين فى ظ و مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٧) زيد فى الجامع: و كان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر و الشعير، و كان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه، و أما العيال فانما طعامهم التمر و الشعير (٨) فى ظ: طائفة، و الضافطة: الإبل الحمولة. (٩) الدرمك و الدرمق: الدقيق الأبيض (١٠) فى ظ: مشربك (١١) فى ظ: اتى بى - كذا (١٢) من ظ و مد و الجامع، و فى الأصل: اعدا.

استوقدوا فى هـذه الليـلة ، و لا نرى [فيما نرى - [1]] إلا على بعض طعامكم ، [قال : - [1]] وكان[2] بنو أبيرق قالوا - و نحن نسأل[3] فى الدار - : و الله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل - رجل[4] منا[5] له صلاح و إسلام ، فلما سمع لبيد اخترط سيفه و قال[6] : أنا أسرق ! فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة ! قالوا : [7] إليك عنا أيها[7] الرجل ! فما أنت بصاحبها ، فسألنـا فى الدار حتى لم نشك[8] أنهم أصحابها ، فقال لى عمى : يا ابن أخى ! لو أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرت[9] ذلك له ! [قال قتادة : - [1]] فأتيتـه[10] ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : سآمر [فى - [11]] ذلك ، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال[12] له أسير ابن عروة ، فكلموه فى ذلك ، فاجتمع فى ذلك أناس من أهل الدار فقالوا : ١٠ يا رسول الله ! إن قتادة بن النعمان و عمه عمدا إلى أهل بيت منا[13] أهل إسلام[14] و صلاح[15] ، يرمونهم بالسرقـة من غير بينـة و لا ثبت ! قال

(١) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٢) فى ظ : كانوا (٣) زيد بعده فى ظ : الله (٤) من الجامع ، و فى الأصول : رجلا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : قالوا (٧-٧) فى ظ : اولئك عنى بها - كذا (٨) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : لم يشك (٩) فى ظ : فذكر (١٠) زيد فى الجامع : فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمى رفاعة بن زيد ، فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه .
(١١) زيد من ظ و مد و الجامع (١٢) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : فقال (١٣) فى ظ : منها (١٤) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : الاسلام .
(١٥) فى ظ : اصلاح .

قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم [فكلمته - [1]] ، فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام و صلاح[2] ! ترميهم بالسرقة على غير ثبت و بينـــة ! قال[3] : فقال [لى - [4]] عمى : [يـا ابن أخى ! ما صنعت ؟ - [1]] فأخبرته بما[5] قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقال :
٥ الله المستعان ! فلم يلبث[6] أن نزل القرآن " انا انزلنا اليك الكتب بالحق - إلى - خصيما " بنى[7] أبيرق ، " و استغفر الله " مما قلت لقتادة ، " ان الله كان غفورا رحيما - إلى قوله : فسوف نؤتيه احرا عظيما " ؛ فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالسلاح فرده إلى رفاعـة[8] ، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين ، فنزل على سلافة بنت سعد بن
١٠ سمية ، فأنزل الله سبحانه و تعـالى " و من يشاقق الرسول - إلى قوله : ضلالا بعيدا " . و روى الحديث ابن إسحاق فى السيرة و زاد : إن حسانا قال فى نزوله عندها أبياتا فطردته ، فلحق بالطائف فدخل بيتـا ليسرق منه ، فوقع عليه فمات ، فقالت قريش : و الله ما يفارق محمدا من أصحابه أحد فيه خير .

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٢) فى ظ : اصلاح (٣) زيد فى الجامع : فرجعت و لوددت أنى خرجت من بعض مـالى و لم أكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من الجامع ، و فى الأصول : ما (٦) فى ظ : فلم نثبت (٧) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : بين (٨) زيد فى الجامع : فقال قتادة : لمـا أتيت بالسلاح و كان شيخا قد عشى فى الجاهلية و كنت أرى إسلامه مدخولا ، فلما أتيته بالسلاح قال : يا ابن أخى ! هى فى سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه كان صحيحا .

و لما نهاه عن الخصام[1] لمطلق الخائن[2]، و هو من وقعت منه خيانة ما ؛ أتبعه النهي عن المجادلة عمن تعمد الخيانة فقال سبحانه و تعالى: ﴿ و لا تجادل ﴾ أى فى وقت ما ﴿ عن الذين يختانون ﴾ أى يتجدد منهم تعمد أن يخونوا ﴿ انفسهم[4] ﴾ بأن يوقعوها فى[3] الهلكة[4] بالعصيان فيما اؤتمنوا[5] عليه من الأمور الخفية ، و التعبير بالجمع - مع أن الذى نزلت ٥ فيه الآية واحد - للتعميم و تهديد من أعانه من قومه ، و يجوز أن يكون أشار بصيغة الافتعال إلى[6] أن الخيانة لا تقع[7] إلا مكررة[8] ، فانه يعزم عليها أولا ثم يفعلها ، / فأدنى ذلك أن يكون قد خان من[3] نفسه مرتين ، / ٥١٥ قال الإمام ما[3] معناه أن التهديد فى هذه الآية عظيم جدا ، و ذلك أنه سبحانه و تعالى عاتب خير الخلق عنده و أكرمهم لديه هذه المعاتبة ١٠ و ما فعل [9]إلا الحق[9] فى الظاهر ، فكيف بمن يعلم الباطن و يساعد[10] أهل الباطل ؟ فكيف إن كان بغيرهم[11]؟ ثم أشار سبحانه و تعالى إلى أن[12] من خان غيره كان مبالغا فى الخيانة بالعزم و خيانة الغير المستلزمة لخيانة النفس[13] فلذا[14] ختمت بالتعليل بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الجليل العظيم ذا[15] الجلال و الإكرام ﴿ لا يحب ﴾ أى لا يكرم ﴿ من كان ١٥

(١) فى ظ : الخطام - كذا بالطاء (٢) فى ظ : الجائزة - كذا (٣) سقط من ظ . (٤) فى ظ : لملكه - كذا (٥) فى ظ : اثبتوا (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الا (٧) فى ظ : لا يقع (٨) فى ظ : مكوره ، و فى مد : متكررة (٩-٩) فى ظ : بالحق (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : يساعده (١١) فى ظ : بقربهم (١٢) فى ظ : انه (١٣) فى ظ : النقص (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : فكذا . (١٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذو .

خوانا اثيماً ﴾ بصيغتى[1] المبالغة - على أن مراتب المبالغين فى الخيانة متفاوتة، و فيه مع هذا استعطاف لمن وقعت منه الخيانة مرة واحدة، و قدم سبحانه و تعالى ذلك، لأن فيه دفعا للضر[2] عن البرىء و جلبا للنفع إليه؛ ثم أتبعه بعيب هذا الخائن و قلة تأمله و الإعلام بأن المجادلة
٥ عنه قليلة الجدوى، فقال سبحانه و تعالى معجبا منهم بما هو كالتعليل لما قبله: ﴿ يستخفون ﴾ أى هؤلاء الخونة[3]: طعمة و من مالأه و هو يعلم باطن أمره[4] ﴿ من الناس ﴾ حياء منهم و خوفا من أن يضروهم[5] لمشاهدتهم لهم[6] وقوفا مع الوهم كالبهائم ﴿ و لا يستخفون ﴾ أى يطلبون و يوجدون الخفية بعدم الخيانة ﴿ من الله ﴾ أى الذى لا شيء
١٠ أظهر منه لما له من صفات الكمال ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ معهم ﴾ لا يغيب عنه شيء من أحوالهم، و لا يعجزه شيء من نكالهم، فالاستخفاء منه لا يكون إلا بترك الخيانة و محض الإخلاص، فوا سوأتاه من أغلب الأفعال و الأقوال و الأحوال! ﴿ اذ ﴾ أى[6] حين ﴿ يبيتون ﴾ أى يرتبون ليلا على طريق الإمعان فى الفكر و الإتقان للرأى ﴿ ما
١٥ لا يرضى من القول[6] ﴾ أى من البهت و الحلف عليه، فلا يستحيون[7] منه و لا يخافون، لاستيلاء الجهل و الغفلة على قلوبهم و عدم إيمانهم بالغيب.

---

(١) فى ظ: بصيغة (٢) فى ظ: للضرر (٣) فى ظ: الخونة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سره (٥) فى ظ: يضرهم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: فلا يستحفون.

و لما أثبت[1] علمه سبحانه و تعالى بهذا من حالهم عمم فقال: ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى كل شيء فى قبضته لأنه الواحد الذى لا كفوء له[2] ﴿ بما يعملون[3] ﴾ أى من هذا و غيره ﴿ محيطا ﴾ أى علما و قدرة.

٥ و لما و بخهم سبحانه و تعالى على جهلهم، حذر من مناصرتهم فقال - مبينا أنها لا تجديهم[4] شيئا، مخوفا لهم جدا بالمواجهة بمثل هذا التنبيه و الخطاب ثم الإشارة بعده -: ﴿ هٰأنتم هٰؤلآء ﴾ و زاد فى الترهيب للتعيين[5] بما هو من الجدل الذى هو أشد الخصومة - من جدل الحبل[6] الذى هو شدة فتله[7] - و إظهاره فى صيغة المفاعلة، فقال مبينا لأن المراد من الجملة السابقة [التهديد - [8]] : ﴿ جدلتم عنهم ﴾ فى هذه الواقعة ١٠ أو غيرها ﴿ فى الحيوٰة الدنيا قف ﴾ أى بما جعل لكم من الأسباب.

و لما حذرهم وبخهم على قلة فطنتهم و زيادة فى التحذير بأن مجادلتهم هذه سبب لوقوع الحكومة بين يديه سبحانه و تعالى فقال: ﴿ فمن يجادل الله ﴾ أى الذى له الجلال كله ﴿ عنهم ﴾ أى حين تنقطع[9] الأسباب ﴿ يوم القيٰمة ﴾ و لا يفترق الحال فى هذا بين أن تكون ١٥ "ها" من "هٰأنتم" للتنبيه أو بدلا عن همزة استفهام - على ما تقدم، فان معنى الإنكار هنا واضح على كلا الأمرين.

---

(١) فى ظ: ثبت (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: تعملون (٤) من مد، و فى الأصل: لا تجزيهم، و فى ظ: لا تجد لهم (٥) فى ظ: للتعبير (٦) فى ظ: الحل (٧) فى ظ: قبله (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و فى الأصل: تقطيع، و فى ظ: ينقطع.

و لما كان من أعظم المحاسن كف الإنسان عما لا علم له به، عطف على الجملة من أولها من غير تقييد بيوم القيامة منبها على قبح المجادلة عنهم بقصور علم الخلائق قوله : ﴿ ام من يكون ﴾ أى فيما يأتى من الزمان ﴿ عليهم وكيلا ﴾ أى يعلم منهم ما يعلم الله سبحانه و تعالى بأن ٥ يحصى[1] أعمالهم فلا يغيب عنه منها شيء ليجادل الله عنهم، فيثبت[2] لهم ما قارفوه[3]، و ينفى عنهم[4] ما لم يلابسوه / و يرعاهم [5]و يحفظهم مما يأتيهم به القدر من الضرر و الكدر. /٥١٦

و لما نهى عن نصرة الخائن و حذر منها، ندب[5] إلى التوبة من كل سوء فقال - عاطفا على ما تقديره : فمن يصر على مثل هذه المجادلة يجد الله ١٠ [6]عليما حكيما[6] - : ﴿ و من يعمل سوٓءا ﴾ أى قبيحا متعديا يسوء[7] غيره [8]شرعا، عمدا[8] - كما فعل طعمة - أو غير[9] عمد ﴿ او يظلم نفسه ﴾ بما لا يتعداه إلى غيره شركا كان أو غيره، أو بالرضى لها بما غيره أعلى منه، و لم يسمه بالسوء لأنه لا يقصد نفسه بما يضرها فى[10] الحاضر ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ أى يطلب من الملك الأعظم غفرانه بالتوبة بشروطها ١٥ ﴿ يجد الله ﴾ أى الجامع[11] لكل كمال ﴿ غفورا ﴾ [أى ممّحيا للزلات -[12]]

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : يخص (٢) فى ظ : فثبت (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : فارقوه - كذا (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل : غفورا رحيما (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : بسوء (٨ - ٨) فى ظ : سرعا مدا - كذا (٩) فى ظ : غيره. (١٠) فى ظ : من (١١) زيد بعده فى الأصل : فى الحاضر، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٢) زيد من ظ.

﴿رحيما ﴾ أى مبالغا فى إكرام من يقبل إليـه «من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، و من تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، و من أتانى يمشى أتيته هرولة» . روى إسحاق بن راهويه عن عمر رضى الله تعالى عنه و أبو يعلى الموصلى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن هذه الآية نسخت "من يعمل سوءا يجز به[1]" و أنها نزلت بعدها . ٥

و لما ندب إلى التوبة و رغب فيها ، بين أن ضرر إثمه[2] لا يتعدى نفسه ، حثا على التوبة و تهييجا إليها لما جبل عليه[3] كل أحد من محبة نفع نفسه و دفع الضر عنها فقال : ﴿ و من يكسب اثما ﴾ أى إثم كان ﴿ فانما يكسبه على نفسه[4] ﴾ لأن وباله راجع عليه إذ الله له بالمرصاد ، فهو مجازيه على ذلك لا محالة غير حامل لشىء[4] من إثمه على غيره كما ١٠ أنه غير حامل لشىء[4] من إثم غيره عليه ، و الكسب : فعل[5] ما يجر نفعا أو يدفع ضرا[6] .

و لما كان هذا لا يكون إلا مع العلم و الحكمة قال تعالى : ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له كمال الإحاطة أزلا و أبدا ﴿ عليما ﴾ أى بالغ العلم بدقيق ذلك و جليله ، فلا يترك شيئا منه ﴿حكيما ﴾ فلا يجازيه ١٥ إلا بمقدار[7] ذنبه ، و إذا أراد شيئا وضعه فى أحكم مواضعه فلا يمكن غيره شىء من نقضه .

---

(١) سورة ٤ آية ١٢٣ (٢) فى ظ : ابه ـ كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليه (٤ ـ ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : فعال (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضر (٧) فى ظ و مد : مقدار .

و لما ذكر ما يخص الإنسان من إثمه أتبعه ما يعديه إلى غيره فقال: ﴿ و من يكسب خطيـّئة ﴾ أى ذنبا غير متعمد له ﴿ او اثما ﴾ أى ذنبا تعمده . و لما كان البهتان شديدا جدا قل من يجترئ عليه ، أشار[١] إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ثم يرم به برِيّـئا[٢] ﴾ أى ينسبه إلى من لم يعمله - ٥ كما فعل طعمة باليهودى ، و ابن أبى بالصديقـة[٣] رضى الله تعالى عنها[٤] . و عظم جرم فاعل ذلك [بصيغة -[٥]] الافتعال[٦] فى قوله[٦]: ﴿ فقد احتمل ﴾ [و -[٧]] بقوله : ﴿ بهتانا ﴾ أى خطر كذب[٨] يبهت المرمى به لعظمه ، و كأنه إشارة إلى ما يلحق الرامى فى الدنيا من الذم ﴿ و اثما ﴾ أى ذنبا كبيرا ﴿ مبينا ع ﴾ يعاقب به فى الآخرة ، و إنما كان مبينا لمعرفته بخيانة[٩] ١٠ نفسه و براءة المرمى به ، و لأن الله سبحانه و تعالى أجرى عادته الجميلة أن يظهر براءة المقذوف [بـــه -[١٠]] يوما ما بطريق من الطرق و لو لبعض الناس .

و لما وعظ سبحانه و تعالى فى هـذه النازلة و حذر و نهى و أمر ، بين نعمته على نبيه صلى الله عليه و سلم فى عصمته عما[١١] أرادوه من مجادلته ١٥ عن الخـائن بقوله تعالى : ﴿ و لو لا فضل الله ﴾ أى الملك الأعـــلى

(١) فى ظ : اشارة (٢) من ظ و مد و القرآن المجيـد ، و فى الأصل : برى . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل ، بالصديق (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنهما . (٥) زيد من ظ (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل و مد : بقوله (٧) زيدت الواو من ظ و مد (٨) فى ظ : لذنب (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : بجناية (١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى ظ : ما .

﴿ عليك ﴾ أي بإنزال الكتاب ﴿ و رحمته ﴾ أي بإعلاء أمرك و عصمتك من كل ذي كيد و حفظك في أصحابك الذين أتوا يجادلون عن ابن عمهم سارق الدرع في التمسك بالظاهر و عدم قصد العناد ﴿ لهمت طآئفة منهم ﴾ أي فرقة فيها أهلية الاستدارة و التخلق، لا تزال تتخلق فتفيل[1] الآراء و تقلب الأمور[2] و تدير[3] الأفكار في ترتيب ما تريد ﴿ ان يضلوك[1] ﴾ أي يوقعوك[4] في ذلك بالحكم ببراءة طعمة، و لكن الله حفظك في أصحابك فما هموا بذلك، و إنما قصدوا المدافعة عن صاحبهم بما لم / يتحققوه، و لو هموا لما أضلوك ﴿ و ما يضلون ﴾ أي على حالة من حالات هذا الهم ﴿ الآ انفسهم ﴾ إذ وبال ذلك عليهم ﴿ و ما يضرونك ﴾ أي يجددون[5] في ضرك[6] حالا و لا[1] مآلا بإضلال و لا غيره ﴿ من شيء[1] ﴾ و هو وعد بدوام العصمة في الظاهر و الباطن كآية[7] المائدة[8] أيضا و إن كانت هذه بسياقها ظاهرة في الباطن و تلك ظاهرة في الظاهر ﴿ و انزل الله ﴾ أي[1] الذي له جميع العظمة ﴿عليك﴾ و أنت أعظم الخلق عصمة لأمتك ﴿ الكتب ﴾ أي[10] الذي تقدم أول[9] القصة الإشارة إلى كماله و جمعه لخيري[10] الدارين ﴿ و الحكمة ﴾

/ ٥١٧

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: القلوب (٣) من ظ و مد، و في الأصل: تكرير.
(٤) من مد، و في الأصل و ظ: يوقعون (٥) من ظ و مد، و في الأصل: يتحددون (٦) في ظ: خيوك (٧) من ظ و مد، و في الأصل: فاية - كذا.
(٨) أي قوله تعالى "و ان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا" رقم الآية ٤٢.
(٩) في ظ: او - كذا (١٠) في ظ: لخير.

أى الفهم لجميع مقاصد الكتاب فتكون أفعالك و أفعال من تابعك فيه على أتم الأحوال، فتظفروا بتحقيق العلم و إتقان العمل[١]، و عمم بقوله: ﴿ و علمك ما لم تكن تعلم ط ﴾ أى من المشكلات و غيرها غيبا و شهادة من أحوال الدين و الدنيا ﴿ و كان فضل الله ﴾ أى المتوحد بكل كمال ٥ ﴿ عليك عظيما ۝ ﴾ أى بغير ذلك من أمور لا تدخل تحت الحصر، و هذا من أعظم الأدلة على أن العلم أشرف الفضائل.

و لما كان قوم طعمة قد ناجوا النبى صلى الله عليه و سلم فى الدفع عنه[٢]، نبههم سبحانه و غيرهم على ما ينبغى[٣] أن يقع به التناجى، و يحسن فيه التفاؤل و التجاذب على وجه نـاه عن غيره أشد نهى بقوله سبحانه ١٠ و تعالى: ﴿ لا خـيـر فى كثير من نجوٰىهم ﴾ أى نجوى جميع المناجين ﴿ الا من[٤] ﴾ أى نجوى من[٥] ﴿ امر بصدقة ﴾ و لما خص الصدقة لعزة المال فى ذلك الحال، عمم[٦] بقوله: ﴿ او معروف ﴾ أىّ معروف كان مما يبيحه الشرع من صدقة و غيرها.

و لما كان إصلاح ذات البين أمرا جليلا، نبه على عظمه بتخصيصه[٧] ١٥ بقوله: ﴿ او اصلاح بين الناس ط ﴾ أى عامة، فقد بين سبحانه و تعالى أن غير المستثنى من التناجى لا خير فيه، و كل ما انتفى عنه الخير كان مجتنبا - كما روى أحمد و الطبرانى فى الكبير بسند لا بأس به و هذا لفظه

---

(١) فى ظ: العلم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عنهم (٣) فى ظ: لا ينبغى.
(٤) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تم (٧) فى ظ: تخصيصه.

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم أن عيسى عليه الصلاة و السلام قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه، و أمر تبين لك غيّه فاجتنبه، و أمر اختلف فيه فرده إلى عالمه.

و لما كان التقدير: فمن أمر بشيء من ذلك فنجواه خير، و له ٥ عليها أجر؛ عطف عليه قوله: ﴿ و من يفعل ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى أمر به من هذه الأشياء ﴿ ابتغآء مرضات الله ﴾ الذى له صفات الكمال، لأن العمل لا يكون له روح إلا بالنية ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ أى فى الآخرة بوعد لا خلف فيه ﴿ اجرا عظيما ه ﴾ و هذه الآية من أعظم الدلائل على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال القلب فى ١٠ إخلاص النية، و تصفية الداعية عن [1]الالتفات إلى[1] غرض دنيوى، فان كان رياء انقلبت فصارت من أعظم المفاسد.

و لما رتب سبحانه و تعالى الثواب العظيم على الموافقة، رتب العقاب الشديد على المخالفة و المشاقة، [و - [2]] وكل المخالف إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿ و من يشاقق الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية، فيكون بقلبه ١٥ أو شيء من فعله فى جهة غير جهته على وجه المقاهرة، و عبر بالمضارع رحمة منه سبحانه بتقييد الوعيد بالاستمرار، و أظهر القاف إشارة إلى تعليقه بالمجاهرة، و لأن السياق لأهل الأوثان و هم مجاهرون، و قد جاهر سارق الدرعين الذى كان سببا لنزول الآية فى آخر قصته[3] - كما مضى.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيدت الواو من مد (٣) فى ظ: قصة.

و لما كان فى سياق تعليم الشريعة التى لم تكن معلومة قبل الإيحاء بها، لا فى سياق الملة المعلومة بالعقل، [1]أتى بـ"من"[1] تقييدا للتهديد[2] / بما بعد الإعلام بذلك فقال: ﴿من بعد ما﴾ و لو حذفت لفهم اختصاص الوعيد بمن استغرق زمان البعد بالمشاقة . و لما كان ما جاء بـه النبى صلى الله عليه و سلم فى غاية الظهور قال: ﴿تبين له الهدى﴾ أى الدليل الذى هو سببه .

و لما كان المخالف للاجماع لا يكفر[3] إلا بمنابذة المعلوم بالضرورة، عبر بعد التبين[4] بالاتباع فقال: ﴿و يتبع غير سبيل﴾ أى طريق ﴿المؤمنين﴾ أى الذين[5] صار الإيمان لهم صفة راسخة، و المراد الطريق المعنوى، وجه الشبه الحركة البدنية الموصلة إلى المطلوب فى الحسى، و النفسانيةُ فى مقدمات الدليل الموصل إلى المطلوب فى المعنوى ﴿نوله﴾ أى بعظمتنا فى الدنيا و الآخرة ﴿ما تولى﴾ أى نكله[6] إلى ما اختار لنفسه و عالج فيه فطرته الأولى خذلانا منا له ﴿و نصله﴾ أى فى الآخرة ﴿جهنم﴾ أى نلقاه بالكراهة و الغلظة و العبوسة كما تجهم أولياءنا و شاققهم .

و لما كان التقدير: فهو صائر إليها لا محالة، بين حالها فى ذلك فقال: ﴿و ساءت مصيرا ﴿١١٥﴾﴾ و هذه الآية دالة على أن الإجماع حجة لأنه لا يتوعد إلا على مخالفة الحق، و كذا حديث «لا تزال طائفة من أمتى

(١-١) فى ظ : أتى من (٢) فى ظ : لتهديد (٣) فى ظ : لا يكفو - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : التبيين (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ : بكلمة - كذا .

قائمة

قائمة بأمر الله - و فى رواية : ظاهرين على الحق - حتى يأتى أمر الله ، رواه عن النبى صلى الله عليه و سلم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثوبان و المغيرة و جابر بن سمرة و جابر بن عبد الله و معاوية و أنس و أبو هريرة ، بعض أحاديثهم فى الصحيحين ، و بعضها فى السنن ، و بعضها فى المسانيد ، و بعضها فى المعاجيم و غير ذلك ؛ و وجه الدلالة أن الطائفة[1] ٥ التى شهد لها النبى صلى الله عليه و سلم بالحق فى جملة أهل[2] الإجماع - و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و لما كان فاعل ذلك بعد بيان الهدى هم أهل الكتاب و من أضلوه من المنافقين بما ألقوه إليهم من الشبه ، فردوهم إلى ظلام الشرك و الشك بعد أن بهرت[3] أبصارهم أشعة التوحيد ؛ حسن إيلاؤه قوله سبحانه ١٠ و تعالى - معللا تعظيما لأهل الإسلام ، و حثا على لزوم هديهم ، و ذما لمن نابذهم و توعدا له ، إشارة إلى أن من خرق إجماع[4] المسلمين صار حكمه حكم المشركين ، فكيف بمن نابذ المرسلين[5] - : ﴿ ان الله ﴾ أى الأحد المطلق فلا كفوء له ﴿ لا يغفر ان يشرك به ﴾ أى وقوع الشرك به ، من أى شخص كان ، و بأى شىء كان ، لأن من قدح فى الملك ١٥ استحق البوار و الهلك ، و سارق الدرع أحق الناس بذلك ﴿ و يغفر ما[6] ﴾ أى كل شىء هو ﴿ دون ذلك ﴾ أى الأمر الذى لم يدع للشناعة

(١) فى ظ : المطابقة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعلى (٣) فى ظ : بهزت - كذا (٤) فى ظ : الاجماع (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشركين (٦) تأخر فى الأصل عن « شىء هو » و الترتيب من ظ و مد .

موضعا - كما هو شأن من ألقى السلم و دخل فى ربقة العبودية ، ثم غلبته الشهوة فقصر[1] فى بعض أنواع الخدمة . ثم دل[2] على نفوذ أمره بقوله: ﴿ لمن يشآء ﴾ .

و لما كان التقدير : فان من أشرك به فقد افترى إثما مبينا[3] ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يشرك ﴾ أى يوقع هذا الفعل القذر جدا فى أى وقت كان من ماض أو حال أو استقبال مداوما على تجديده ﴿ بالله ﴾ أى الملك الذى لا نزاع فى تفرده بالعظمة لأنه لا خفاء فى ذلك عند أحد ﴿ فقد ضل ﴾ أى ذهب عن السنن الموصل ﴿ ضلٰلا بعيدا ﴾ لا تمكن سلامة مرتكبه ، و طوى مقدمة الافتراء الذى هو تعمد الكذب ، و ذكر مقدمة الضلال ، لأن معظم السياق للعرب أهل الأوثان و الجهل فيهم فاش ، بخلاف ما مضى لأهل الكتاب فان كفرهم عن علم ، فهو تعمد للكذب .

و لما كان المنافقون هم المقصودين بالذات بهذه الآيات ، و كان أكثرهم أهل أوثان ، ناسب كل المناسبة قوله[4] معللا لأن الشرك ضلال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يدعون ﴾ و ما / أنسب[5] التعبير لعباد[6] الأوثان عن العبادة بالدعاء إشارة إلى أن كل معبود لا يدعى فى الضرورات[7] فيسمع ، فعابده[8] أجهل الجهلة . و لما كان كل شيء [دونه -[9]] سبحانه

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فتقصير (٢) فى ظ : ادل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظيما (٤) فى ظ : بقوله (٥) فى ظ : السبب (٦) من مد ، و فى الأصل : لعبادة ، و فى ظ : بعبادة (٧) فى ظ : الضروريات (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعابداه (٩) زيد من ظ و مد .

و تعالى ، لأنه تحت قهره ؛ قال محتقرا لما عبدوه : ﴿ من دونهٓ ﴾ أى و هو الرحمن .

و لما كانت معبوداتهم أوثانا متكثرة ، و كل كثرة تلزمها الفرقة و الحاجة و الضعف مع أنهم كانوا يسمون بعضها بأسماء الإناث من اللات و العزى ، و يقولون فى الكل : إنها بنات الله ، و يقولون عن كل ٥ صنم : أنثى بنى فلان ؛ قال : ﴿ الآ انثاج ﴾ أى فجعلوا أنفسهم للاناث عبادا و هم يأنفون من أن يكون لهم أولادا ، و فى التفسير من البخارى : " اناثا " يعنى الموات حجرا أو مدرا - أو ما أشبه ذلك ؛ هذا مع أن[1] مادة ' أنث ' و ' وثن ' يلزمها فى نفسها الكثرة و الرخاوة و الفرقة ، و كل ذلك فى غاية البعد عن رتبة الإلهية ، و سيأتى إن شاء الله تعالى ١٠ بسط ذلك فى سورة العنكبوت و أن هذا القصر[2] قلب قصر[2] لاعتقادهم أنها آلهة ، و معنى الحصر : ما هى إلا غير آلهة لما لها من النقص ﴿ و ان يدعون ﴾ أى يعبدون فى الحقيقة ﴿ الا شيطنا ﴾ أى لأنه هو الآمر لهم بذلك ، المزين لهم[3] ﴿ مريدا لا ﴾ أى عاتيا صلبا عاصيا ملازما للعصيان ، مجردا[4] من كل خير ، محترقا بأفعال الشر ، بعيدا من كل أمن ، ١٥ من[1] : شاط و شطن ؛ و مرد - بفتح عينه و ضمها ، و عبر بصيغة فعيل التى هى للمبالغة فى سياق ذمهم تنبيها على أنهم تعبدوا لما لا إلباس فى شرارته ، لأنه شر كله ، بخلاف ما فى سورة الصّٓفّٰت ، فان سياقه يقتضى

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : تصير قلب (٣) فى ظ : له (٤) فى ظ : محودا - كذا .

عدم المبالغة - كما سيأتي إن شاء الله تعالى ؛ ثم بين ذلك بقوله : ﴿ لعنه الله م ﴾ أي أبعده[1] الملك الأعلى من كل خير فبعد فاحترق .

و لما كان التقدير : فقال إصرارا على العداوة بالحسد : و عزتك لأجتهدن في إبعاد غيري كما أبعدتني ! عطف عليه قوله : ﴿ و قال

٥ لأتخذن ﴾ أي و الله لأجتهدن في أن آخذ ﴿ من عبادك ﴾ الذين هم[2] تحت قهرك ، و لا يخرجون عن[3] مرادك ﴿ نصيبا مفروضا لا ﴾ أي جزءا أنت قدرته لي ﴿ و لاضلنهم ﴾ أي عن طريقك السوى بما سلطتني[4] به من الوساوس و تزيين الأباطيل ﴿ و لامنينهم ﴾ أي كل ما أقدر عليه من الباطل من عدم البعث و غيره من طول الأعمار و بلوغ الآمال

١٠ من الدنيا و الآخرة بالرحمة و العفو و الإحسان و نحوه مما هو سبب للتسويف بالتوبة ﴿ و لأمرنهم ﴾ .

و لما كان قد علم مما طبعوا[5] عليه من الشهوات و الحظوظ التي هيأتهم لطاعته ، و كانت طاعته في الفساد عند كل عاقل في غاية الاستبعاد ؛ أكد قوله : ﴿ فليبتكن ﴾ أي يقطعن تقطيعا كثيرا ﴿ اذان الانعام ﴾

١٥ [6] و يشققونها علامة على ما حرموه على أنفسهم ﴿ و لأمرنهم فليغيرن خلق الله ط ﴾[6] أي الذي له الحكمة الكاملة فلا كفوء له ، بأنواع التغيير[7] من تغيير الفطرة الأولى السليمة إلى ما دون ذلك من فقء[8] عين الحامي[9] ،

---

(١) في ظ : ابعد (٢) في ظ : من (٣) في ظ : غير - كذا (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : سلطني (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : طبعوه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : التعبير (٨) في الأصل و ظ : نفى ، و في مد : فقى - كذا (٩) هو فحل الإبل إذا طال مكثه حتى بلغ نتاج نتاجه.

و نحو

و نحو ذلك، و هو إشارة إلى ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم بالتقريب للأصنام من السائبة و ما معها، المشار إلى إبطاله فى أول المائدة بقوله "احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم" المصرح به فى آخرها بقوله "ما جعل الله من بحيرة" - الآية، و يكون التغيير بالوشم و الوشر[1]، و يدخل فيه كل ما خالف الدين، فان الفطرة الأولى داعية إلى خلاف ذلك ٥ حتى أدخلوا فيه تشبيه الرجال بالنساء فى التخنث و ما يتفرع عنه فى تشبيه النساء بالرجال فى السحق و ما نحا فيه[2] نحوه.

/ و لما كان التقدير: فقد خسر[3] من تابعه فى ذلك[4]، لأنه صار للشيطان وليا[3]؛ عطف عليه معمما قوله: ﴿ و من يتخذ ﴾ أى يتكلف منهم و من غيرهم تغيير الفطرة الأولى فيأخذ ﴿ الشيطن وليا ﴾ و لما كان ١٠ ذلك ملزوما لمحادة الله سبحانه و تعالى، و كان ما هو أدنى من رتبته فى غاية الكثرة؛ [بعض - [5]] ليفهم الاستغراق من باب الأولى[6] فقال: ﴿ من دون الله ﴾ أى المستجمع لكل وصف جميل ﴿ فقد خسر ﴾ باتخاذه ذلك و لو على أدنى وجوه الشرك ﴿ خسرانا مبينا ﴾ أى فى غاية الظهور و الرداءة بما تعطيه[7] صيغة الفعلان[8]، لأنه تولى من لا خير ١٥ عنده؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ يعدهم ﴾ أى بأن يخيل إليهم بما يصل إلى قلوبهم بالوسوسة فى شىء من الأباطيل أنه قريب الحصول، و[9] أنه

/ ٥٢٠

(١) فى ظ: الشر (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ (٤) العبارة من هنا إلى "و من يتخذ" متكررة فى الأصل بعد «الى خلاف ذلك» (٥) زيد من ظ.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اولى (٧) فى ظ: يعطيه (٨) فى ظ: بالفعلان.
(٩) من ظ و مد، و فى الأصل: او.

لا درك فى تحصيله[1] ، و أنه إن لم يحصل كان فى فواته ضرر ، فيسعون فى تحصيله ، فيضيع عليهم فى ذلك الزمانُ ، و يرتكبون فيه ما لا يحل من الأهوال و الهوان ﴿ و يمنيهم ﴾ أى يزين لهم تعليق الآمال بما لا يتأتى[2] حصوله ؛ ثم بين ذلك بقوله : ﴿ و ما ﴾ أى و الحالة[3] أنه
٥ ما ﴿ يعدهم ﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تنبيها على مزيد النفرة فقال : ﴿ الشيطن ﴾ [4]أى المحترق البعيد عن الخير[4] ﴿ الا غرورا ه ﴾ أى تزيينا بالباطل خداعا و مكرا و تلبيسا ، إظهارا - لما لا حقيقة له أو له حقيقة سيئة[5] - فى أبهى الحقائق و أشرفها و ألذها إلى النفس و أشهاها إلى الطبع ، فان مادة 'غر' و 'رغ' تدور على الشرف و الحسن و رفاهة[6] العيش ،
١٠ فالغرور إزالة ذلك .

و لما أثبت لهم ذلك أنتج بلا شك قوله : ﴿ اولّئك ﴾ أى البعداء من كل خير ﴿ ماوٰيهم جهنم ز ﴾ أى[7] تتجهمهم و تتقد[7] عليهم بما اتخذوا من خلق منها وليا ﴿ و لا يجدون عنها محيصا ه ﴾ أى موضعا ما يميلون إليه شيئا من الميل .

١٥ و لما ذكر ما للكافرين ترهيبا أتبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال : ﴿ و الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإقرارهم ﴿ الصلحت سندخلهم ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ جنت تجرى ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحصيل (٢) فى ظ : لا يأتى (٣) فى ظ : الحال .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : نسية ، و لا يتضح فى مد (٦) فى ظ : رفاهية (٧-٧) فى ظ : بجهنم و سعد - كذا .

و قرب و بعض بقوله: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ أي لرئ أرضها، فحيث ما أجرى منها نهر جرى.

و لما كان الإزعاج عن مطلق الوطن - و لو لحاجة تعرض[1] - شديدا، فكيف بهذا! قال: ﴿ خلدين فيهآ ﴾ و لما كان الخلود يطلق على مجرد المكث الطويل، دل على أنه لا إلى آخر بقوله: ﴿ ابدا ﴾ ثم أكد ذلك ٥ بأن الواقع يطابقه، وهو يطابق الواقع فقال: ﴿ وعد الله حقا ﴾ أي يطابقه الواقع، لأنه[2] الملك الأعظم و قد برز وعده بذلك، و من أحق من الله وعدا، و[3] أخبر به[3] خبرا صادقا يطابق الواقع ﴿ و من اصدق من الله ﴾ [أي - [4]] المختص بصفات الكمال ﴿ قيلا ﴾ و أكثر من التأكيد هنا لأنه في مقابلة وعد الشيطان، و وعد الشيطان موافق ١٠ للهوى الذي طبعت عليه النفوس فلا تنصرف[5] عنه إلا بعسر شديد.

و لما أخبر تعالى عما أعد لهم و لمن أضلهم من العقاب و عما أعد للمؤمنين من الثواب، وكانوا يمنون أنفسهم الأماني الفارغة من أنه لا تبعة عليهم في التلاعب بالدين، لا في الدنيا و لا في الآخرة، و يشجعهم على ذلك أهل الكتاب و يدعون أنهم أبناء الله و أحباؤه، لا يؤاخذهم ١٥ بشيء، و لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى أو من شفعوا فيه؛ و نحو هذه التكاذيب مما يطمعون به من والاهم[6] بأنهم ينجونه، وكان

---

(١) في ظ: بعوض (٢) من مد، و في الأصل و ظ: لان (٣-٣) في ظ: اخبرته (٤) زيد من ظ (٥) من مد، و في الأصل و ظ: فلا يتصرف (٦) من ظ و مد، و في الأصل: ولاهم.

المشركون يقولون: "نحن اكثر اموالا و اولادا و ما نحن بمعذبين[١]"، و نحو ذلك - كما قال[٢] العاصى بن[٢] وائل لخباب بن الأرت و قد تقاضاه دينا كان له عليه: دعنى إلى تلك الدار فأقضيك مما لى فيها، فو الله لا تكون أنت و صاحبك فيها آثر[٣] عند الله منى و لا أعظم حظا، فأنزل الله فى ذلك "افرءيت الذى كفر بايٰتنا[٤]" - الآيات من آخر مريم، و يقول لهم أهل الكتاب: أنتم أهدى سبيلا، لما كان ذلك قال تعالى رادا على الفريقين: ﴿ ليس ﴾ [أى - [٥]] ما وعده[٦] الله و أوعده ﴿ بامانيكم ﴾ أى أيها العرب ﴿ و لآ امانى اهل الكتٰب ﴾ أى التى يمنيكم [جميعا بها - [٥]] الشيطان.

و لما كانت أمانيهم أنهم لا يجازون[٧] بأعمالهم الخبيثة، أنتج ذلك لا محالة قوله[٨]: ﴿ من يعمل سوٓءا يجز به ﴾ أى بالمصائب[٩] من الأمراض و غيرها، عاجلا إن أريد به الخير، و آجلا إن أريد به الشر، و ما أحسن إيلاؤها لتمنية الشيطان المذكورة فى قوله "يعدهم و يمنيهم"! فيكون الكلام وافيا بكشف عوار شياطين الجن ثم الإنس فى غرورهم لمن خف معهم مؤيسا[١٠] لمن قبل منهم، و ما أبدع ختامها بقوله: ﴿ و لا

(١) سورة ٣٤ آية ٣٥ (٢-٢) من روح المعانى ٥/٢٠٤، و فى الأصل و مد: القاضى، و فى ظ: القاصرون - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: آمن. (٤) سورة ١٩ آية ٧٧ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، وفى الأصل و ظ: وعد (٧) فى ظ: لا يجاوزون (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: من المصائب. (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: مونسا.

يجد له ﴾ و لما كان كل أحد قاصرا عن مولاه، عبر بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أي الذي حاز[1] جميع العظمة ﴿ وليا ﴾ أي قريبا يفعل معه ما يفعل القريب ﴿ و لا نصيرا ه ﴾ أي ينصره في وقت ما ! و ما أشد التئامها بختام أول الآيات المحذرة منهم "الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب يشترون الضلالة - إلى قوله: وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا"! ٥ إشارة إلى أن مقصود المنافقين من مشايعة[2] أهل الكتاب و متابعتهم إنما هو الولاية و النصرة، و أنهم قد ضيعوا منيتهم فاستنصروا بمن لا نصرة له، و تركوا من ليست النصرة إلا له.

و لما أبدى جزاء المسيء تحذيرا، أولاه أجر المحسن تبشيرا فقال: ﴿ و من يعمل ﴾ و خفف تعالى عن عباده بقوله: ﴿ من الصلحت ﴾ ١٠ و لما عمم[3] بذكر "من"، صرح بما اقتضته في قوله: ﴿ من ذكر او انثى ﴾ و قيد ذلك بقوله: ﴿ و هو ﴾ أي و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ ليكون بناؤه الأعمال على أساس الإيمان ﴿ فاولئك ﴾ أي العالو الرتبة، و بنى فعل الدخول للمفعول في قراءة ابن كثير و أبي عمرو و أبي جعفر و أبي بكر عن عاصم و روح عن يعقوب، و للفاعل في قراءة غيرهم، ١٥ لأن المقصود نفس الفعل، لا كونه من فاعل معين؛ و إن كانت قراءة الأولين أكثر فائدة ﴿ يدخلون ﴾ أي يدخلهم الله ﴿ الجنة ﴾ أي الموصوفة ﴿ و لا يظلمون ﴾ و بنى الفعل للمجهول، لأن المقصود الخلاص

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: مسايعة - كذا (٣) من ظ و مد، و في الأصل: عم.

منه لا بقيد فاعل معين ﴿ نقيرا ه ﴾ أى لا يظلم الله المطيع منهم بنقص شيء ما ، ولا العاصي بزيادة شيء ما ، و النقير : ما فى ظهر النواة من تلك الوقبة الصغيرة جدا ، كنى بها عن العدم ، و هذا [على -[1]] ما [2]يتعارفه الناس[2] و إلا فالله تعالى له أن يفعل ما يشاء ، فان مِلكه تام و مُلكه
٥ عام ، لا يتصور منه ظلم كيف ما فعل .

و لما كشف سبحانه زورهم و بين فجورهم ، أنكر أن يكون أحد أحسن دينا ممن اتبع ملة إبراهيم الذى[3] يزعمون أنه كان على دينهم زعما تقدم كشف عواره و هتك أستاره فى آل عمران ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن أحسن دائنا و مجازيا و حاكما منه سبحانه و تعالى :
١٠ ﴿ و من احسن دينا ﴾ أو يكون التقدير : لأنهم[4] أحسنوا فى دينهم و من أحسن دينا منهم ! لكنه أظهر الوصف تعميما و تعليقا للحكم به و تعليما لما[5] يفعل المؤمن و حثا عليه فقال : ﴿ ممن اسلم ﴾ أى أعطى .

و لما كان المراد الإخلاص الذى هو أشرف الأشياء ، عبر عنه بالوجه الذى هو أشرف الأعضاء فقال : ﴿ وجهه ﴾ أى قياده[6] ، أى
١٥ الجهة التى يتوجه إليها بوجهه ، أى قصده كله الملازم للاسلام نفسه كلها ﴿ لله ﴾ فلا حركة له و لا سكنة إلا فيما يرضاه ، لكونه الواحد الذى لا مثل له ، فهو حصر بغير صيغة الحصر ، فأفاد فساد طريق[7] من

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتعارفونه الله - كذا .
(٣) فى ظ : الذين (٤) فى ظ : لهم (٥) فى ظ : بما (٦) فى ظ : قاده - كذا .
(٧) سقط من ظ .

لفت وجهه نحو سواه[1] باستعانة أو غيرها و لا سيما المعتزلة / الذين / ٥٢٢
يرون[2] الطاعة من أنفسهم، و يرون أنها موجبة لثوابهم، و المعصية
كذلك و أنها موجبة[3] لعقابهم، فهم في الحقيقة لا يرجون إلا أنفسهم،
و لا يخافون غيرها؛ و أهل السنة فوّضوا التدبير و التكوين و الخلق إلى
الحق، فهم المسلمون. ٥

و لما عبر تعالى عن كمال الاعتقاد بالماضي، شرط فيه الدوام
و الأعمال الظاهرة بقوله: ﴿ وهو ﴾ أي و الحال أنه ﴿ محسن ﴾ أي
مؤمن مراقب، لا غفلة عنده أصلا، بل الإحسان صفة له[4] راسخة،
لأنه يعبد الله كأنه يراه، فقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين
كله أصلا و فرعا مع الترغيب بالمدح الكامل لمتبعه و إفهام الذم[5] ١٠
الكامل لغيره.

و لما كان هذا[4] ينتظم مَنْ كان على دين أي نبي كان قبل[4] نسخه،
قيده بقوله: ﴿ و اتبع ﴾ أي بجهد منه ﴿ ملة ابرٰهيم ﴾ الذي اشتهر
عند جميع الطوائف أنه ما دعا إلا إلى الله سبحانه و تعالى وحده، و تبرأ
مما سواه من فلك و كوكب و صنم و طبيعة و غيرها حال كون ذلك ١٥
المتبع ﴿ حنيفا[4] ﴾ أي لينا سهلا ميّالا مع[6] الدليل، و الملة: ما دعت
إليه الفطرة الأولى بمساعدة العقل السليم من كمال الإسلام بالتوحيد.

(١) من ظ و مد، و في الأصل: سوا (٢) من ظ و مد، و في الأصل: يريدون.
(٣) في ظ: موجبهم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الذل.
(٦) في ظ: عن.

و لما كان التقدير ترغيبا فى هذا الاتباع: فقد جعل الله سبحانه و تعالى ملة إبراهيم أحسن الملل، و خلقه يوم خلقه حنيفا، عطف عليه قوله: ﴿ و اتخذ الله ﴾ أى الملك الأعظم أخذ من هو معين بذلك يجتهد فيه ﴿ ابرٰهيم خليلا ه ﴾ لكونه كان حنيفا، و ذلك عبارة عن اختصاصه ٥ بكرامة تشبه[1] كرامة الخليل عند خليله من ترديد[2] الرسل بالوحى[3] بينه و بينه، و إجابة الدعوة، و إظهار الخوارق عليه و على آله، و النصرة على الأعداء و غير ذلك من الألطاف، و أظهر اسمه فى موضع الإضمار تصريحا بالمقصود احترازا من الإيهام و إعلاءً لقدره تنويها بذكره.

و لما أخبر[4] بمن يحبه و من يبغضه و بما[5] يرضيه و ما يغضبه، ١٠ و كان ربما توهم عدم القدرة على أخذه لغير[6] ما أخذ، و جعله لغير ما جعل، أو تعنت بذلك متعنت فظن[7] أن فى الكلام دخلا[8] بنوع [احتياج إلى -[9]] الحالة[10] أو غيرها قال: ﴿ و لله ﴾ أى و الحال [أن -[9]] للمختص بالوحدانية - فلا كفوء له - ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾.

و لما كان السياق للمنافقين و المشركين أكد فقال: ﴿ و ما فى ١٥ الارض ﴾ من إبراهيم عليه الصلاة و السلام و[11] من غيره إشارة إلى أنه التام المُلك العظيم [المِلك -[9]]، فلا يعطى إلا من تابع أولياءه و جانب أعداءه، و لا يختار إلا من علمه خيارا

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تشبيه (٢) فى ظ: يرسد - كذا (٣) فى ظ: بالوجه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اخذ (٥) فى ظ: ما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لغيره (٧) فى ظ: يظن (٨) فى ظ: دخولا (٩) زيد من ظ و مد. (١٠) فى ظ: المجادلة (١١) سقطت الواو من ظ.

و هو

و[1] هو مع ذلك قادر على ما يريد من [2] إقرار و تبديل [2]، و لذلك
قال: ﴿ و كان الله ﴾ أى الملك الذى له الكمال كله ﴿ بكل شيء ﴾
أى منهما و من غيرهما ﴿ محيطا ع ﴾ أعلما و قدرة، فهما[3] راد كان فى
وعده و وعيده للطيع و العاصى، لا يخفى عليه أحد منهم، و لا
يعجزه شيء. ٥

و لما كان سبحانه و تعالى قد رتب هذا الكتاب على أنه يذكر
أحكاما من الأصول و الفروع، ثم يفصلها بوعد و وعيد و ترغيب
و ترهيب، و ينظمها[4] بدلائل كبريائه و جلاله و عظيم بره و كماله، ثم
يعود إلى بيان الأحكام على أبدع نظام [5] لأن إلقاء المراد فى ذلك
القالب أقرب إلى القبول، و النظم كذلك أجدر [5] بالتأثير[6] فى القلوب، ١٠
لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا تنقاد له النفوس إلا إذا كان مقرونا
ببشارة و نذارة، و ذلك لا يؤثر إلا عند القطع بغاية الكمال لمن صدر
عنه ذلك المقال، و لا ينتقل مع ذلك من أسلوب إلى آخر إلا على
غاية ما يكون من المناسبة بين آخر كل نوع و أول ما بعده بكمال
التعلق لفظا و معنى، و فعل سبحانه و تعالى فى هذه السورة فى أحكام ١٥
العدل الذى بدأ السورة به فى المواصلة التى مبناها النكاح و الارث و غير
ذلك مما اتصل به - كما بين - إلى أن ختم هنا بالإسلام المثمر لقبول ذلك

(١) فى ظ، م «(٢-٢) فى ظ: افراد و تبد - كذا (٣) من مد، وفى الأصل:
فهما، وفى ظ: فيهما (٤) من مد، وفى الأصل: ينظها، وفى ظ: سطها - كذا.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لتاثير.

/٥٢٣ كله/ و عظمة الملك الموجبة لتمام الإسلام، و قامت[1] البراهين و سطعت الحجج، و كان من أعظم مقاصد السورة العدل فى الضعفاء من الأيتام و غيرهم فى[2] الميراث [3]و غيره[3]، و كان توريث النساء و الأطفال - ذكورا كانوا أو إناثا - مما أبته نفوسهم، و أشربت بغضه قلوبهم، و كان التفريق
٥ فى إثبات ما هذا سبيله أنجع، و إلقاؤه شيئا فشيئا فى قوالب البلاغة أنفع؛ وصل بذلك قوله تعالى: ﴿ و يستفتونك ﴾ فى [4]جملة حالية[4] من اسم الجلالة[5] التى قبلها، أى له ما ذكر فلا مساغ[6] للاعتراض عليه و الحال أنهم يسئلونك طلبا لأن تتفق عليهم بالجواب فى بعض ما أعطى من ملكه لبعض[7] مخلوقاته ﴿ فى النسآء ﴾ طمعا فى الاستئثار[8] عليهن
١٠ بالمال و غيره محتجين بأنه لا ينبغى أن يكون المال إلا لمن يحمى الذمار و الحال أنهم قد عبدوا من دونه إناثا، [و جعلوا لها مما خولهم فيه من الرزق الذى ملكهم له بضعف[9] من الحرث و الأنعام نصيبا، فلا تعجب من حال من كرر الاستفتاء - الذى لا يكون فى العرف غالبا إلا فيما فيه اعتراض - فى إناث أحياء و أطفال ذكور و أعطاهم الملك التام المُلك
١٥ العظيم الملك بعض[10] ما يريد، و لم يعترض على نفسه حيث أعطى إناثا -[11]]

(١) فى ظ: اقامة (٢) فى ظ: من (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) فى ظ: حمله خالية (٥) فى ظ: الحالة - كذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: امتناع - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بعض (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الاستئنا (٩) من مد، و فى ظ: ضعيف - كذا (١٠) من مد، و فى ظ: بعض (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

لا حياة لها و لا منفعة بما فى يده، و ملكه فى الحقيقة لغيره، و لم يأذن فيه المالك ما لا ينتفع به المعطى .

و لما كان المقام بكثرة الاستفتاء محتاجا إلى زيادة الاعتناء قال: ﴿ قل الله ﴾ آمرا معبرا بالاسم الأعظم منبها على استحضار ما ذكر أول السورة ﴿ يفتيكم ﴾ أى يبين لكم حكمه ﴿ فيهن ﴾ أى [1]الآن ٥ لأن تقوموا لهن[1] بالقسط ﴿ و ما ﴾ أى مع ما ﴿ يتلى عليكم ﴾ أى تجدد فيكم تلاوته[2] إلى آخر الدهر سيفا قاطعا و حكما ماضيا جامعا ﴿ فى الكتب ﴾ أى فيما سبق أول السورة فى قوله "و ان خفتم الا تقسطوا فى [3] اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء" و غير ذلك[3] ﴿ فى يتمى النسآء ﴾ أى فى شأن اليتامى من هذا الصنف ﴿ التى ١٠ لا تؤتونهن ﴾ أى بسبب التوقف فى ذلك و [4]تكرير الاستفتاء[4] عنه ﴿ ما كتب لهن ﴾ أى ما فرض من الميراث و سائر الحقوق فرضا هو فى غاية اللزوم ﴿ و ترغبون ان ﴾ أى فى أن أو عن أن ﴿ تنكحوهن ﴾ لجمالهن أو لدمامتهن[5] ﴿ و ﴾ يفتيكم فى[6] ﴿ المستضعفين ﴾ أى الموجود ضعفهم و المطلوب إضعافهم، يمنعهم حقوقهم ﴿ من الولدان ﴾ . ١٥

و لما كان التقدير: فى أن تقوموا لهم بالقسط، [7]أى فى[7] ميراثهم و سائر حقوقهم، و لا تحقروهم لصغرهم[8]؛ عطف عليه قوله: ﴿ و ان تقوموا ﴾ أى تفعلوا فيه من القوة و المبادرة فعل القائم المنشط ﴿ لليتمى ﴾

(١-١) فى ظ : بان لا [illegible]وا لهم -كذا (٢) من ظ ومد، و فى الأصل : تلاوة.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ ومد، و فى الأصل : تكرار استفتا(٥) فى ظ: لزمامتهن (٦) فى ظ «و» (٧-٧) فى ظ : من، و فى مد : اى من.
(٨) من ظ ومد، و فى الأصل : اضعفهم .

من الذكور و الإناث ﴿ بالقسط ﴾ أى[1] بالعدل من الميراث و غيره .
و لما كان التقدير : فما تفعلوا فى ذلك من شر فان الله كان به عليما و عليكم قديرا ؛ عطف عليه قوله ترغيبا : ﴿ و ما تفعلوا من خير ﴾ أى فى ذلك أو[2] غيره ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ كان
٥ به عليما ﴾ أى فهو جدير - و هو أكرم الأكرمين و أحكم الحاكمين - بأن يعطى فاعله على حسب كرمه و علو قدره ، فطيبوا نفسا و تقروا عينا ؛ روى البخارى فى الشركة و النكاح و مسلم فى آخر الكتاب و أبو داود و النسائى فى النكاح عن عروة أنه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قول الله عز و جل " فان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى - إلى - رباع "
١٠ قالت : يا ابن أختى[3] ! هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه[4] فى ماله ، فيعجبه مالها و جمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط[5] فى[6] صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن[7] إلا أن يقسطوا لهن و يبلغوا[8] بهن أعلى سنتهن[9] من الصداق و أمروا[10] أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ؛ [قال عروة -[11]] : قالت عائشة
١٥ رضى الله عنها : ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فى (٣) من صحيحى البخارى و مسلم و سنن أبى داود و النسائى ، و فى الأصول : اخى (٤) فى سنن أبى داود والنسائى: تشاركه (٥) فى ظ : يقصد - كذا (٦) من ظ و المراجع الأربعة ، و فى الأصل و مد : من (٧) فى ظ : تنكحوهن (٨) فى ظ : تبالغوا (٩) من المراجع الأربعة ، و فى الأصل : سنيهم ، و فى ظ و مد : سنتهم (١٠) من ظ و المراجع الأربعة ، و فى الأصل و مد : امر (١١) زيد من المراجع الأربعة .

[بعد هذه الآية فيهن -[١]] [فأنزل الله عز و جل -[٢]] " و يستفتونك - إلى - و ترغبون ان تنكحوهن" [[٢] - و الذى ذكر الله[٣] أنه يتلى [٤]عليكم فى الكتاب[٤]: الآية الأولى[٥] التى قال[٦] فيها " [٧]و ان[٧] خفتم الا تقسطوا فى اليتامى[٨] فانكحوا ما طاب لكم من النساء[٨] " قالت عائشة رضى الله عنها: و قول الله تعالى فى الآية الأخرى " و ترغبون أن تنكحوهن"] ٥ هى[٩] رغبة أحدكم[١٠] يتيمته - و قال مسلم[١١]: عن يتيمته - التى تكون فى حجره حين تكون قليلة المال و الجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا فى مالها و جمالها من / يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن، / ٥٢٤ زاد مسلم: إذا كن قليلات المال و الجمال، و قال البخارى فى النكاح: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا ١٠ فيها إلا أن يقسطوا لها و يعطوها[١٢] حقها الأوفى فى الصداق؛ و فى البخارى

(١) زيد من المراجع الأربعة، إلا أن لفظة «فيهن» ليست فى البخارى، و «هذه الآية» ليست فى النسائى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد و المراجع الأربعة.
(٣) من المراجع الأربعة، و ليس فى ظ و مد (٤-٤) من الصحيحين، و فى سنن أبى داود: عليهم فى الكتاب، و فى سنن النسائى: فى الكتاب، و ليس فى ظ و مد.
(٥) من مد و المراجع الأربعة، و فى ظ: الاوالى (٦) ليس فى النسائى، و زيد بعده فى الصحيحين و أبى داود: الله (٧-٧) من المراجع الأربعة و القرآن الكريم، و فى ظ و مد: فان (٨-٨) من المراجع الأربعة، و ليس فى ظ و مد (٩) من البخارى و أبى داود، و فى الأصل وظ ومد: و من، و ليس فى مسلم و النسائى.
(١٠) من المراجع الأربعة، و فى الأصل و ظ و مد: احدهم (١١) و أيضا أبو داود و النسائى (١٢) من ظ و مد و البخارى، و فى الأصل: يعطونها.

و مسلم فى التفسير عن عروة أيضا " يستفتونك فى النساء " - الآية
قالت[1] : هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها و وارثها فأشركته
- و قال مسلم : لعلها أن تكون قد شركته - فى ماله حتى فى العذق فيرغب
أن ينكحها و يكره أن يزوجها رجلا فيشركه فى ماله بما شركته فيعضلها[2]
٥ فنزلت هذه الآية ؛ و فى رواية مسلم[3]: نزلت[4] فى الرجل تكون[5] له
اليتيمة و[6] هو وليها و وارثها و لها مال و ليس لها أحد يخاصم دونها
فلاينكحها[7] لمالها فيضر بها و يسيء صحبتها فقال " [و - [8]] ان خفتم
الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب [لكم من النساء - [9]] "
يقول: ما حللت[10] لكم ، و دع هذه التى تضر[11] بها ؛ و فى رواية له
١٠ و للبخارى فى النكاح: فيرغب عنها أن يتزوجها [12] و يكره أن يزوجها[12]
غيره فيشركه فى ماله - و قال البخارى: فيدخل عليه فى ماله - فيعضلها
و لا يتزوجها و لا [يزوجها -[13]]، زاد البخارى : فنهاهم الله سبحانه وتعالى
عن ذلك ، و حاصل ذلك ما[14] نقله الأصبهانى أنه كان الرجل فى الجاهلية

(١) فى الأصل وظ : قال ، والتصحيح من مد و البخارى و مسلم ، وزيد بعده فيها : عائشة (٢) فى ظ : نعضلها (٣) فى ظ : لمسلم (٤) فى مسلم : انزلت (٥) من مسلم ، و فى الأصل وظ : يكون ، وفى مد بلا نقط (٦) سقطت الواو من مسلم.
(٧) زيد بعده فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد و مسلم فحذفناها.
(٨) زيدت الواو من القرآن الكريم ومد و مسلم (٩) زيد من مسلم (١٠) فى ظ : حلت ، و فى مسلم: احللت (١١) فى ظ : يضر (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣) زيد من مد و مسلم ، و موضعه فى ظ : يتزوجها ، و زيد بعده فى مسلم : غيره (١٤) فى ظ : مما .

تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فاذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد[1] أن يتزوجها أبدا، فان كانت جميلة و هواها تزوجها[2] و أكل مالها، و إن كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت، فاذا ماتت ورثها.

و ما أنسب ذكر هذا الحكم الذى كثرت فيه المراجعة على وجه يؤذن بعدم إذعان بعض النفوس له عقب آية الإسلام الذى معناه ٥ الانقياد بالخضوع و الإحسان الذى صار فى العرف أكثر استعماله للاعطاء و التألف[3] و العطف[4] لاسيما للضعيف[5]، و ذكر إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى تقدم أنه أتم ما ابتلاه الله تعالى به من الكلمات و وفى بها من غير مراجعة و لا تلعثم، و أنه كان حنيفا ميالا مع الدليل، تعنيفا لمن قام عليه دليل العقل و أتاه[6] صريح النقل و هو يراجع! و إذا ١٠ تأملت قوله تعالى "من يعمل سوءا يجز به" مع قوله فيما قبل "و ليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم" لاحت[7] لك أيضا مناسبة بديعة.

و لما صاروا يعطون اليتامى أموالهم، و صاروا يتزوجون ذوات الأموال منهن و يضاجرون بعضهن؛ عقب ذلك تعالى بالإفتاء فى أحوال ١٥ المشاقة بين الأزواج فقال: ﴿و ان امراة﴾ أى[8] واحدة أو على ضرائر.

و لما كان ظن المكروه مخوفا قال[9]: ﴿خافت﴾ أى توقعت

---

(١) فى ظ: احدا (٢) فى ظ: يتزوجها (٣) فى ظ: التاليف (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاعطا - كذا، و زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: للضيف (٦) فى ظ: اياه (٧) فى ظ: لا اخت - كذا (٨) سقط من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: بقالت، و فى ظ: قاله - كذا.

و ظنت بما يظهر لها من القرآئن ﴿ من بعلها نشوزا ﴾ أى ترفعا بما ترى من استهانته لها بمنع حقوقها أو إساءة صحبتها ﴿ او اعراضا ﴾ عنها بقلبه بأن لا ترى من محادثته و مؤانسته و مجامعته ما كانت ترى قبل ذلك، تخشى أن يجر إلى الفراق و إن كان متكلفا لملاطفتها[1] بقوله و فعله ﴿ فلا جناح ﴾ أى حرج و ميل ﴿ عليهمآ ان يصالحا[2] ﴾ أى يوقع الزوجان ﴿ بينهما ﴾ تصالحا و مصالحة. هذا على قراءة الجماعة[3]، و على قراءة الكوفيين بضم الياء و إسكان الصاد و كسر اللام التقدير: إصلاحا. لكنه لما كان المأمور به يحصل بأقل ما يقع عليه اسم الصلح بنى[4] المصدر على غير هذين الفعلين فقال مجردا له: ﴿ صلحا ﴾ بأن تلين هى بترك بعض المهر أو بعض القسم أو نحو ذلك، و أن يلين لها[5] هو باحسان العشرة فى مقابلة ذلك.

و لما كان التقدير: و لا جناح عليهما أن يتفارقا على وجه العدل، عطف عليه قوله: ﴿ و الصلح ﴾ أى بترك كل منهما حقه أو بعض حقه ﴿ خير ﴾ أى من المفارقة التى أشارت إليها الجملة المطوية لأن الصلح مبناه الإحسان الكامل بالرضى / من الجانبين، و المفارقة مبناها العدل الذى يلزمه فى الأغلب غيظ أحدهما و إن كانت مشاركة للصلح فى الخير. لكنها مفضولة[6]، و تخصيص المفارقة بالطى[7] لأن مبنى السورة على المواصلة.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لملاطفته (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يصلحها - كذا، و فى مصاحفنا: يصالحا (٣) أى بفتح الياء و تشديد الصاد.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٦) فى ظ: مفصوله (٧) فى ظ: بالظن - كذا.

و لما كان منشأ التشاجر المانع من الصلح شكاسة[١] فى الطباع، صوّر سبحانه و تعالى ذاك[٢] تنفيرا عنه، فقال اعتراضا بين هذه الجمل الحث [على - [٣]] الجود بانيا الفعل للمجهول إشارة إلى أن هذا المُحضِر لا يرضى أحد نسبته إليه: ﴿ واحضرت الانفس ﴾ أى الناظرة[٤] إلى نفاستها عجبا[٥] ﴿ الشح ﴾ أى الحرص و سوء الخلق و قلة الخير و النكد ٥ و البخل بالموجود، وكله يرجع إلى سوء الخلق و الطبع الردىء و اعوجاج الفطرة الأولى الذى كنى عنه بالإحضار الملازم الذى لا انفكاك له إلا بجهاد كبير ينال به الأجر الكثير.

و لما كان هذا خلقا رديئا لم يذكر فاعله، و المعنى: أحضرها إياه مُحضِر[٦]. فصار ملازما لها، لا تنفك[٧] عنه إلا بتوفيق من الله سبحانه ١٠ و تعالى فى قهرها عليه بتذكير ما عنده سبحانه و تعالى من حسن الجزاء، و لما كان التقدير: فان شححتم فانه أعلم بها فى الشح من موجبات الذم، عطف عليه قوله: ﴿ و ان تحسنوا ﴾ أى توقعوا الإحسان بالإقامة على نكاحكم و ما ندبتم إليه من حسن العشرة و إن كنتم كارهين ﴿ و تتقوا ﴾ أى توقعوا التقوى بمجانبة كل ما يؤذى نوع أذى إشارة إلى أن الشحيح ١٥ لا محسن و لا متق ﴿ فان الله ﴾ أى [و هو - [٨]] الجامع لصفات الكمال

---

(١) فى ظ: سكانته - كذا (٢) تقدم فى الأصل على «سبحانه و تعالى»، والترتيب من ظ ومد (٣) زيد من ظ (٤) من مد، وفى الأصل وظ: الناضرة. (٥) فى ظ: عجب (٦) من مد، وفى الأصل وظ: محضرا (٧) فى ظ: لا يفك. (٨) زيد من ظ و مد.

﴿ كان ﴾ أزلا و أبدا ﴿ بما تعملون ﴾ أى فى كل شح و إحسان ﴿ خبيرا ﴾ أى بالغ العلم به و أنتم تعلمون أنه أكرم الأكرمين ، فهو مجازيكم عليه أحسن جزاء .

و لما ذكر سبحانه و تعالى أن الوقوف على الحق فضلا عن الإحسان - و إن كانت المرأة واحدة - متعسر ، أتبعه[1] أن[2] ذلك عند[3] الجمع أعسر ، فقال تعالى معبرا بأداة التأكيد : ﴿ و لن تستطيعوا ﴾ أى توجدوا من أنفسكم طواعية بالغة دائمة ﴿ ان تعدلوا ﴾ أى من غير حيف أصلا ﴿ بين النسآء ﴾ فى جميع ما يجب لكل واحدة منهن عليكم من الحقوق ﴿ و لو حرصتم ﴾ أى على فعل ذلك ، و هذا مع قوله تعالى " فان[4] خفتم الا تعدلوا فواحدة " كالمختم للاختصار على واحدة .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأنه لا يخلو نكاح العدد عن ميل ، سبب عنه قوله : ﴿ فلا[5] ﴾ أى فان كان لا بد لكم من العدد ، أو فان وقع الميل و الزوجة واحدة فلا ﴿ تميلوا ﴾ و لما كان مطلق الميل غير مقدور[6] على تركه فلم يكلف به ، بين المراد بقوله : ﴿ كل الميل ﴾ ثم سبب عنه قوله[7] : ﴿ فتذروها ﴾ أى المرأة ﴿ كالمعلقة ﴾ أى بين النكاح و العزوبة و الزواج و الانفراد .

و لما كان الميل الكثير مقدورا على تركه ، فكان التقدير : فان

---

(١) فى ظ : تتبعه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عند - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنده (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : وان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : مقدر (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : بقوله .

ملتم كل الميل مع إبقاء العصمة فان الله كان متقما حسيبا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان تصلحوا و تتقوا ﴾ [أي - [1]] بأن توجدوا الإصلاح بالعدل في القسم[2] و التقوى في ترك الجور على تجدد الأوقات ﴿ فان الله ﴾ [أي - [1]] الذي له الكمال كله ﴿ كان غفورا رحيما ﴾ أي محّاء للذنوب بليغ الإكرام فهو جدير بأن يغفر لكم مطاق الميل ، و يسبغ عليكم ٥ ملابس الإنعام .

و لما كان من الإصلاح المعاشرة بالمعروف ، ذكر قسيمه[3] فقال : ﴿ و ان يتفرقا ﴾ أي يفترق كل من الزوجين من صاحبه ﴿ يغن الله ﴾ أي الذي له صفات الكمال [4] ﴿ كلا ﴾ أي منهما ، أي بجعله غنيا هذه برجل و هذا بامرأة أو بغير ذلك من لطفه ، و بين منشأ هذا الغنى ١٠ فقال[5] : ﴿ من سعته[4] ﴾ أي من شمول قدرته و غير ذلك من كل صفة كمال . و لمزيد الاعتناء بتقرير هذه المعاني في النفوس لإحضارها[6] الشح ، كرر اسمه الأعظم الجامع فقال : ﴿ و كان الله ﴾ أي ذو[7] الجلال و الإكرام أزلا و أبدا ﴿ واسعا ﴾ أي محيطا[8] بكل شيء ﴿ حكيما ﴾ أي يضع الأشياء في أقوم محالها[9] . ١٥

و لما كان مبنى هذه السورة على التعاطف / و التراحم و التواصل ، /٥٢٦

(١) زيد من ظ (٢) زيد في ظ : الأول (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : قسمه (٤) العبارة من هنا إلى « صفة كمال » سقطت من ظ (٥) من مد ، و في الأصل : قال (٦) في ظ : لاحضار (٧) في ظ : ذي (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : محيط (٩) في ظ : محلها .

لم يذكر فيها الطلاق إلا على وجه الإيماء فى هذه الآية على وجه البيان لرأفته و سعة رحمته و عموم تربيته ، و فى ذلك معنى الوصلة و العطف، قال ابن الزبير : و لكثرة ما يعرض من رعى حظوظ النفوس[1] عند الزوجية و مع[2] القرابة - و يدق [ذلك -[3]] و يغمض - لذلك ما تكرر ٥ كثيرا فى هذه السورة الأمر بالاتقاء ، و به افتتحت " اتقوا ربكم " ، " [و - [4]] اتقوا الله الذى تساءلون به و الارحام " ، " و لقد وصينا الذين اوتوا الكتب من قبلكم " - الآية .

و لما ذكر تعالى آية[5] التفرق و ختمها بصفتى السعة و الحكمة دل على الأول ترغيبا فى سؤاله بقوله : ﴿ و لله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ١٠ ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان فى السياق بيان ضعف[6] النفوس و جبلها على النقائص ، فكانت محتاجة إلى تقوية الكلام المخرج لها عما ألفت من الباطل قال : ﴿ و ما فى الارض[4] ﴾ و على الثانية بالوصية بالتقوى لأنه كرر الحث على التقوى فى هذه الجمل فى سياق الشرط بقوله " و ان تحسنوا و تتقوا " ، "[7] و ان تصلحوا و تتقوا[7] " فأخبر تعالى بعد اللطف بذلك ١٥ السياق أن وصيته[8] بها مؤكدة ، لم تزل قديما و حديثا ، لأن العلم بالمشاركة فى الأمر يكون أدعى للقبول ، و أهون على النفس ، فقال تعالى : ﴿ و لقد وصينا ﴾ أى على ما لنا من العظمة .

---

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : النفس (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيدت الواو من القرآن الكريم سورة ٤ آية ١ (٥) سقط من مد (٦) زيد بعده فى الأصل : القلوب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : وصية .

و لما كان الاشتراك فى الأحكام موجبا للرغبة فيها و التخفيف لثقلها، و كانت الوصية للعالم[1] أجدر بالقبول قال: ﴿الذين اوتوا الكتب﴾ أى التوراة و الإنجيل و غيرهما، و بنى الفعل للجهول [لأن القصد بيان كونهم أهل علم ليرغب فيما أوصوا بـه، و دلالة على أن العلم فى نفسه مهيء للقبول - [2]]، و لإفادة أن وصيتهم أعم من أن تكون فى الكتاب، ٥ أو على لسان[3] الرسول من غير كتاب، و لما كان إيتاؤهم الكتاب غير مستغرق للماضى و كذا الإيصاء قال: ﴿من قبلكم﴾ أى من بنى إسرائيل و غيرهم ﴿و اياكم﴾ أى و وصيناكم مثل ما وصيناهم؛ و لما كانت[4] التوصية بمعنى القول فسرها بقوله: ﴿ان اتقوا الله﴾ أى الذى لا يطاق انتقامه لأنه لا كفوء له. ١٠

و لما كان التقدير: فان تتقوا فهو حظكم و سعادتكم فى الدارين، عطف عليه قوله: ﴿و ان تكفروا﴾ أى بترك التقوى ﴿فان لله﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ و لما كان السياق لفرض الكفر حسن التأكيد فى قوله: ﴿و ما فى الارض﴾ منكم و من غيركم من حيوان و جماد أجسادا و أرواحا و[5] أحوالا. ١٥

و لما كان المعنى: لا يخرج[6] شيء عن ملكه و لا إرادته، و لا يلحقه ضرر بكفركم، و لم تضروا إن فعلتم إلا أنفسكم، لأنه غنى عنكم،

(١) فى ظ: للعلم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من مد، وفى الأصل: اماان، و فى ظ: حسان - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: كان. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٦) فى ظ: لا تخرج.

لا يزداد جلاله بالطاعات[١]، و لا ينقص بالمعاصى[٢] و السيئات؛ أكده بقوله دالا على غناه و استحقاقه للحامد: ﴿و كان الله﴾ أى الذى له الإحاطة كلها ﴿غنيا﴾ [أى - [٣]] عن كل شيء [الغنى المطلق لذاته - [٤]] ﴿حميدا ه﴾ أى محمودا بكل لسان قالى و حالى، كفرتم أو شكرتم.
٥ فكان ذلك غاية فى بيان حكمته.

و لما كان الملك قد لا يمنع الاعتراض على المالك بين أن ذلك إنما هو فى الملك الناقص و أنه ملكه تام: ﴿و لله﴾ أى الذى له العلم الكامل و القدرة الشاملة ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ و أكد لمثل ما[٥] مضى فقال: ﴿و ما فى الارض﴾ أى هو قائم بمصالح ذلك كله، يستقل بجميع أمره،
١٠ لا معترض عليه، بل هما و كل من[٦] فيهما مظهر العجز عن أمره، معلق[٧] مقاليد نفسه و أحواله إليه[٨] طوعا أو كرها، فهو وكيل على كل ذلك، فاعل به ما يفعل الوكيل من الأخذ و القبض و البسط، و لمثل ذلك كرر الاسم الأعظم فقال: ﴿و كفى بالله﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ﴿وكيلا ه﴾ أى قائما بالمصالح قاهرا منفردا بجميع
١٥ الأمور، قادرا على جميع المقدور، و قد بان - كما ترى - أن جملة "لله" المكررة ثلاث مرات ذكرت كل مرة دليلا على شيء غير الذى قبله و كررت، لأن الدليل الواحد إذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن

(١) فى ظ: بالطاعة (٢) فى ظ: بالمعصية (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ ومد.
(٥) فى ظ: بما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٧) فى ظ: ملق - كذا.
(٨) سقط من ظ.

أن يستدل به على كل واحد منها . و إعادته[1] مع كل واحد أولى من الاكتفاء بذكره مرة واحدة ، / لأن عند إعادته[1] يحضر فى الذهن ما يوجب العلم بالمدلول ، فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى و أجل ؛ و فى ختم[2] كل جملة بصفة من الصفات الحسنى تنبيه الذهن بها إلى أن هذا الدليل دال على أسرار شريفة و مطالب جليلة لا تنحصر ، فيجتهد السامع فى التفكر لإظهار الأسرار و الاستدلال على صفات الكمال ، لأن الغرض الكلى من هذا الكتاب صرف العقول و الأفهام عن الاشتغال بغير الله تعالى إلى الاستغراق فى معرفته سبحانه ، و هذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب و يؤكده ، فكان فى غاية الحسن و الكمال .

و لما تقرر بهذا شمول علم من هذا من شأنه و تمام قدرته أنتج قوله مهددا متوعدا مخوفا مرهبا : ﴿ ان يشا يذهبكم ﴾ و صرح بالعموم إشارة إلى عموم الإرسال بقوله : ﴿ ايها الناس ﴾ أى المتفرعون من تلك النفس الواحدة كافة لغناه عنكم[3] و قدرته على ما يريد منكم ﴿ و يات بٰاخرين[4] ﴾ أى من غيركم يوالونه ﴿ و كان الله ﴾ أى الواحد الذى [4]لا شريك[4] له أزلا و أبدا ﴿ على ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإيجاد والإعدام ﴿ قديرا ﴾ أى بالغ القدرة ، و هذا غاية البيان لغناه[5] وكونه حميدا و قاهرا شديدا ، و إذا تأملت ختام قوله تعالى فى قصة عيسى عليه

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : اعادت (٢) زيد فى ظ : مع كل واحد .
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : كغناه .

الصلاة و السلام فى آخر هذه السورة " سبحانه ان يكون له ولد " زاد ذلك هذا السر - و هو كونه لا اعتراض عليه - وضوحا .

و لما كان فى هذا تهديد بليغ و تعريف بسعة الملك و كمال التصرف، و كان مدار أحوال المتشاححين فى الإرث و حقوق الأزواج و غيرها ٥ الأمرَ الدنيوى، وكان سبحانه و تعالى قد بين فيما مضى أن مبنى أحوال المنافقين على طلب العرض[1] الفانى خصوصا قصة طعمة بن أبيرق الراضى لنفسه بالفضيحة فى نيل شىء تافه؛ قال تعالى تفييلا لآرائهم و تخسيسا[2] لهممهم حيث نزلوا [3]إلى الأدنى[3] مع القوة على طلب الأعلى مع طلب الأدنى أيضا منه تعالى، فلا يفوتهم شىء من معوّلهم مع إحراز الأنفس: ١٠ ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ لقصور نظره على المحسوس الحاضر مع خسته كالبهائم ﴿فعند﴾ أى فليقبل إلى الله فانه عند ﴿الله﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ثواب الدنيا﴾ الخسيسة الفانية ﴿و الأخرة[4]﴾ أى[4] النفيسة الباقية فليطلبها منه، فانه يعطى من أراد ما شاء، و من علت همته عن ذلك فأقبل بقلبه إليه و قصر همه عليه فلم يطلب إلا الباقى جمع ١٥ سبحانه و تعالى له بينهما، كمن[5] يجاهد لله خالصا، فانه يجمع له بين الأجر و المغنم، و ما [6]أشد التئامها[6] مع ذلك بما قبلها، لأن من كان تام القدرة واسع الملك كان كذلك[7] .

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : الغرض (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : تحسينا (٣ - ٣) فى ظ : بالادنى - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : لمن (٦ - ٦) فى ظ : اشتد التامها - كذا (٧) فى ظ : لذلك .

و لما كان الناشىء عن الإرادة إما قولا أو فعلا، و كان الفعل قد يكون قلبيا قال: ﴿ و كان الله ﴾ أى المختص بجميع صفات الكمال ﴿سميعا ﴾ أى بالغ السمع لكل[1] قول و إن خفى، نفسيا كان أو لسانيا ﴿ بصيرا ﴾ أى بالغ البصر لكل ما يمكن أن يبصر من الأفعال، و العلم بكل ما يبصر و ما لا يبصر منها و من غيرها، فيكون من البصر و من ٥ البصيرة، فليراقبه العبد قولا و فعلا.

و لما كان ذلك من أحسن المواعظ لقوم طعمة الذين اعتصبوا له، التفت إليهم مستعطفا بصيغة الإيمان، جائيا[2] بصيغة الأمر على وجه يعم غيرهم، قائلا ما هو كالنتيجة لما مضى من الأمر بالقسط من أول السورة إلى هنا على وجه أكده و حث عليه: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى ١٠ أقروا بالإيمان بألسنتهم ﴿ كونوا قوٰمين ﴾ أى قائمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه.

و لما كان أعظم مبانى هذه السورة العدل قدمه فقال: ﴿بالقسط﴾ بخلاف ما يأتى فى المائدة[3] فان النظر فيها إلى الوفاء الذى إنما يكون بالنظر إلى الموفى له ﴿ شهدآء ﴾ أى حاضرين متيقظين حضور المحاسب / لكل ١٥ / ٥٢٨ شيء أردتم الدخول فيه[4] ﴿ لله ﴾ أى لوجه الذى كل شيء بيده لا لشيء غيره ﴿ و لو ﴾ كان ذلك القسط ﴿ علىٰ انفسكم ﴾ أى فانى لا أزيدكم بذلك إلا عزا، و° إلا تفعلوا° ذلك قهرتكم على الشهادة على أنفسكم على

(١) فى ظ: بكل (٢) من مد، وفى الأصل وظ: جانا ـ كذا (٣) انظر آية ٨.
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ و مد، وفى الأصل: لا تقطوا ـ كذا.

رؤس الأشهاد ، ففضحتم فى يوم يجتمع[1] فيه الأولون و الآخرون من جميع العباد .

و لما كان ذكر أعز[2] ما عند الإنسان، أتبعه ما يليه[3] و بدأ منه بمن جمع[4] إلى ذلك الهيبة فقال: ﴿ او ﴾ أى أو كان ذلك القسط على ﴿ الوالدين ﴾ و أتبعه ما يعمهما و غيرهما فقال: ﴿ و الاقربين ج ﴾ أى من الأولاد و غيرهم ، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان يكن ﴾ أى المشهود له أو عليه ﴿ غنيا ﴾ أى ترون الشهادة له بشيء[5] باطل دافعة ضرا منه للغير من المشهود عليه أو غيره ، أو مانعة[6] فسادا أكبر[7] منها ، أو عليه بما[8] لم يكن [صلاحا - [9]] طمعا فى نفع الفقير بما لا يضره و نحو ذلك ﴿ او فقيرا ﴾ فيخيل[10] إليكم أن الشهادة له بما ليس له نفعه رحمة له أو بما ليس عليه لمن هو أقوى منه تسكن فتنـه ﴿ فالله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿ اولى بهما قف ﴾ أى بنوعى الغنى و الفقير المندرج فيهما هذان المشهود بسببهما منكم ، فهو المرجو لجلب النفع و دفع الضر بغير ما ظننتموه ، فالضمير من الاستخدام ، و لو عاد للذكور لوحد[11] الضمير لأن المحدث عنه واحد مبهم[12] .

---

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: نجمع (٢) فى ظ : اغبر (٣) فى ظ : باله - كذا.
(٤) زيد بعده فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٥) فى ظ : لشيء (٦) فى ظ : ما معه (٧) فى ظ : لكبر (٨) فى ظ : لما (٩) زيد من ظ ، وزيد فى مد موضعه : صلا - نقط (١٠) من مد ، وفى الأصل : فيخيلى ، و فى ظ : فحمل - كذا (١١) فى ظ : لوجد (١٢) فى ظ : منهم .

و لما كان هذا، تسبب عنه قوله: ﴿ فلا تتبعوا ﴾ أى تتكلفوا تبع ﴿ الهوىٓ ﴾ و تنهمكوا[1] فيه انهماك المجتهد[2] فى المحب له ﴿ ان ﴾ أى إرادة أن ﴿ تعدلوا ج ﴾ فقد بان لكم أنه لا عدل فى ذلك .

و لما كان التقدير: فان تتبعوه لذلك أو لغيره فان[3] الله كان عليكم قديرا، عطف عليه قوله: ﴿ و ان تلوّٗا ﴾ أى ألسنتكم لتحرفوا الشهادة ٥ نوعا من التحريف أو تديروا[4] ألسنتكم أى تنطقوا بالشهادة باطلا ، و قرأ ابن عامر و حمزة بضم اللام - من الولاية أى تودوا الشهادة على وجه من العدل، أو الى ﴿ او تعرضوا ﴾ أى عنها و هى[5] حق فلا تودوها لأمر ما ﴿ فان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان ﴾ أى [6]لم يزل و لا يزال[6] ﴿ بما تعملون خبيرا ۝ ﴾ أى بالغ العلم باطنا و ظاهرا ، فهو يجازيكم على ذلك ١٠ بما تستحقونه ، فاحذروه إن ختم[7]، و ارجوه إن وفيتم ، و ذلك بعد ما [8]مضى من[8] تأديبهم على وجه الإشارة و الإيماء من غير أمر، و ما أنسبها لختام التى قبلها و أشد التئام الختامين: ختام هذه بصفة[9] الخبر، و تلك بصفتى[10] السمع و البصر .

---

(١) فى ظ : تتهكموا (٢) فى ظ : المجهد (٣) فى ظ : فاتاه - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : تدبر (٥) فى ظ : بقى (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل : لم يزل و لم يزال، وفى ظ : لم تزل ولا تزال (٧) من مد، وفى الأصل وظ : خفتم. (٨ - ٨) فى ظ : امضى (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : بصيغة (١٠) فى ظ : بصيغة .

و لما أمر بالعدل على هذا الوجه أمر بالحامل على ذلك، و هو الإيمان بالشارع و المبلغ و الكتاب الناهج لشرائعه المبين لسرائره الذى[1] افتتح القصة بحقيته[2] و بيان فائدته فقال: ﴿ يآيها الذين ءامنو ﴾ أى [3]أقروا بالإيمان؛ و لما ناداهم بوصف الإيمان أمرهم بما لا يحصل إلا به

٥ فقال[3] مفصلا له: ﴿ ءامنوا بالله ﴾ أى لأنه أهل لذلك لذاته المستجمع لجميع[4] صفات الكمال [كلها - [5]].

و لما كان الإيمان بالله لا يصح إلا بالإيمان بالوسائط، و كان أقرب الوسائط إلى الإنسان الرسول قال: ﴿ و رسوله ﴾ أى[4] لأنه [6]المبلغ عنه سواء كان من الملك أو البشر ﴿ و الكتب الذى [7]نزل ﴾ أى مفرقا بحسب

١٠ المصالح تدريجا تثبيتا و تفهيما ﴿ على رسوله[7] ﴾ أى لأنه المفصل لشريعتكم المتكفل بما[8] تحتاجون إليه من الأحكام و المواعظ و جميع ما يصلحكم، و هو القرآن الواصل إليكم بواسطة أشرف الخلق ﴿ [9]و الكتب الذىّ انزل[9] ﴾ أى أوجد إنزاله و مضى؛ و لما لم يكن أنزاله مستغرقا للزمان الماضى بين المراد[10] بقوله: ﴿ من قبل ﴾ من[11] الإنجيل و الزبور

---

(١) فى ظ: اتى (٢) فى ظ: بحقيقة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «أى لانه» سقطت من ظ (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن «الذى انزل» إلا أن هناك «تنبيها» موضع «تثبيتا» (٨) فى ظ: لما (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى ظ بعد «المراد بقوله» (١٠) فى ظ: المرأة - كذا (١١-١١) فى ظ: من الزبور و الانجيل.

و التوراة

و التوراة و غيرها لأن رسولكم بلغكم[1] ذلك فلا يحصل الإيمان إلا بتصديقه في كل ما يقوله .

و لما كان المؤمن الذي الخطاب معه عالما بأن التنزيل و الإنزال لا يكون إلا من الله بنيا للمفعول في قراءة ابن كثير و أبي عمرو و ابن عامر للعلم بالفاعل ، و صرحت قراءة الباقين به . ٥

و لما كان التقدير: فمن آمن بذلك / فقد اهتدى و آمن[2] قطعا بالملائكة و اليوم الآخر و غير ذلك من كل ما دعا إليه الكتاب و الرسول، عطف عليه قوله : ﴿ و من يكفر ﴾ أي يوجد الكفر و يجدده وقتا من الأوقات ﴿ بالله و ملئكته و كتبه ﴾ أي [3]التي أنزلها على أنبيائه بواسطة ملائكته أو بغير واسطة[3] ﴿ و رسله ﴾ أي من الملائكة و البشر ، ١٠ فكان الإيمان بالترقي للاحتياج إليه ، و كان الكفر بالتدلي للاجتراء عليه . /٥٢٩

و لما كان الإيمان بالبعث - و إن كان أظهر شيء - مما لا تستقل[4] به العقول فلا تصل[5] إليه[6] إلا بالرسل ، ذكره بعدهم فقال: ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أي الذي أخبرت به رسله ، و قضت به العقول الصحيحة و إن كانت لا تستقل[7] بادراكه قبل تنبيه الرسل لها عليه ، و هو روح ١٥ الوجود و سره و قوامه و عماده ، فيه تنكشف[8] الحقائق و تجمع الخلائق ،

---

(١) في ظ : يبعكم (٢) في ظ : من (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : لا يستقل (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فلا يصل .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده في ظ : الا - خطأ (٨) من مد ، و في الأصل : بكشف ، و في ظ : يكشف .

و يظهر شمول العلم و تمام القدرة و [1]يبسط ظل[1] العدل و تجتنى[2] ثمرات الفضل ﴿فقد ضل﴾ و أبلغ فى التأكيد لكثرة المكذبين فقال: ﴿ضللا بعيدا ﴾ أى لا حيلة فى رجوعه معه.

و لما كان التمادى بعد نزول هذا الهدى موجدا للكفر[3] مجددا له، ٥ [نبه - [4]] على إغراقه فى البعد بغضبه سبحانه و تعالى لتماديه معلما أن الثبات على الكفر عظيم جدا، و صوّره بأقبح صورة، و فى ذلك ألطف استعطاف إلى النزوع عن الخلاف فقال: ﴿ان الذين امنوا﴾ أى بما كانوا مهيئين له من الإيمان بالفطرة الأولى ﴿ثم كفروا﴾ أى أوقعوا الكفر فعوّجوا ما أقامه الله[5] من فطرهم ﴿ثم امنوا﴾ أى حقيقة أو بالقوة ١٠ بعد مجيء الرسول بما هيأهم له باظهار الأدلة و إقامة الحجج ﴿ثم كفروا﴾ أى بذلك الرسول [أو برسول[6]] آخر بتجديد الكفر أو التمادى فيه ﴿ثم ازدادوا﴾ أى باصرارهم على الكفر إلى الموت ﴿كفرا[7] لم يكن الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ليغفر لهم﴾ أى ما داموا على هذا الحال لأنه لا يغفر أن يشرك به ﴿و لا ليهديهم سبيلا ﴾ أى من ١٥ السبل [الموصلة - [6]] إلى المقصود.

و لما كانت جميع صور الآية منطبقة على النفاق، بعضها حقيقة

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: سبط ظن - كذا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تجتبى (٣) فى ظ: للكفور - كذا (٤) زيد و لا بد منه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) تقدم فى ظ على «اى باصرارهم».

و بعضها مجازا، قال جوابا لمن كأنه سأل عن جزائهم متهكما بهم: ﴿ بشر المنفقين ﴾ فأظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ﴿ بان لهم عذابا اليماۨ ﴾ ثم وصفهم بما يدل على أنهم المساترون بالكفر بقوله تعالى: ﴿ الذين يتخذون الكفرين ﴾ أى المجاهرين[1] بالكفر ﴿ اولياء ﴾ أى يتعززون بهم[2] تنفيرا من مقاربة[3] صفتهم ليتميز المخلص ٥ من المنافق، و بيانا لأن مرادهم بولايتهم إنما هو التعزز بهم فان محط أمرهم على العرض الدنيوى، و نبه على دناءة أمرهم و على أن الغريق فى الإيمان أعلى الناس بقوله: ﴿ من دون المؤمنين ﴾ أى الغريقين فى الإيمان، ثم أنكر عليهم هذا المراد بقوله: ﴿ ا يبتغون ﴾ أى المنافقون يتطلبون، تطلبا عظيما ﴿ عندهم ﴾ أى الكافرين ﴿ العزة ﴾ فكأنه قال: طلبهم ١٠ العزة بهم سفه[4] من الرأى و بعد من الصواب، لأنه لا شىء من العزة عندهم.

و لما أنكر عليهم هذا الابتغاء علله بقوله: ﴿ فان العزة لله ﴾ أى[5] الذى لا كفوء له ﴿ جميعاۜ ﴾ أى و هم أعداء الله فانما يترقب لهم ضرب الذلة و المسكنة، و ما أحسن التفات هذه الآية إلى أول الآيات ١٥ المحذرة من أهل الكتاب "الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب" المختتمة بقوله "[6]و كفى بالله وليا[6] و كفى بالله نصيرا" ﴿ و قد ﴾

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المهاجرين - كذا (٢) فى ظ: لهم (٣) فى ظ: مقارنة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سنة (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

أى يتخذونهم[1] و الحال أنه قد ﴿ نزل عليكم ﴾ أى أيتها الأمـة ، الصادقين منكم و المنافقين ﴿ فى الكتب ﴾ أى فى سورة الأنعام[2] النازلة بمكة المشرفة النهى[3] عن مجالستهم فضلا عن ولايتهم ، أفلا تخافون عزة من نهاكم عن ذلك أن [4]يضربكم بذل[4] لا تخلصون منه أبدا ، لأنهم[5]
٥ /٥٣٠ لا ينفكون عن الكفر بآيات الله ، / فانه لا تباح ولايتهم فى حال من الأحوال إلا عند الإعراض عن الكفر ، و ذلك هو المراد من قوله : ﴿ ان ﴾ أى أنه ﴿ اذا سمعتم ايٰت الله ﴾ أى ذى الجلال و الإكرام .

و لما كان السماع مجملا بين المراد بقوله : ﴿ يكفر بها ﴾ أى يستر ما أظهرت من الأدلة من أى كافر كان من اليهود و غيرهم
١٠ ﴿ و يستهزأ بها ﴾ أى يطلب طلبا شديدا أن تكون[6] مما يهزأ[7] بـه ﴿ فلا تقعدوا معهم ﴾ أى الذين يفعلون ذلك[8] بها ﴿ حتى يخوضوا ﴾ وعبر عن الشروع بالخوض إيماء إلى أن كلامهم لا يخلو عن شيء فى غير موضعه ، رمزا إلى عدم مجالستهم على كل حال ﴿ فى حديث غيره ﴾ فهذا نهى من مجرد مجالستهم فكيف بولايتهم .

١٥ و لما كانت آية الأنعام مكية اقتصر فيها على مجرد الإعراض و قطع المجالسة لعدم التمكن من الإنكار بغير القلب ، و أما[9] هذه الآية فمدنية فالتغيير[10] عند إزالها باللسان و اليد ممكن لكل مسلم ، فالمجالس من

---

(١) فى ظ : يتخذوهم (٢) انظر آية ٦٨ (٣) فى ظ : التى (٤-٤) فى ظ : نضربكم بذلة (٥) فى ظ : لا انهم (٦) فى الأصل : يكونوا ، و فى ظ و مد : يكون ـ كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهدى (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : لما (١٠) من مد . و فى الأصل و ظ : فالتعبير .

غير نكير راض ، فلهذا[1] علل بقوله : ﴿ انكم اذًا ﴾ أى إذا قعدتم معهم و هم يفعلون ذلك ﴿ مثلهم ﴾ أى فى الكفر لأن مجالسة المظهر للايمان المصرحَ بالكفران دالة على أن إظهاره لما أظهر نفاق ، و أنه راض بما يصرح به هذا الكافر و الرضى بالكفر كفر ، فاشتد حسن ختم الآية بجمع[2] الفريقين فى جهنم بقوله مستأنفا لجواب السؤال عما تكون به ٥ المماثلة : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط علمه فتمت قدرته ﴿ جامع ﴾ .

و لما كان حال الأخفى أهم قدم قوله : ﴿ المنفقين ﴾ أى الذين يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر فيقعدون مع من يسمعونه[3] بكفر ﴿ و الكفرين ﴾ أى الذين يجاهرون بكفرهم لرسوخهم فيه ﴿ فى جهنم ﴾ التى هى سجن الملك ﴿ جميعا ﴾ كما جمعهم معهم مجلسُ الكفر الذى هو طعن فى ملك ١٠ الملك ، و التسوية بينهم فى الكفر بالقعود معهم[4] دالة على التسوية بين العاصى و مجالسه بالخلطة من غير إنكار ؛ ثم وصفهم سبحانه و تعالى بما يعرف بهم فقال : ﴿ الذين يتربصون بكم ﴾ أى يثبتون على حالهم انتظارا لوقوع ما يغيظكم[5] ﴿ فان كان لكم فتح ﴾ أى ظهور و عز وظفر ، و[4] قال : - ﴿ من الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها - تذكيرا للمؤمنين ١٥ بما يديم اعتمادهم عليه و افتقارهم إليه ﴿ قالوآ ﴾ أى الذين آمنوا نفاقا[6] لكم[7] أيها المؤمنون ﴿ الم نكن معكم ﴾ أى ظاهرا بأبداننا بما تسمعون[8] من

(١) فى ظ : فلذا (٢) من مد ، و فى الأصل : بجميع ، و فى ظ : مجمع (٣) فى ظ : يستمعونه (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يغيضكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انفاقا - كذا (٧) فى ظ : بكم (٨) فى ظ : يستمعون .

أقوالنا فأشركونا فى فتحكم ﴿ و ان كان للكفرين ﴾ أى المجاهرين، و قال: ﴿ نصيب[1] ﴾ تحقيرا لظفرهم و أنه لا يضر بما حصل للمؤمنين من الفتح ﴿ قالوآ ﴾ للكافرين ليشركوهم فى نصيبهم ﴿ الم[1] نستحوذ عليكم ﴾ أى نطلب حياطتكم و المحافظة على مودتكم حتى غلبنا على جميع أسراركم[2]
٥ و استولينا عليها، و خالطناكم مخالطة الدم للبدن، من قولهم: حاذه[3]، أى حاطه و حافظ عليه ﴿ و نمنعكم من المؤمنين[1] ﴾ أى من تسلطهم عليكم بما كنا نخادعهم به، و نشيع فيهم من الإرجافات[4] و الأمور المرغبات الصارفة لهم عن كثير من المقاصد، لتصديقهم لنا لإظهارنا الإيمان، و رضانا من مداهنة[5] من نكره[6] بما لا يرضاه إنسان.

١٠ و لما كان هذا لأهل[7] الله سبحانه و تعالى أمرا غائظا مقلقا موجعا؛ سبب عنه قوله: ﴿ فالله ﴾ أى بما له من جميع [صفات - [8]] العظمة ﴿ يحكم بينكم ﴾ أى أيها المؤمنون [و - [9]] الكافرون المساترون و المجاهرون.

و لما كان الحكم له فى الدارين بين[10] أنه فى الدار التى لا يظهر فيها لاحد غيره[11] أمر ظاهرا و لا باطنا، و تظهر فيها جميع المخبئات فقال:
١٥ ﴿ يوم القيمة[1] ﴾ و لما كان هذا ربما أيأسهم من الدنيا قال: ﴿ و لن يجعل الله ﴾ عبر بأداة التأكيد و بالاسم الأعظم لاستبعاد[12] الغلبة

---

(١) تكرر فى ظ بعد « قالوا » (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اشراركم.
(٣) فى ظ: حازه (٤) فى ظ: الاوجافات (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: مداهنته (٦) من مد، و فى الأصل: نكره، وفى ظ: يكره (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الامر - كذا (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو من ظ و مد.
(١٠) سقط من ظ (١١) من مد، وفى الأصل وظ: غير (١٢) من ظ و مد، وفى الأصل: الاستبعاد.

على الكفرة[1] لما لهم فى ذلك الزمان من القوة و الكثرة ﴿ للكفرين ﴾ أى سواء كانوا مساترين أو مجاهرين ﴿ على المؤمنين ﴾ أى كلهم ﴿ سبيلا ع ﴾ أى بوجه فى دنيا ولا آخرة ، و هذا تسفيه لآرائهم و استخفاف بعقولهم[2] فكأنه يقول : يا أيها المتربصون بأحباب الله الدوائر ، المتمنون لأعدائه النصر ـ و قد قامت الأدلة على أن العزة ٥ جميعا لله ـ ! ما أضلكم فى ظنكم أنه يخذل أولياءه ! و ما أغلظ أكبادكم[3] ! و يدخل فى عمومها أنه لا يقتل مسلم بذمى ، و لا يملك كافر مال مسلم قهرا ؛ ثم بين أن صورتهم فى ضربهم الشقة بالوجهين صورة المخادع ، و ما أضلهم حيث خادعوا من لا يجوز عليه الخداع لعلمه بالخفايا ، فقال معللا لمنعهم السبيل : ﴿ ان المنفقين ﴾ لإظهارهم[4] لكل من غلب أنهم منه ١٠ ﴿ يخدعون الله ﴾ أى يفعلون باظهار ما يسر و إبطان ما يضر فعل المخادع مع من له الإحاطة الكاملة بكل شيء لأنه سبحانه و تعالى يستدرجهم من حيث لا يشعرون ، و هم يخدعون المؤمنين باظهار الإيمان و إبطان الكفر ﴿ و هو ﴾ الذى أمر المؤمنين بما أمرهم فكأنهم يفعلون ذلك معه و هو ﴿ خادعهم ج ﴾ باستدراجهم من حيث لا يعلمون ، لأنه قادر على ١٥ أخذهم من مأمنهم[5] و هم ليسوا قادرين على خدعه بوجه ﴿ و اذا ﴾ أى يخادعونه [6]و الحال أنهم قد فضحوا أنفسهم بما أظهر مكرهم للستبصرين و هو أنهم[6] إذا ﴿ قاموآ الى الصلوٰة ﴾ أى المكتوبة ﴿ قاموا كسالى لا ﴾

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكفر (٢) فى ظ : بعقولهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اكبادهم (٤) فى ظ : باظهارهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما معهم ـ كذا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

متقاعسين[1] متثاقلين عادة ، لاينفكون عنها ، بحيث يعرف ذلك منهم كلُّ من تأملهم، لأنهم يرون أنها تعب من غير أرب ، فالداعي إلى تركها - وهو الراحة - أقوى من الداعي إلى فعلها وهو خوف الناس ؛ ثم استأنف في جواب من كأنه قال : ما لهم يفعلون ذلك ؟ فقال : ﴿ يرآءون
٥ الناس ﴾ أي يفعلون ذلك[2] ليراهم الناس ، ليس إلا ليظنوهم مؤمنين ، ويريهم[3] الناسُ لأجل ذلك ما يسرهم من عدهم[4] في عداد المؤمنين لما [5]يُرَوْن هم[5] المؤمنين حين يصلون ﴿ ولا يذكرون الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال في الصلاة وغيرها ﴿ الا قليلا ﴾ أي حيث يتعين ذلك طريقا[6] لمخادعتهم ، يفعلون ذلك حال كونهم ﴿ مذبذبين ﴾ أي
١٠ مضطربين كما يضطرب الشيء الخفيف المعلق في الهواء ، وحقيقة : الذي يذَبّ[7] عن كلا الجانبين ذبا عظيما .

ولما كان ما تقدم يدل على إيمانهم تارة وكفرهم أخرى قال : ﴿ بين ذلك ﴾ أي الإيمان والكفر ، ولما كان الإيمان يدل على أهله والكفر كذلك قال : ﴿ لآ الى ﴾ أي لا يجدون[8] سبيلا مفرا إلى
١٥ ﴿ هٰؤلآء ﴾ أي المؤمنين ﴿ ولآ الى هٰؤلآء ﴾ أي الكافرين ؛ ولما كان التقدير : لأن الله أضلهم ، بنى عليه قوله : ﴿ ومن يضلل الله ﴾ أي

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) زيد في ظ : حال كونهم (٣) من مد ، في الأصل : فيريهم ، وفي ظ : عبريهم - كذا (٤) في ظ : عدم (٥ - ٥) في ظ : يرونهم - كذا (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : طريق (٧) في ظ : يدث . (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : يجدون .

الشامل[1] القدرة الكامل العلم ﴿ فلن تجد ﴾ أى أصلا ﴿ له سبيلا ﴾ أى طريقا إلى شيء يريده .

و لما انقضى ما أراد من الإنكار على من ادعى الإيمان فى اتخاذ الكافرين أولياء، المستلزم للنهى عن ذلك الاتخاذ، صرح به مخاطبا للمؤمنين فقال: ﴿ يآيها الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقا ٥ أو كذبا ﴿ لا تتخذوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة فتأخذوا[2] ﴿ الكفرين ﴾ أى المجاهرين بالكفر الغريقين فيه ﴿ أوليآء ﴾ أى أقرباء[3]، تفعلون معهم من الود و النصرة ما يفعل القريب مع قريبه .

ولما كان الغريق[4] فى الإيمان أعلى الناس، وكان تحت رتبته رتب متكاثرة، ١٠ نبه على ذلك و على دناءة مقصدهم بالجار فقال: ﴿ من دون المؤمنين[5] ﴾ أى الغريقين فى الإيمان، و هذا إشارة إلى أنه لا يصح لمن يواليهم[6] دعوى الإيمان، و لذلك قال منكرا: ﴿ أتريدون ﴾ أى بموالاتهم / ٥٣٢ ﴿ أن تجعلوا لله ﴾ أى الذى لا تطاق سطوته لأن له الكمال كله ﴿ عليكم ﴾ أى فى النسبة إلى النفاق ﴿ سلطنا ﴾ أى دليلا واضحا على كفركم[7] ١٥ باتباعكم غير سبيل المؤمنين ﴿ مبينا ﴾ واضحا مسوغا لعقابكم و خزيكم[8]

(١) فى ظ: الحامل ـ كذا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: تاخذوا (٣) فى ظ: اقروا بها ـ كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: التفريق (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: أن (٦) فى ظ: تواليهم (٧) فى ظ: كفرهم (٨) من مد، و فى الأصل: حربكم، و فى ظ: خزلكم ـ كذا .

و جعلكم فى زمرة المنافقين .

و لما نهاهم عن فعل المنافقين استأنف بيان جزائهم عنده فقال: ﴿ ان المنفقين فى الدرك ﴾ أى البطن و المنزل ﴿ الاسفل من النارج ﴾ لأن ذلك أخفى ما فى النار و أستره و أدناه و أوضعه كما أن كفرهم أخفى

٥ الكفر و أدناه ، و هو أيضا أخبث طبقات النار كما أن كفرهم أخبث أنواع الكفر ، و فيه أن من السلطان وضع فاعل ذلك فى دار المنافقين لفعله مثل[1] فعلهم[2] ، و من تشبه بقوم فهو منهم ، و سميت طبقات النار أدراكا لأنها متداركة متتابعة إلى أسفل كما أن الدرج[3] متراقية إلى فوق .

و لما أخبر أنهم من هذا المحل الضنك ، أخبر بدوامه لهم على وجه

١٠ مؤلم جدا فقال: ﴿ و لن تجد ﴾ أى أبدا ﴿ لهم نصيرا لا ﴾ و أشار بالنهى[4] عن موالاتهم و عدم نصرهم[5] إلى ختام أول الآيات المحذرة من الكافرين " و كفى بالله وليا و كفى بالله نصيرا " .

و لما كان فيما تقدم أن الغفران للكافر - أعم من أن يكون منافقا أو لا - متعذر[6] ، و أتبعه [7]ما لاءمه[7] إلى أن[8] ختم بما دل على أن النفاق

١٥ أغلظ أنواع الكفر استثنى منه دلالة على أن غيره من الكفرة فى هذا الاستثناء أولى ، تنبيها على أن ذلك النفى المبالغ فيه إنما هو لمن

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثله (٢) فى مد : مثلهم - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدرج (٤) فى ظ : بالمجئى - كذا (٥) فى ظ : نصرتهم . (٦) فى الأصول : متعذرا - كذا (٧ - ٧) فى ظ : ملايمة - كذا (٨) سقط من ظ .

مات على ذلك، و لكنه سيق على ذلك الوجه تهويلا لما ذكره في حيزه و تنفيرا منه فقال تعالى: ﴿ الا الذين تابوا ﴾ أي رجعوا عما كانوا عليه من النفاق بالندم و الإقلاع ﴿ و اصلحوا ﴾ [1] أي أعمالهم الظاهرة من الصلاة التي [كانوا - [2]] يراءون فيها و غيرها بالإقلاع عن النفاق ﴿ و اعتصموا بالله ﴾ أي اجتهدوا في أن تكون عصمتهم - أي ارتباطهم - ٥ بالملك الأعظم في عدم العود إلى ما كانوا عليه.

و لما كان الإقلاع عن النفاق الذي من أنواعه الرياء - أصلا و رأسا في غاية العسر قال حثا على مجاهدة النفس فيه: ﴿ و اخلصوا دينهم ﴾ أي كله [3] ﴿ لله ﴾ أي الذي له الكمال كله، فلم يريدوا بشيء من عبادتهم [4] غير وجهه لا رياء و لا غيره ﴿ فاولـئك ﴾ أي العالو الرتبة ﴿ مع ١٠ المؤمنين ﴾ أي الذين صار الإيمان لهم وصفا راسخا في الجنة، و إن عذبوا على معاصيهم ففي الطبقة العليا من النار ﴿ وسوف يؤت الله ﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ المؤمنين ﴾ أي بوعد لا خلف فيه و إن أصابهم قبل ذلك ما أصابهم وإن طال عذابهم، تهذيبا لهم من المعاصي بما أشار إليه لفظ 'سوف' ﴿اجرا عظيما ﴾ أي بالخلود في الجنة التي لا ينقضي [5] ١٥ نعيمها، و لا يتكدر يوما نزيلها، فيشاركهم من كان معهم، لأنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

---

(١) العبارة من هنا إلى « بالاقلاع عن » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: كلهم (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: عبادته (٥) في ظ: لا ينقض.

و لما كان معنى الاستثناء أنه لا يعذبهم، و أنهم يجدون الشفيع بإذنه؛ قال مؤكدا لذلك[1] على وجه الاستنتاج منكرا على من ظن أنه لا يقبلهم بعد الإغراق فى المهالك: ﴿ ما يفعل الله ﴾ أى [2]و هو[2] المتصف بصفات الكمال التى منها الغنى المطلق ﴿ بعذابكم ﴾ أى أيها الناس، فانه لا يجلب ٥ له نفعا و لا يدفع عنه ضرا.

و لما كان الخطاب مع الذين آمنوا قال: ﴿ ان شكرتم ﴾ أى نعمه التى من أعظمها إنزال الكتاب الهادى إلى الرشاد، المنقذ من كل ضلال، المبين لجميع[3] ما يحتاج إليه العباد، فأداكم التفكر فى حالها إلى معرفة مسديها، فأذعنتم له و هرعتم[4] إلى طاعته بالإخلاص فى عبادته و أبعدتم[5] عن معصيته.

١٠ و لما كان الشكر هو الحامل على الإيمان قدمه عليه، و لما كان لا يقبل إلا به / قال: ﴿ وَ ءامنتم ﴾ أى به إيمانا خالصا موافقا فيه القلب ما أظهره اللسان؛ و لما كان معنى الإنكار أنه لا يعذبكم، بل يشكر ذلك قال عاطفا عليه: ﴿ و كان الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام أزلا و أبدا ﴿ شاكرا ﴾ لمن شكره باثابته[6] على طاعته فوق ما يستحقه ﴿ عليما ﴾ بمن عمل له ١٥ شيئا و إن دق، لا يجوز عليه سهو و لا غلط و لا اشتباه[7].

٥٢٣ /

و لما أتم سبحانه و تعالى ما أراد من تقبيح حال المجالسين الخائضين فى آياته بما هى منزهة عنه، و مما يتبعه من وصفهم و بيان قصدهم

(١) فى ظ: كذلك (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: بجميع (٤) فى ظ: دعاكم - كذا (٥) فى ظ: ابعدكم (٦) فى ظ: باثباته (٧) فى ظ: اشباه.

بتلك

بتلك المجالسة من النهى عن مثل حالهم، و من جزاء من فعل مثل فعلهم - إلى أن ختم بأشد عذاب المنافقين، و حث[1] على التوبة بما ختمه بصفتى الشكر و العلم؛ أخبر أنه يبغض[2] خوض الكافرين الذين قبح بمجالستهم حال التلبس[3] به، و[4] كذا كل[4] جهر بسوء إلا ما استثناه، فمن أقدم على ما لا يحبه لم يقم [بحق - [5]] عبوديته، فقال معللا ما مضى قبل افتتاح[6] أمر المنافقين من ٥ الأمر باحسان التحية: ﴿ لا يحب الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال ﴿ الجهر ﴾ أى ما يظهر فيصير فى عداد الجهر ﴿ بالسوء ﴾ [أى - [7]] الذى يسوء و يؤذى ﴿ من القول ﴾ أى لأحد كائنا من كان، فان ذلك ليس من شكر الله تعالى فى الإحسان إلى عباده و عياله، و لا من شكر الناس فى شيء، و لا يشكر الله من لا يشكر الناس ﴿ الا من ﴾ أى ١٠ جهر من ﴿ ظلم ﴾ أى[8] كان من أحد من الناس ظلم إليه كائنا من كان فانه يجوز له الجهر بشكواه و التظلم منه و الدعاء عليه و ان ساءه ذلك بحيث لا يعتدى .

و لما كان القول مما يسمع، و كان من الظلم ما قد يخفى، قال مرغبا مرهبا: ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ سميعا ﴾ أى لكل ١٥ ما يمكن سماعه من جهر و غيره ﴿ عليما ﴾ أى بكل ما يمكن أن يعلم،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: حثه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ينغض - كذا (٣) فى ظ: التلبيس (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كل كذا. (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) زيد من مد (٨) فى ظ: ان.

فاحذروه لئلا يفعل بكم فعل الساخط، و جهر و من ظلم - و إن كان داخلا فيما يحبه الله تعالى على تقدير كون الاستثناء متصلا - لكن جعله [1]من جلة[1] السوء و إن كان من باب المشاكلة فان فيه لطيفة، و هى نهى[2] الفطن عن تعاطيه و حثه على العفو، لأن من علم أن فعله بحيث ينطلق اسم ٥ السوء - على أى وجه كان إطلاقه - كف عنه إن كان موفقا.

و لما كانت معاقد الخيرات على كثرتها منحصرة فى قسمين: إيصال النفع إبداء و إخفاء، و دفع الضرر، فكان[3] قد[4] أشار سبحانه و تعالى إلى العفو، و ختم بصفتى السمع و العلم؛ قال مصرحا بالندب إلى العفو و الإحسان، فكان نادبا إليه مرتين: [5]الأولى بطريق الإشارة لأولى البصارة[5]، ١٠ و الثانية بطريق العبارة للراغبين فى التجارة، حثا على الأحب اليه سبحانه و الأفضل عنده و الأدخل فى باب الكرم: ﴿ ان تبدوا خيرا ﴾ أى من قول أو غيره ﴿ او تخفوه ﴾ أى تفعلوه خفية ابتداء أو فى مقابلة سوء فعل إليكم؛ و لما ذكر فعل الخير[6] أتبعه نوعا[4] منه[7] هو أفضله[8] فقال: ﴿ او تعفوا عن سوٓء ﴾ أى فعل بكم.

١٥ و لما كان التقدير: يعلمه بما له من صفتى السمع [9]و العلم[9] فيجازى عليه بخير أفضل منه و عفو أعظم من عفوكم؛ سبب عنه قوله: ﴿ فان ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: منهى (٣) من ظ، و فى الأصل و مد: كان (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: الأولى بطريق النضارة (٦) من مد، وفى الأصل وظ: الخيرات (٧) فى ظ: من (٨) فى ظ: افضل (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: العليم - كذا.

أى فأنتم جديرون بالعفو بسبب[1] علمكم بأن ﴿ الله كان[2] ﴾ أى دائما أزلا و أبدا ﴿ عفوا[3] ﴾ و لما كان ترك العقاب لا يسمى عفوا إلا إذا كان [4]من قادر[4] و كان الكف - عند القدرة عن الانتقام، من أثر فى القلوب الآثار العظام - بعيدا، شاقا على النفس شديدا[5]؛ قال تعالى مذكرا للعباد بذنوبهم إليه[5] و قدرته عليهم: ﴿ قديرا ﴾ أى ٥ بالغ العفو عن كل ما يريد العفو عنه من أفعال الجانين[6] و القدرة على كل ما يريد و من يريد، فالذى لا ينفك عن ذنب و عجز أولى بالعفو طمعا فى[7] عفو القادر عنه و خوفا من انتقامه منه و [8]تخلقا بخلقه[8] العظيم و اقتداء / بسنته. / ٥٣٤

و لما انقضى ذلك على أتم وجه و أحسن سياق و نحو، و ختم ١٠ بصفتى العفو و القدرة؛ شرع[9] فى بيان أحوال من لا يعفى عنه من أهل الكتاب، و بيان أنهم هم الذين أضلوا المنافقين بما يلقون إليهم من الشبه التى وَسَّع عقولَهم لها ما أنعم به عليهم سبحانه و تعالى من العلم، فأبدوا الشر و كتموا الخير، فوضعوا نعمته حيث يكره، ثم كشف سبحانه و تعالى بعض شبههم، فقال مبينا لما افتتح به قصصهم من أنهم ١٥ اشتروا الضلالة بالهدى، و يريدون ضلال غيرهم، بعد أن كان ختم هناك

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تسبب (٢) تأخر فى ظ عن « ازلا و ابدا ».
(٣) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: عفو (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: قادرا (٥) سقط من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: الجاين، و فى ظ: المجانبين (٧) فى ظ: الى (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تخلف بخلفه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يشرع.

ما قبل قصصهم بقوله عفوا قديرا[1]: ﴿ ان الذين يكفرون ﴾ أى[2] يسترون ما عندهم من العلم ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الاختصاص بالجلال و الجمال[3] ﴿ و رسله ﴾ .

و لما ذكر آخر أمرهم ذكر السبب الموقع فيه [فقال -[4]]:

٥ ﴿ و يريدون ان يفرقوا بين الله ﴾ أى الذى له الأمر كله، و لا أمر لأحد معه ﴿ و رسله ﴾ أى فيصدقون بالله و يكذبون ببعض الرسل فينفون رسالاتهم، المستلزم لنسبتهم[5] إلى الكذب على الله[6] المقتضى لكون الله سبحانه و تعالى[6] بريئا منهم .

و لما ذكر الإرادة ذكر ما نشأ عنها فقال: ﴿و يقولون نؤمن ببعض﴾

١٠ أى من الله و رسله كاليهود الذين آمنوا بموسى عليه الصلاة و السلام و غيره إلا عيسى و محمدا صلى الله عليهما و سلم فكفروا بهما ﴿و نكفر ببعض ﴾ أى من ذلك و هم[7] الرسل كمحمد[8] صلى الله عليه و سلم ﴿ و يريدون ان يتخذوا ﴾ أى يتكلفوا أن يأخذوا ﴿ بين ذلك ﴾ أى الإيمان و الكفر ﴿ سبيلا ﴾ أى طريقا يكفرون به ، و عطف الجمل بالواو - و إن كان

١٥ بعضها سببا لبعض - إشارة إلى أنهم جديرون بالوصف بكل منها[9] على انفراده ، و أن كل خصلة كافية فى[10] نسبة الكفر إليهم ، و قدم نتيجتها،

(١) من ظ ، وفى الأصل و مد: غفورا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الاكرام.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : فينبهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧) فى ظ : هو (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمحمد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : منهما (١٠) فى ظ : من .

و ختم

و ختم بالحكم بها على وجه أضخم ، تفظيعا لحالهم ، و أصل الكلام : أرادوا سبيلا بين سبيلين ، فقالوا[1] : نكفر ببعض ، فأرادوا التفرقة ، فكفروا كفرا هو في غاية الشناعة على علم منهم ، فأنتج ذلك : ﴿ اولٰئك ﴾ أي البعداء[2] البغضاء ﴿ هم الكٰفرون ﴾ أي الغريقون في الكفر ﴿ حقا[2] ﴾ و لزمهم الكفر بالجميع لأن الدليل على نبوة البعض لزم منه القطع بنبوة كل من ٥ حصل منه مثل ذلك الدليل ، و حيث جوز حصول الدليل بدون المدلول تعذر الاستدلال [به -[3]] على شيء كالمعجزة ، فلزم حينئذ الكفر بالجميع ، فثبت أن من كذب بنبوة أحد من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام [لزمه الكفر بجميع الأنبياء -[3]] ، و من لزمه الكفر بهم لزمه الكفر بالله و كل ما جاء به . ١٠

و لما كان التقدير : فلا جرم انا أعتدنا - أي هيأنا - لهم عذابا مهينا ، عطف عليه تعميما[4] : ﴿ و اعتدنا للكٰفرين ﴾ أي جميعا ﴿ عذابا مهينا ه ﴾ أي[5] كما استهانوا ببعض الرسل و هم الجديرون بالحب و الكرامة ، و الآية شاملة لهم و لغيرهم ممن كان حاله كحالهم ، و إيلاء ذلك لبيان أحوال[6] المنافقين أنسب شيء و أحسنه[7] للتعريف بأنهم منافقون ، من حيث أنهم ١٥ يظهرون شيئا من أمر النبي صلى الله عليه و سلم و يبطنون[8] غيره و إن كان ما[9] يظهرونه على الضد مما يظهره[10] المنافقون ، و بأنهم هم الذين أضلوا

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : و قالوا (٢) زيد بعده في ظ : اى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : نعيما (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : حال (٧) في ظ : الحسنة (٨) في ظ : يعلنون (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : مما (١٠) في ظ : يظهر .

المنافقين، و للتحذير من أقوالهم و تزييف ما حرفوا من محالهم، و فى ذلك التفات إلى أول هذه القصة "يآيها الذين آمنوآ آمنوا بالله و رسوله" - الآية.

و لما بين سبحانه و تعالى ما أعد[1] لهم بيّن ما أعد لأضدادهم من أهل

٥ طاعته بقوله: ﴿ و الذين آمنوا بالله ﴾ أى [الذى -[2]] له الكمال و الجمال ﴿ و رسله ﴾ و لما جمعوهم فى الإيمان ضد ما فعل أهل الكفران، صرح بما أفهمه فقال: ﴿ و لم يفرقوا ﴾ أى فى اعتقادهم ﴿ بين احد منهم ﴾ أى لم يجعلوا أحدا منهم على صفة الفرقة البليغة من صاحبه بأن كفروا ببعض و آمنوا ببعض - كما فعل الأشقياء، و التفرقة تقتضى شيئين

١٠ فصاعدا، و " أحد[3] " عام فى الواحد المذكر و المؤنث و تثنيتهما و جمعهما[4]، / فلذلك صح التعبير به بمعنى: بين اثنين أو جماعة، و كأنه اختير[5] للمبالغة /٥٣٥ بأن لو أن الواحد يمكن فيه التفرقة فكان الإيمان[6] بالبعض دون البعض كفرا[7] ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو الرتبة فى رتب[8] السعادة[9].

و لما كان المراد تأكيد وعدهم، و كان المشاهد فيه غالباً التأخر

١٥ قال: ﴿ سوف نؤتيهم[10] ﴾ أى بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه و إن تأخر، فالمراد تحقيقه، لا تحقيق تأخره، و لكنه أتى بالأداة التى هى أكثر حروفا و أشد تنفيسا، لأن هذا السياق لأهل الإيمان المجرد، الشامل

---

(١) فى ظ : عد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : احدا (٤) فى ظ : فاجمعهما . (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : اختبر (٦) فى ظ : الامان (٧) سقط من ظ . (٨) فى ظ : رتبة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : الشهادة (١٠) و قراءة حفص عن عاصم و قالون عن يعقوب بالياء التحتانية على الغيب - و هى القراءة المشهورة.

لمن لم يكن له عمل ، و لذا[١] أضاف الأجور إليهم ، و ختم بالمغفرة لئلا يحصل لهم بأس و إن طال المدى ﴿ اجورهم ﴾ أى كاملة بحسب نياتهم و أعمالهم .

و لما كان الإنسان محل النقصان قال : ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى لا يبلغ الواصفون كنه[٢] ما له من صفات الكمال ﴿ غفورا ﴾ لما يريد ٥ من الزلات ﴿ رحيما ع ﴾ أى بمن يريد إسعاده بالجنات .

و لما أخبر تعالى بما على[٣] المفرقين بين الله و رسله و ما لأضدادهم أتبعه بعض ما أرادوا به الفرقة ، و ذلك أن كعب بن الأشرف و فنحاص[٤] ابن عازورا من اليهود قالا كذبا : إن كنت نبيا فأتنا بكتاب[٥] جملة من السماء نعاينه حين ينزل ـ كما أتى موسى عليه الصلاة و السلام بكتابه ١٠ كذلك[٦] ، فأنزل الله تعالى مؤبخا لهم على هذا الكذب مشيرا إلى كذبهم فيه موهيا لسؤالهم محذرا من غوائله مبينا لكفرهم بالله و رسله : ﴿ يسئلك ﴾ .

و لما كانت هذه من أعظم شبههم التى أضلوا بها من أراد الله[٧] ، و ذلك أنهم رأوا أن هذا الكتاب المبين أعظم المعجزات ، و أن العرب ١٥ لم يمكنهم[٨] الطعن فيه على وجه يمكن قبوله ، فوجهوا مكايدهم نحوه

(١) فى ظ : كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كن (٣) فى ظ : علل (٤) من مد و الكشاف ٢٣٦ ، و فى الأصل : فنحاص ، و فى ظ : نخاص ـ كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكتاب (٦) فى ظ : لذلك (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يتمكنهم .

بهذه الشبهة و نحوها، زيفها سبحانه و تعالى أتم تزييف، و فضحهم بسببها
غاية الفضيحة، و زاد سبحانه و تعالى فى تبكيتهم بقوله: ﴿ اهل الكتٰب ﴾
إشارة إلى أن العالم ينبغى له أن يكون أبعد الناس من التمويه فضلا عن
الكذب الصريح ﴿ ان تنزل عليهم ﴾ أى خاصا بهم باثبات أسمائهم
٥ ﴿ كتٰبا من السمآء ﴾؛ و ما أوهموا به فى قولهم هذا من أن موسى
عليه الصلاة و السلام أتى بالتوراة جملة كذبة تلقفها[1] منهم من أراد الله
تعالى [2]من أهل الإسلام[2]، ظنا منهم أن الله تبارك و تعالى أقرهم عليها
و ليس كذلك - كما يفهمه السياق كله[3]، و يأتى ما هو كالصريح فيه فى
قوله "انا اوحينا اليك" - الآية كما سيأتى بيانه، و اليهود الآن معترفون
١٠ بأنها لم تنزل[4] جملة. و قال الكلبي فى قصة البقرة التى ذبحوها لأجل القتيل
الذى تداروا فيه: و ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة.

و لما كان هذا مما يستعظمه النبى صلى الله عليه و سلم أشار إلى ذلك
مبينا تسلية له صلى الله عليه و سلم أن عادتهم التعنت، و ديدنهم [5]الكفر،
و أنهم أغرق الناس فى غلظ الأكباد و جلافة الطبائع، و أن أوائلهم
١٥ تعنتوا على من يدعون الإيمان به الآن، و أنهم على شريعته، [2]و أحب شيء
فيه ما أراهم من تلك الآيات العظام التى منها استنقاذهم[2] من العبودية بل
من الذبح. و أن ذلك تكرر منهم مع ما يشاهدونه[6] من القوارع و العفو

(١) أى تناولها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ
و مد، و فى الأصل: لم ينزل (٥) و سقطت من هنا صفحتان من مد (٦) فى
ظ: يشاهدون.

فقال

فقال: ﴿ فقد ﴾ أي إن تستعظم[1] ذلك فقد ﴿ سالوا ﴾ [أي -[2]] آباؤهم ،[3] أي و هم[3] على [نهجم -[2]] في التعنت فهم شركاؤهم ﴿ موسى ﴾ لغير داع سوى التعنت ﴿ اكبر ﴾ أي أعظم ﴿ من ذلك ﴾ أي الأمر العظيم الذي واجهوك به بعد ما أظهرت من المعجزات ما أوجبنا على كل من[4] علمها الإيمان بك و التأديب معك، ثم بينه بقوله: ﴿ فقالوآ ارنا الله ﴾ ٥ أي الملك الأعلى الذي لا شبيه[5] له، و تقصر العقول عن الإحاطة بعظمته ﴿ جهرة ﴾ أي عيانا من غير ستر و لا حجاب و لا نوع من خفاء بل تحيط به أبصارنا كما يحيط السمع بالقول الجهر، و هذا يدل على أن كلا من السؤالين ممنوع لكونه ظلما، لأدائه إلى الاستخفاف بما تقدمه من المعجزات، وعده غير كاف مع أن إنزال الكتاب / جملة غير مناسب ١٠ / ٥٣٦ للحكمة التي بنيت عليها هذه الدار من ربط المسببات[6] بالأسباب و بنائها عليها، لأن من المعلوم أن تفريق الأوامر سبب لخفة حملها، و ذلك أدعى لامتثالها و أيسر لحفظها و أعون على فهمها، و أعظم تثبيتا[7] للمنزل عليه و أشرح لصدره و أقوى لقلبه و أبعث لشوقه، و الرؤية على هذا الوجه الذي طلبوه[8] - و هو الإحاطة - محال، فسؤالهم لذلك استخفاف مع أنه تعنت، ١٥ و لذلك سبب عن سؤالهم قوله: ﴿ فاخذتهم ﴾ أي عقب هذا السؤال و بسببه من غير إمهال أخذ قهر و غلبة ﴿ الصّعقة ﴾ أي نار نزلت من

(١) في ظ: استعظم (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: شيء - كذا (٥) في الأصل: سبب، و في ظ: سبيه - كذا. (٦) في ظ: المسباب - كذا (٧) في ظ: تثبتا (٨) من ظ: و في الأصل: طلبوها.

السماء بصوت عظيم هو جدير بأن لا يسمى غيره - إذا نسب[١] إليه - صاعقة، فأهلكتهم ﴿ بظلمهم ج ﴾ أى بسبب ظلمهم بهذا السؤال و غيره، لكونه تعنتا من غير مقتض له أصلا، و بطلب الرؤية على وجه محال و هو طلب الإحاطة ﴿ ثم ﴾ بعد العفو عنهم و إحيائهم من إماتة هذه الصاعقة ٥ ﴿ اتخذوا العجل ﴾ أى تكلفوا أخذه و عتوا أنفسهم باصطناعه.

و لما كان الضال بعد فرط البيان أجدر بالتبكيت قال: ﴿ من بعد ﴾ و أدخل الجار إعلاما بأن اتخاذهم لم يستغرق زمان [٢]البعد، بل تابوا[٢] عنه ﴿ ما جآءتهم البيّنٰت ﴾ أى بهذا الإحياء و غيره من المعجزات ﴿ فعفونا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ عن ذٰلك ج ﴾ أى الذنب العظيم بتوبتنا عليهم من ١٠ غير استئصال لهم[٣] ﴿ و اٰتينا ﴾ أى بعظمتنا التى لا تدانيها عظمة ﴿ موسى سلطٰنا ﴾ أى تسلطا[٤] و استيلاء قاهرا ﴿ مبينا ه ﴾ أى ظاهرا فانه أمرهم بقتل أنفسهم فبادروا الامتثال بعد ما ارتكبوا من عظيم هذا الضلال، و فيه رمز ظاهر إلى أنه سبحانه و تعالى يسلط محمدا صلى الله عليه و سلم على كل من يعانده أعظم من هذا التسليط.

١٥ و لما بين هذا من عظمته أتبعه أمرا[٥] آخر أعظم منه فقال: ﴿ و رفعنا ﴾ أى بعظمتنا، و لما كان قد ملأ جهة الفوق[٦] بأن وارى[٧] جميع أبدانهم و لم يسلم[٨] أحد منهم من ذلك، نزع الجار فقال: ﴿ فوقهم الطور ﴾ أى الجبل العظيم، ثم ذكر سبب رفعه فقال: ﴿ بميثاقهم ﴾

(١) من ظ، و فى الأصل: انسب (٢-٢) فى ظ: التعديل تابوا - كذا.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: تسليطا (٥) من ظ، و فى الأصل: امر (٦) فى ظ: فوق (٧) فى ظ: وازى (٨) من ظ، و فى الأصل: لم يعلم.

أى حتى التزموه[1] و أذعنوا له و قبلوه .

و لما ذكر الميثاق على هذا الوجه[2] العجيب[3] [أتبعه - [4]] ما نقضوا فيه على سهولته دليـــلا على سوء طباعهم فقال : ﴿ و قلنا لهم ﴾ أى [بما - [4]] تكرر لهم[5] من رؤية عظمتنا ﴿ ادخـلوا الباب ﴾ أى الذى لبيت المقدس ﴿ سجدا ﴾ أى فنقضوا[6] ذلك العهد الوثيق و بدلوا ﴿ و قلنا ٥ لهم ﴾ أى على لسان موسى عليه الصلاة و السلام فى كثير من التوراة ﴿ لا تعدوا ﴾ أى [لا - [4]] تتجاوزوا[7] ما حددناه لـكم ﴿ فى السبت ﴾ أى لا تعملوا فيه عملا من الأعمال - تسمية للشىء باسم سببه سمى عدوا لأن العامل[8] للشىء يكون لشدة إقباله عليه كأنه يعدو ﴿ و اخذنا منهم ﴾ أى فى جميع ذلك ﴿ ميثاقا غليظا ﴾ و إنما جزمت بأن المراد بهذا - و الله ١٠ تعالى أعلم - على لسان موسى عليه الصلاة و السـلام ، لأنه تعالى كرر التأكيد عليهم فى التوراة فى حفظ السبت ، و أوصاهم به[9] ، و عهد إليهم فيه ما قل[10] أن عهده[11] فى شىء من الفروع غيره ، قال بعض المترجمين للتوراة فى السفر الثانى فى العشر الآيات[12] التى أولها " أنا إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا يكون لك[2] إله[13] غيرى[14] " ما[15] ١٥

(١) فى ظ : الزموه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : العجب (٤) زيد من ظ .
(٥) فى ظ : منهم (٦) فى الأصل : فيقضوا ، و فى ظ : فنقسوا - كذا (٧) فى ظ : تجاوزوا (٨) فى ظ : القـائل (٩) فى ظ : بهم (١٠) فى ظ : كل - خطأ .
(١١) فى الأصلين : عهدة (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ايات (١٣) فى ظ : الهة .
(١٤) من ظ ، و فى الأصل : غيره (١٥) فى ظ : بما .

نصه اذكر حفظ يوم السبت و طهره ستة أيام، كد فيها[1] و اصنع جميع
ما ينبغي لك أن تصنعه، و اليوم السابع سبت[2] الله ربك، لا تعملن فيه[3]
شيئا من الأعمال أنت و ابنك[4] و ابنتك و عبدك و أمتك و دوابك و الساكن
فى قراك، لأن الرب خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام و البحور و جميع
٥ ما فيها، و استراح فى اليوم السابع، و لذلك بارك الله اليوم السابع و قدسه،
أكرم أباك - إلى آخر ما مر فى سورة البقرة؛ ثم عاد العشر الآيات فى
أوائل السفر[5] الخامس / و قال فى السبت: احفظوا يوم السبت [6]و ظهوره كما /٥٣٧
أمركم الله ربكم، و اعملوا الأعمال فى ستة أيام كما أمركم الله ربكم، و اعملوا
الأعمال فى ستة أيام، فاصنعوا ما أردتم أن تصنعوا فيها، فأما يوم السبت[6]
١٠ فأسبوع ربكم[7]، لا تعملوا فيه عملا أنتم و بنوكم و عبيدكم [6]و إماؤكم و ثيرانكم
و حميركم و كل بهائمكم و الساكن الذى فى قراكم ليستريح عبيدكم[6] - إلى
آخر ما فى أوائل هذه السورة عند "و يهديكم سنن الذين من قبلكم"
و قال فى الثانى بعد ذلك: و قال الرب لموسى: [8]و أنت [8] فأمر بنى
إسرائيل أن تحفظوا[9] السبوت، لأنها أمارة العهد و علامة فيما بينى
١٥ و بينكم لأحقابكم، فتعلموا أنى أنا الرب إلهكم مقدسكم، احفظوا يوم السبت

---

(١) فى ظ: مهما (٢) فى ظ: سبب (٣) من ظ، و فى الأصل: فيها (٤) فى الأصل: ابنك، وفى ظ: ابيك - كذا (٥) زيد فى ظ: اخر (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: لربكم. (٨ - ٨) فى ظ: فانت (٩) فى ظ: يحفظوا.

فانه مطهر مخصوص لكم، و من نقضه و أخذ العمل فيه فليقتل، و من
عمل عملا فليهلك ذلك الإنسان من شعبه، اعملوا أعمالكم ستة أيام،
و اليوم السابع فهو يوم سبت قدس للرب، لأن الرب خلق السماوات
و الأرض فى ستة أيام و البحور و ما فيها، و هذا فى اليوم السابع
[1] و دفع إلى موسى عليه الصلاة و السلام لما فرغ كلامه له فى طور ٥
سيناء لوحى[2] الشهادة، و أبلغ فى تأكيد حفظه عليهم فى غير ذلك من
المواضع، حتى أنه شرع لهم أسباب الأرض و نحوها، فقال فى السفر
الثانى أيضا: ازرع أرضك ست سنين، و احمل أثقالها، و فى السنة السابعة
ابذرها[3] و دعها، فيأكل مسكين شعبك[4]، و ما يبقى بعد ذلك يأكله
حيوان البر، و كذلك فافعل بكرومك[5] و زيتونك، اعمل عملك فى ١٠
ستة أيام و فى اليوم السابع تستريح لكى يستريح ثورك و حمارك،
و تستريح أمتك و ابن أمتك و الساكن فى قراك، ثم ذكر الأعياد فى
السفر الثالث، و حرم العمل فيها؛ و قال فى بعضها: و كل نفس يعمل عملا
فى هذا اليوم تهلك تلك[6] النفس من شعبها، فلا تعملوا فيه عملا، لأنه
سنة جارية لكم إلى الأبد فى جميع مساكنكم، فليكن هذا اليوم سبت ١٥
السبوت؛ ثم أمرهم بعيد المظال[7] سبعة أيام و قال: ليعلم أحقابكم أنى

---

(١) العبارة من هنا إلى «و فى اليوم السابع» تكررت فى الأصل فقط مع نقص شيء و زيادته (٢) فى ظ: او من - كذا (٣) فى ظ: ابذرعها (٤) فى ظ: سعيك (٥) فى ظ: بكرمك (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: المطال - كذا خطأ، و هو عيد لليهود ينصبون فيه خياما من ورق الشجر يقيمون فيها عدة أيام تذكارا لخروجهم من عبودية مصر.

أجلست بنى إسرائيل فى المظال حيث أخرجتهم من أرض مصر ؛ ثم ذكر بعض القرابين و قال : و يصف[1] هارون الخبز صفين فى اليوم السادس وهو يوم الجمعة، و يكون ذلك من عيد بنى إسرائيل ؛ و كلم الرب موسى و قال له فى طور سيناء : كلم بنى إسرائيل و قل لهم : إذا دخلتم ٥ الأرض التى أعطيكم ميراثا تسبت[2] الأرض سبتا[3] للرب ، ازرعوا مزارعكم ست سنين و اكسحوا كرومكم ست سنين، و استغلوا غلاتكم[4] ست سنين ، فأما السنة السابعة فلتكن [5]سبت الراحة للأرض[5]، لا تزرعوا مزارعكم، و لا تكسحوا كرومكم ، و لا تحصدوا ما ينبت فى أرضكم فى تلك السنة من غير أن يزرع ، و لا تقطعوا عنب كرومكم ، بل يكون ١٠ سبت الراحة للأرض لكم و لبنيكم و لعبيدكم و لإمائكم و لإخوانكم و للسكان الذين يسكنون معكم ، و أحصوا سبع مرات سبعا سبعا: تسعا[6] و أربعين سنة ، و قدسوا[7] سنة خمسين ، و ليكن رد الأشياء إلى أربابها، و لا تزرعوا أرضكم فى تلك السنة ، و لا تحصدوا ما نبت فيها ، و لا تقطعوا عشبها لأنها سنة الرد، و اتقوا الله لأنى أنا الله ربكم ، احفظوا وصاياى و اعملوا ١٥ [بها-[8]]، و احفظوا أحكامى و اعملوا بها ،/ و اسكنوا أرضكم بالسكون ٥٣٨/ و الطمأنينة لتغل لكم الأرض غلاتها ، و تأكلوا و تشبعوا و تسكنوها مطمئنين ، و إن قلتم : من أين نأكل فى السنة السابعة التى لا نزرع فيها

---

(١) فى ظ : تصف (٢) فى ظ : نسيت (٣) فى ظ : سبيا (٤) من ظ ، و فى الأصل غلاتكم (٥-٥) فى ظ : سبتا لراحة الارض (٦) تكرر فى الأصل ، و سقط من ظ (٧) فى ظ : سد سوا - كذا (٨) زيد من ظ .

فلا تهتموا ! أنا منزل لكم بركاتى فى السادسة ، و تغل[1] لكم أرضكم فى تلك السنة غلة ثلاث سنين، حتى اذا زرعتم فى السنة الثامنة لم تحتاجوا إلى غلتها ، لأنكم تأكلون من السنة السادسة إلى السنة التاسعة ، و أما الأرض فلا تباع بيعا صحيحا أبدا ، لأن الأرض لى، و إنما أنتم سكان ، و حيث ما بيعت الأرض فى ميراثكم فلتخاص[2] و ترد فى سنة الرد ؛ و فيه مما لا يجوز ٥ إطلاقه فى شرعنا نسبة الاستراحة إليه سبحانه ، هذا مع أنه أكد سبحانه العهود عليهم فى التوحيد و حفظ جميع الأحكام فى جميع التوراة على نحو ما تراه فيما أنقله منها فى هذا الكتاب .

فلما بين سبحانه أنه أكد عليهم الميثاق[3]، و أكثر من التقدم فى حفظ العهد ؛ بين أنهم نقضوا، فأعقبهم بسبب ذلك ما هددوا به فى التوراة ١٠ من الخزى و ضرب الذلة مع ما ادخر لهم فى الآخرة فقال: ﴿ فبما ﴾ مؤكدا بادخال 'ما' ﴿ نقضهم ميثاقهم ﴾ أى فعلنا بهم[4] بسبب ذلك جميع ما ذكرنا فى التوراة من الخزى، و قد تقدم كثير منه فى القرآن، و لا يبعد عندى تعليقه بقوله الآتى " حرمنا عليهم طيبات - و اعتدنا " و يكون من الطيبات العز و رغد العيش ، و ذلك جامع لنكد الدارين ، ١٥ و عطف على هذا الأمر العام ما اشتدت به[5] العناية من إفراده عطف الخاص على العام فقال: ﴿ و كفرهم بايٰت الله ﴾ مما جاءهم على لسان محمد صلى الله عليه و سلم و اقتضت حكمته سبحانه أن يكون عظمتها مناسبة لعظمة اسمه

---

(١) فى ظ : يغل (٢) فى ظ : ملحص - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : هم (٥) و استأنفت من هنا نسخة مد .

الأعظم الذى هو مسمى جميع الأسماء، فاستلزم كفرُهم به كفرَهم بما أنزل على موسى عليه الصلاة و السلام لأنه[1] أعظم ما نقضوا فيه و أخص من مطلق النقض ﴿ و قتلهم الانبيآء ﴾ و هو أعظم من مطلق كفرهم، لأن ذلك سد لباب الإيمان عنهم و عن غيرهم، لأن الأنبياء سبب الإيمان ٥ و فى محو[2] السبب [3]محو المسبب[3] .

و لما كان الأنبياء معصومين من كل نقيصة، و مبرئين من كل دنية، لا يتوجه عليهم حق لا يؤدونه؛ قال[4]: ﴿ بغير حق ﴾ أى كبير و لا صغير أصلا . و هذا الحرف - لكونه فى سياق طعنهم فى القرآن الذى هو أعظم الآيات - وقع التعبير فيه بأبلغ مما فى آل عمران الذى ١٠ هو أبلغ مما سبق[5] عليه، لأن هذا مع جمع[6] الكثرة و تنكير الحق عبر فيه بالمصدر المفهم لأن الاجتراء على القتل صار لهم خلقا و صفة راسخة، بخلاف ما مضى، فانه بالمضارع الذى ربما دل على العروض؛ ثم ذكر أعظم من ذلك كله و هو إسنادهم عظائمهم إلى الله تعالى فقال: ﴿ و قولهم قلوبنا غلف[4] ﴾ أى لا ذنب لنا لأن قلوبنا خلقت من أصل الفهم بعيدةً ١٥ عن فهم مثل ما يقول الأنبياء، لكونها فى أغشية، فهى شديدة الصلابة، و ذلك سبب قتلهم و رد قولهم، و هذا بعد أن كانوا يقرون بهذا النبي الكريم، و يشهدون له بالرسالة و بأنه خاتم الأنبياء، و يصفونه

(١) فى ظ : لانهم (٢) فى ظ : لمحو - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) فى مد: فقال (٥) زيد بعده فى الأصل: ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميع .

 بأشهر

بأشهر صفاته، و يترقبون إتبانه، لا جرم رد الله عليهم بقوله عطفا على ما تقديره: و قد كذبوا لأنهم ولدوا على الفطرة كسائر الولدان، فلم تكن[1] قلوبهم في الأصل غلفا: ﴿ بل طبع الله ﴾ أى الذى له معاقد العز و مجامع العظمة ﴿ عليها ﴾ طبعا عارضا[2] ﴿ بكفرهم ﴾ بل[3] إنه خلقها أولا على الفطرة متمكنة من اختيار الخير و الشر، فلما أعرضوا ٥ - بما هيأ قلوبهم له من قبول النقض - عن الخير، و اختاروا[4] الشر باتباع[4] شهواتهم الناشئة من نفوسهم، و ترك[5] ما تدعو إليه عقولهم، طبع سبحانه و تعالى عليها. فجعلها قاسية محجوبة عن رحمته، و لذا[6] سبب عنه قوله: ﴿ فلا يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان / فى وقت من الأوقات الآتية، / ٥٣٩ و يجوز أن يتعلق بما تقديره تتمة لكلامهم: طبع الله عليها فهى لا تعى[7]، ١٠ و تكون "بل" استدراكا للطبع بالكفر[8] وحده، لأنه ربما انضم إليه، و أن يكون أضرب عن قولهم: إنها فى غلف، لكون ما فى الغلاف قد يكون مهيئا لإخراجه من الغلاف[9] إلى الطبع الذى من شأنه الدوام ﴿ الا قليلا ﴾ من الإيمان بأن يؤمنوا وقتا يسيرا[10] كوجه النهار[11] و يكفروا[12] فى غيره، و يؤمنوا[13] ببعض و يكفروا[12] ببعض، أو إلا ١٥ أناسا قليلا منهم - كما كان[14] أسلافهم يؤمنون بما يأتى به موسى عليه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فلم تمكن (٢) فى ظ: عارضى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بلى (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: أكثر بالتباع - كذا (٥) فى ظ: تركوا (٦) فى ظ: كذا (٧) فى ظ: لا تعمى (٨) سقط من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: الطلاق، و فى ظ: الخلاف (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: كبيرا (١١) فى ظ: بالنهار (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تكفروا. (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تومنوا (١٤) من مد، و فى الأصل و ظ: كانوا.

الصلاة و السلام من الآيات . ثم لم يكن بأسرع من كفرهم و تعنتهم بطلب آية أخرى كما[1] هو مذكور في توراتهم[2] التي بين أظهرهم ، و نقلت كثيرا منه في هذا الكتاب ، فقامت الحجة عليهم بأنهم يفرقون بين قدرتهم على الإيمان و قدرتهم على الطيران .

٥ و لما بين كفرانهم بقتل الأنبياء بين كفرهم بالبهتان الذي هو سبب القتل ، و الفتنة أكبر من القتل[3] . فقال معظما له باعادة العامل : ﴿ و بكفرهم ﴾ أي المطلق الذي هو سبب اجترائهم على الكفر بنبي[4] معين[5] كموسى عليه الصلاة و السلام ، و على القذف ، ليكون بعض كفرهم معطوفا على بعض آخر ، و لذلك قال : ﴿ و قولهم على مريم ﴾ أي

١٠ بعد علمهم بما ظهر على يديها من الكرامات الدالة على براءتها [و أنها -[6]] ملازمة للعبادة بأنواع الطاعات[7] ﴿ بهتانا عظيما ﴾ ثم علمهم[8] بما لم ينالوا من[9] قتل أعظم من جاء من أنبيائهم بأعظم ما رأوا من الآيات من بعد موسى و هو[10] عيسى عليهما الصلاة و السلام ، ثم بادعائهم لقتله و صلبه افتخارا به مع شكهم فيه فقال : ﴿ و قولهم انا قتلنا المسيح ﴾

١٥ ثم بينه بقوله : ﴿ عيسى ابن مريم ﴾ ثم تهكموا به بقولهم[11] : ﴿ رسول الله ج ﴾

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : مما (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : توارتهم (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : بين (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : بين (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : الطاعة (٨) في ظ : نهمهم ، و في مد : فهمهم (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : منه (١٠) في ظ : هم (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : قوله .

أى الذى له أنهى العظمة ، لجمعوا بين [1]أنواع من[1] القبائح ، منها التشيع[2] بما لم يعطوا ، و منها أنه على تقدير صدقهم جامع لأكبر الكبائر مطلقا ، و هو الكفر بقتل النبي لكونه نبيا ، و أكبر الكبائر بعده و هو مطلق القتل ، و لم يكفهم ذلك حتى كانوا يصفونه بالرسالة مضافة إلى الاسم الأعظم استهزاء به و بمن أرسله عز اسمه و جلت[3] عظمته ٥ و تعالى كبرياؤه و تمت كلماته و نفذت أوامره ، لكونه لم يمنعه منهم على زعمهم ﴿ و ما ﴾ أى و الحالة أنهم ما[4] ﴿ قتلوه و ما صلبوه ﴾ و إن كثر قائلو ذلك منهم ، و سلمه[5] لهم النصارى ﴿ و لكن ﴾ لما كان المقصود وقوع اللبس عليهم الضار لهم ، لا كونه من معين [قال -[6]]: ﴿ شبه لهم ط ﴾ أى فكانوا[7] فى عزمهم بذلك متشيعين بما لم يعطوا . ١٠

و لما أفهم التشبيه[8] الاختلاف ، فكان التقدير : فاختلفوا بسبب التشبيه فى قتله ، فمنهم من قال : قتلناه جازما ، و منهم من قال : ليس هو المقتول ، و منهم من قال : الظاهر أنه هو ، عطف عليه قوله دالا على شكهم باختلافهم : ﴿ و ان الذين اختلفوا فيه ﴾ أى فى قتله ﴿ لفى شك منه ط ﴾ أى تردد مستوى الطرفين ، كلهم و إن جزم بعضهم ، ثم ١٥ أكد هذا المعنى بقوله : ﴿ ما لهم به ﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ من علم ﴾ .

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) فى ظ : التسبع (٣) فى ظ : جلب .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مسلمة (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : و كانوا .
(٨) فى ظ : المتشبه .

و لما كانوا يكلفون أنفسهم اعتقاد ذلك بالنظر فى شهادته ، فربما قويت عندهم[١] شبهة فصارت أمارة أوجبت لهم[١] ـ لشغفهم[٢] بآمالها ـ ظنا ، ثم اضمحلت فى الحال لكونها لا حقيقة لها ، فعاد الشك وكان أبلغ فى التحير[٣] ؛ قال : ﴿ الا ﴾ أى لكن ﴿ اتباع الظن ج ﴾ أى يكلفون
٥ أنفسهم الارتقاء من درك[٤] الشك إلى رتبة الظن ، و عبر بأداة الاستثناء دون ' لكن ' الموضوعة للانقطاع إشارة إلى أن إدراكهم لما زعموه[٥] من قتله[٦] مع كونه فى الحقيقة شكا يكلفون / أنفسهم جعله ظنا ، ثم يجزمون به ، ثم صار عندهم متواترا قطعيا ، فلا أجهل منهم .

/٥٤٠

و لما[٧] أخبر بشكهم فيه بعد الإخبار بنفيه أعاد ذلك على وجه أبلغ
١٠ فقال : ﴿ و ما قتلوه ﴾ أى انتفى قتلهم له انتفاء ﴿ يقينا لا ﴾ أى انتفاؤه على سبيل القطع ، و يجوز أن يكون حالا من " قتلوه " أى ما فعلوا[٨] القتل متيقنين أنه[٩] عيسى عليه الصلاة و السلام ، بل فعلوه شاكين فيه و الحق أنهم لم يقتلوا[١٠] إلا الرجل الذى ألقى شبهه عليه ، و الوجه الأول أولى لقوله : ﴿ بل رفعه الله ﴾ بما له من العظمة البالغة
١٥ و الحكمة الباهرة ، رفع عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ اليه[١١] ﴾ أى

(١) سقط من ظ (٢) فى مد : لشغلهم (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : السحر .
(٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : درج (٥) فى ظ : زعموا (٦) فى ظ : قبله .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٨) فى ظ : ما نقلوا (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : ان . (١٠) فى ظ : لم يعقلوا .

إلى

إلى مكان لا يصل إليه حكم آدمي، وعن وهب أنه أوحى إليه [ابن -[1]] ثلاثين، ورفع ابن ثلاث و ثلاثين فكانت رسالته [2]ثلاثا و ثلاثين[2] سنة ﴿ و كان الله ﴾ أي الذي له جميع[3] صفات الكمال في كل حال عند قصدهم له و قبله و بعده ﴿ عزيزا ﴾ أي يغلب و لا يغلب ﴿ حكيما ﴾ أي إذا فعل[4] شيئا أتقنه[3] بحيث لا يطمع أحد في نقض شيء منه؛ و ختم[5] الآية بما بين الصفتين يدل على أن المراد ما قررته من استهزائهم، و أنه قصد الرد عليهم، أي أنه قد فعل ما يمنع من استهزائكم، فرفعه إليه بعزته و [5]حفظه بحكمته[5]، و سوف ينزله ببالغ قدرته، فيردكم عن أهوائكم، و يسفك دماءكم، و يبيد خضراءكم، و له في رفعه و إدخاله الشبهة عليكم حكمة تدق عن أفكار أمثالكم.

قصة رفعه عليه الصلاة و السلام من الإنجيل الموجود اليوم بين أظهر النصارى، و هي تتضمن الإنذار بالدجال و الإخبار بنزوله صعيد، و البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم الذي وصفه بالفارقليط و بالأركون، و أن إخبارهم بقتله و صلبه ليس مستندا [إلا -[1]] إلى[6] شك - كما قال الله تعالى، و أحسن ما رد على الإنسان بما يعتقده[7]، قال مترجمهم في إنجيل متى: إنه عليه الصلاة و السلام دخل إلى الهيكل في يروشليم

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) في الأصل و ظ: ثلاث و ثلاثين، و في مد: ثلاث. (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: نقل (٥-٥) من ظ و مد، و في الأصل: حفظة بحكمة (٦) زيد بعده في الأصل: ان، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٧) من ظ و مد، و في الأصل: يعتقد.

- وهي القدس - وجرت بينه وبين الأحبار محاورات كان آخرها[1] أن قال لهم: إني أقول لكم: إنكم لا تروني الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب، ثم خرج من الهيكل، فجاء إليه تلاميذه كي يُروه بناء الهيكل، فأجاب وقال لهم: انظروا هذا كله، الحق أقول لكم: إنه لا يترك هنا

٥ حجر [2]على حجر[2] إلا نقض، ثم جلس على جبل الزيتون - قال مرقس: قدام[3] الهيكل - فجاء إليه تلاميذه قائلين: قل لنا: متى هذا وما علامة مجيئك وانقضاء [الزمان -[4]]؟ فقال لهم: انظروا لا يضلنكم أحد - قال مرقس[5] ولوقا: فان كثيرا يأتون باسمي قائلين: إنما[6] هو المسيح، ويضلون كثيرا - فاذا سمعتم بالحروب وأخبار الحروب انظروا لا تقلقوا،

١٠ فلا بد أن يكون هذا كله[7]، تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، ويكون خوف عظيم واضطراب وجوع ووباء - قال لوقا: وعلامات عظيمة من السماء - وزلازل في أماكن، وكل هذا أول المخاض - وقال مرقس[5]: وهذه بداية الطلق[8]، انظروا أنتم! إنهم يسلمونكم إلى المجامع والمحافل وتضربون - وقال لوقا: وقبل هذا كله يضعون[9] أيديهم عليكم،

١٥ ويطردونكم[10] إلى المجامع والسجون وتقامون أمام الملوك والقواد

---

(١) زيد بعده في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها.
(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد بعده في ظ: اهل (٤) زيد من مد.
(٥) من ظ ومد، وفي الأصل: مرقش (٦) في ظ: انا (٧) سقط من ظ.
(٨) من ظ ومد، وفي الأصل: المطلق - خطأ (٩) من مد، وفي الأصل وظ: تضعون (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: يطردوكم.

شهادة عليهم و على كل الأمم ، ينبغى أولا أن يكرز بالإنجيل ، فاذا
قدّموكم و أسلموكم[1] فلا تهتموا بما تقولون[2] و لا ما ذا تجيبون ، فانكم
تعطون[3] فى تلك الساعة الذى تتكلمون[4] به و لستم المتكلمين ، لكن
روح القدس ؛ قال لوقا: فانى معطيكم فما و حكمة لا يقدر[5] الذين يناصبونكم[6]
يقاومونها[7] و لا[8] الجواب/عنها ، و يسلم[9] الأخ أخاه للموت ، و الأب ابنه، ٥ / ٥٤١
و يثب[10] الأبناء على آبائهم؛ قال متى: حينئذ[11] يسلمونكم إلى الضيق و يقتلونكم،
و تكونون مبغوضين من كل الأمم . و حينئذ يشك كثير[12] ، و يسلم بعضكم
بعضا ، و يبغض بعضكم بعضا ، و يقوم كثير من الأنبياء الكذبة و يضلون
كثيرا ، و بكثرة الأمم تقل المحبة من كثير . و الذى يصبر إلى المنتهى
يخلص ، و يكرز بهذه البشارة فى الملكوت فى جميع المسكونة بشهادة لكل ١٠
الأمم ؛ قال مرقس: فاذا رأيتم فساد الخراب[13] المذكور فى دانيال النبى
قائما حيث لا ينبغى - فليفهم القارئ - حينئذ الذين تهودوا[14] يهربون إلى

(١) فى ظ : اسروكم (٢) فى ظ و مد : يقولون (٣) فى ظ : تقطعون (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : يتكلمون (٥) من مد ، و فى الأصل : لا نقدر ، و فى ظ : لا نقدر (٦) من مد ، و فى الأصل : يناصرتكم ، و فى ظ : يناسونكم - كذا .
(٧) فى الأصل : يتاتونها ، وفى ظ و مد : يقاموها - كذا (٨) سقط من ظ .
(٩) فى ظ : يستلزم (١٠) من مد ، و فى الأصل : يثبت ، وفى ظ : ثبت .
(١١) فى النسخ : صعيد - كذا (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثيرا ، و زيد بعده فى الأصل : الامم تقل المحبة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(١٣) فى ظ : الحروب (١٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : تهودا .

الجليل، و الذى فوق السطح لا يقدر أن ينزل[1] إلى بيته ليأخذ شيئا ، و الويل للحبالى و المرضعات فى تلك الأيام ؛ و قال لوقا : و حينئذ الذين فى اليهودية يهربون إلى الجبال، و الذين فى وسطها يفرون خارجا، و الذين فى الكورة لا يدخلونها، لأن هذه هى أيام الانتقام لكى[2] يتم كل ما هو ٥ مكتوب، يكون على الأرض ضر و شدة عظيمة ، و سخط على هذا الشعب، و يقعون فى فم السيف، و يسبون[3] فى كل الأمم . و يكون يروشليم موطى الأمم حتى يكمل الزمان ، و تكون[4] علامات فى الشمس و القمر و النجوم ، و تخرج[5] نفوس أناس من الخوف؛ و قال متى: و حينئذ يأتى الانفصال ، ثم قال: سيكون ضيق عظيم ـ قال مرقس: تلك الأيام ـ لم يكن مثله ١٠ فى أول العالم حتى الآن و لا يكون ، و لو لا أن تلك الأيام [قصرت لم يخلص ذو جسد ـ و قال مرقس : فلولا أن الرب أقصر تلك الأيام ـ[6]] لم يحى ذو جسد ـ لكن لأجل المتحببين قصرت[7] تلك الأيام ، فان قال لكم أحد : إن المسيح ههنا فلا تصدقوا ، فسيقوم مسيحو كذب و أنبياء كذبة ، و يعطون علامات عظاما و آيات. و يضلون المختارين إن قدروا[8] ، ١٥ هو ذا قد تقدمت و أخبرتكم ، فان قالوا لكم: إنه فى البرية ، فلا تخرجوا ، أو فى المخادع ، فلا تصدقوا ، و كما أن البرق يخرج من المشرق فيظهر فى المغرب ، كذلك يكون حضور ابن البشر ، لأنه حيث تكون[9] الجثة

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : يترك (٢) من مد ، و فى الأصل وظ : لكن . (٣) فى ظ : يسنون (٤) فى ظ : يكون (٥) فى الأصول : يخرج (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد (٧) فى ظ : تصرب (٨) فى ظ ومد: قد مروا (٩) من مد ، وفى الأصل وظ : يكون .

تجتمع

تجتمع النسور و تلوف[1] . بعد ضيق تلك[2] الأيام تظلم الشمس، و القمر لا يعطي[3] ضوءه، و الكواكب تتساقط من السماء، و قوات ترتج . و حينئذ تظهر علامات ابن الإنسان في السماء ، و تنوح كل قبائل الأرض ، و ترون ابن الإنسان آتيا[4] في سحاب السماء مع قوات و مجد كثير ، و يرسل الملائكة مع صوت الناقور[5] العظيم ، و يجمع مختاريه من الأربعة ٥ الأرياح من أقصى السماوات - و قال مرقس : من أطراف الأرض إلى أطراف السماء - فمن شجرة التينة[6] - و قال لوقا : و من كل الأشجار - تعلمون[7] المثل ، إذا لانت أغصانها و فرعت أوراقها[8] علمتم أن الصيف قد دنا . كذلك[9] أنتم إذا رأيتم هذا كله علمتم أنه قد قرب على الأبواب ، الحق أقول لكم ! إن هذا الجيل لا يزول حتى يتم هذا كله ، و[10] الأرض ١٠ و السماء[10] تزولان و كلامي[11] لا يزول ، لأجل ذلك اليوم و تلك الساعة لا يعرفها أحد و لا ملائكة السماوات - و قال مرقس : و لا الابن - إلا الأب[12] وحده ؛ و قال لوقا : سأله الفريسيون : متى يأتي ملكوت الله ؟ [13]فقال : ليس يأتي ملكوت الله[13] برصد و لا يقولون : هو ذا[14] ههنا

(١) في الأصول : تلوف - كذا (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : ذلك (٣) في ظ : لا يعطن (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : ايا - كذا (٥) في الأصل : الساقور ، و في ظ و مد : الشاقور - كذا ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل . (٦) في ظ : التنبيه ، و في مد : العنب - كذا (٧) من مد ، و في الأصل : يعلمون ، و في ظ : تعلمون (٨) في الأصول : ورقها (٩) في ظ : لذلك (١٠-١٠) في ظ : السماء و الارض (١١) في الأصول : كل من ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل . (١٢) في ظ : الرب (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٤) زيد بعده في الأصول : هي .

أو هناك ! ها هو ذا ملكوت الله ؛ ثم قال لتلاميذه : ستأتى أيام تشتهون[1]
أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان و لا ترون ، فان قالوا لكم :
هو ذا ههنا أو هناك ، فلا تذهبوا و لا تسرعوا ، لأنه كمثل البرق الذى
يضيء فى السماء فيضيء تحت السماء ، كذلك تكون أيام ابن البشر -
٥٤٢/ ٥ انتهى ، و كما كان فى أيام نوح عليه الصلاة / و السلام كذلك يكون
استعلاء ابن الإنسان ، لأنه كما كانوا قبل أيام الطوفان يأكلون و يشربون
و يتزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح إلى السفينة ، و لم يعلموا حتى
جاء الطوفان فأدرك جميعهم ، كذلك يكون حضور ابن الإنسان ؛
و قال لوقا : و مثل ما كان فى أيام لوط يأكلون و يشربون و يبيعون
١٠ و يشترون و يغرسون[2] و يبنون إلى اليوم الذى خرج فيه لوط من سدوم ،
و أمطر من السماء نارا و كبريتا ، و أهلك جميعهم ، كذلك[3] فى اليوم
الذى يظهر[4] فيه ابن الإنسان ، و فى ذلك اليوم من كان فى السطح
و آلته فى البيت لا ينزل [كى -[5]] يأخذها ، و من كان فى الحقل أيضا
لا يرجع هكذا إلى ورائه . انظروا إلى امرأة لوط ، من أراد أن يحيى
١٥ نفسها فليهلكها ، [و من أهلكها -[6]] أحياها ، أقول لكم : إن فى هذه
الليلة - و قال متى : حينئذ - يكون اثنان فى الحقل ، يؤخذ واحد ، و يترك
الآخر[7] ، و اثنتان تطحنان على رحى واحدة ، تؤخذ الواحدة ، و تترك

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يشتهون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لذلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تظهر (٥) زدناه و لا بد منه (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : الاخرى ، و العبارة من بعده إلى « تترك الاخرى » ساقطة منه .

الآخرى، و قال مرقس: فانظرو و اسهروا و صلوا، لأنكم لا تعلمون متى يكون الزمان! اسهروا فانكم[١] لا تعلمون متى[٢] يأتى رب البيت ليلا! يأتى بغتة فيجدكم نياما، و الذى أقول[٣] لكم أقوله للجميع، اسهروا[٤]! قال لوقا: فى كل حين، و تضرعوا لكى تقووا على[٥] الهرب[٦] فى هذه الأمور الكائنة كلها، و تقفوا قدام ابن الإنسان، و قال متى: فاسهروا ٥ لأنكم لا تعلمون فى أى ساعة يأتى ربكم، و أعلموا أنه لو علم رب البيت فى أى هجعة يأتى السارق لسهر و لم يدع بيته ينقب، كذلك كونوا[٧] مستعدين لأن ابن الإنسان يأتى ساعة لا تظنونها، من ترى هو العبد الأمين الحليم الذى يقيمه سيده على بيته ليعطيهم[٨] الطعام فى حينه[٩]! طوبى لذلك العبد، يأتى سيده فيجده يعمل هكذا، الحق أقول لكم! ١٠ إنه يقيمه على جميع ماله، فان قال ذلك العبد الردىء فى قلبه: إن سيدى يبطئ[١٠]، فيبدأ يأكل و يشرب مع المسكرين، فيأتى سيده فى يوم لا يظنه و ساعة لا يعرفها، فيجعل نصيبه مع المرائين[١١]، هناك يكون [البكاء-[١٢]] [١٣]و صرير[١٣] الأسنان[١٤]. يشبه ملكوت السماوات عشرةَ عذارى أخذن

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: فما لكم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من.
(٣) فى ظ: اقوله (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: استهروا -كذا (٥) فى مد: من.
(٦) فى ظ: المقرب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كانوا (٨) فى ظ: ليطعمهم.
(٩) فى ظ: حبه (١٠) فى ظ: يبطن - كذا (١١) من مد، و فى الأصل: المراهين، و فى ظ: المرادين -كذا (١٢) زدناه من نص الإنجيل (١٣-١٣) فى ظ: تصوير (١٤) فى الأصول: الإنسان، و مبنى التصحيح نص الإنجيل.

مصابيحهن و خرجن للقاء العريس ، خمس منهن جاهلات ، و خمس حليمات ، فأما الجاهلات فأخذن مصابيحهن و لم يأخذن زيتا ، و أما الحليمات فأخذن زيتا فى إناء مع مصابيحهن ، فلما أبطأ العريس نعسن كلهن و نمن ، و انتصف الليل فصرخ : هذا العريس قد أقبل[1] ، اخرجن للقائه ! حينئذ
٥ قام جميع العذارى و زين مصابيحهن ، فقال الجاهلات للحليمات : أعطيننا من زيتكن[2] ، فان مصابيحنا قد طفئت ! فقلن : ليس معنا ما يكفينا و إياكن ، فاذهبن إلى الباعة و ابتعن لكنّ ، فلما ذهبن ليبتعن جاء العريس ، فالمستعدات ذهبن معه و أغلق ، فجاء بقية العذارى قائلات : يا رب ! افتح لنا ، فأجاب و قال : الحق أقول لكنّ ! إنى لا أعرفكن ؛
١٠ اسهروا الآن فانكم لا تعرفون ذلك اليوم و لا تلك الساعة ، كمثل إنسان أراد السفر ، فدعا[3] عبيدا له فأعطاهم ماله ، فأعطى خمس وزنات لواحد[4] ، و وزنتين للآخر ، و واحدا وزنة ، كل منهم على قدر قوته ، و سافر للوقت ، فمضى الذى أخذ الخمس فاتجر فيها ، فربح خمس وزنات أخرى [و هكذا الذى أخذ الوزنتين ربح فيها وزنتين أخريين ، و أما
١٥ الذى أخذ الوزنة فمضى و حفر فى الأرض و دفن حصة سيده ، و بعد زمان كثير جاء سيد هؤلاء فحاسبهم ، فجاء الذى أخذ الخمس وزنات فأعطى خمس[5] وزنات أخرى - [6]] قائلا : [يا - [6]] رب ! خمس وزنات أعطيتنى ، و هذه خمس وزنات أخرى ربحتها ، قال له سيده - قال لوقا : - :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقبلن (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : زيتتكن (٣) فى ظ : فاراد (٤) فى ظ : بواحد (٥) من مد ، و فى ظ : بخمس . (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

حبذا

حبذا[1] أيها العبد الصالح! ألفيت أمينا على القليل، وقال متى: نعم يا عبد صالح أمين! وجدت فى القليل أمينا، أنا أقيمك على الكثير أمينا، ادخل إلى فرح سيدك، وجاء الذى أخذ الوزنتين فقال[2]: يا سيد! وزنتين دفعت إلىّ، وهذان وزنتان / أخريان ربحتها، فقال [له - [3]] سيده: / ٥٤٣
نعم يا عبد صالح أمين! وجدت فى القليل [أمينا - [4]]، أنا أقيمك على ٥
الكثير، ادخل إلى فرح سيدك، فجاء الغير مصيب الذى أخذ الوزنة فقال: يا سيد! عرفت أنك إنسان شديد، تحصد ما لم تزرع، وتجمع من حيث لا تبذر، خفت ومضيت فدفنت مالك فى الأرض، هذا مالك، فأجاب سيده وقال: أيها العبد الشرير[5] الكسلان! علمت أنى أحصد من حيث لا أزرع[6]، وأجمع من حيث لا أبذر[7]، كان ينبغى لك ١٠
أن تجعل حصتى[8] على مائدة، فأنا[9] آتى وآخذه إلىّ مع[10] أرباحه، خذوا منه الوزنة، وأعطوها للذى له عشر وزنات، لأن من له[11] يعطى ويزاد، والذى ليس له يؤخذ منه ما معه، والعبد الشرير الغير نافع ألقوه فى الظلمة القصياء، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان[12]؛ إذا جاء ابن الإنسان فى مجده، وجميع الملائكة المقدسين معه، حينئذ يجلس على ١٥

---

(١) فى الأصل: حبد، وفى ظ: حبد، ولا يتضح فى مد (٢) فى ظ: وقال.
(٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من الإنجيل (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الشديد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لا زرع (٧) من مد، وفى الأصل وظ: لا بذر (٨) من ظ، وفى الأصل: تصتى، وفى مد: تضيتى (٩) فى ظ: وانما (١٠) من ظ ومد. وفى الأصل: ما (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ: الانسان.

كرسي مجده، و يجمع إليه كل الأمم، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، و يقيم الخراف عن يمينه و الجداء عن شماله، حينئذ يقول الملك للذين[1] عن يمينه: تعالوا[2] يا مباركي أبي! رثوا[3] الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم، جعت فأطعمتموني[4]، و عطشت فسقيتموني، و غريبا

٥ كنت فآويتموني، و عريانا فكسوتموني[5]، و مريضا فعدتموني، و محبوسا فأتيتم إلي، حينئذ يجيب الصديقون و يقولون: يا رب! متى رأيناك جائعا فأطعمناك؟ أو عطشانا فسقيناك؟ و متى رأيناك[6] [7]غريبا فآويناك؟[7] أو عريانا فكسوناك؟ [أو مريضا -[8]] أو محبوسا فأتينا إليك؟ [9]فيجيب الملك[9] و يقول: الحق أقول لكم! الذي فعلتموه بأحد هؤلاء الحقيرين

١٠ في[10] فعلتم، حينئذ يقول للذين عن يساره: اذهبوا[11] عني يا ملاعين إلى النار المؤبدة المعدة لإبليس و جنوده، جعت فلم تطعموني - إلى آخره، فيذهب[12] هؤلاء إلى العذاب الدائم، و الصديقون إلى الحياة الأبدية.

و لما أكمل يسوع هذا الكلام كله قال لتلاميذه: علمتم أن بعد يومين يكون الفسح - و قال مرقس: وكان الفسح و الفطير [بعد -[13]]

١٥ يومين - و اجتمع رؤساء الكيسر و الكهنة و مشايخ الشعب في دار رئيس الكهنة الذي يقال له قيافا، فتشاوروا على يسوع ليمسكوه - قال

(١) في ظ: الذي (٢) في ظ: تعالى (٣) في ظ: رفيق - كذا (٤) في ظ: فاطعموني (٥) من مد، وفي الأصل و ظ: فكسيتموني (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: اويناك (٧ - ٧) تأخر ما بين الرقمين في ظ عن «فكسوناك» (٨) زيد من ظ، و زيد بعده أيضا: فعدتموني (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ. (١٠) في ظ: فيما (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ: فذهب (١٣) زيد من ظ ومد.

مرقس: بمكر - و يقتلوه، و قالوا: ليس فى العيد لئلا يكون[1] شجن؛ و قال مرقس: شغب[2] فى الشعب؛ و قال يوحنا: فجمع عظماء[3] الكهنة و الفريسيين[4] محفلا و قالوا: ما ذا نصنع إذا كان هذا الرجل يعمل آيات كثيرة، و إن تركناه هكذا فسيؤمن[5] به جميع الناس، و تأتى[6] الروم فتغلب[7] على أمتنا، و إن واحدا منهم اسمه قيافا[8] كان رئيس ٥ الكهنة فقال: إنه خير لنا أن يموت رجل واحد عن الشعب من أن تهلك الأمة كلها، لأن يسوع كان مزمعا أن يجمع أبناء الله المتفرقين[9] إلى واحد؛ و فى تلك الساعة تشاوروا على قتله، فأما يسوع فلم يكن يمشى بين اليهود علانية، و لكنه انطلق من هناك إلى البرية إلى كورة تسمى مدينة أفريم، و كان يتردد هناك مع تلاميذه، و كان عيد فسح ١٠ اليهود قد قرب، فصعد كثير من القرى إلى يروشليم قبل الفسح ليطهروا أنفسهم، فطلب[10] اليهود يسوع، وكانوا أمروا إن علم إنسان مكانه أن يدلهم عليه، و إن يسوع قبل ستة أيام من الفسح قصد[11] إلى بيت عنيا حيث كان لعازر[12] الميت الذى أقامه يسوع[13]، فصنعوا له هناك وليمة، و جعلت

---

(١) سقط من ظ (٢) من مد، و فى الأصل وظ: يشعب - كذا (٣) فى ظ: عطا - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الفريقين (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: سيومن (٦) فى ظ: ياتى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: نيعلت - كذا (٨) من مد، و فى الأصل: قنافا، و فى ظ: قافا (٩) فى ظ: المتقدمين. (١٠) فى ظ: فيطلب (١١) فى ظ: صعد (١٢) فى الأصول: العازر، والتصحيح من الإنجيل (١٣) أى من بين الأموات - كما فى الإنجيل.

مرتا[1] تخدم[2]، و علم [جمع - ٣] كثير[4] من اليهود فجاؤا إليه، و[5] لينظروا إلى لعازر[6] الذى أقامه من بين الأموات، و تشاور عظماء الكهنة أن يقتلوا لعازر[6]، لأن /كثيرا من اليهود من أجله كانوا يؤمنون بيسوع، ٥٤٤/ و كان الجمع الذين معه يشهد له أنه دعا لعازر[6] من القبر و أقامه، ٥ و من الغد سمعوا أن يسوع يأتى إلى يروشليم، فخرجوا للقائه[7] يصرخون: مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل ! و وجد يسوع حمارا فركبه - كما هو مكتوب: لا تخافى يا بنت صيون[8]! [9] هو ذا[9] ملكك يأتيك راكبا على جحش - ابن أتان - ثم قال: و قال يسوع: قد قربت الساعة التى يمجد[10] فيها ابن البشر، الحق الحق[7] أقول لكم! إن حبة الحنطة ١٠ إن لم تقع[11] فى الأرض و تَمُتْ بقيت وحدها، و إن هى ماتت [أتت[3]] بثمار كثيرة، من أحب نفسه[12] فليهلكها، و من أبغض نفسه فى هذا العالم فانه يحفظها لحياة الأبد، و قال: يا رباه! مجد[13] اسمك، فجاء صوت من السماء: قد مجدتُ و أيضا أمجد، فسمع الجمع الذى كان واقفا فقال بعضهم: إنما[14] كان رعدا، و قال آخرون: إن ملاكا كلمه، ١٥ قال يسوع: ليس من أجلى كان هذا الصوت، و لكن من أجلكم،

(١) من الإنجيل، و فى الأصل و مد: مريا، و فى ظ: مزمـا - كذا (٢) فى ظ: يخدمهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ و مد: كبير (٥) سقطت الواو من ظ (٦) من الإنجيل، و فى الأصول: العازر (٧) سقط من ظ (٨) من الإنجيل، و فى الأصول: مهيون (٩ - ٩) فى ظ: هذا (١٠) فى ظ: يحمد. (١١) فى الأصول: لم تقطع، ومبنى التصحيح نص الإنجيل (١٢) فى ظ: نفسها. (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: محمد (١٤) فى ظ: انه.

قد حضر الآن دينونة هذا العالم، الآن[1] يلق رئيس هذا العالم إلى خارج، و أنا إذا ارتفعت من الأرض جبيت[2] إلىّ كل واحد، فأجاب الجمع: نحن سمعنا فى الناموس أن المسيح يدوم إلى الأبد، فكيف تقول أنت: يرتفع[3] ابن البشر، فقال لهم يسوع: إن النور معكم زمانا يسيرا، فسيروا ما دام لكم النور[4] لئلا يدركم الظلام، إن الذى يمشى فى الظلام ليس ٥ يدرى أين يتوجه، فما دام لكم النور آمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور؛ تكلم يسوع بهذا ثم مضى و توارى عنهم، و قال: يا بنى! أنا معكم زمانا قليلا، و تطلبونى فلا تجدونى، و كما قلت لليهود: إن الموضع الذى أمضى إليه أنا، لستم تقدرون على المضى إليه، قال يوحنا فى محاورته لليهود فى الهيكل: قال يسوع: أنا أمضى و تطلبونى و تموتون بخطاياكم، و حيث[5] ١٠ أنا أذهب لستم تقدرون على إتيانه، فقال اليهود: لعله يريد أن يقتل نفسه، فقال لهم: أنتم[6] من أسفل، و أنا من فوق، أنتم من هذا العالم، و أما أنا فلست من هذا العالم، قد أخبرتكم أنكم تموتون بخطاياكم، فقالوا له: أنت من أنت؟ ثم قال: و قالوا له: إن أبانا هو إبراهيم، قال: لو كنتم بنى إبراهيم كنتم تعملون أعمال إبراهيم، لكنكم[7] تريدون ١٥ قتل إنسان كلمكم بالحق الذى سمعه من الله تعالى، و لم يفعل إبراهيم هذا، أنتم تعملون أعمال أبيكم؟ فقالوا[8]: أما نحن فلسنا مولودين من زنا؛

(١) فى ظ: لان (٢) من مد، أى جمعت، و فى الأصل و ظ: جيت - كذا.
(٣) فى ظ: ترتفع (٤) فى ظ: اليوم (٥) فى ظ: احب (٦) فى ظ: انت (٧) فى ظ: لكن (٨) سقط من ظ.

فقال لهم: أنتم من أبيكم إبليس، و شهوة أبيكم تهوون إن لم تعملوا ذلك، الذي هو من البدء[1] قتّال الناس و لم يلبث[2] على الحق لأنه ليس فيه حق، و إذا ما تكلم بالكذب فانما يتكلم بما هو له، [3]و أما أنا [3]فأتكلم بالحق و لستم تؤمنون بي، من منكم يوبخني[4] على خطيئة - انتهى، و أقول لكم الآن أن يحب بعضكم بعضا كما أحببتكم، فبهذا[5] يعرف كل أحد أنكم تلاميذي[6]، وقال يسوع: من يؤمن بي ليس من يؤمن بي فقط، بل و بالذي أرسلني، و من رآني فقد رأى الذي أرسلني، أنا جئت نور العالم لكي ينجو كل من يؤمن بي [من الظلام، و من يسمع كلامي و لا يؤمن بي -[7]] أنا لا أدينه، لأني[8] لم آت لأدين العالم، بل[9] لأحيي العالم، من جحدني و لم يقبل كلامي فان له من يدينه[10]، الكلمة التي نطقت بها هي[11] تدينه في اليوم الآخر، لأني[8] لم أتكلم من نفسي، لأن الرب الذي أرسلني هو أعطاني الوصية، ثم قال: الحق الحق أقول لكم! من يؤمن بي يعمل الأعمال التي أعملها، و أفضل منها يصنع، إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، و أنا أطلب من الأب يعطيكم فارقليط[12] آخر ليثبت[13] معكم إلى الأبد - روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه، لأنهم لم يروه و لم يعرفوه، و أنتم تعرفونه، لأنه مقيم عندكم و هو فيكم، لست أدعكم يتامى[14] لأني سوف[15] أجيئكم عن قليل، من يحبني يحفظ كلمتي، و من لا يحبني ليس يحفظ كلامي، الكلمة التي تسمعونها

(١) في ظ: البدة (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: لم سبب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في ظ: يريحي (٥) في ظ: بهذا (٦) في ظ: تلاميذه (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) في ظ: انى (٩) في ظ: بان (١٠) في ظ: يزينه (١١) في ظ: من (١٢) وقع في ظ: فاد غليط - خطأ (١٣) من ظ و مد، و في الأصل: يثبت (١٤) في ظ: مالي - كذا (١٥) في ظ: يعوق.

ليست لى ، بل للرب الذى أرسلنى ، / كلمتكم بهذا لأنى عندكم مقيم، و الفارقليط /٥٤٥
روح القدس الذى يرسله ربى باسمى هو يعلمكم كل شىء ، و هو يذكركم
كل ما قلت لكم ، السلام استودعتكم ، سلامى خاصة[١] أعطيكم ، لا تقلق
قلوبكم و لا تجزع ، قد سمعتم[٢] أنى قلت لكم : إنى منطلق و عائد إليكم ،
لو كنتم تحبونى لكنتم تفرحون بمضيّى إلى الرب ، لأن الرب أعظم منى ، ٥
و ها قد قلت لكم قبل أن يكون[٣] حتى إذا كان[٤] تؤمنون ، و لست
أكلمكم كثيرا لأن أركون العالم يأتى و ليس له فىّ شىء ، و لكن ليعلم العالم
أنى أحب الرب ، و كما أوصانى الرب كذلك أفعل ، أنا هو الكرمة[٥]
الحقيقية[٦] و ربى الغارس ، كل غصن لا يأتى بثمار ينزعه ، و الذى يأتى
بثمار ينقيه[٧] ليأتى بثمار كثيرة ، أنتم لتيامن هذا الكلام الذى كلمتكم به اثبتوا ١٠
فىّ و أنا فيكم ، كما أن الغصن لا يطيق أن يأتى بالثمار من عنده إن
لم يثبت فى الكرمة[٨] ، كذلك أنتم [٩]إن لم تثبتوا[٩] فىّ ، أنا هو الكرمة و أنتم
الأغصان ، من ثبت فىّ و أنا فيه يأتى بثمار كثيرة ، و بغيرى لستم[١٠]
تقدرون تعملون شيئا ، فان لم يثبت أحد فىّ طرح خارجا مثل الغصن
الذى يجنى فيأخذونه و يطرحونه فى النار فيحترق ، و إن[١١] أنتم ثبتم فىّ ١٥
و ثبت كلامى[١٢] فيكم كان لكم كل ما تريدونه ، و بهذا يمجد ربى بأن تأتوا

---

(١) فى ظ : خاصته (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سمعت (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تكون (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : خان (٥) فى ظ : الكرامة .
(٦) فى الأصول : الحقيقة (٧) فى ظ : سعيه - كذا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : الكرامة (٩ - ٩) فى ظ : تنبتوا - كذا (١٠) فى ظ : لم (١١) سقط من ظ .
(١٢) فى ظ : كلاهم - كذا .

بثمار كثيرة، و أنتم أحبابى إن عملتم كل ما وصيتكم به، إنما وصيتكم بهذا لكى يحب بعضكم بعضا، فان كان[1] العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى[2] قبلكم، لو كنتم من العالم كان العالم يحب من هو منه، لكنكم لستم من العالم، بل اخترتكم من العالم، من أجل هذا يبغضكم العالم، لو لم آت و أكلمهم[3]
٥ لم يكن لهم خطيئة[4]، و الآن ليس لهم حجة فى خطيئتهم، لو لم أعمل أعمالا لم يعملها أحد[5] لم يكن لهم خطيئة، لتتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى باطلا، إذا جاء[6] الفارقليط الذى أرسله إليكم - روح[7] الحق الذى من الرب بسق[8] - هو يشهد و أنتم تشهدون، لأنكم معى صفوة، كلمتكم بهذا لكيلا تشكوا، فانهم سوف يخرجونكم[9] من مجامعهم، و لم أخبركم
١٠ بهذا من قبل لأنى [كنت - [10]] معكم، و الآن فانى منطلق إلى من أرسلنى، أقول لكم الحق! إنه خير لكم أن أنطلق، لأنى [إن - [11]] لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فاذا انطلقت أرسلته إليكم، فاذا جاء ذاك فهو موبخ العالم على الخطيئة، و إن لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم، و[12] لكنكم لستم تطيقون حمله الآن، و إذا جاء روح الحق ذاك فهو يرشدكم إلى جميع الحق،
١٥ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع، و يخبركم بما يأتى، و هو

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بغضنى (٣) من نص الإنجيل، و فى الأصول : اكلمكم (٤) من مد، و فى الأصل : احطيته، وفى ظ : خطيه - كذا (٥) من نص الإنجيل . وفى الأصل : ولو، وفى ظ و مد : لو - كذا (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : جاءهم (٧) زيد فى ظ : القدس (٨) فى ظ : سى - كذا (٩) فى ظ : يخرجنكم (١٠) زيد من نص الإنجيل (١١) زيد من ظ و مد (١٢) سقطت الواو من ظ .

مجدنى لأنه يأخذ مما هو لى و يخبركم، قليلا ولا ترونني[1]، و قليلا و ترونني،
قالوا: ما هذا القليل[2] الذى يقول؟ فقال لهم: أ فى هذا براطن[3] بعضكم بعضا،
الحق أقول لكم! إنكم تبكون و تنوحون و العالم يفرح، و أنتم تحزنون
لكن حزنكم يؤل إلى فرح[4]. كالمرأة إذا حضر ولادها تحزن لأن قد جاءت
ساعتها، فاذا ولدت ابنا لم تذكر الشدة من أجل الفرح، لأنها ولدت ٥
إنسانا فى العالم؛ تكلم يسوع بهذا و رفع عينيه إلى السماء و قال: يا رب!
قد حضرت الساعة فمجد عبدك ليمجدك[5] عبدك، كما أعطيته السلطان على
كل ذى جسد، ليعطى كل من أعطيته حياة الأبد، و هذه هى حياة الأبد
أن يعرفوك[6] أنك [أنت - [7]] إله الحق وحدك[8]، و الذى أرسلته يسوع
المسيح، أنا قد مجدتك على الأرض، ذلك العمل الذى أعطيتنى لأصنعه ١٠
قد أكملت، و الآن مجدنى أنت يا رباه بالمجد الذى عندك، قد أظهرت اسمك
للناس، الآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك، و علموا حقا أنى[9]
من عندك أتيت، و آمنوا أنك أرسلتنى، و أنا أجىء إليك أيها الرب القدوس!
احفظهم باسمك الذى أعطيتنى كى يكونوا واحدا كما نحن، إذ كنت معهم
فى العالم أنا كنت أحفظهم باسمك، ليس أسئل أن تنزعهم من العالم، ١٥
بل أن تحفظهم من الشرير، لأنهم ليسوا من العالم، كما أنى لست من العالم،
قدسهم بحقك فان[10] كلمتك خاصة هى[11] الحق، كما أرسلتنى إلى العالم

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: لا ترونى (٢) فى ظ: القيل (٣) أى يكلم بالأعجمية، وفى ظ: تراطن - كذا (٤) فى ظ: الفرح (٥) فى ظ: ليمجدك (٦) فى ظ: يعرفونك.
(٧) زيد من ظ ومد (٨) فى ظ: وحده (٩) فى ظ: انى (١٠) من ظ ومد، و وقع فى الأصل: فا - كذا مقطوعا (١١) فى ظ: من.

أرسلتهم أنا أيضا إلى العالم، و لست أسئل فى هؤلاء فقط، بل و فى الذين يؤمنون[1] بى بقولهم، ليكونوا بأجمعهم واحدا، كما أنك يا رباه فىّ و أنا فيك ليكونوا أيضا فينا واحدا، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى؛ قال يسوع هذا و خرج مع تلاميذه إلى عين عمرة[2] وادى الأرز، وكان ٥ هناك بستان، دخله هو و تلاميذه، و كان يهودا[3] الذى أسلمه[4] يعرف ذلك المكان، لأن يسوع كان[5] يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا[6]، و قبل عيد الفسح كان يسوع يعلم أن قد حضرت الساعة التى[7] ينتقل فيها من هذا العالم. فلما حضر العشاء خامر الشيطانُ قلبَ يهودا شمعون[8] الإسخريطى لكى يسلمه، فقام يسوع عن العشاء و ترك ثيابه [و ائتزر-[9]] ١٠ وسطه بمنديل، و بدأ يغسل أقدام التلامذة و ينشفها بمنديل كان مؤتزرا به، فلما انتهى إلى شمعون الصفا قال له: أنت يا سيدى تغسل لى قدمى؟ فقال يسوع: [إن الذى أصنعه لست تعرفه الآن، و لكنك ستعرفه فيما بعده، قال له شمعون الصفا: إنك لست[10] غاسلا لى قدمى الآن، قال له يسوع -[11]]: إن أنا لم أغسلهما فليس لك معى نصيب، قال شمعون: ١٥ يا سيدى! ليس تغسل لى قدمى فقط، بل و يدى و رأسى، قال له يسوع:

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يومنون (٢) فى ظ: عمره (٣) من ظ ومد، و فى الأصل: يهود (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: ارسله (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كما (٦) من ظ، و فى الأصل و مد: كثير (٧) فى ظ: الذى. (٨) فى النسخ: سمعان، و التصحيح من الإنجيل (٩) زيد من نص الإنجيل. (١٠) من مد، و ليس فى ظ (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

إن الذى يطهر لا[1] يحتاج إلا إلى غسل قدميه؛ فلما غسل أرجلهم تناول ثيابه و اتكأ و قال لهم: تعلمون ما صنعت بكم؟ أنتم تدعوننى معلما و ربا، و ما أحسن ما تقولون[2]! فاذا كنت أنا معلمكم و ربكم قد غسلت أقدامكم فأنتم[3] أحرى أن يغسل بعضكم أرجل بعض، و الحق أقول لكم! ليس عبد أعظم [4]من سيده، و لا رسول أعظم[4] ممن أرسله، ٥ و قال: الحق الحق أقول لكم! إن واحدا منكم يسلمنى؛ و قال متى: و لما كان يسوع فى بيت عنيا[5] فى بيت شمعون[6] الأبرص جاءت امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن، فأفاضته على رأسه و هو متكئ، حينئذ مضى أحد الاثنى عشر - أى الحواريين الذين سيذكرون فى المائدة و الأنعام بأسمائهم - و هو الذى يقال له يهودا [[7]- الإسخريطى إلى رؤساء الكهنة ١٠ و قال لهم: ما ذا تعطونى حتى أسلمه إليكم؟ فأقاموا له ثلاثين من الفضة، و من ذلك الوقت جعل يطلب فرصة ليسلمه، و فى أول يوم الفطير - قال مرقس: لما ذبحوا الفسح - قال له تلاميذه: أين تريد حتى نستعد لتأكل الفسح؟ فقال: اذهبوا إلى المدينة إلى فلان و قولوا له: المعلم يقول: زمانى قد اقترب، و عندك أصنع الفسح مع تلاميذى، ففعل التلاميذ كما أمرهم ١٥ يسوع و أعدوا الفسح، و قال لوقا: و كان فى النهار يعلم فى الهيكل، و يخرج فى الليل ليستريح فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون، و كان جميع الشعب يدلجون إليه ليسمعوا منه، و كان لما قرب عيد الفطير المسمى بالفسح

---

(١) فى ظ: ليس (٢) فى ظ: يقولون (٣) فى ظ: فكنتم انتم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: عبدها (٦) من الإنجيل، و فى النسخ: شمعان. (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

تطلّب الكهنة كيف يهلكونه، وكانوا يخافون من الشعب، فدخل الشيطان
في يهودا] الذي يدعى الإسخريطي الذي كان من الاثنى عشر، فمضى
وكلم رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم، ففرحوا وعدوه، و كان يطلب فرصة
ليسلمه إليهم مفردا عن الجمع، فجاء يوم الفطير الذي يذبح فيه الفسح، فأرسل
٥ بطرس و يوحنا و قال: امضيا و أعدا لنا الفسح، [ثم قال: فانطلقا و أعدا
الفسح -[1]]، و لما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر تلميذا، قال: فقال لهم:
شهوة اشتهيت أن آكل معكم الفسح، [2]فاني أقول لكم: إني أيضا
لا آكل منه حتى يتم في ملكوت الله؛ و قال متى[2]: و فيما هم يأكلون قال: الحق
أقول لكم! إن واحدا منكم يسلمني، فحزنوا جدا، و شرع كل واحد منهم
١٠ يقول: لعلي أنا هو؛ و قال يوحنا: [3]و قال[3]: الحق الحق أقول لكم! إن واحدا
منكم يسلمني، فنظر التلاميذ بعضهم [إلى بعض -[1]]، و كان واحد[4] من
تلاميذه متكئا في حضن يسوع، و هو الذي كان يسوع يحبه، فأومأ
شمعون[5] الصفا إليه أن يعلمه مَن الذي قال لأجله؛ فوقع ذلك التلميذ على
صدر يسوع و قال له: يا سيدي! من هذا؟ فقال يسوع: هو الذي أبلّ خبزا
١٥ و أناوله، فبلّ خبزا و دفعه إلى شمعون[5] الإسخريوطي؛ و قال متى: فقال:
الذي يجعل يده معي في الصحفة هو يسلمني، و ابن الإنسان ماض كما كتب

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين في الأصل
قبل « و لما كان المساء اتكأ » (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ
ومد، و في الأصل: واحدا (٥) من ظ و مد، و في الأصل: سمعون.

من

من أجله ، الويل لذلك[1] الإنسان الذى يسلم[2] ابن الإنسان ، حبذا[3] له لو لم يولد، أجابه يهودا مسلمه وقال: لعلى أنا هو يا معلم ! قال : أنت ، قال: فسبحوا و خرجوا[4] إلى جبل الزيتون ؛ و قال لوقا : فقال لهم: إن ملوك الأمم هم[5] ساداتهم ، و المسلطون عليهم يدعون المحسنين إليهم ، فأما أنتم فليس كذلك ، لكن الكبير منكم يكون كالصغير والمقدم كالخادم ، من أكبر ؟ المتكئ /أم الذى ٥ / ٥٤٧ يخدم ؟ أليس المتكئ فأما أنا فى وسطكم فثل الخادم ، و أنتم الذى صبرتم معى فى تجاربى[6] ، و أنا[7] أعد لكم[7] كما وعدنى ربى الملكوت ، لتأكلوا و تشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، و تجلسوا[8] على كرسيّ ، و تدينوا[9] اثنى عشر سبط إسرائيل ـ إلى أن قال: ثم خرج كالعادة و مضى إلى جبل الزيتون ، و معه أيضا تلاميذه ، فلما انتهى إلى المكان قال لهم: صلوا لئلا تدخلوا التجربة ، و انفرد ١٠ عنهم كرمية[10] حجر و خر[11] على ركبتيه فصلى ؛ و قال متى: حينئذ قال لهم يسوع: كلكم تشكون فى هذه [الليلة ـ[12]] ، لأنه مكتوب : أضرب الراعى ، تفرق خراف[13] الرعية ، فأجاب بطرس و قال له: لو شك جميعهم لم أشك أنا ، قال[14] له يسوع : الحق[15] أقول لك ! فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك [تنكرنى ثلاث مرات ؛ و قال يوحنا : الحق الحق أقول لكم ! لا يصيح ١٥ الديك حتى ـ[16]] تنكرنى[17] ثلاثا ، لا تضطرب[18] قلوبكم ، آمنوا بالله و آمنوا بى؛

(١) فى ظ كذلك (٢) فى النسخ : يسلمه (٣) فى ظ : جيد (٤) فى ظ : خرج.
(٥) فى ظ : هو (٦) فى ظ : تجارتى (٧ - ٧) فى ظ : اعد كم (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : يجلسوا (٩) فى ظ : تزينوا (١٠) فى ظ : كرمة (١١) فى ظ : جثى .
(١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ : حرف (١٤) فى ظ : قاله (١٥) سقط من ظ
(١٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينكرنى (١٨) فى ظ : لا يضرب ـ كذا .

و قال متى : قال له بطرس: لو ألجئت إلى أن أموت معك ما أنكرت ؛
و قال مرقس: فتمادى بطرس و قال: يا أبت! و إن اضطررت إلى أن
أموت معك ليس أنكرك، و هكذا قال جميع التلاميذ، حينئذ جاء
معهم إلى قرية تدعى جسمانية، فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا لأمضى أصلى
٥ هناك ، امكثوا و اسهروا معى ، و بعد ذلك خر على وجهه يصلى ، و جاء
إلى التلاميذ فوجدهم نياما ، قال مرقس: فقال البطرس : يا شمعون[١] ! أنت
نائم ؟ ما قدرت تسهر معى ساعة واحدة ؟ اسهروا و صلوا لئلا تدخلوا[٢]
التجارب ، أما الروح فستبشرة ، و قال مرقس : فستعدة[٣] ، و أما الجسد
فضعيف ، و مضى أيضا و صلى ، و جاء أيضا فوجدهم نياما ، لأن عيونهم
١٠ كانت ثقيلة ، فتركهم[٤] و مضى أيضا يصلى ؛ قال لوقا : و ظهر[٥] له ملاك
من السماء ليقويه[٦] ، وكان يصلى تواترا ، وكان عرقه كعبيط[٧] الدم نازلا
على الأرض ! و قال متى : حينئذ جاء إلى التلاميذ و قال لهم : ناموا الآن
و استريحوا ! قد اقتربت الساعة ، و فيما هو يتكلم إذ جاء يهودا الإسخريوطى
أحد الاثنى عشر ، معه جمع كثير بسيوف و عصى من عند رؤساء
١٥ الكهنة و مشايخ الشعب ، و الذى أسلمه[٨] أعطاهم علامة و قال: الذى
أقبّله هو هو[٩] فأمسكوه ، [١٠] و جاء[١٠] إلى يسوع و قال له : السلام يا معلم !

(١) فى النسخ : سمعان (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : لئلا تدخل (٣) فى ظ فسبقوه - كذا (٤) فى ظ : فذكرهم (٥) فى ظ : فنظر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتقويه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كعيظ - كذا - (٨) فى ظ : استلمه (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجال - كذا .

و قبّله، فقال له يسوع: يا هذا! ألهذا جئت؟ حينئذ جاؤا[1] فوضعوا أيديهم على يسوع و قبضوا عليه، ثم قال: فى تلك الساعة قال يسوع للجموع: كأنكم قد خرجتم إلى اص[2] بالسيوف و العصىّ لتأخذونى، فى كل يوم كنت أجلس عندكم أعلّم فى الهيكل فما قبضتم علىّ، و هذا كله كان لتكميل[3] كتب الأنبياء عليهم الصلاة و السلام؛ و قال يوحنا: ٥ إن يهودا أخذ جندا من [عند -[4]] عظماء الكهنة و الفريسيين و شرطا، و جاء إلى هناك بسرج و مصابيح و سلاح، و يسوع كان عارفا بكل شيء يأتى عليه، فخرج و قال لهم: من تطلبون[5]؟ قالوا[6]: يسوع الناصرى، قال: أنا[7] هو، و كان يهودا واقفا معهم، فلما قال: أنا هو، رجعوا[8] إلى ورائهم و سقطوا على الأرض، فقال يسوع: [9]إن كنتم[9] تطلبونى ١٠ فدعوا هؤلاء يذهبوا، لتتم الكلمة التى قالها[10]: إن الذى أعطيتنى لن يهلك منهم أحد؛ و قال متى: حينئذ تركه تلاميذه كلهم و هربوا، و الذين أخذوا يسوع اقتادوه إلى دار قيافا رئيس الكهنة، و أما بطرس فأتبعه على بُعد منه إلى دار [11]رئيس الكهنة، و دخل إلى[11] داخلها و جلس مع الخدام لينظر التمام؛ و قال مرقس: و جلس مع الخدام عند النار ١٥

(١) فى ظ: كانوا (٢) فى ظ: تصربونى - كذا (٣) فى ظ: تسهيل (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ: يطلبون (٦) فى ظ: قال (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: انما (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: راجعوا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ، وفى الأصل ومد: قال (١١-١١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ.

/٥٤٨ يصطلى؛ و قال / يوحنا : و إن شمعون[1] الصفا و التلميذ الآخر - يعنى الذى تقدم أن عيسى كان يحبه - تبعا يسوع، و كان عظيم الكهنة يعرف ذلك التلميذ، فدخل يسوع إلى دار عظيم الكهنة ، فأما شمعون[1] فكان واقفا خارج الباب ، فخرج التلميذ الآخر الذى كان معارف رئيس ٥ الكهنة، فقال للبوابة و أدخل شمعون بطرس ، فقالت الجارية البوابة لشمعون[2] : أما أنت من تلاميذ هذا الرجل؟ فقال لها: لا! و كان العبيد و الشرط قياما يوقدون نارا ليصطلوا ، لأنها كانت ليلة باردة ، و قام شمعون[1] معهم أيضا يصطلى[3] ؛ قال متى : فقال رئيس [الكهنة -[4]] : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا إن كنت أنت[5] هو المسيح! قال له يسوع: ١٠ أنت قلت؛ ثم ذكر أنهم أفتوا بقتله و قال: عند ذلك بصقوا فى وجهه و ستروا وجهه بثوب و لطموا وجهه فوقه قائلين: أيها المسيح! بين لنا مَنْ هو الذى ضربك؟ قال مرقس: و بينما بطرس فى أسفل الدار[6] جاءت فتاة من جوارى رئيس الكهنة فقالت له: و أنت أيضا قد كنت مع يسوع الناصرى؛ و قال متى: مع يسوع الجليلى[7]؛ و قال لوقا: فلما رأته ١٥ جارية جالسا عند الضوء ميزته[8] فقالت[9]: هذا [أيضا -[10]] كان معه، فأنكر و قال: ما أعرفه؛ و قال متى: فجحد بين أيديهم أجمعين ، و عند خروجه إلى الباب أبصرته جارية أخرى فقالت: و هذا أيضا كان مع

(١) من الإنجيل ، و فى النسخ : سمعان (٢) فى النسخ : لسمعان (٣) فى ظ : يصلى .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الدر- كذا (٧) فى ظ : الخليلى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مزية (٩) زيدت الواو بعده فى ظ .
(١٠) زيد من ظ .

يسوع الناصرى ، فجحد أيضا بيمين[1]: إنى لست أعرف الرجل ، و بعد
قليل تقدم الوُقوف فقالوا لبطرس: بالحقيقة إنك منهم أنت! لأن كلامك
يدل عليك؛ و قال مرقس: و أنت جليلى و كلامك يشبه كلامهم، و قال:
حينئذ أقبل بطرس يلعن[2] و يحلف: إنى لست أعرف الإنسان ، و فى الحال
صاح الديك ، فذكر بطرس كلمة يسوع: قبل أن يصيح الديك تجحدنى ٥
ثلاثا ، فخرج إلى خارج و بكى بكاء مُرّا .

و لما كان الصبح عملوا كلهم مؤامرة على يسوع حتى يميتوه[3]
فربطوه و ساقوه إلى بيلاطيس النبطى[4] ، و لما أبصر يودس - يعنى يهودا
الإسخريوطى - أنه قد حكم عليه تندم[5] و رد الثلاثين[6] الفضة على رؤساء
الكهنة [قائلا : قد أخطأت إذ أسلمت دما زكيا ، فقالوا : ما علينا! ١٠
فطرح الفضة فى الهيكل و مضى فخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة - [7]]
الفضة و قالوا : لن يجوز لنا [أن -[8]] نلقيها[9] فى داخل الزكاة، لأنها ثمن
دم، فتشاوروا و ابتاعوا حقل الفاخورى[10] لدفن الغرباء، لذلك دعى ذلك
الحقل حقل الدم إلى اليوم، حينئذ [تم -[11]] قول إرميا النبى القائل:
و أخذوا الثلاثين من الفضة ثمن الدم[12] الذى ثمنه بنو إسرائيل ، و جعلوها ١٥
فى حقل الفاخورى على ما رسم لى ؛ و أما يسوع فوقف أمام الوالى ،

---

(١) فى ظ : يمين (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : ولعن (٣) فى ظ : يميتوه - كذا.
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يندم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثنتين
- كذا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) زيد ولا بد منه (٩) من
ظ و مد ، و فى الأصل : اعقبها (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفاخورية .
(١١) زيد من نص الإنجيل (١٢) فى النسخ : الكرم - كذا .

ثم ذكر أن الوالى كان كارها[١] لقتله ، و أن امرأتـه أرسلت إليه تقول : إياك و دم ذاك الصديق ، فانى توجعت فى هـذا اليوم كثيرا من أجله فى الحلم ، و أنه اجتهد بهم ليطلقوه فأبوا إلا صلبه ، و صاحوا عليه ، و أنه قال لهم : أى شر[٢] عمل ؟ فازدادوا صياحا و قالوا : يصلب ؛
٥ فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا أخذ ماء و غسل يديه قدام الجمع و قال : إننى برىء من [دم -[٣]] هذا الصديق ، فقالوا : دمه علينا و على أولادنا ؛ و قال لوقا : و إن بيلاطس قال لرؤساء الكهنة : أنا لم [أجد -[٤]] على هذا الإنسان علة - حتى قال : فلما علم أنه من سلطان هيرودس - يعنى من الجليل[٥] - أرسله إلى هيرودس ، لأنه كان فى تلك الأيام بيروشليم ،
١٠ و أن هيرودس لما رأى يسوع فرح جدا ، لأنه كان يشتهى أن يراه من زمان طويل لما كان يسمع [عنه -[٣]] من الأمور الكثيرة ، و كان يرجو أن يعاين آية يعملها ، و سأله عن كلام كثير ذكره ، و ذكر أنه لم يجبه ، فاحتقره هيرودس و جنده و استهزؤا به و[٦] ألبسه ثيابا حمراء ، و أرسله إلى / بيلاطس [و صار بيلاطس و هيرودس صديقين فى /٥٤٩
١٥ ذلك اليوم ، لأنه كان بينهما عداوة ، ثم ذكر أن بيلاطس -[٣]] قال لهم : لم أجد عليه علة آخذه بها ، و لا هيرودس أيضا ، و أنهم لم يقبلوا منه ذلك و صاروا يصيحون : اصلبه اصلبه ؛ و قال يوحنا : ثم جلس

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : سكارها - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : سر (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من نص الإنجيل (٥) فى ظ : الخليل . (٦) فى النسخ : او .

- يعني يلاطس - على كرسي في موضع يعرف برصيف[1] الحجارة، و بالعبرانية يسمى جاحلة[2] ؛ ثم ذكر جميع نقلة أناجيلهم أنهم صلبوه بين لِصّين[3]، و أنهم كانوا يستهزؤن به حتى اللصان المصلوبان ؛ قال مرقس : فلما كانت الساعة السادسة تفشّت الأرض كلها ظلمة إلى الساعة التاسعة ، و أنه صاح بصوت عظيم [منه -[4]] : إلهي ! إلهي ! لِمَ تركتني ! فانشق ٥ ستر حجاب الهيكل باثنين من فوق إلى أسفل ، و الأرض تزلزلت ، و تشققت الصخور ، و تفتحت القبور[5] ، و كثير من أجساد القدسيين النيام قاموا من قبورهم ، و دخلوا المدينة فظهروا لكثير[6] ، وكان هناك نسوة كثير ينظرن[7] من بعيد ، و من اللاتي تبعن عيسى من الجليل منهن مريم المجدلانية ، و مريم أم يعقوب الصغير ، و أم يوسا ، و أم ابن زبدى ؛ ١٠ و قال يوحنا : [و كان -[4]] واقفا عند صلبه أمّه و أخت أمه مريم ابنة إكلاوبا[8] و مريم المجدلية ، ثم ذكروا أنه دفن ؛ و ذكر مرقس أنه كان يوم جمعة ؛ و قال[9] يوحنا : و أما اليهود - فلأنه يوم الجمعة[10] - قالوا : هذه الأجساد لا تثبت[11] على صلبها ، لأن السبت[12] كان عظيما ، ثم ذكر أنهم أنزلوهم ، و أن عيسى دفن ؛ و قال متى : إن الملك جاء ١٥

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : برصف (٢) في ظ : خاصله (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لصتين (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : العيون (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : الكبير (٧) في الأصل و مد : ينظرون ، و في ظ : ينتظرون - كذا (٨) في ظ : اقلاوبا (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : كان . (١٠) في ظ : جمعة (١١) من مد ، و في الأصل : لا ست ، و في ظ : لا يثبت . (١٢) في ظ : البيت .

بعد ثلاث و أقامه، و قال للنسوة: إنه قد قام فأسرعن فقلن لتلاميذه: هو ذا سبقكم [١] إلى الجليل، و إن رؤساء اليهود [٢] رشوا الجند [٢] الذين كانوا يحرسون قبره ليقولوا: إن تلاميذه سرقوه من القبر، فقالوا و شاع ذلك عند اليهود إلى اليوم، فأما الأحد [٣] عشر تلميذا فمضوا إلى الجليل [٤] الذي ٥ أمروا [٥] به، فلما رأوه سجدوا له، و بعضهم شك؛ و قال لوقا: و فيما هم يتكلمون وقف عيسى إلى وسطهم، و قال لهم: السلام عليكم يا هؤلاء! لا تخافوا! فاضطربوا و خافوا و ظنوا أنهم ينظرون روحا [٦]، فقال لهم: ما بالكم تضطربون [٧]؟ و لِمَ يأتي [٨] الإنكار في قلوبكم؟ انظروا يدي و رجلي فاني أنا هو [٩]، جسّوني و انظروا إليّ! الروح ليس له لحم و لا عظم، ١٠ كما ترون أنه لي، و لما قال هذا أراهم يديه و رجليه، و إذا هم غير مصدقين من الفرح و التعجب، و قال لهم: أعندكم ههنا ما يؤكل؟ فأعطوه جزءا من حوت [١٠] مشوي و من شهد عسل، فأخذ [١١] قدامهم و أكل، [و- [١٢]] أخذ الباقي و أعطاهم؛ ثم قال: ثم أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا فرفع يديه و باركهم، و كان فيما هو يباركهم انفرد عنهم، و صعد إلى السماء؛ ١٥ [و - [١٣]] قال يوحنا: إنه قال لمريم: امضي إلى إخوتي و قولي لهم: إني صاعد إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم؛ [و - [١٣]] قال متى: فجاء

(١) في ظ: سعيكم (٢-٢) في ظ: رسوا الجهد (٣) في ظ: الاحدى (٤) في ظ: الجبل (٥) من مد، و في الأصل: آمنوا، و في ظ: ارموا - كذا (٦) في ظ: رجا (٧) في ظ: تطربون (٨) في النسخ: تاتى (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ: خروف (١١) في ظ: فاخذوا (١٢) زيدت الواو من مد (١٣) زيدت الواو من ظ و مد.

يسوع فكلمهم فقال: أعطيت كل سلطان فى السماء و على الأرض فاذهبوا الآن و تلمذوا[1] كل الأمم .

انتهى ما أردته هنا من الأناجيل من هذه القصة، فقد بان لك أن أناجيلهم كلها اتفقت على أن علمهم فى أمره انتهى إلى واحد، و هو الإسخريوطى، وأما غيره من الأعداء فلم يكن يعرفه، [وانه -[2]] ٥ إنما وضع يده عليه، ولم يقل بلسانه: إنه هو، و أن الوقت كان ليلا، و أن عيسى نفسه قال لأصحابه: كلكم تشكون فى هذه الليلة، و أن تلاميذه كلهم هربوا، فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما اتفق [فى -[2]] أمره، و أن بطرس [إنما -[2]] تبعه من بعيد، و أن الذى دل عليه خنق نفسه، و أن الناقل لأن الملك قال: إنه قام من الأموات، إنما هو نسوة كن ١٠ عند القبر فى مدى بعيد[3]، و ما يدرى النسوة الملك من غيره - و نحو ذلك من الأمور التى لاتفيد غير الظن بالجهد، و أما الآيات التى وقعت فعلى تقدير تسليمها / لا يضرنا التصديق بها، و تكون[4] لجرأتهم على / ٥٥٠ الله بصلب من يظنونه المسيح، و من أحسن ما فى ذلك قوله بعد اجتماعهم به[5] بعد رفعه: أعطيت كل سلطان، فأثبت أن المعطى غيره، ١٥ و هذا كله يصادق[6] القرآن فى[7] أنهم فى شك منه، ويدل [على -[2]] أن المصلوب - إن صح أنهم صلبوا من ظنوه إياه[8] - هو الذى دل عليه، كما

(١) فى ظ: تسلموا (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعينه - كذا (٤) فى ظ: يكون (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: تصادق (٧) من ظ ومد، و فى الأصل «و» (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اياهم.

قال بعض العلماء: إنه ألقى شبهه [1]عليه، و يؤيد[1] ذلك قولهم: إنه خنق نفسه، فالظاهر أنهم لما لم يروه بعد ذلك ظنوا أنه خنق نفسه، فجزموا به - و الله أعلم، و قوله: إنك يا رباه فيّ[2] و أنا فيك، ليكونوا - أى التلاميذ - فينا، و نحوه مما يوهم حلولا المراد به الاتحاد فى المراد بحيث[3]
٥ أن واحدا منهم لا يريد إلا ما يريده الآخر، و لا يرضى إلا ما يرضاه، فهو من وادى ما فى الحديث القدسى[4] «كنت سمعه الذى يسمع به» - إلى آخره، و كذا إطلاق الابن و الأب معناه أنه[5] يعاملهم فى لطفه معاملة الأب ابنه، فالمراد الغاية، كما يؤول ذلك فى إطلاق الغضب و المحبة و نحو ذلك فى حق الله تعالى فى شرعنا، و قد مضى كثير من رد المتشابه
١٠ فى مثل ذلك إلى المحكم فى آل[6] عمران، و مضى فى ذلك الموضع و غيره أن كل ما أوهم نقصا لا يجوز فى شرعنا إطلاقه على الله تعالى - و الله الموفق.

و لما أنجز الكلام إلى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام على هذا المنهاج البديع بما ذكر فى نصائح اليهود و قبائح أفعالهم، و أنهم قصدوا[7]
١٥ [قتله -[8]] عليه الصلاة و السلام، فخاب قصدهم، و[9] أصلد زندهم[9]،

(١-١) فى ظ: عليهم و يويده (٢) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بحسب (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القدس (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٦) فى ظ: اول (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تتلوا (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) من مد، أى صوته و لم يور، وفى الأصل: اصله مزيدهم، و فى ظ: اصله زيدهم - كذا.

و قال رأيهم[1]، و رد عليهم بغيهم، و حصل له بذلك أعلى المناصب و أولى المراتب؛ قال محققا لما أثبته فى الآية قبلها من القطع بكذبهم، مثبتا أنهم فى مبالغتهم فى عداوته سيكونون من أتباعه المصدقين بجميع أمره[2] الذى منه التصديق بمحمد صلى الله عليه و سلم، مؤكدا له أشد تأكيد لما عندهم من الإنكار [له - [3]]: ﴿و ان﴾ أى و الحال أنه ما ﴿من اهل الكتب﴾ ٥ أى أحد يدرك نزوله فى آخر الزمان ﴿ الا ﴾ و عزتى ﴿ ليؤمنن به ﴾ أى بعيسى عليه الصلاة و السلام ﴿قبل موته[4] ﴾ أى موت عيسى عليه الصلاة و السلام، أى إنه لا يموت حتى ينزل فى آخر الزمان، يؤيد الله به دين الإسلام، حتى يدخل فيه جميع أهل الملل، إشارة إلى أن موسى عليه الصلاة و السلام إن كان قد أيده الله تعالى بأنبياء كانوا يجددون[4] ١٠ دينه زمانا طويلا، فالنبى الذى نسخ شريعة[5] موسى - و هو عيسى عليهما الصلاة و السلام - هو الذى يؤيد الله به هذا [النبى - [3]] العربى فى تجديد شريعته و تمهيد أمره و الذب[6] عن دينه، و يكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة و أتباع مستكثرة، أمر قضاه الله فى الأزل فأمضاه، فأطيلوا أيها اليهود أو[7] أقصروا ! فمعنى الآية إذن - و الله أعلم - ١٥ أنه ما من أحد من أهل الكتاب المختلفين فى عيسى عليه الصلاة و السلام على شك إلا و هو يوقن بعيسى عليه الصلاة و السلام قبل موته بعد نزوله

(١) قال الرأى: أخطأ و ضعف (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يجدون (٥) فى ظ: شريعته (٦) فى ظ: الدرء (٧) من مد، و فى الأصل و ظ «و».

من السماء نه ما قتل و ما صلب، و يؤمن به عند زوال[1] الشبهة - [2]و الله أعلم[2]؛ روى الشيخان و أحمد و أبو بكر بن مردويه و غيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: و الذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا و إماما عادلا، فليكسرن الصليب
٥ و ليقتلن الخنزير و ليضعن الجزية، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا[3] من الدنيا و ما فيها؛ و في رواية: و تكون السجدة واحدة لله رب العالمين؛ و في رواية: حتى يهلك الله الملل كلها غير الإسلام، فيهلك[4] الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام؛ يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم «و ان من اهل الكتب الا ليؤمنن به قبل/ موته» - الآية: موت عيسى عليه الصلاة /٥٥١
١٠ و السلام - [ثم - [5]] يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات[6] - و لتذهبن الشحناء و التباغض و التحاسد، و ليدعون[7] إلى المال فلا يقبله أحد؛ و في رواية: و يفيض المال حتى لا يقبله أحد؛ و لمسلم [8]عنه رضي الله عنه: كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم؛ و في رواية: فأمكم منكم، قال الوليد ابن مسلم - أحد رواة الحديث: قال ابن أبي ذئب: تدرى ما أمكم[9] منكم؟ قلت:
١٥ تخبرني! قال: فأمكم بكتاب[10] ربكم تبارك و تعالى و سنة نبيكم صلى الله عليه

(١) من ظ و مد، و في الأصل: نزول (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) في ظ: خير (٤) في ظ: فاهلك (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ: مرار.
(٧) من ظ و مد، و في الأصل: ليدعوك (٨) و من هنا سقطت صفحتان من مد.
(٩) من صحيح مسلم - كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم، و في النسختين: امامكم (١٠) زيد بعده في ظ: الله.

و سلم

و سلم؛ [و لمسلم - [1]] أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت النبى صلى الله عليه و سلم يقول: لا تزال[2] طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة و السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا! فيقول: [لا - [3]]! إن بعضكم على بعض أمراء[4] تكرمة[5] الله هذه الأمة؛ و روى عن ابن عباس و محمد ٥ ابن على المشهور بابن الحنفية رضى الله عنهم أن المعنى: ألا ليؤمنن بعيسى عليه الصلاة و السلام قبل موت ذلك الكتابى عند الغرغرة حين لا ينفعه الإيمان، ليكون ذلك زيادة فى حسرته[6] ، قال الأصبهانى: و تدل[7] على صحة هذا التأويل قراءة أبيّ: ليؤمنن قبل موتهم - بضم النون .

و لما أخبر تعالى عن حالهم معه فى هذه الدار أتبعه فعله بهم فى ١٠ تلك فقال: ﴿ و يوم القيٰمة ﴾ أى الذى يقطع ذكره القلوب، و يحمل التفكر فيه على كل خير و يقطع عن كل شر ﴿يكون﴾ و أذن بشقائهم بقوله: ﴿ عليهم شهيدا ع ﴾ أى بما عملوا؛ و لما أذن حرف الاستعلاء فى الشهادة بأنه[8] لا خير لهم فى واحد من الدارين، و بأن التقدير: فبظلمهم، سبب[9] عنه قوله دلالة على أن[10] التوراة نزلت منجمة: ﴿ فبظلم ﴾ أى ١٥ عظيم جدا راسخ ثابت ، و هو جامع لتفصيل نقض الميثاق و ما عطف

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: لا يزال (٣) زيد من صحيح مسلم (٤) من ظ وصحيح مسلم، و فى الأصل: اميرا - كذا (٥) فى ظ: فلزمه - كذا (٦) فى ظ: جزيه (٧) فى ظ: يدل (٨) فى ظ: انه (٩) من ظ، و فى الأصل: ثبت. (١٠) سقط من ظ .

عليه مما استحلوه بعد أن حرمته التوراة، و قال مشيرا إلى زيادة تبكيتهم: ﴿ من الذين هادوا ﴾ أى تلبسوا باليهودية فى الماضى ادعاء أنهم من أهل التوراة و الرجوع إلى الحق، و لم يضمر تعيينا لهم زيادة[1] فى تقريعهم ﴿حرمنا عليهم طيّبٰت احلت ﴾ أى كان وقع إحلالها[2] فى التوراة ﴿ لهم ﴾ كالشحوم التى ذكرها الله تعالى فى الأنعام .

و لما ذكر ظلمهم ذكر مجامع من جزئياته، و بدأها باعراضهم عن الدين الحق، فقال معيدا للعامل تأكيدا له: ﴿و بصدهم عن سبيل الله﴾ أى الذى لا أوضح منه و لا أسهل و لا أعظم، لكون[3] الذى نهجه له من العظمة و الحكمة ما لا يدرك، و " صد " يجوز أن يكون قاصرا فيكون ﴿كثيرا ﴾ صفة مصدر محذوف، و أن يكون متعديا فيكون مفعولا به، أى و صدهم كثيرا من الناس بالإضلال عن الطريق، فمُنعوا مستلذات تلك المآكل بما مَنَعوا أنفسهم و غيرهم من لذاذة الإيمان .

و لما [4]ذكر امتناعهم و[4] منعهم من المحاسن[5] التى لا أطيب منها و لا أشرف، أتبعه إقدامهم على قبائح دنية[6] فيها ظلمهم للخلق [فقال -[7]]: ﴿ و اخذهم الربوٰا ﴾ أى و هو قبيح فى نفسه مُزرٍ بصاحبه ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنهم قد[1] ﴿ نهوا عنه ﴾ فضموا إلى مخالفة الطبع السليم الاجتراء[8] على انتهاك حرمة الله العظيم .

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ: لهم (٣) فى ظ: يكون (٤ - ٤) فى ظ: ذكروا - كذا (٥) العبارة من « و منعهم » إلى هنا متكررة فى الأصل (٦) فى ظ: دينهم (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: الاخيرا - كذا.

و لما ذكر الربا أتبعه ما[1] هو أعم منه فقال: ﴿ و اكلهم اموال الناس بالباطل[1] ﴾ أى سواء كانت ربا أو رشوة أو غيرهما[2]؛ و لما ذكر بعض ما عذبهم به فى الدنيا أتبعه جزاءهم فى الآخرة، فقال عاطفا على قوله "حرمنا": ﴿ و اعتدنا للكفرين ﴾ أى الذين[3] صار الكفر لهم صفة راسخة فماتوا عليه؛ و لما علم أن منهم من يؤمن فيدخل الجنة فقال: ٥ ﴿ منهم ﴾ و لما كان الجزاء من جنس / العمل قال: ﴿ عذابا اليما ﴾ /٥٥٢ أى بسبب ما آلموا الناس بأكل أموالهم و تغطيتهم[4] على حقوقهم من الفضائل و الفواضل.

ذكرُ تحريم المال بالربا و غيره من أنواع الباطل بنص التوراة، قال فى السفر الثانى بعد ما قدمتُه فى البقرة من الأمر بالإحسان إلى الناس ١٠ و النهى عن أذاهم: و إن أسلفت ورقك لمسكين الذى معك من شعبي فلا تكونن له كالغريم و لا تأخذن[5] منه ربا[6]؛ و قال فى الثالث: و إن افتقر أخوك و استعان بك فلا تتركه بمنزلة الغريب الساكن معك، بل وسع عليه، و إياك أن تأخذ منه ربا أو عينة، لا تقرضه بالعينة؛ وقال فى الخامس: و لا تطعموا بيت الله ربكم أجر زانية[7] و لا ثمن[8] كلب، و لا تأخذوا[9] ١٥ من إخوتكم ربا فى فضة و لا فى طعام و لا فى [شيء -[10]] بما تعانونه[11]،

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بما (٢) من ظ، و فى الأصل: غيرها (٣) من ظ، و فى الأصل: الذى (٤) من ظ، و فى الأصل: بعطيتهم (٥) فى ظ: لا ياخذن. (٦) سقط من ظ (٧) من نص التوارة، وفى الأصل: زانيه، و فى ظ: اخرانيه - كذا (٨) فى ظ: يمره - كذا (٩) من ظ، و فى الأصل: لا تاخذ (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ: تعاملوا به - كذا.

و أما الغريب فخذوا منه إن أحببتم؛ فقد ثبت من توراتهم[1] النهيُ عن الربا، و أما تخصيصه بالغريب فتبديل منهم بلا ريب، بدليل ما قدمتُه عنها فى البقرة عند قوله تعالى "[2] ان الذين آمنوا و الذين هادوا" من النهى عن غدر العدو، و عند قوله تعالى[2] «لا تعبدون[3] الا الله» من الإحسان إلى ٥ عامة الناس لا سيما الغريب - والله الموفق .

و لما بين تعالى ما للطبوع على قلوبهم الغريقين فى الكفر من العقاب، بين ما لنيِّرى البصائر بالرسوخ فى العلم و الإيمان من الثواب فقال[4] : ﴿ لٰكن الرّٰسخون فى العلم منهم ﴾ أى [5]الذين هيئت[5] قلوبهم فى أصل الخلقة لقبول [العلم -[6]] فأبعد عنها الطبع، و جلت[7] بالحكمة، و رسخت[8] ١٠ بالرحمة، فامتلأت من نور العلم[9]، و تمكنت بأنس الإيمان .

و لما ذكر نعت العلم المفيد لجميع الفضائل أتبعه ما نشأ عنه فقال : ﴿ و المؤمنون ﴾ [أى -[6]] الذين هيئوا للايمان[10] و دخلوا فيه، فصار لهم خلقا لازما، منهم و من غيرهم ﴿ يؤمنون ﴾ أى يجددون ا يمان فى[11] كل لحظة ﴿ بمآ انزل اليك ﴾ لأنهم أعرف الناس بأنه حق ﴿ و مآ انزل من

(١) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و القرآن الكريم آية ٨٣ ، و فى الأصل : لا تعبدوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : قال (٥ - ٥) فى ظ : الذى مذبت - كذا .
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : جليت (٨) فى ظ : سرحت .
(٩) زيد بعده فى ظ : فابعد عنها الطبع (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الإيمان .
(١١) سقط من ظ .

قبلك

قبلك ﴾ أى على موسى عليه الصلاة و السلام، و بسبب إيمانهم الخالص آمنوا بما أنزل على عيسى عليه الصلاة و السلام، ثم بما أنزل إليك.

و لما كانت الصلاة أعظم دعائم[1] الدين، و لذلك كانت ناهية عن الفحشاء و المنكر، نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات إظهارا لفضلها[2] فقال تعالى: ﴿ و المقيمين الصلوٰة ﴾ أى بفعلها بجميع حدودها، و يجوز ٥ على بُعد أن يكون المقتضى لنصبها[3] جعل "لكن" بالنسبة إليها بمعنى "إلا" و تضمينها[4] لفظها، لما بينهما من التآخى، فيكون المعنى أنهم مستثنون من[5] أعد لهم[6] العذاب الأليم على معنى أن الله سبحانه و تعالى - [و-[7]]هو الفاعل المختار - سبق علمه بأن مقيم الصلاة بجميع حدودها لا يموت [8]كما يموت[8] كافر[9]، بل تناله بركتها فيسلم، و هذا أعظم مدح لها، ١٠ و الحاصل أن "لكن" استعيرت لمعنى "إلا" بجامع أن ما بعد كل منهما مخالف فى الحكم لما قبله، كما استعيرت "إلا" لمعنى "لكن" فى الاستثناء المنقطع.

و لما كان الرجوع بما بعدها إلى الأسلوب الماضى أبين فى مدحها قال[10]: ﴿ و المؤتون الزكوٰة ﴾ و لما ذكر أنهم جمعوا إلى صلة[11] الخالق ١٥

---

(١) زيد بعده فى الأصل: الاسلام، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ، و فى الأصل: لفظها (٣) من ظ، و فى الأصل: لبعضها (٤) فى ظ: نصبها. (٥) فى ظ: مما (٦) فى ظ: له (٧) زيدت الواو من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل: كافرا (١٠) من ظ، و فى الأصل: فقال (١١) من ظ، و فى الأصل: اصله.

الإحسانَ إلى الخلائق [1]ذكر الإيمان بانيا على عظمته مفصلا له بعض التفصيل و مشيرا إلى أن نفعه[1] كما [2]يشترط أن يكون فاتحا[2] يشترط أن يكون خاتما فقال: ﴿ و المؤمنون بالله ﴾ أى مستحضرين ما له من صفات الكمال، وضم إليه الحاملَ[3] على كل خير و المقعد عن[4] كل ٥ شر ترغيبا وترهيبا فقال : ﴿ و اليوم الأخر[4] ﴾ فصار الإيمان مذكورا خمس مرات، فان هذه الأوصاف لموصوف واحد عطفت بالواو[5] تفخيما لها و إشارة إلى أن وصف الرسوخ فى العلم مقتض لأنهم فى الذروة من كل وصف منها، و الاتصافُ بكل منها يتضمن الإيمان يوم / الدين، فانه لا يمدح أحد اتصف بشيء منها عريا عن الإيمان به، /٥٥٣ ١٠ لا جرم نبه على فخامة أمرهم و علو شأنهم بأداة البعد فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو [الرتبة و -[6]] الهمم، و لكون[7] السياق فى الراسخين العاملين أنهى[8] فى التأكيد بالسين لأن المكر[9] هنا أقل منه فى الأولى، و لم يعرف الأجر، و وصفه بالعظم فقال: ﴿ سنؤتيهم[1] ﴾ أى [1]بعظمتنا الباهرة بوعد لا خلف[10] فيه ﴿ اجرا عظيما ع ﴾ .

١٥ و لما كانت هذه الأوصاف منطبقة على الأنبياء عليهم[11] الصلاة و السلام، و كان من أحوالهم الوحى، قال تعالى إبطالا لشبهتهم القائلة[12]:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل . (٣) من ظ ، و فى الأصل : الحاصل (٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لكن (٨) فى الأصل : اسعى ، و فى ظ : انبعى - كذا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : يختلف (١١) فى ظ : عليه (١٢) فى ظ : الباطلة .

لو كان نبيا أتى بكتابه جملة من السماء كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بالتوراة كذلك، باقرارهم بنبوة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام مع كونهم ليس لهم تلك الصفة، و لم يكن ذلك قادحا فى نبوة أحد منهم و لا رسالته: ﴿ انآ ﴾ و يصح أن يكون هذا تعليلا ليؤمنون، أى إنهم آمنوا بما أنزل إليك [لأنا - [1]] ﴿ اوحينآ اليك كمآ ﴾ أى مثل ما ﴿ اوحينآ الى نوح ﴾ ٥ و قد آمنوا بما[2] به لما أتى به من المعجز الموجب للايمان من غير توقف على معجز آخر و لا غيره، لأن إثبات المدلول إنما يتوقف على ثبوت الدليل، فاذا تم الدليل كانت المطالبة بدليل آخر طلبا للزيادة و إظهارا للتعنت و اللجاج - و الله سبحانه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

و لما كان مقام الإيحاء - و هو الأنبياء - من قِبَل الله تعالى قال: ١٠ ﴿ و النبيّن من بعده ﴾ أى فهم يعلمون ذلك بما لهم من الرسوخ فى العلم و طهارة الأوصاف، و لا يشكون فى أن الكل من مشكاة واحدة، مع أن هذا الكتاب أبلغ، و التعبير فيه عن المقاصد أجلى و أجمع، فهم إليه أميل، و له أقبل، و أما المطبوع على قلوبهم، الممنوعون من رسوخ العلم فيها بكثافة[3] الحجاب، حتى أنها لا تنظر إلى أسراره إلا من وراء غشاء[4]، ١٥ فهم غير قابلين لنور العلم المتهيء للايمان، فأسرعوا إلى الكفر، و بادروا إلى كل جرم[5]، فهم لا يضرون إلا أنفسهم بما ينالهم من العذاب فى الدنيا بالذل و الصغار، و فى الآخرة بالسخط و النار.

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: بشانه (٤) فى ظ: غير (٥) فى ظ: حرم.

و لما أجمل تعالى ذكر النبيين فصّل فقال منبها على شرف من ذكرهم و شهرتهم: ﴿ و اوحينآ الىٓ ابرٰهيم ﴾ أى أبيـكم و أبيهم كذلك ﴿ و اسمٰعيل ﴾ أى ابنه الأكبر الذى هو أبوكم دونهم ﴿ و اسحٰق ﴾ و هو ابنه الثانى و أبوهم ﴿ و يعقوب ﴾ أى ابن إسحاق ﴿ و الاسباط ﴾ أى ٥ أولاد يعقوب .

و لما أجمل بذكر الأسباط بعد تفصيل مَنْ قبلهم فصّل من بعدهم فقال: ﴿ و عيسى ﴾ أى الذى هو[1] آخرهم من ذرية يعقوب ﴿ و ايوب ﴾ و هو من ذرية عيصو بن إسحاق على ما ذكروا ﴿ و يونس و هٰرون و سليمٰن ج ﴾ و لما كان المقام للتعظيم بالوحى ، [2]و كان داود عليه ١٠ الصلاة و السلام من أهل الكتاب قال: ﴿ و اٰتينا داود زبورا ج ﴾ أى و هم يدعون الإيمان به مع اعترافهم بأنه لم ينزل جملة ولا مكتوبا من السماء .

و لما تم ما اقتضاه مقام النبوة ، و كان فيهم رسل ، و كان ربما قال متعنت : إن شأن الرسل غير شأن الأنبياء فى الوحى ، قال عاطفا على ما تقديره من معنى "اوحينا": أرسلنا من شئنا[3] من هؤلاء الذين قصصناهم ١٥ عليك هنا إلى من شئنا[3] من الناس : ﴿ و رسـلا ﴾ أى غير هؤلاء ﴿ قد قصصنٰهم ﴾ أى تلونا ذكرهم ﴿ عليك ﴾ و لما كان القص عليه غير مستغرق للزمان الماضى قال : ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل إنزال هذه الآية ﴿ و رسلا لم نقصصهم عليك ط ﴾ أى[4] إلى الآن .

---

(١) فى ظ : نفو - كذا (٢) و استأنفت من هنا نسخة مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : شا (٤) سقط من ظ .

و لما

و لما كان المراد أنه لا فرق بين النبي و الرسول فى الوحى، نبه على ذلك بقوله: ﴿ و كلم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله، فهو يفعل ما يريد، لا أمر لأحد معه ﴿ موسى تكليما ۚ ﴾ أى [على -[1]] التدريج شيئا فشيئا بحسب المصالح من غير واسطة ملك، فلا فرق فى الوحى بين ما كان بواسطة و بين ما كان بلا واسطة، و المعنى أنكم ٥ لو كنتم إنما توقفون[2] عن الإيمان ببعض الأنبياء [تثبتا -[1]] لتعلموا أنه فعل به ما فعل بموسى عليه الصلاة و السلام من / الكرامة، لم تؤمنوا /٥٥٤ بابراهيم و إسحاق و يعقوب و الأسباط و هارون[3] و غيرهم، فانه خص بالتكليم دونهم، فلِمَ جعلتم الإتيان بمثل ما أتى به موسى عليه الصلاة و السلام شرطا فى الإيمان ببعض الأنبياء دون بعض؟ و إن جعلتم الشرط الإتيان ١٠ بالكتاب جملة [و - [1]] من السماء مدعين أنه[4] كان له ذلك دون التكليم و غيره مما جعل له، كان [5]ذلك - على[5] تقدير التسليم تنزلا - تحكما و ترجيحا من غير مرجح، على أن التوراة أيضا - كما تقدم بيانه - كهذا القرآن فى إنزالها منجمة على حسب الوقائع على ما أشار إليه قوله " تكليما "، و لم يكتب منها جملة إلا اللوحان اللذان[6] وضعا فى تابوت[3] ١٥ الشهادة كما أنزل بعض سور القرآن جملة كسورة الأنعام، و ليس فى نزول موسى عليه الصلاة و السلام بهما من جبل الطور مكتوبَين دليل

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تتوقفون (٣) سقط من ظ (٤) زيد بعده فى ظ: لو (٥-٥) فى ظ: على ذلك (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الذين .

على نزولها من السماء ، و يدل على ذلك كثير من نصوصها[1] أصرحها أنه تعالى حرم عليهم العمل فى السبت عقب إخراجهم من البحر عند إنزال المن - كما بين فى السفر الثانى منها - ولم يبين كيف يفعل بالعاصى فيه إلا بعد ذلك بدهر ، بدليل ما فى السفر الرابع منها فى قصة التيه:

٥ و مكث بنو إسرائيل فى البرية [و -[2]] وجدوا رجلا يحتطب حطبا يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب إلى موسى و هارون و إلى الجماعة كلها ، و حبسوه فى السجن ، لأنه لم يكن أوحى إلى موسى كيف يصنع به؟ فقال الرب لموسى: يقتل هذا الرجل ، يرجم بالحجارة خارجا من العسكر ، و رجمه الجماعة كلها بالحجارة و مات - كما أمر الرب موسى ؛ و منها أنه أمرهم - كما بين

١٠ فى السفر الثانى - بنصب قبة الزمان التى كانوا يصلون إليها ، و يسمع موسى الكلام منها ، ثم بعد ذلك بمدة أمرهم - كما بين فى السفر الرابع - بالزيادة فيها ؛ و منها أنه كتب له الألواح[3] فى الطور : اللوحين اللذين[4] كسرهما غضبا من اتخاذهم العجل ، ثم لوحين عوضا عنها ، ثم لما نصبت قبة الزمان صار سبحانه و تعالى يكلمه منها ، و غالب أحكامهم[5] إنما شرعت بالكلام

١٥ الذى كان فى قبة الزمان - كما هو فى غاية الوضوح فى التوراة ؛ و منها ما قال فى أواخر السفر الخامس و هو آخرها : فلما أكمل موسى كتاب آيات هذه التوراة فى السفر و فرغ منها ، أمر موسى الأحبار الذين يحملون تابوت عهد الرب و قال لهم : خذوا سفر هذه السنن[6] و اجعلوه

---

(١) فى ظ : خصوصها (٢) زيدت الواو من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الالوح (٤) فى ظ : الذين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : احكامها .
(٦) فى ظ : السين .

فى جوف تابوت عهد الله ربكم فى جانب من جوانبه، ليكون هناك شاهدا، لأنى[1] قد عرفت جفاءكم و قساوة قلوبكم و ما تصيرون[2] إليه، و كيف لا يكون[3] ذلك و قد أغضبتم الرب و أنا حى معكم؟ فمن بعد موتى أحرى أن تفعلوا ذلك، فليجتمع إلىّ أشياخ أسباطكم و كتّابكم فأتلو عليهم هذه الأقوال، و لأشهد[4] عليهم السماء و الأرض، لأنكم مفسدون[5] من ٥ بعد وفاتى، تحيدون[6] عن الطريق الذى آمركم به، شر شديد فى آخر الأيام [7]إذا عملتم[7] السيئات[8] بين يدى الرب، و أغضبتموه بأعمال أيديكم؛ و قال موسى بين يدى جماعة بنى إسرائيل: أنصتى أيتها السماء فأتكلم، و لتسمع الأرض النطق من فىّ - و قال كلاما كثيرا فى ذمهم أذكره إن شاء الله تعالى فى المائدة عند "من لعنه الله و غضب عليه[9]"، [10]ثم ١٠ قال[10]: يقول الله: أسخطونى مع الغرباء بأوثانهم، و أغضبونى حين ذبحوا للشياطين[11] - و مضى يتكلم من كلام الله الذى هو من أحسن التوراة إلى أن قال: فلما أكمل موسى هذه الآيات كلها لبنى إسرائيل قال لهم: أقبلوا[12] بقلوبكم إلى هذه الأقوال؛ ثم قال: و كلم الرب موسى ذلك اليوم و قال:

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الى - كذا (٢) فى ظ: تضرون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تكون (٤) فى ظ: لاسهل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مقيدون (٦) من مد، و فى الأصل: محيدون، و فى ظ: عذرون - كذا (٧-٧) من مد، و فى الأصل: اذا علمتم، و سقط من ظ (٨) فى ظ: للساب. (٩) آية ٦٠ (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: قال ثم (١١) من مد، و فى الأصل: للشيطان، و فى ظ: الشياطين (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اقتلوا.

اصعد إلى جبل العبرانيين ، هذا جبل نابو[1] الذى فى أرض مواب[2] حيال إيريحا ، و انظر[3] إلى أرض كنعان التى أعطى بنى إسرائيل ميراثا - و ذكر بعد / ذلك كلاما طويلا فيها كلها[4] لمن يتأملها كثير مما هو ظاهر فى ذلك ، بل صريح ، و فى قصة نوح و إبراهيم عليهما الصلاة و السلام ما

٥ هو صريح فى أن الإيحاء إليهما كان منجما - كما مضى عنهما فى قصة [إبراهيم عليه السلام فى البقرة ، و يأتى إن شاء الله تعالى فى ذكر الأخبار فى الأعراف و فى قصة -[5]] نوح عليه الصلاة و السلام فى سورة هود - و الله الموفق ، و قد ابتدأ سبحانه فى هذه الآية بنوح عليه الصلاة و السلام أول أولى العزم [و - [5]] أصحاب الشرائع وجودا ، و هو من أوائل[6]

١٠ الأنبياء ، و زمانه فى القدم بحيث لا يعلم مقداره على الحقيقة إلا الله تعالى ، ثم ثنى بثانيهم فى الوجود و هو[7] إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، ثم ذكر أولاده على ترتيبهم ، و الأسباط يحتمل أن يراد بهم أولاد يعقوب عليه الصلاة و السلام أنفسهم و قبائلهم ، و يكون المعنى حينئذ : و أنبياء الأسباط ، و يكون مما استعمل فى حقيقته و مجازه ، و يكون شاملا لجميع[8] أنبياء

١٥ بنى إسرائيل ، ثم صرح ببعض من دخل منهم فى العموم فبدأهم[9] بآخرهم بعثا

---

(١) من التوراة ، و فى الأصل : بانوا ، و فى ظ : ، مانو ، و لا يتضح فى مد . (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : موات (٣) فى ظ : انظروا (٤) سقط من ظ . (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : اول (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجمع - كذا (٩) فى ظ : فبدأ بهم .

و هو

و هو عيسى عليه الصلاة و السلام الذى هو أحد نبى أهل الكتابين، و ختم الآية بأحد[1] أصحاب الكتب منهم، و هو جده المشهور بالنسبة إليه، فان اليهود يقولون لعيسى عليه الصلاة و السلام: يا ابن داود[2]! لأن أمه من ذريته، و ختم الآية بأول نبي أهل الكتابين موسى عليه الصلاة و السلام الذى [3]آخر آجرّ تبنى[3] على الإسلام، فانتقله[4] المنتمون إلى أتباعه، و وسّط أخاه ٥ هارون عليه الصلاة و السلام بين اثنين من أهل البلاء: أيوب و يونس، و اثنين من أهل الملك - و أحدهم[5] صاحب كتاب - و هما[6] سليمان و داود؛ و كل ذلك إشارة إلى أنه لا فرق فى كيفية الإيحاء بحوما إلى الأنبياء بين متقدمهم و متأخرهم، سواء كان من بنى إسرائيل أو من غيرهم، و سواء منهم من أوتى الملك و من لم يؤته، و من أتى[7] بكتاب و من لم يأت؛ ١٠ و من لطائف هذا الترتيب أن المخصوصين بالذكر فى الآية الأولى بعد دخولهم فى العموم أحد عشر أسماء. الأسباط أحدها، و المشهور بالكتب و الصحف منهم ثلاثة: إبراهيم و عيسى و داود، و قد وقع كل منهم سادسا لصاحبه، و هو العد[8] الذى كان فيه الخلق، فلعل ذلك إشارة إلى أن الله لا يحب العجلة، فكما أنه لم يعجل فى إنشاء الخلق، فكذلك[9] ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بحسب - كذا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ادم (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل: به تبنى، و فى مد: آخر تبنى - كذا. (٤) من ظ، و فى الأصل: وانظر، و لا يتضح فى مد (٥) فى ظ: آخرهم. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: هم (٧) فى ظ: اوتى (٨) فى ظ: العقد. (٩) فى ظ: فلذلك.

لم يعجل بانزال الكتب التى بها قوامهم[1] و بقاؤهم دفعة، بل أنزلها منجمة تبعا لمصالحهم و تثبيتا لدعائمهم، و من لطائفه أنه تعالى بدأ المذكورين، و ختمهم باثنين من أولى العزم اشتركا فى أن كلا منهما أهلك من عانده كنفس واحدة بالإغراء، ترهيبا لهؤلاء الملبسين على أهل الإسلام بالباطل

٥ المدعين[2] أنهم أتباع، و وسّط بينهم و بين بقية المسمين[3] عموم النبيين و المرسلين، و لعله آخر الرسل ليفهم [4]أن كل[4] من عطفوا عليه مرسل، و لأن رتبة النبوة قبل رتبة الرسالة[5] بمعنى أنها أعم منها.

و لما سرد[5] أسماء من دخل فى العموم بدأهم بأشرفهم ثم بالأقرب إلى هذا النبي الكريم فالأقرب من المرتبين[6] على حسب ترتيب الوجود،

١٠ إشارة إلى أنه سن به فى الوحى سنة آبائه[7] و إخوانهم و ذرياتهم - والله أعلم.

و لما كان معظم رسالة نبينا صلى الله عليه و سلم بشارة و نذارة، قال مبينا أنهم مثله فى ذلك كما كانوا قبله فى الوحى، لأن المقصود من الإرسال لجميع الرسل جمع الخلق بالبشارة و النذارة: ﴿ رسلا ﴾ أى جعلناهم رسلا، و يجوز أن يكون بدلا من "رسلا" الماضى، و أن يكون

١٥ حالا، حال كونهم ﴿ مبشرين و منذرين ﴾ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ لئلا يكون ﴾ أى لينتفى[8] أن يوجد ﴿ للناس ﴾ أى نوع مَنْ فيه قوة النوس[9].

(١) فى ظ : اقوالهم (٢) فى ظ : المدعنين (٣) فى ظ : الملتبسين (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل : انه كلا (٥) من مد، و فى الأصل وظ : سره (٦) من مد، و فى الأصل : المرسلين، و فى ظ : المرتبتين - كذا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : آبايهم (٨) فى ظ : لينبغى (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : البوس.

و لما كانت الحجة قد تطلق على مطلق العذر[1] و لو كان مردودا، عبّر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ على الله حجة ﴾ أى واجبة القبول على الملك الذى اختص / بجميع صفات الكمال فى أن لا يعذب عصاتهم؛ /٥٥٦
و لما كان المراد استغراق النفى لجميع الزمان المتعقب للارسال أسقط الجار[2] فقال: ﴿ بعد ﴾ أى انتفى ذلك انتفاء مستغرقا لجميع الزمان الذى ٥ يوجد بعد إرسال ﴿ الرسل ﴾ و تبليغهم للناس، و ذلك على [3]أن وجوب[3] معرفته تعالى إنما يثبت[4] بالسمع، و أما نفس المعرفة و النظر و التوحيد فطريقها العقل، [5]فالمعرفة متلقاة[5] من العقل، و الوجوب[6] متلق[7] من الشرع و النقل.

و لما كان ذلك ربما أوهم أنه ربما امتنع عليه قبل ذلك سبحانه[8] ١٠ أخذ بحجة أو غيرها قال مزيلا لذلك: ﴿ و كان الله ﴾ أى المستجمع لصفات العظمة ﴿ عزيزا ﴾ أى يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء فهو قادر على ما طلبوه، و لكنه لا يجب عليه[9] [شىء-[10]]، لأنه على سبيل اللجاج و هم[11] غير معجزين ﴿ حكيما ﴾ أى يضع الأشياء فى أتقن مواضعها، فلذلك رتب أمورا لا يكون [12]معها لأحد حجة[12] و من حكمته ١٥ أنه لا يجيب المتعنت.

---

(١) فى ظ: القدر (٢) من مد، وفى الأصل وظ: الجارة (٣-٣) من ظ ومد، و فى الأصل: الوجوب (٤) من مد، و فى الأصل: تثبت، و فى ظ: نثبت. (٥-٥) فى ظ: بالمعرفة ملقاه (٦) من مد، و فى الأصل وظ: الوجود (٧) فى ظ: يتلقى (٨) زيد فى ظ: أنه (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: اليه (١٠) زيد من ظ ومد (١١) فى ظ: هو (١٢-١٢) فى ظ: لاحذ معها.

و لما لم يبق سبحانه لهم شبهة، و استمروا على عنادهم، أشار تعالى
إلى ما تقديره: إنهم لا يشهدون لك[1] عند اتضاح الأمر، فقال: ﴿لكن﴾
[2]أى و مع ما قام من البراهين على صدقك و كون كتابك من عند الله
فهم لا يشهدون بذلك[2] [لكن -[3]] ﴿الله﴾ أى الذى له الأمر كله
٥ فلا كفوء له ﴿يشهد﴾ أى لك ﴿بمآ انزل اليك﴾ [2]أى من[2] هذا
الكتاب المعجز الذى قد[4] أخرس الفصحاء و أبكم البلغاء، و فيه هذه
الأحكام الصادقة لما عندهم و هم يريدون الإضلال عنها، فشهادته[5] ببلاغته
و حكمته بصدق الآتى به هى شهادة الله لأنه قائله، و لذلك علل بقوله:
﴿انزله بعلمه ٤﴾ أى عالما بإنزاله على الوجه المعجز مع كثرة المعارض
١٠ فلم يقدر [أحد و لا يقدر -[6]] على إحداث شيء فيه من تغيير[7]
و لا تبديل و لا زيادة و لا نقصان و لا معارضة ﴿و الملٰئكة﴾ أيضا
﴿يشهدون ط﴾ بذلك لأنهم كانوا [8]حضورا لإنزاله[8] و أمناء على من
كان منهم على يده ليبلغه[9] - كما قال تعالى "فانه يسلك من بين يديه
و من خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالٰت ربهم[10]" و هذا خطاب
١٥ للعباد على حسب ما يعرفون.

---

(١) فى ظ: ذلك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لشهادته (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: مغير (٨ - ٨) فى ظ: حضور كذلك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لتبليغه (١٠) سورة ٧٢ آية ٢٧ و ٢٨.

و لما كان ربما أفهم نقصا نفاه بقوله: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ شهيدا ﴾ أى و كفى بشهادته[1] فى ذلك شهادة عن شهادة غيره، وذلك لأنه أنزله سبحانه شاهدا بشهادته ناطقا بها لإعجازه بنظمه و بما[2] فيه من علمه من الحِكَم و الأحكام و موافقة كتب أهل الكتاب، فشهادته[3] بذلك هى[4] شهادة الله، و هى لعمرى لا تحتاج إلى ٥ شهادة أحد غيره.

و لما بين سبحانه أنه أقام الأدلة على صحته بالمعجزات، فصار كأنه شهد بحقيقته، كان أنفع الأشياء اتباع ذلك بوصف من جحده[5] فى نفسه و صد عنه غيره زجرا عن مثل حاله و تقبيحا لما أبدى من ضلاله فقال: ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما عندهم من العلم بصدقه بما ١٠ دل عليه [6]من شاهد[6] العقل و قاطع النقل، من اليهود و غيرهم ﴿ و صدوا عن سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى[7] لا أمر[7] لأحد معه بأنفسهم و باضلال غيرهم بما يلقونه[8] من الشبه من مثل هذه و قولهم كذبا: إن فى التوراة أن شريعة موسى عليه الصلاة و السلام لا تنسخ، و قولهم: إن الأنبياء لا يكونون إلا من أبناء هارون و داود عليهما الصلاة و السلام ١٥ ﴿ قد ضلوا ﴾ أى عن الطريق الموصل إلى مقصودهم فى حسده و منع

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: بشهادة (٢) فى ظ: ما (٣) فى ظ: بشهادته.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: جحد.
(٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: شاهد من (٧ - ٧) فى ظ: لامر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تلقونه.

ما يراد من إعلائه ﴿ ضللا بعيدا ﴾ أى لأن أشد الناس ضلالا مبطل يعتقد أنه محق ، ثم يحمل غيره على مثل باطله ، فصاروا بحيث لا يرجى لهم الرجوع إلى الطريق النافع ، لا سيما إن ضم[1] إلى ذلك الحسد ، لأن داء الحسد أدوأ داء؛ ثم علل إغراقهم فى الضلال باضلاله لهم[2] لتماديهم

٥ فيما تدعو إليه نقيصة النفس من الظلم بقوله وعيدا لهم : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما عندهم من نور العقل ﴿ و ظلموا ﴾ أى فعلوا /لحسدهم[3] فعلَ الماشي فى الظلام باعراضهم و إضلالهم غيرهم ﴿ لم يكن الله ﴾ أى بجلاله ﴿ ليغفر لهم ﴾ أى لظلمهم ﴿ و لا ليهديهم طريقا ﴾ أى لتضييعهم ما أتاهم من نور العقل و منابذتهم؛ [ثم - [4]] تهكم بهم بقوله :

١٠ ﴿ الا طريق جهنم ﴾ أى بما تجهموا مَنْ[5] ظلموه[6] .

و لما كان المعنى : فانه يسكنهم[7] إياها ، قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ أى لأن الله لا يغفر[8] الشرك ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ ابدا ﴾ و لما كان ذلك مع ما لهم من العقول أمرا عجيبا قال تعالى : ﴿ و كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من كفرهم و ضلالهم و عذابهم ﴿ على الله يسيرا ﴾

١٥ [أي - [9]] لأنه قادر على كل شيء .

و لما وضح بالحجاج معهم الحق ، و استبان بمحو شبههم كلها من[2] وجوه كثيرة الرشدُ ، و أوضح فساد طرقهم ، و أبلغ فى وعيدهم ؛ أنتج

(١) فى ظ : حكم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بحسدهم (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمن (٦) فى ظ : ظلموا (٧) فى ظ : يسئلهم .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يغفرك (٩) زيد من ظ .

٥٥٧ /

ذلك صدق الرسول و حقيقة ما يقول، فأذعنت النفوس. فكان أنسب الأشياء أن عمم[1] سبحانه في الخطاب لما وجب من اتباعه على وجه العموم عند بيان السبيل و نهوض الدليل، فقال مرغبا [مرهبا -[2]]: ﴿ يٰأيها الناس ﴾ أي كافة ﴿ قد جآءكم الرسول ﴾ أي الكامل في الرسلية[3] الذي كان ينتظره أهل الكتاب لرفع الارتياب[4] ملتبسا ٥ ﴿ بالحق ﴾ أي الذي يطابقه[5] الواقع، و ستنظرون الوقائع فتطبقونها على ما سبق فيها من الأخبار، كائنا ذلك الحق ﴿ من ربكم ﴾ أي المحسن إليكم، فان اتبعتم رسوله قبلتم إحسانه، فتمت نعمته عليكم، و لهذا سبب عن ذلك قوله: ﴿ فاٰمنوا ﴾.

و لما كان التقدير بما أرشد إليه السياق توعدا لهم: إن تؤمنوا ١٠ يكن الإيمان ﴿ خيرا لكم ﴾، عطف عليه قوله: ﴿ و ان تكفروا ﴾ أي تستمروا على كفرانكم، أو تجددوا كفرا، يكن الكفران شرا لكم، أي خاصا ذلك الشر[6] بكم، و لا يضره من ذلك شيء، و لا ينقصه من ملكه شيئا، كما أن الإيمان لم ينفعه شيئا و لا زاد في ملكه شيئا، لأن له الغنى المطلق، و هذا معنى قوله: ﴿ فان لله ﴾ أي الكامل العظمة ١٥ ﴿ ما في السمٰوٰت و الارض ﴾ فانه من إقامة العلة مقام المعلول، و لم يؤكد بتكرير "ما" و إن كان الخطاب مع المضطربين[7]، لأن

(١) في الأصول: عم (٢) زيد من ظ ومد (٣) في ظ: الرسالة (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الارتباط (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: لا يطابقه (٦) من ظ ومد، و في الأصل: الشيخ (٧) في ظ: المضطرين.

قيام الأدلة أوصل [1]إلى حد[1] من الوضوح[2] بشهادة الله [ما - [3]] لا مزيد عليه، فصار المدلول به[4] كالمحسوس.

و لما كان التقدير: فهو[5] غنى عنكم، و [له-[6]] عبيد غيركم لا يعصونه[7]، و هو قادر على تعذيبكم باسقاط ما أراد من السماء، و خسف ما أراد
٥ من الأرض و غير ذلك، و كان تنعيم المؤالف و تعذيب المخالف و تلقى النصيحة بالقبول دائرا على العلم و على الحكمة التى هى نتيجة العلم و القدرة قال: ﴿ و كان الله ﴾ أى [الذى - [6]] له الاختصاص التام بجميع صفات الكمال أزلا و أبدا مع أن له جميع الملك ﴿عليما﴾ أى فلا يسع ذا لب أن يعدل عما أخبر به من أن أمر هذا الرسول حق إذ[8]
١٠ هو[9] لم يخبر به إلا عن تمام العلم، و لا يخفى عليه عاص و لا مطيع[9] ﴿ حكيما ه ﴾ فلا ينبغى لعاقل أن يضيع شيئا من أوامره لأنه لم يضعها إلا على كمال الإحكام، فهو جدير بأن يحل[10] بمخالفه[11] أى انتقام[12]، و يثيب[13] من أطاعه بكل إنعام.

و لما اقتضى السياق الأكمل فيما سبق إتمام أمر عيسى عليه الصلاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: الوضوع (٣) زيد كى تستقيم العبارة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: وهو (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يعصون (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: اذا. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يطيع (١٠) زيد بعده فى ظ: اى (١١) من مد، و فى الأصل: بمخالفته، و فى ظ: لمخالفة (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الانتقام (١٣) من مد، و فى الأصل: ينبت، و فى ظ: تتيب.

و السلام إذ كان الكلام فى بيان عظيم جرأتهم و جفاءهم، و كان[1] ما فعلوا معه أدل دليل على ذلك، و كان كل من أعدائه و أحبابه قد ضل فى أمره، و غلا فى شأنه اليهود بخفضه، و النصارى برفعه؛ اقتضى قانون العلم و الحكمة المشار إليهما بختام الآية السالفة بيان ما هو الحق من شأنه و دعاء الفريقين [إليه -[2]] فقال: ﴿ يٰأهل الكتٰب ﴾ [أى -[2]] عامة ﴿ لا تغلوا فى دينكم ﴾ أى لا تفرطوا فى أمره، فتجاوزوا بسببه حدود[3] الشرع و قوانين العقل ﴿ و لا تقولوا على الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له شيئا من القول ﴿ الا الحق ﴾ أى الذى يطابقه الواقع، فمن قال عن عيسى عليه الصلاة و السلام أنه لغير رشدة، فقد أغرق فى الباطل، فانه لو كان كذلك ما وقفت أمه للدوام على الطاعات، و لا ظهرت عليها عجائب الكرامات، و لا تكلم هو فى المهد، و لا ظهرت على لسانه / ينابيع الحكمة، و لا قدر على إحياء الموتى، و ذلك متضمن لأن الله تعالى العليم الحكيم أظهر[4] المعجزات على يد من لا يحبه، و ذلك مناف للحكمة، فهو كذب على الله بعيد عن تنزيهه، و من قال: إنه الله أو ابن الله، فهو أبطل و أبطل، فانه لو كان كذلك لما كان حادثا و لما احتاج إلى الطعام و الشراب و ما ينشأ عنها، و لا قدر أحد على أذاه و لثبتت الحاجة إلى الصاحبة للإلٰه، فلم يصلح الإلهية، و ذلك أبطل الباطل.

و لما ادعى اليهود أنه غير رسول، و النصارى أنه إلٰه، حسن تعقيبه بقوله: ﴿ انما المسيح ﴾ أى المبارك الذى هو أهل لأن يمسحه[5] الإمام

(١) فى ظ: كانوا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: اعظم (٥) من ظ و مد؛ و فى الأصل: يمحسه.

بدهن القدس ، لما فيه من صلاحية الإمامة ، و هو أهل [أيضا - [1]] لأن يمسح الناس و يطهرهم . لما له من الكرامة ؛ و لما ابتدأ سبحانه بوصفه الأشهر ، و كان [قد - [1]] يوصف به غيره بينه بقوله : ﴿ عيسى ﴾ ثم أخبر عنه بقوله : ﴿ ابن مريم ﴾ اتصل بها اتصال[2] الأولاد بأمهاتهم ، ٥ لا يصح نسبته للبنوة[3] إلى غيرها ، و ليس هو الله و لا ابن الله - كما زعم النصارى ﴿ رسول الله ﴾ لا أنه لغير رشدة - كما كذب[4] اليهود .

و لما كان تكوّنه بكلمة الله من غير واسطة ذكر ، جعل نفس[5] الكلمة فقال : ﴿ و كلمته ج ﴾ لأنه كان بها من غير تسبب عن أب بل ، كونا خارقا للعوائد ﴿ ألقىها ﴾ أي أوصلها على [علو - [1]] أمره و عظيم قدرته إيصالا ١٠ سريعا ﴿ الى مريم ﴾ و حصلها[6] فيها ، و زاده[7] تشريفا بقوله : ﴿ و روح ﴾ أي عظيمة نفخها فيما تكوّن[8] في مريم من الجسد الذي قام بالكلمة ، لا بمادة من ذكر ، و الروح هو[9] النفخ في لسان العرب ، و هو كالريح[10] إلا أنه أقوى ، بما له من الواو و الحركة المجانسة لها ، و لغلبة الروح عليه كان يحيي الموتى إذا أراد ، و أكمل شرفه بقوله : ﴿ منه ز ﴾ أي[11] و إن كان ١٥ جبرئيل هو النافخ ، و إذا وصف شيء بغاية الطهارة قيل[12] : روح ، لا سيما إن كان به حياة في دين أو بدن .

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : اتصالا (٣) في ظ : بالنبوة (٤) في ظ ومد : كذبت (٥) زيد بعده في ظ : كل (٦) في ظ : حصل (٧) في ظ : ازده - كذا (٨) في ظ : يكون (٩) من ظ و مد ، و في الأصل « و » (١٠) في ظ : كالقريع (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ : قتل - كذا .

و لما أفصح بهذا الحق سبب عنه قوله: ﴿ فآمنوا بالله ﴾ أي الذي لا يعجزه شيء، و لا يحتاج إلى شيء ﴿و رسله قف ج﴾ أي عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره عامة، من غير إفراط و لا تفريط، و لا تؤمنوا ببعض و لا تكفروا ببعض، فان ذلك حقا هو الكفر الكامل - كما مر.

و لما أمرهم باثبات الحق [نهاهم -[1]] عن التلبس بالباطل فقال: ٥ ﴿و لا تقولوا﴾ أي في أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ ثلثة ط ﴾ أي استمروا أيها[2] اليهود على التكذيب بما يقول فيه النصارى، و لا تقولوا[3]: إنه متولد من أب و أم لغير رشدة - المقتضي للتثليث، و ارجعوا أيها النصارى عن التثليث الذي تريدون به أن الإله بثلاثة و إن ضممتم[4] إليه أنه إله واحد، لأن ذلك بديهي البطلان، فالحاصل أنه نهى كلا ١٠ عن التثليث و إن كان المرادان به مختلفين، و إنما العدل فيه أنه ابن مريم، فهما اثنان لا غير، و هو عبد الله و رسوله و كلمته و روح منه.

و لما نهاهم عن ذلك بصيغة النهي صرح به في مادته مرغبا [مرهبا-[1]] في صيغة الأمر بقوله: ﴿ انتهوا ﴾ أي عن التثليث الذي نسبتموه[5] إلى الله بسببه، و عن كل كفر، و قد أرشد سياق التهديد إلى أن التقدير: ١٥ إن تنتهوا يكن الانتهاء ﴿ خيرا[6] لكم ط ﴾.

و لما نفى أن يكون هو الله[7]، كما تضمن قولهم، حصر القول فيه سبحانه في ضد ذلك، كما فعل في عيسى عليه الصلاة و السلام فقال:

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: لا يقولوا (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: ضمنهم (٥) في ظ: نهيتموه (٦) في ظ: خير (٧) زيدت الواو بعده في ظ.

﴿ انما الله ﴾ أى الذى له الكمال كله؛ و لما كان النزاع إنما هو فى الوحدانية من حيث الإلهية، لا من حيث الذات قال: ﴿ اله واحد[4] ﴾ أى لا تعدد فيه بوجه.

و لما كان المقام عظيما زاد فى تقريره، فنزهه[1] عما قالوه فقال:

٥ ﴿ سبحنه ﴾ أى تنزه و [2]بعد بعدا[2] عظيما و علا علوا كبيرا[3] ﴿ ان ﴾ أى عن أن ﴿ يكون[4] له ولد م ﴾ أى كما قلتم أيها النصارى! فان ذلك يقتضى الحاجة، و يقتضى[5] التركيب و المجانسة، فلا يكون واحدا؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ له ﴾ أى لأنه إله واحد لا شريك له [له - [6]] ﴿ ما فى السموت ﴾ / و أكد لأن المقام له فقال: ﴿ و ما فى الارض[4] ﴾ /٥٥٩

١٠ أى خلقا و ملكا [و مُلكا - [6]]، فلا يتصور أن يحتاج إلى شىء منهما[7] و لا إلى شىء متحيّز فيهما، و لا يصح بوجه أن يكون بعض ما يملكه المالك جزءا منه و ولدا له، و عيسى و أمه عليهما الصلاة و السلام من ذلك، و كل منهما محتاج إلى ما فى الوجود.

و لما كان معنى ذلك أنه الذى دبّرهما[8] و ما فيهما، لأن الأرض

١٥ فى السماء، و كل سماء فى التى فوقها، و السابعة فى الكرسى، و الكرسى فى العرش، و هو ذو العرش العظيم لا نزاع فى ذلك، و ذلك هو وظيفة الوكيل

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: متنزهة - كذا (٢-٢) من مد، وفى الأصل: بعده فدا، وفى ظ: بعده حدا - كذا - (٣) من مد، وفى الأصل وظ: كثيرا.
(٤) تقدم فى الأصل على «اى عن» و الترتيب من ظ و مد (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: تقتضى (٦) زيد من مد (٧) زيد بعده فى ظ: الى (٨) فى ظ: دبرما.

بالحقيقة

[١] بالحقيقة ليكفى[١] من وكله كل[٢] ما يهمه؛ كان[٣] كأنه قيل: و هو الوكيل فيهما و فى كل ما فيهما فى[٣] تدبير مصالحكم، فبنى عليه قوله: ﴿ وكفى بالله ﴾ أى الذى أحاط بكل شيء علما و قدرة ﴿ وكيلا ﴾[٤] أى يحتاج إليه كل شيء، و لا يحتاج هو[٢] إلى شيء، و إلا لما كان كافيا.

و لما كان الوكيل من يقوم مقام الموكل، و يفعل ما يعجز عنه ٥ الموكل، و كان الله[٢] تعالى لا يعجزه شيء، و لا يحتاج إلى شيء، و كان عيسى عليه الصلاة و السلام لا يدّعى القدرة على شيء إلا بالله، و كان يحتاج إلى النوم و إلى الأكل و الشرب و إلى[٤] ما يستلزمانه، صح أنه عبد الله فقال سبحانه دالا على ذلك: ﴿ لن يستنكف ﴾ أى يطلب و يريد أن يمتنع و يأبى[٥] و يستحيي[٦] و يأنف و يستكبر ﴿ المسيح ﴾ أى الذى ١٠ [ادعوا - [٧]] فيه الإلٰهية، و أنفوا له من العبودية لكونه خلق من غير ذكر، و لكونه أيضا يخبر ببعض[٨] المغيبات، و يحيي بعض الأموات، و يأتى بخوارق العادات ﴿ ان ﴾ أى من أن ﴿ يكون عبدا لله ﴾ أى الملك الأعظم الذى عيسى عليه الصلاة و السلام من جملة مخلوقاته، فانه من جنس البشر فى الجملة و إن كان خلقه خارقا لعادة البشر ﴿ ولا الملٰئكة ﴾ ١٥ أى الذين[٩] هم أعجب خلقا [منه فى كونهم ليسوا من ذكر و لا أنثى

(١-١) فى ظ: الحقيقة لتكفى (٢) سقط من ظ (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: من (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يأتى (٦) فى مد: يتنحى (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) فى ظ: بعض (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى.

و لا ما يجانس عنصر البشر، فكانوا لذلك أعجب خلقا - [1]] من آدم عليه الصلاة و السلام أيضا، و هم لا يستنكفون بذلك عن أن يكونوا عبادا لله .

و لما كان التقريب مقتضيا فى الأغلب للاستحقاق ، و كان صفة عامة للملائكة[2] قال: ﴿ المقربون [4] ﴾ أى الذين هم فى حضرة القدس[3] ،

٥ فهم أجدر بعلم المغيبات و إظهار الكرامات ، و جبرئيل الذى هو أحدهم كان سببا فى حياة عيسى عليه الصلاة و السلام ، و قد ادعى بعض الناس فيهم الإلهية أيضا ، و بهذا طاح استدلال المعتزلة بهذه الآية على أفضلية الملك على البشر بأن العادة فى مثل هذا السياق[4] الترقى من الأدنى إلى الأعلى بعد تسليم مدعاهم، لكن فى الخلق لا فى المخلوق .

١٠ و لما أخبر تعالى عن خلّص عباده بالتشرف بعبوديته أخبر عمن يأبى ذلك، فقال مهددا محذرا موعدا : ﴿ و من يستنكف ﴾ أى من الموجودات كلهم ﴿ عن عبادته ﴾ و لما كان الاستنكاف قد يكون بمعنى[5] مجرد الامتناع لا كبرا ، قال مبينا للمراد من معناه هنا : ﴿ و يستكبر ﴾ أى يطلب الكبر عن ذلك و يوجده[6] ، لأن مجرد الامتناع لا يستلزمه.

١٥ و لما كان الحشر عاما للمستكبر و غيره كان الضمير فى ﴿ فسيحشرهم ﴾ عائدا على العباد المشار إليهم بعبداً و عبادته[7] ، و لا يستحسن[8] عوده على « مَنْ » لأن التفصيل يأباه ، و التقدير حينئذ : فسيذلهم لأنه سيحشر العباد

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الملائكة (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ : لمعنى (٦) فى ظ : توجد (٧) من ظ ، و فى الأصل و مد : عبادة (٨) فى ظ : لا تحسن .

﴿ اليه جميعا ﴾ أي المستكبرين و غيرهم بوعد لا خلف فيه لأن الكل يموتون، و من مات كان مخلوقا محدثا قطعا، و من كان مقدورا على ابتدائه و إفنائه كانت القدرة على إعادته أولى، و الحشر: الجمع بكره.

و لما [1]عم بالحشر[1] المستكبرين و غيرهم جاء التفصيل إلى القسمين فقال: ﴿فاما الذين امنوا﴾ أي أذعنوا لله تعالى و خضعوا له ﴿و عملوا الصلحت ﴾ تصديقا لإقرارهم بالإيمان ﴿ فيوفيهم اجورهم ﴾ أي التي جرت العادات[2] بينكم أن يعطوها و إن كانوا في الحقيقة لا يستحقونها، لأن الله تعالى هو الذي وفقهم لها، [فهي - [3]] فضل منه عليهم ﴿و يزيدهم﴾ أي بعد ما قضيت به العادات ﴿من فضله[4]﴾ أي شيئا لا يدخل تحت الحصر لأنه ذو الفضل العظيم ﴿ واما الذين استنكفوا و استكبروا﴾ أي طلبوا كلا من الإباء و الكبر ﴿فيعذبهم عذابا اليما ۙ﴾ أي بما وجدوا من لذاذة الترفع[4] و الكبر، و آلموا بذلك أولياء الله ﴿ و لا يجدون لهم ﴾ أي حالا و لا مآلا ﴿ من دون الله ﴾ الذي لا أمر لأحد معه ﴿ وليا ﴾ أي قريبا يصنع معهم ما يصنع القريب ﴿ و لا نصيرا ﴾ أي و إن كان بعيدا، و في هذا أتم زاجر[5] عما قصده المنافقون من موالاة أهل الكتاب، و أعظم ناف لما منوهم[6] إياه عما لهم[7] [و - [8]] زعموا من المنزلة عند الله، المقتضية لأن يقربوا

(١-١) في ظ: اعم بالخبر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: العادة (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: الترافع (٥) من مد، و في الأصل و ظ: زاجرا (٦) من ظ و مد، و في الأصل: يمنوهم (٧) في ظ: لم (٨) زيدت الواو كي تستقيم العبارة.

من شاؤا، و يبعدوا من شاؤا، و هو من أنسب الأشياء لختام أول الآيات المحذرة منهم " [1]و كفى بالله وليا[1] و كفى بالله نصيرا ".

و لما أزاح شبه جميع المخالفين من سائر الفرق: اليهود و النصارى و المنافقين[2]، و أقام الحجة عليهم[3]، و أقام الأدلة القاطعة على حشر[4] جميع
٥ المخلوقات، فثبت أنهم كلهم عبيده؛ عمّ فى الإرشاد لطفا منه بهم فقال: ﴿ يـٰٓايها الناس ﴾ أى[3] كافة أهل الكتاب و غيرهم.

و لما كان السامع جديرا بأن يكون قد شرح صدرا بقواطع[5] الأدلة بكلام وجيز جامع قال: ﴿قد جآءكم برهان ﴾ أى حجة نيّرة واضحة مفيدة لليقين التام، و هو رسول مؤيد بالأدلة القاطعة من المعجزات
١٠ و غيرها ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بارساله[6] الذى لم تروا قط إحسانا إلا منه.

و [لما -[7]] كان القرآن صفة الرحمن[8] أتى بمظهر العظمة فقال: ﴿و انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة و القدرة و العلم و الحكمة على الرسول الموصوف، منتهيا ﴿ اليكم نورا مبينا ﴾ أى واضحا فى نفسه موضحا لغيره،
١٥ و هو هذا القرآن الجامع باعجازه و حسن بيانه بين تحقيق النقل و تبصير العقل، فلم يبق لأحد من المدعوّين به نوع عذر، و الحاصل أنه سبحانه لما خلق [9]للآدمى عقلا[9] و أسكنه نورا لا يضل و لا يميل مهما جرد،

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المنافقون.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: خير (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نقواطع.
(٦) فى ظ: باحسان (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الرحمة (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الادمى عقل.

و لكنه

و لكنه سبحانه حفّه بالشهوات و الحظوظ و الملل و الفتور ، فكان فى أغلب أحواله قاصرا إلا الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و من ألحقه سبحانه بهم ؛ أنزل كتبه بذلك العقل مجردا عن كل عائق ، و أمرهم أن يجعلوا عقولهم تابعة [له - [1]] منقادة به ، لأنها مشوبة[2] ، و هو مجرد لا شوب فيه بوجه . ٥

و لما أشار فى هذه الآية إلى الرسول الأصفى و النبى الأهدى ، المجبول على هذا العقل الأقوم الأجلى ، و الكتاب الأتم الأوفى ، الجارى على هذا القانون الأعلى ، الوافى تعبيره الوجيز بأحكام الأولى و الأخرى ، الكفيل سياقه و ترتيب آياته بوضوح الأدلة و ظهور[3] الحجج ؛ أخذ يقسم[4] المنذرين فقال تعالى : ﴿ فاما الذين اٰمنوا بالله ﴾ أى الذى اتضح ١٠ أنه [5]لا أمر[5] لأحد معه فى ذاته و صفاته و أفعاله و أحكامه و أسمائه بما دل عليه قاطع البرهان ﴿ و اعتصموا به ﴾ أى جعلوه عصاما لهم فى الفرائض التى هى من أعظم مقاصد هذه السورة ، يربطهم[6] و يضبطهم عن أن يضلوا بعد الهدى ، و يرجعوا من الاستبصار إلى العمى ، لأن العصام هو الرابط للوعاء أن يخرج شيء مما فيه ، و صيغة الافتعال تدل ١٥ على الاجتهاد فى ذلك ، لأن النفس داعية إلى الإهمال المنتج للضلال ﴿ فسيدخلهم ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ، و لعل السين ذكرت[7] لتفيد[8]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : متوبة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظهر (٤) فى ظ : تقسيم (٥-٥) فى ظ : لا من (٦) فى ظ : نربطهم (٧) من ظ ، و فى الأصل و مد : ذكر (٨) فى ظ : مفيدا .

مع تحقيق الوعد الحث على المثابرة و المداومة على العمل إشارة إلى
عزة ما عنده سبحانه ﴿ فى رحمة منه ﴾ أى ثواب عظيم هو برحمته لهم،
لا بشيء استوجبوه، و أشار إلى البر على ما تقتضيه[1] أعمالهم لو كانت
لهم بقوله : ﴿ و فضل لا ﴾ أى عظيم يعلمون[2] أنه زيادة، لا سبب لهم
٥ فيها ﴿ و يهديهم ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة ﴿ اليه صراطا ﴾ [3]أى عظيما
واضحا جدا[3] ﴿ مستقيما ﴾ أى هو مرشد قومه، كأنه[4] طالب لتقويم
نفسه، فهو يوصلهم لا محالة إلى وعده بما يحفظهم فى سرهم و علنهم،
يستجلى أنوار عالم القدس فى أرواحهم و توفيقهم لاتباع[5] ما هدت
إليه من أمر الفرائض و غيرها، فقد أتى - كما ترى - بأما المقتضية[6]
١٠ للتقسيم لا محالة، و أتى / بأحد القسمين المذكورين فى الآية التى قبلها، ٥٦١ /
و وصفهم بالاعتصام بالله فى النصرة و قبول جميع أحكامه فى الفرائض
وغيرها، وافقت أهويتهم أو خالفتها[7]، تعريضا بالمنافقين الذين
[3]والوا غيرهم[3]، و بالكافرين الذين آمنوا ببعض و كفروا ببعض، و ترك
القسم الآخر و هو قسم المستنكفين و المستكبرين، و وضع موضعه حكما
١٥ من أحكام الفرائض المفتتح بها السورة[8] التى هى من أعظم مقاصدها من
غير حرف عطف، بل بكمال الاتصال، فقال منكرا عليهم تكرير السؤال

(١) فى ظ : يقتضيه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : تعلمون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : لانه (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : الاتباع (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : خالفها - كذا (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : الصورة - كذا .

عن النساء و الأطفال بعد شافي المقال، مبينا أنه قد هدى في ذلك كله[1]
أقوم طريق: ﴿ يستفتونك[4] ﴾ أي يسألونك أن تفتيهم، أي[1] أن تبين لهم
بما[2] عندك من الكرم و الجود و السخاء ما انغلق عليهم أمره و انبهم[3]
لديهم سره من حكم الكلالة، و للاعتناء بأمر المواريث قال إشارة إلى
أن الله لم يكل أمرها إلى غيره: ﴿ قل الله ﴾ أي الملك الأعظم ٥
﴿ يفتيكم في الكلٰلة[4] ﴾ و هو من لا ولد له و لا والد؛ روى البخاري في
التفسير عن البراء رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت براءة و[4] آخر آية
نزلت " يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلٰلة"؛ [5]و قال الأصبهاني عن الشعبي:
اختلف أبو بكر و عمر رضي الله عنهما في الكلالة[5]، فقال أبو بكر: هو ما عدا
الوالد، و قال عمر: ما عدا الوالد[6] و الولد[6]، ثم قال عمر: إني لأستحيي ١٠
من الله أن أخالف[7] أبا بكر رضي الله عنه؛ ثم استأنف قوله: ﴿ ان
امرؤا هلك ﴾ أي و هو موصوف بأنه، أو حال كونه ﴿ ليس له
ولد ﴾ أي و إن سفل سواء كان ذكرا أو أنثى عند إرث النصف،
و ليس له أيضا والد، فان كان له أحدهما لم يسم كلالة، و قد
بينت ذلك السنة؛ قال الأصبهاني: و ليسا بأول حكمين بُيِّنَ أحدهما ١٥
بالكتاب و الآخر بالسنة، و هو قوله عليه الصلاة و السلام: ألحقوا
الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر، و الأب أولى من الأخ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: ما (٣) كذا، ولا يطرد الانفعال من هذه المادة.
(٤) في ظ: في (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦ - ٦) من ظ و مد، و في الأصل: والد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: خالف.

﴿ و ﴾ الحال أنه[1] ﴿ لَهٗٓ اخت ﴾ أى واحدة من أب[2] شقيقة كانت أو لا، لأنه سيأتى أن أخاها يعصبها، فلو كان[3] ولد أم[3] لم يعصب ﴿ فلها نصف ما ترك[4] و هو ﴾ أى و هذا الأخ الميت ﴿ يرثهآ ﴾ أى إن ماتت هى و بقى هو، جميعَ مالها ﴿ ان لم يكن لها ولد[5] ﴾ أى ذكرا كان أو أنثى

٥ - كما مر فى عكسه، هذا إن أريد بالإرث جميع المال، و إلا فهو يرث مع الأنثى كما أنها هى أيضا ترث[6] مع الأنثى - كما يرشد[5] إليه السياق أيضا - دون النصف .

و لما بين الأمر عند الانفراد أتبعه بيانه عند الاجتماع، و قدم أقله فقال: ﴿ فان كانتا ﴾ أى الوارثتان ببيان السياق لهما و إرشاده

١٠ إليهما؛ و لما أضمر ما دل عليه السياق، و كان الخبر صالحا لأن يكون: صالحتين، أو صغيرتين، أو غير ذلك؛ بين أن المراد - كما يرشد إليه السياق أيضا - مطلق العدد على أى وصف اتفق فقال: ﴿ اثنتين ﴾ أى من الأخوات للأب شقيقتين كانتا أو لا ﴿ فلهما الثلثٰن مما ترك[6] ﴾ فان كانتا شقيقتين كان لكل[6] منهما ثلث، و إن اختلفتا[7] كان للشقيقة النصف

١٥ و للتى للأب فقط[8] السدس تكملة الثلثين .

و لما بين أقل الاجتماع أتبعه ما فوقه فقال: ﴿ و ان كانوآ ﴾ أى

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٢) فى ظ: ان. (٢-٣) من ظ ومد، وفى الأصل: والدا - كذا (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ترك (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: يريد (٦) زيد فى ظ: واحد (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: اختلفا (٨) سقط من ظ .

الوراث[1] ﴿ اخوة ﴾ أى مختلطين ﴿ رجالا و نسآء فللذكر ﴾ أى منهم ﴿ مثل حظ الانثيين[1] ﴾ و قد أنهى سبحانه ما أراد من بيان إرث الإخوة لأب ، فتم بذلك جميع أحوال ما أراد من الإرث ، و هو على وجازته كما ترى - يحتمل[2] مجلدات - و الله الهادى ، و وضع هذه الآية هنا[3] - كما تقدم - إشارة منه [إلى - [4]] أن من أبى توريث النساء و الصغار ٥ الذى[5] تكرر[6] الاستفتاء عنه فقد استنكف عن عبادته و استكبر و إن آمن[7] بجميع ما عداه من الأحكام، و من استنكف عن حكم من/ الأحكام /٥٦٢ فذاك هو الكافر حقا ، كما أن من آمن ببعض الأنبياء و كفر ببعض فهو الكافر حقا ، و هذا مراد شياطين أهل الكتاب العارفين بصحة هذه الأحكام ، الحاسدين لكم عليها ، المريدين لضلالكم[8] عنها لتشاركوهم ١٠ فى الشقاء[9] الذى وقع لهم لما بدلوا الأحكام المشار إليهم بعد ذكر آيات الميراث و ما تبعها من أحوال النكاح بقوله " يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم " و قوله " و يريد الذين يتبعون الشهوٰت ان تميلوا ميلا عظيما " ثم المصرح بهم فى قوله " الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتٰب يشترون الضلٰلة و يريدون ان تضلوا السبيل و الله اعلم باعدائكم " ١٥ و لذلك - و الله أعلم - ختم هذه الآية بقوله : ﴿ يبين الله ﴾ أى الذى

(١) من مد ، و فى الأصل و فى ظ : الوارث (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتحمل (٣) فى ظ : هناك (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتكرر (٧) زيد فى ظ : من ، و العبارة من بعده إلى "من آمن" ساقطة منه (٨) فى ظ : لصلاتكم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشق.

أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿لكم﴾ أى [1]و لم يكلكم فى هذا البيان
إلى بيان غيره ، و قال مرغبا مرهبا: ﴿ ان﴾ أى كراهة[1] أن ﴿تضلوا[1]
و الله ﴾ [2]أى الذى له الكمال كله[2] ﴿ بكل شيء عليم ﴾ أى فقد
بين لكم بعلمه ما يصلحكم بيانه محيا و مماتا دنيا و أخرى ، حتى جعلكم
٥ على المحجة البيضاء فى مثل ضوء النهار ، لا يزيغ عنها منكم إلا هالك ،
و الحاصل أن تأخير هذه الآية إلى هنا لما[3] تقدم من أن تفريق القول
فيما تأباه[4] النفوس و إلقاءه شيئا فشيئا باللطف و التدريج أدعى لقبوله ،
وللاشارة إلى شدة الاهتمام بأمر الفرائض بجعل الكلام فيها فى جميع
السورة أولها و أثنائها و آخرها[5] ، و التخويف من أن يكون حالهم كحال
١٠ المنافقين فى إضلال أهل الكتاب لهم بالقاء الشبهة[6] و أخذهم من الموضع[7]
الذى تهواه نفوسهم، و مضت عليه[8] أوائلهم ، و أشربته قلوبهم، و الترهيب
من أن يكونوا مثلهم فى الإيمان ببعض و[9] الكفر ببعض ، فيؤديهم ذلك
إلى إكمال الكفر ، لأن الدين لايتجزأ ، بل من كفر بشيء منه كفر به
جميعه ، و من هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها ، لأن أولها
١٥ مشير إلى أن الناس كلهم كشيء[10] واحد ، و ذلك يقتضى عدم الفرق[11]
بينهم إلا فيما شرعه الله ، و آخرها مشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء

(١-١) موضع الرقمين فى ظ : الذى له الكمال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من
ظ (٣) فى ظ : كما (٤) فى ظ : يأباه (٥) فى ظ : اخرتها (٦) فى ظ : بالشبه .
(٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : المواضع (٨) من ظ ومد، و فى الأصل : عليهم.
(٩) سقطت الواو من ظ (١٠) فى ظ : شيء (١١) فى ظ : العرف - كذا .

و الرجال فى مطلق التوريث بقرب الأرحام[1] و إن اختلفت الأنصباء، فكأنه قيل : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، و خلق منها زوجها، و بث منهما رجالا كثيرا و نساء، و سوى بينهم فيما أراد من الأحكام فانه من استكبر - و لو عن حكم من أحكامه - فسيجازيه[2] يوم الحشر، و لا يجد له من[3] دون الله[3] ناصرا، و لا يخفى ٥ عليه شيء من حاله، و ما أشد مناسبة ختامها باحاطة العلم لما[4] دل عليه أولها من تمام القدرة، فكان آخرها دليلا على أولها لأن[5] تمام العلم مستلزم[6] لشمول القدرة؛ قال الإمام: و هذان الوصفان هما اللذان بهما ثبتت الربوبية و الإلهية و الجلال و العزة، و بهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر و النواهى منقادا لكل التكاليف - انتهى . و لختام[7] أول ١٠ آية[7] فيها بقوله " ان الله كان عليكم رقيبا " أى و هو بكل شيء من أحوالكم و غيرها عليم، فلا تظنوا أنه يخفى عليه شيء و إن دق، فليشتد حذركم منه و مراقبتكم له[8]، و ذلك أشد شيء مناسبة لأول المائدة - و الله الموفق بالصواب، و إليه المرجع و المآب[9] .

(١) فى ظ : الارجا (٢) فى ظ : متجاربه - كذا (٣-٣) فى ظ و مد : دونه .
(٤) فى ظ : بما (٥) فى ظ : لانها (٦) فى ظ : تستلزم (٧-٧) فى ظ : او انه - كذا
(٨) سقط من ظ (٩) و إلى هنا ينتهى الجزء الأول من الأصل و مد، فقد زيد بعده فى الأصل : « تم الجزء الأول من تناسق الدرر فى تناسب الآى و السور - لعلامة الإسلام الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعى » ، و زيد فى مد : « تم الجزء الأول من كتاب الدرر فى مناسبة الآى و السور - تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة منبع الغرائب و مظهر العجائب إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط =

= ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي - طيب الله ثراه و جعل الجنة مقره و مأواه . . . (و بعد ذلك وردت أسطر من الناسخ لم نقدر على قراءتها لعدم اتضاحها) وكان الفراغ من ذلك النقل بعد العصر من يوم الثلاثاء سادس عشر شوال سنة سبعين و ستمائة ، وحسبنا الله و نعم الوكيل و لاحول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و صلى الله على أشرف المرسلين سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا دائما ! يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني من أول سورة المائدة » .

✲ ✲ ✲ ✲ ✲

✲ ✲ ✲ ✲

✲ ✲ ✲

✲ ✲

✲

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الخامس من تفسير " نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الاثنين السادس عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٩٢ هـ = ٢٢ يناير سنة ١٩٧٣ م .

و قد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح دائرة المعارف العثمانية الأخ الفاضل السيد محمد عمران الأعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) و عنى بتنقيحه السيد حبيب الله القادري صدر المصححين ثم راقم هذه الخاتمة تحت إشراف الأديب الفاضل الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين ! و يتلوه الجزء السادس إن شاء الله تعالى من أول سورة المائدة .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و أصحابه أجمعين ، و آخر دعونا ان الحمد لله رب العلمين .

محمد عظيم الدين غفر له

(كامل الجامعة النظامية)

نائب صدر المصححين بدائرة المعارف